

مقدمة البحث

كلمة المؤلف

- الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الهدى ودين الحق وخاتم الأنبياء والمرسلين جعله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أدبه ربُّه فأحسن تأديبه فكان خلقه القويم خيراً ما يحتذي به وأفضل ما يهتدي بقيمه على اختلاف العصور وتباين الأزمنة، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

- فإن من أسباب البشر والإنشراح أن رابطة العالم الإسلامي أعلنت عن تنظيم مسابقة عالمية في موضوع (أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية) في عام ١٤٢٨ هجرية، ودعت إلى ذلك المجتهدين من الكتاب والباحثين وأصحاب الإختصاص في سيرة سيد الخلق رسول الله ﷺ.
- ورغم ما استشعرت من رهبة نحو جلال موضوع البحث وعظمة أخلاق صاحب السيرة النبوية إلا أنني قدمت الإجتهد وخطوت خلفه أبحث عن هذه الومضات الأخلاقية الخالدة، لأن فيها ما يرضي العقل والشعور ويمنحك من خصبها خصباً ومن ثروتها ثروة ومن قوتها قوة ولا يستقر في قلبك المعنى والمنهج حتى يتصور في صورة قلبك أو يصور قلبك في صورته وفرق كبير بين من يتحدث عن هذه الأخبار إلى العقل على أنها حقائق يقرها العلم وتستقيم لها مناهج البحث ومن يقدمها إلى القلب، والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير صارفة عن بواعث الشر مُعِينة على إحتمال أُنْقَال وعنت الحياة
- فإذا إتصل الخبر لشخص الرسول ﷺ فإني أرده إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع إليه، لا أحتمل في ذلك تبعاً لأنني لا أذهب فيه مذهباً خاصاً إلا أن يكون تبسيطاً في الشرح والتفسير وإستنباطاً للعبارة والوصول بها إلى قلوب الناس.
- ومن مقتضيات المنهج العلمي في البحث أن تجرد نفسك من كل رأي وعقيدة لفترة مرحلية محدودة وهي فترة البحث وأن تبدأ بالملاحظة والموازنة والترتيب، ثم التفكير والتقدير وعرض الأدلة والبرهان، ثم تهذيب الأدلة وتمحيصها وتحليلها حتى يستقر ويطمئن الضمير إلى النتيجة فلا طريق للمعرفة إلا بالبرهان وهو وإن كان نوعاً من أنواع القياس إلا أنه يجب أن تكون مقدماته قطعياً حسنَية أو منتهية إلى الحس أو مدركة بالبداهة على أساس ما هو معروف بالمنطق.
- المخاطب في هذا البحث هم غير المسلمين والمسلمين لأن المقصد والغاية هو الوصول إلى نتيجة علمية دون أن يتسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها، وهذه الطريقة العلمية هي: أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر وإطلاق العقل والتحاور مع المنطق، بل وترمي في بعض مقاصدها إلى التحاور مع الآخرين في يسر وسماحة بعد الاحتكام إلى العقل كحكم والبرهان كأساس للعلم.
- والباحث يجد المصادر تختلف فيما بينها في الأحداث إختلافاً لا يحتمل التوافق والتوحيد، فقصدت إلى سبل الترجيح المؤكدة، واستمسكت بما تُرَجِّح بعد التدقيق دون أن يفضي ذلك إلى التطويل المذموم.
- وبما أن الحرب آخر الوسائل التي يلجأ إليها فرقاء من البشر لحسم الصراع فيما بينهم وبما أن الصراع قديم منذ نشأة البشر فتعددت وتنوعت أشكاله، ولقد تطورت وسائل الحسم لهذا الصراع وهي الحرب، وإنتهى البشر منذ العصور القديمة للنتائج المكروهه للحروب ولجأ العقلاء إلى طرح ضوابط أخلاقية لتقليل الأذى والتدمير الذي يصيب البشر.
- ولتقوى الإنسانية على حرب الغواية بعث الله رسله وأنبيائه للهداية والإخاء بين البشر، للإئتلاف وتجنب الاختلاف، ورغم ذلك لربما إتفق البشر على شيء واحد وهو الإختلاف فيما بينهم.

- وقد لجأت أثناء البحث إلى إستخدام الخرائط التوضيحية منذ العصر الجاهلي، فمنها تظهر حركة الشعب العربي بالنسبة للأرض والزمان وتفسّر بقدر أساليب الهجوم والدفاع في الحرب وكما تفيد القارئ في سرعة الاستيعاب ويسر التعليل والفهم وقد اجتهدت في البحث عن الحق للحق ذاته وعن المعرفة للمعرفة نفسها، مراعيًا التمهيد في الاستنباط والأمانة في الحكم والله من وراء المقصد

المؤلف

فتحي ابو طالب

أساسيات أخلاقيات الحرب

أولاً: الأخلاقيات:

- ١- لقد قيل أن العالم ميدان يتنازع فيه بنو الإنسان وهو قدر مقدور لولاه لتعذر علي الفهم أن يدرك كيف تكون مقدمات أمثال تلك النتائج البالغة في الرداءة والسوء مبلغا عظيما حتى لقد تمر علي الإنسان لحظات يسأل فيها نفسه عما إذا كان في الإمكان إصلاح ما إنثلم من حوادث التاريخ بإجتهاد الناس في فهم مقاصد بعضهم البعض.
- ومتى كان الطرفان أو الأطراف المتنازعة علي جانب من طهارة الخلق وحسن النية وجعلوا غايتهم القسوى المسالمة والإتفاق وإتخذوا لذلك وسائل الحكمة والتدبر وصدق إجتهادهم في التجرد عن الأهواء- فإنهم يصلون إلي نقطة تتفق فيها مقاصدهم وتتطابق رغباتهم.
- ٢- ويظن الناس في الغالب أن الواجب التفرقة بين الإتفاق والمجاهدة بالشقاق وهو خطأ بيّن إذ بين السلم والحرب ميدان فسيح للحكمة والتسامح أن تجول فيه جولتها. لأننا إذا نظرنا في أصول المشاكل البشرية يكون إندهاشنا من التشابه بين الآراء التي تعذر التوفيق بعد فيما بينها أعظم من الانفراج المستحکم بينها.
- وخاصة القول أن معيشة بني الإنسان مع بعضهم بعضا بسلام ميسورة لمن يريدون ذلك ويقصدونه برغبتهم وحسن إرادتهم.
- ٣- ولا يخفى أن كل نزاع فهو حرب وكل منافسة فيما هو عماد الحياة فهي جلاذ وكل عمل يأتيه أحد المتنافسين للظفر بمنافسه فهو جهاد وكل وسيلة تظفره بطلبته فهي سلاح وكل تجاذب أو تدافع بينهما فهو كفاح - وكل منفعة حفظها أو إستخلصها منه فهي غنيمة وكل إنخزال عن الحق أو تقويت لمصلحة فهو هزيمة.

ثانياً: أخلاقيات السلام وأخلاقيات الحرب:

- ١- الأخلاقيات بإطلاقها تكون مجموعة الخصال الحميدة والقيم السليمة والقواعد الحكيمة والفضيلة النقية الرشيدة وكل ما هو جميل وسامي يندرج في إطار الخلق الإنساني والصفات الحميدة ونعني في المقام الأول الأخلاق الصالحة وليست الأخلاق الطالحة المرذولة والتي ينكرها ويزدريها العقلاء.
- ٢- والسلام هو المنتهى لبني البشر الصالحين الذين ينبذون الظلم ويرفضون الجور والعدوان ويحتقرون أمية المشاعر.
- ٣- فالسلام هو المرحلة التي يتأسس فيها بناء مصادر اليقين بذات الإنسان وتتعزيز لديه مشاعر الإقتدار بتجاوز مراحل الضلال والضعف تجاه الإنسانية.
- ٤- فأخلاقيات السلام هي البعد الإنساني الكامل بعيدا عن الخداع والتضليل. والحرب هي الحالة المضادة للسلام وهي الفرق بين القبح والجمال.
- ٥- وأخلاقيات الحرب تعني ثقافة المعني الإنساني وسط أشد الضلالات وأرذل أنواع القهر حين إفتقاد الضمير وإنعدام البصيرة.
- ٦- عندما يقهر الإنسان أخيه الإنسان فتطغى بذلك صناعة الإختلالات وتسود ثقافة الظلم والقهر ويخبو ويكاد ينعدم صوت الفضيلة في هذه المحنة يتعطل الإدراك السليم للأمور وتغيض ثقافة الأخلاق المحمودة ويفيض تمجيد الخطيئة ليطغى علي المعني الإنساني ويموت الضمير.
- ٧- فالأخلاقيات في السلم إن وهنت فبالنذاكر يمكن إسترجاعها وإن تاهت لبعض الوقت فيمكن إستردادها وإن بعدت فإن الإقتدار الإنساني كفيل بإستدراكها حتى وإستبقاها.

٨- أما أخلاقيات الحرب فأمرها عسير وحلمها غرير - لا تتفجع في استردادها الصرخات ولا يفيد الإقتدار الإنساني الواهي في استدراكها فحالة الحرب خلقت لدى الإنسان حالة صعبة من أمية المشاعر .

٩- ولكن عندما نتناول أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية نكشف أن لحظات التألق الإنساني الباكرة تحققت وإستمرت إشعاعاتها في ظل فعاليات تربية المشاعر - التي أرساها الرسول (صلي الله عليه وسلم) في نفوس المؤمنين . فقد أعطى الإنسان مفهوما لوجوده ومعنى لحياته - وبعثا جديدا لضميره .

١٠- ومنذ تلك الأيام السحيقة ظل الإنسان المؤمن هو كائن المعنى الذي يتطلع إلي الأبعد ليحقق المستحيل .

١١- تحققت أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية وسادت قيم الفضيلة لسبب جوهري وبسيط :

(أ) إعتنق المؤمنون ثقافة السؤال والفهم .

(ب) وأرسى الرسول ﷺ ثقافة تربية المشاعر للمسلمين .

ثالثا: الأخلاقيات في المفهوم العالمي:

١- إجتمعت شعوب العالم ممثلة في الجمعية العامة للأمم المتحدة لتحديد مجموعة القيم الأخلاقية التي تنظم العلاقة بين الفرد والجماعة والدولة .

٢- وإتفقت شعوب العالم علي ضوابط حاكمة ومجموعة قيم ومبادئ - بعد تاريخ طويل متباين من الهبوط والصعود الأخلاقي - وبعد ما نالها من ميراث ثقيل من الإختلالات والشقاق والتناحر .

٣- أصدرت شعوب العالم وثيقة (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - **(Universal Declaration Of Human Rights)** - بغرض الإرتقاء بالمعنى الإنسان وتعزيز موقع الثقافة الإنسانية لتكون الأرقى والأسمى بين الثقافات الأخرى .

٤- تتنادي شعوب العالم بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (في العهد الحديث) والذي أعتد بموجب قرار الجمعية العامة ٢١٧ ألف (د-٣) المؤرخ في ١٠ كانون الأول ديسمبر ١٩٤٨

(علي أن المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع -واضعين علي الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم -إلي توطيد إحترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية وإتخاذ إجراءات مطردة قومية وعالمية لضمان الإعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها).

٥- اشتمل هذا الإعلان العالمي علي ثلاثين مادة أخلاقية ترسخ قواعد العلاقات الإنسانية بين الفرد والجماعة والدولة - وكمرجعية خيرة لضبط وتنظيم إيقاع حركة البشر في أطر من الأخلاقيات والقيم والتوجهات السامية .

٦- عصفت الحروب المستعرة بين البشر علي ممر التاريخ فأهلكت الكثير من الأنفس والزرع والضرع ودمرت الأخضر واليابس وشهد عام ١٩٤٥ نهاية حرب إستعرت علي نطاق لم يسبق له مثيل ومن ثم برزت مهمة كان لابد من التصدي لها ألا وهي تطوير وتحسين معايير القانون الدولي في المجال الإنساني في ضوء الدروس المستخلصة من النزاع العالمي .

٧- وبعد الجهود المضنية والمداولات المتصلة والمتعمقة توصلت الشعوب إلي إعتقاد الإتفاقيات الأربع التالية- والتي تعني بتحسين حالة الإنسان في وقت الحرب في إطار من (أخلاقيات الحرب)- وهذه الإتفاقيات الأربع هي:

(أ) **الإتفاقية الأولى:** إتفاقية جنيف لتحسين حالة الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان والمؤرخة في ١٢ آب/ أغسطس ١٩٤٩ .

(ب) الإتفاقية الثانية: إتفاقية جنيف لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩ .

(ج) الإتفاقية الثالثة: إتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب المؤرخة ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩ .

(د) الإتفاقية الرابعة: إتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩ م.

رابعاً: الأخلاقيات في مفهوم العقيدة الإسلامية:

- (١) لا ريب أن الإسلام الحنيف قد أشرف علي العالمين بدستور قوي متين للأخلاق في السلم وفي الحرب، يقصر دونه الفكر البشري، ويخبر أمامه مفهوم الإنسان في العصر الحديث.
- (٢) فالإسلام يدعو إلي مكارم الأخلاق وكرام العادات وينظم العلاقة بين الأفراد والجماعات ويصف ما تعانیه الأمم والشعوب من مشاكل وأدواء ثم يقدم لها في يسر وسهولة أنجح الدواء .
- (٣) وقد عرفت الإنسانية الخير والشر منذ كان النهار والليل، ونعمت منذ فجر حياتها بالخلق الكريم كما شقيت في الوقت نفسه بالمكر السئ والطبع اللئيم.
- (٤) لعل الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعلي من شأن العقل الإنساني ورفع من مكانته- فالعقل هو مناط التكليف والمسئولية وبه يعرف الإنسان خالقه ويدرك أسرار الخلق وعظمة الخالق كما أن القرآن في خطابه للإنسان يخاطب عقله ويحثه علي النظر في الكون والتأمل فيه ودراسته من أجل خير البشرية وعمارة الأرض مادياً ومعنوياً.
- (٥) لقد طلب الإسلام من الإنسان ضرورة إستخدام عقله وعاب علي الذين يعطلون قواهم الإدراكية وعلي رأسها العقل من أداء وظائفها- ولذلك يعتبر القرآن هؤلاء أناساً قد تخلوا عن إنسانيتهم فيقول (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل) (الأعراف: ١٧٩).
- (٦) والمنهج البحثي الذي إتخذته في هذه الدراسة هو أن أصل بقدر ما أستطيع إلي مستوي الحقيقة الخالصة- رغم أن الحيدة الكاملة والموضوعية المطلقة أمر صعب- إلا أنني إجتهدت في الإسترشاد بتشريعات الأخلاق الإنسانية في السلم وفي الحرب من النبع الذي لا ينفذ فيضه وهو دستور العقيدة الإسلامية (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة).
- (٧) فالأخلاقيات علي إطلاقها وردت ضمن دستور العقيدة الإسلامية وجزئية (أخلاقيات الحرب) لها نفس مصدر التشريع ولذلك لجأت إلي الإسترشاد في مقام هذا البحث بما ورد في المصدر الرئيسي وعن وعي كامل تمسكت بالتكامل العضوي للحقيقة (The Organic Conception of Truth)

خامساً: أخلاقيات الحرب:

نعني بالأخلاقيات في هذا المقام أخلاقيات أربعة كما يلي :

- (١) أخلاقيات الفرد تجاه عقيدته.
- (٢) أخلاقيات الفرد تجاه نفسه.
- (٣) أخلاقيات الفرد تجاه قائده.
- (٤) أخلاقيات الفرد تجاه الإنسانية .

سادسا: الحرب وأنواعها:

- ١- والحرب حالة من العداء بين فئتين أو دولتين أو عدة فئات أو عدة دول وتبدأ حالة العداء بالنزاع Dispute ويتطور النزاع إلي صراع Conflict وتشتد حالة الصراع لتتحول إلي إقتال.
- ٢- والإقتال المادي هو المفهوم السائد للحرب المسلحة - إذ أن الدارسين يصنفون الحرب إلي أنواع وحالات عديدة تكبر أدواتها وتنوع - وليس ذلك مجال بحثنا - إنما ما نعنيه في هذه الدراسة هي الحرب المسلحة وأدواتها أساسا سواء كان التدمير لنفس الإنسان وهو ما يسمى بالحرب المحدودة أو تدمير النفس ووسائل المعيشة وهو ما يسمى بالحرب الشاملة:

(أ) حرب شاملة (ب) حرب محدودة.

والحرب الشاملة والمحدودة إما أن تكون :

(أ) حرب مشروعة (ب) حرب غير مشروعة.

ونظرا لأننا في هذا البحث سنعتمد علي مسميات محددة سواء فيما تعنيه الأخلاقيات وفيما تعنيه الحرب في ذلك الزمن البعيد - في السيرة النبوية - فمنهجية البحث تقتضي تفسير المعنى وإيضاحه لما سيرد ذكره في السياق وللتيسير علي القارئ وتجنب التفسير .

أخلاقيات الحرب

١ - أخلاقيات الفرد تجاه عقيدته

- والعقيدة وفق زمانها هي عقيدة المؤمن المسلم ولذلك نستطيع أن نقول أن أخلاقيات الفرد المؤمن المسلم تبني علي واجبات الفرد نحو الله ونرصدها أجزاء من كل وقيل من كثير في الآتي:
- ١- الإيمان بالله وبما أنزل من توجيهات وأوامر وفي ذلك أنزل الله في محكم كتابه.

Faith in Allah and in the guidance and commandments that He has sent down.

{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب والنبيين وءاتى المال....}البقرة(١٧٧).

٢- الطاعة المطلقة لله Absolute obedience to Allah

{ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تنبيها}النساء(٦٦).

٣- التوكل علي الله. Putting complete trust in Allah.

{إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون} آل عمران (١٦٠).

٤- دعاء الله بين الخوف والأمل Praying to Allah between fear and hope.

{ قل ما يعبؤ ا بكم ربي لولا دعاؤكم...} الفرقان (٧٧).

٥- حب الله Love of Allah

ففسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وأدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم {المائدة (٥٤)} .

جهد النفس - ٦ Striving for purification of the soul

{واللذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا... }

٢- أخلاقيات الفرد تجاه نفسه

١- معرفة قواعد الأدب والسلوك Knowledge of the rules of Ethics and Behavior.

{ يأيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون { النور (٢٧) } .

٢- حسن الاستماع والإتباع Listening attentively and following instructions.

{قبشر عباد « ١٧ » الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... { الزمر (١٧-١٨)} .

٣- التعاون علي الخير Co-operation in doing good

{...ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب { المائدة (٢) } .

٤- الرأفة والتواضع Amiability and Humility

٥- الصبر Patience

{واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون { النحل (١٢٧) } .

٦- التواضع والتأدب في الحديث Humility and politeness in speech and conversation

{واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} لقمان (١٩) .

٧- الثبات في الميدان Standing one's ground on the battlefield

{يأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} الأنفال (٤٥) .

٨- الجهاد Striving in behalf of Allah and his religion

{ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين}{العنكبوت (٦)} .

٩- الوفاء بالعهد Fulfillment of pledges

{... وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولًا}{الإسراء (٣٤)} .

٣- أخلاقيات الفرد تجاه القائد

١- المحبة له True love to him

{وما ءاتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب { الحشر (٧)} .

٢- الطاعة له Absolute obedience.

{من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفا } النساء (٨٠).

Faith in him

٣- الإيمان به

{إذا ساءتكم سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن } (حديث شريف-سند أحمد).

Listening attentively and following instructions

٤- حسن الاستماع والإتباع

{قبشر عباد « ١٧ » الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... } الزمر (١٧-١٨).

Sincerity and good intention in all under taking

٥- إخلاص النية في العمل

{إن الله لا ينظر إلي صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } (رواه مسلم).

Dealing severely with traitors

٦- الشدة مع الخونة

{وَأَمَّا تَخَافُونَ مِنَ الْقَوْمِ خِيَانَةً فَاذْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ } الأنفال (٥٨).

Unity on the battlefield

٧- الوحدة في الميدان

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ « ٤٥ » وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال (٤٥-٤٦).

Patience on the battlefield

٨- الصبر في الميدان

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } آل عمران (٢٠٠).

Standing one's ground on the battlefield

٩- الثبات في الميدان

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ } الأنفال (١٥).

Persistence in main-truing what is right

١٠- الإصرار علي الحق

{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَ أَعْمَالَكُمْ } محمد (٣٥).

٤ - أخلاقيات الفرد تجاه الإنسانية

١- الأخوة الإنسانية. Human fellowship.

{يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } النساء (١).

Unity of the human race

٢- وحدة الجنس البشري

{يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات (١٣).

Honoring the human race

٣- تكريم الجنس البشري

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَجَعَلْنَاكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاكُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } الإسراء (٧٠).

Modesty

٤- التواضع

Reject coercion

٥- رفض الإكراه

{ولو شاء ربك لأمّن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} يونس (٩٩).

Rejection of injustice and support right

٦- رد الظلم ونصرة الحق

Good treatment to other of peaceful

٧- معاملة الآخر بالحنسنى

Defense of unjustly treated and oppressed people

٨- نصرة المظلومين

Human treatment of prisoners of war

٩- معاملة الأسرى

{ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا} الإنسان (٨).

Obedience to Allah ,his Messenger and the those in authority ١٠- طاعة الله والرسول وأولي الأمر

Providing a good example for others

١١- القدوة الحسنة

Sincerity and good intention in all under taking

١٢- إخلاص النية في العمل

{إن الله لا ينظر إلي صدوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم} (رواه مسلم).

Ethical conduct to be the basis of reward and punishment. ١٣- السلوك الأخلاقي أساس الجزاء

{وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} النجم (٣٩).

Co-operation in doing good

١٤- التعاون على الخير

{...ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب} المائدة (٢) .

Fraternity

١٥- الإخاء

(Reject Indulgence in Malicious Talk

١٦- (النهي عن قول السوء

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً) (النساء: الآية: ١٤٨)

(Good Treatment of Peaceful non Muslims

١٧- معاملة غير المسلمين بالحنسنى

تنويه:

ما قدمناه من صفات أخلاقية في الحرب- ما هو إلا جزئية قليلة مما سيرد في البحث من إستدلال وتفصيل للبرهان علي إعتناق ثقافة المعنى الإنساني في أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية.

التاريخ واللغة في الحياة البدوية القديمة

التاريخ البدوي العربي ليس أكثر من ارتفاع وسقوط أو ظهور وتلاشي العديد من القبائل وليس هناك وعى بأى خط مستمر ومتصل يتحدث عما جرى خلال هذا التاريخ فالتواريخ التقريبية للقبائل المختلفة يصعب التحقق من أهميتها فالتاريخ البدوي كان بشكل أساسي مجرد تكرار دون تجديد وقرائن بلا تباين -خالي من التمايز خلال حقبة طويلة. فنجد أن قبيلة ما قد ارتفعت وعلا شأنها وحققت رخاء وازدهار لفترة محدودة ثم تلحقها النكسة وتتقلب على عقبها مهزومة مهلهلة متفرقة وتيه ذكرها عبر دروب التاريخ والشواهد منذ القدم تتقل الينا اليوم ما كان بالأمس فقد كانت القبيلة العربية محافظة وتدرك أن أمنها ورخائها يعتمد على إتباعها (سنن) الأجداد والسير على نهجهم في التعامل مع مختلف مشاكل الحياة وأن دروب هذه السنن تعنى الطريقة المطروقة (Abeaten track) انها طريق معروف خالي من المفاجآت الخطرة.

فعلى عكس الناس في المجتمعات الزراعية التي تعتمد على الدورات الزراعية والفصول السنوية نجد أن البدوي العربي قديماً يبدو أقل وعياً بأنضباط الطبيعة فالأمطار في شبه الجزيرة العربية ليس لها دورة ثابتة منتظمة فقد تكون الأمطار كثيرة في أحد الوديان شحيحة في واد آخر غير بعيد عن الوادي الذي غمرته المياه وقد يعتري المنطقة جفافاً في العام التالي - لذلك فحركة البدوي تختلف من عام الى عام آخر وفي ظل هذه الظواهر الشديدة التقلب لا يدهش المرء من كونهم - أي العرب البدو القدامى - كانوا على دراية قليلة بأنضباط الطبيعة وإتساقها وقوانينها وقد يكون غياب فكرة الإنضباط قد إنتقل من الطبيعة الجغرافية الى الطبيعة الانسانية فتولد لدى العربي البدوي نمط من التفكير الذري أو الجزئي غير المترابط (Atomistic) وهذا التفكير الجزئي ينحو بصاحبه الى النظر للأحداث فرادى وكجزر منعزله ومنفصلة بعضها عن البعض الآخر ولا ينظر اليها أنها عملية متكاملة مترابطة الأوصال - إنه ينظر للحدث كشيء إنبتق هكذا فجأة ومن فراغ بشكل منفصل وغير مرتبط بالعوامل الأخرى.

- من هذا المنظور الجزئي للعربي البدوي القديم وصل إلى طريق جديد في النظر إلى العلاقة بين الأشياء والأشخاص، فالأشياء شاردة ضالة لا يعتمد عليها وهي غير جديرة بالثقة. بينما الإنضباط والإنتظام وحتى الثبات والإستمرارية والبقاء يتجلى بشكل واضح أكثر ما تكون في الإرادة الإنسانية (humman will) وعلاقتها بالطبيعة. فالوجود اليقيني هو للفرد وإرادته وجلده وصبره خلاف الطبيعة المتقلبة والظواهر الغير مستقرة التي تعصف بمنطقة الصحراء المترامية الأطراف ، ولذا نجد من أمثال العرب القدامى قولهم: **(ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام)**، وفي قولهم: **(ربما نتفق على شيء واحد وهو الإختلاف)**.

- لذلك فالعربي البدوي قديماً كان يتعامل مع العالم من حوله كما هو قائم ولم يترك لنفسه التفكير ولا حتى إستقراء العالم كما ينبغي أن يكون، فالعقلية البدوية لم تكن ذات صلة مؤكدة ولا ثابتة بدرجة الترابط المنطقي أو وثاق المكون المنطقي (Logical consistancy) فالحقيقة كما ورثها ورأها من حوله وفي ذلك يقول أمرؤ القيس:

مَكْرٍ مَقْرٍ مُقْبِلٍ مَدْبِرٍ مَعَا ٠٠٠ كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَه السَّيْلُ مِنْ عِل

وتيماء لم يترك بها جذع نخله ٠٠٠ ولا أطمأ إلا مشبداً بجندل؟

- إن كل حياة العربي البدوي قديماً تتضمن استخدامه للغة كوسيط ثقافي وفكري وكوسيلة للتعبير المحدد عن التفكير والفهم والإدراك. واللغة العربية على نحو خاص ارتبطت بحياة العرب في الصحراء بكل ما فيها من مفاجآت وتقلبات وصعوبات تجعل أهلها قادرين على تحمل المشاق كما تحتم عليهم ضرورة الترابط في مجموعات عشائرية (Kin-groups) ، ولذلك وردت في القرآن الكريم عبارة (قرآناً عربياً) والتي وردت خمس مرات في الكتاب المطهر للدلالة على الوحي النازل على الرسول ﷺ ، أي أن القرآن الكريم يخاطب من خلال الرسول ﷺ شعباً يفهم جيداً اللغة العربية ومن ثم لا بد أن يكون واضحاً جلياً لهم.

• لقد ارتبطت اللغة العربية بنحو خاص ارتباطاً وثيقاً بحياة العرب في الصحراء وبوسط ثقافي خاص يمتاز بكثير من الملامح التي تميزت عن الأوساط الثقافية الأخرى. ويقول الجاحظ في هذا المقام: ^(١) (وكل شيء للعرب فإنما هو بديهته وإرتجال وكأنه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكر ولا إستغائة، وإنما هو أن يعرف همه إلى الكلام فتأتيه المعاني إرسالاً وتنتال عليه الألفاظ انثيالاً وكان العرب أميين ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهو عليه أقدر وأقهر، وليس هو كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب).

• والحدود هي التي رسمت للعرب القدامى بيئتهم ، فكانت حدوداً ضيقة إلا أن اللغة العربية جاءت غنية ليس بكلماتها فحسب بل بقواعد صرفها أيضاً ، فاللغة العربية غنية في الجمل وما إليه والصحراء وما فيها وألفاظ العواطف المحدودة التي تجيش في صدورهم.

كذلك مما لاشك فيه أن اللغة العربية غنية بإشتقاقها وتصريف كلماتها فوضع صيغة فعلية لكل زمن والمشتقات العديدة للدلالة على أنواع مختلفة من المعاني والأشخاص كل هذا يشعرنا شعوراً مرضياً بغنى اللغة وصلاحتها على مر القرون.

• والعرب في الجاهلية كانوا يعيشون قبائل، وهذه القبائل تختلف فيما بينها- كثرة وقلة- في اللغة واللهجة، فقد تستعمل قبيلة كلمة لا تستعملها القبيلة الأخرى فقد روي [أن أبا هريرة لما قدم من دؤس عام خيبر لقي النبي ﷺ وقد وقعت من يده السكين، فقال له (ناولني السكين) فالتفت أبو هريرة يمنه ويسره ولم يفهم ما المراد باللفظ ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، فقال: المدية تريد؟ وأشار إليها فقبل له (نعم) فقال (أو تسمى عندكم السكين؟) ثم قال (والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ).

(الجغرافيا وتأثيرها في حياة العرب القديمة)

• إذا كانت الجغرافيا في الإتجاه السائد هي (التباين الأرضي) ويعنى ذلك الإختلافات الرئيسية بين أجزاء الأرض على مختلف المستويات فإن طبيعة الجغرافيا الكامنة لا تتحقق في شيء كما تتحقق في الشخصية الإقليمية ويشير بعض العلماء بأن شخصية الإقليم كشخصية الفرد يمكن أن تنمو وأن تتطور وأن تتدهور في إطار فلسفة المكان وفي إيجاز تكون الجغرافيا في نفس الوقت علم نفس وفلسفة^(٢) وهذا ينقلنا بالجغرافيا من مرحلة المعرفة الى مرحلة التفكير

• وقد قسم العرب قديماً شبه الجزيرة العربية الى أقسام طبيعية وأساس تقسيمها جبل السراة وهو عبارة عن سلسلة جبال تبدأ من اليمن وتمتد شمالاً إلى أطراف بادية الشام فتتقسم شبه جزيرة العرب إلى شطرين غربي وشرقي والغربي أصغرهما ينحدر من سطح ذلك الجبل حتى يصل الي شاطئ البحر وقد صار هابطاً أو غائراً فسموه الغور أو تهامه والقسم الشرقي يمتد شرقاً وهو على إرتفاعه مسافة طويلة الى أطراف السماوة فسموه نجدا وسمو الجبل الفاصل بين تهامه ونجد الحجاز وجعلوا ماتنتهى به نجد في الشرق حتى تصل الى البحر حيث بلاد اليمامة والبحرين وعمان ويسمونها العروض وسمو الجزء الجنوبي وراء الحجاز ونجد بلاد اليمن وحضر موت والشحر وعلى ذلك قنتقسم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام كبرى هي (الحجاز. وتهامه. ونجد. والعروض. واليمن)

• والغالب على هذه الأرض الصحراء المتنوعة أنواعاً ثلاثة :

(١) العقد الفريد: ٢-٨٦.

(٢) L. Stamp- Inter mesiate (Geog. 1939. p.1).

(النوع الأول) الصحراء المسماة بادية السماوة وتقع في الشمال ورمالها غالباً وعساء^(١) والسير فيها شاق عسير تتخللها الكثبان والوهاد مطرها قليل شبه مجدبة وجنوبي بادية السماوة جبل (شمر) وهو هلالى الشكل مناخه معتدل وأمطاره غزيرة ومعروف عند العرب بجبل (طىء).

(النوع الثاني) تسمى صحراء الجنوب وتتصل ببادية السماوة وهي تمتد شرقاً حتى الخليج وأرضها غالباً مستوية وصلبة إنتشرت حصاؤها وتموجت رمالها ويغلب على هذا النوع الجذب ويسمى الآن بالربع الخالي .

(النوع الثالث) الأرض الحرة وهي ذات الأحجار السوداء وهي عبارة عن مقذوفات بركانية تبتدئ من شرقي حوران وتمتد منتشرة حتى المدينة وتقع المدينة ذاتها بين حارتين.

• وغرب شبة الجزيرة العربية الحجاز شمالاً واليمن جنوباً وأهمية الحجاز نشأت من وقوعه على الطريق التجاري الذي يربط اليمن ببلاد الشمال وأشهر مدنه (مكة) وهي وادٍ غير ذي زرع (والمدينة) وإسمها يثرب وفي شمالها جبل أحد وفي شمالها الشرقي خيبر وفي جنوب الحجاز اليمن وقد عرفت قديماً بالخصب والغنى وفي شرق اليمن صقع حضر الموت وهو صقع كثير الجبال والوديان وفي شرق حضر موت ظفار.

• والجزء المرتفع الذي يمتد من جبال الحجاز ويسير شرقاً إلى صحراء البحرين يسمى (نجدا) وبين نجد واليمن (اليمامة) وهي تتصل بالبحرين شرقاً وبالحجاز غرباً وتسمى أيضاً بالعروض لاعتراضها بين اليمن ونجد ويقرب الحد بين اليمامة وتهامة عكاظ.

ولأن شبة الجزيرة العربية في وضعها الداخلي في الجزء الغالب صحراء قاحلة شديدة قاسية مترامية الأطراف فصارت بذلك حصناً منيعاً عزَّ على الإمبراطورات القديمة إحتلالها .ولذلك نرى سكان شبة الجزيرة أحراراً في جميع شئونهم منذ أقدم العصور .

• والشعوب السامية نسبة إلى سام ابن نوح والمصطلح يطلق على مجموعة من الشعوب عاشت في رقعة كبيرة من الأرض تضم شبة الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين وتحدثت بمجموعة من اللغات المتقاربة هي اللغات السامية .وتشمل التسمية شعوباً مثل الآشوريين والبابليين والآراميين والكنعانيين والفينيقيين والعموريين والمؤابيين والآدوميين والعمونيين والعبيرانيين ويكاد يجمع الباحثون على أن شبة الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للساميين كما أن أساس هذه الشعوب هي التي نزحت من شبة الجزيرة العربية وخاصة من الجنوب .

• ولقظة عرب في اللغات السامية مرادفة لكلمة "بدو" لذلك كان العرب يسمون باديتهم (عربه) وأقدم إشارة تاريخية مدونة وردت فيها كلمة عربي تعود إلى السنة ٨٥٣ ق .م حيث وردت في نص آشوري دون أحد إنتصارات الملك (شلمنصر الثالث) - وقد عاش العرب في الجاهلية ضمن مجتمع بدوي مغلق ومقسم إلى قبائل متناحرة تملك كل المواصفات العسكرية وينطبق على وضعهم النُّقال .قول الشاعر العربي.

إذا ضاقت بهم أرجاء أرض ... يطيب يغيرها لهم المقام
غزاة ينشدون الرزق دوماً ... على سهوات خيل لا تضام
غرامهم مطاردة الأعداي ... وعزهم الأسنة والسهام

• حتى أنه ورد قديماً وصف العربي بأنه **(يده على كل أنسان ويد كل انسان عليه)** والعرب هم الذين تكلموا العربية وهي احدى اللغات السامية بل هي أساس اللغات السامية ومصدر هجرتهم شبة الجزيرة العربية وأنهم هاجروا شمالاً بعد أن ضاقت بهم

(١) الرمال السهلة اللينة.

جنوب البلاد وأنهم هاجروا شمالاً بعد أن ضاقت بهم جنوب البلاد بعد خراب السدود وتراجع الزراعة وتكاثر السكان وذلك على موجات أربع:-

(الموجة الأولى): حوالي ٣٥٠٠ سنة ق.م حملت الأكاديين إلى بلاد ما بين النهرين والذين عرفوا في التاريخ بأسم البابليين.

(الموجة الثانية): حوالي ٢٥٠٠ ق.م حملت الأموريين نحو السهول الشمالية لسوريا والكنعانيين إلى سواحل سوريا ولبنان وفلسطين.

(والموجة الثالثة): بين ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق.م حملت الآراميين إلى سوريا الداخلية، والعبرانيين إلى فلسطين، والأنباط إلى شمال سيناء.

- والقبايل داخل شبة الجزيرة العربية كانت في مجملها متصادمة مع بعضها البعض متناحرة تغلب عليها الصراعات القبلية وتحتم فيما بينها الإختلافات والرغبات والمطالب، ويسود فيما بينها التنافر والعنصرية ، والأفراد في القبيلة الواحدة يتخبّطون في حمايتهم وللسادة والرؤساء حقوق خاصة فكانوا يأخذون من الغنيمة المرباع والصفى والنشيطه والفضول ويقول الشاعر في ذلك:

لك المرباع فينا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

كان الناس بين سادة وعبيد أو حكام ومحكومين والقهر والظلم ينحط على العامة من كل جانب وما في استطاعتهم التذمر والشكوى بل كانوا يسامون الخسف والجور والعذاب ألواناً ساكتين فالحكم للسادة استبدادياً والحقوق ضائعة مهدورة والقبايل في حالة إغارات دائمة ومستمرة على بعضها البعض يتقاتلون لأوهن الأسباب أو بدافع إحراز الغنائم ويقول الشاعر في ذلك:

وما أنا من عزية إن غويت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

(السكان)

- ويعنى بذلك الشعوب التي قطنت شبة الجزيرة العربية منذ العصور القديمة وكونت القبائل العربية وانقسم السكان الى قسمين:
- **(القسم الأول) (البدو)** وقد جابوا الصحارى مع نوقهم وأغنامهم بحثاً عن المرعى مشكلين قبائل وبطوناً وأفخاذاً- وخلال تحركهم بحثاً عن المراعى فى الصحراء الممتدة فاصطدمت هذه المجموعات بعضها ببعض فنشبت بينها معارك ووقائع فى الجاهلية عرفت **(بأيام العرب)** كما خاضت معارك منفردة وأحياناً مجتمعة ضد قوى خارجية حاولت الهيمنة عليها خاصة الإمبراطورية البيزنطية والمملكة الفارسية الساسانية - وهاتان القوتان الخارجيتان أقامتتا دولتين تابعتين لهما فى السيادة - **(الأولى) (مملكة الغساسنة)** فى البلقاء وحوران وعاصمتها (بصرى) التى كانت تتبع الامبراطورية البيزنطية **(الروم) (والثانية) (دولة المناذرة)** على مشارف الشام وعاصمتها (الحيرة) وكانت تتبع المملكة الساسانية .
- **(القسم الثانى) الحضر** . وهم العرب الذين كانوا يسكنون فى الجنوب وعلى السواحل وفي الواحات المتناثرة فى الصحراء الشاسعة يعيشون مستقرون الى حد ما ويعملون فى التجارة والزراعة والرعى حتى أنهم أقاموا دويلات عربية مثل (معين) شمال اليمن ودولة (سبأ) التى اتخذت مدينة (مأرب) عاصمة لها ودولة (حمير) فى اليمن ودولة (كنده) فى نجد ودولة (كليب) بن وائل .

- والجمل أهم الحيوانات المدجنة في البادية وبفضله جعل من الصحراء مسكناً للقبائل- اذ لولاه لما كان بإمكان سكانها التنقل واجتياز المسافات الرملية ونقل الأحمال فالجمل رفيق البدوي يشرب لبنه ويأكل لحمة ويكتسى بجلده ويستعمل وبر لخيّمته ويؤمن له الماء الذي يحملها على ظهره في جو شديد القَيْظ والقسوة ولذلك وصف الشاعر العربي فوائد الجمل في قوله .

كالعَبْث في السدء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

(أقوام العرب قديماً)

* قسمها المؤرخون الى ثلاثة أقسام بحسب السلالات وهي :-

- (١) (العرب البائدة): وينحدرون من نسل سام بن نوح وكانوا في شمال شبه الجزيرة العربية وكان لهم ملوك وقصور وحضارة الى أن غلب عليهم (بنو يعرب بن قحطان)^(١) وعرف منهم عاد وثمود وطسم وجديس و العمالق وأميم وجرهم وحضور ووبار وعييل وجاسم وحضرموت وآخرون.
- (٢) (العرب العاربة): وهم العرب المنحدرة من صلب يشجب بن يعرب بن قحطان، (وتسمى بالعرب القحطانية) وكانوا يسكنون المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية (اليمن) وقد دعت جموعهم بالمتعربة لانهم اقتبسوا اللغة العربية عن العرب العاربة أي البائدة
- (٣) (العرب المستعربة): وهم العرب المنحدرة من صلب اسماعيل (عليه السلام) وتسمى بالعرب العدنانية وقد عاشوا ضمن مجتمعات بدوية منغلقة ومقسمة إلى قبائل متناحرة تملك جميع المواصفات (العسكرية).

(أولاً) (العرب البائدة)

- ويطلق عليهم المؤرخون صفة (البائدة) لأنهم قد إنقرضوا تماماً ولم يمكن الحصول على التفاصيل الكافية عن تاريخهم وزالت آثار معالمهم قبل ظهور الإسلام وهم بمثابة الطور القديم وينحدرون من نسل سام بن نوح وكانوا في شمال شبه الجزيرة العربية وكانت لهم حضارة وقصور وملوك منهم (العمالق) (وعاد) (وارم ذات العماد) (وثمود) (ومملكة بطرا للأنباط) ومدينة تدمر والنسابون العرب يرجعون بأنساب العرب البائدة إلى (إرم) وينسبون العمالق الى أخيه (لاوذ) وتفرق العمالق في شبه الجزيرة العربية قبائلاً وأفخاذاً وأقاموا دولاً منهم الأراميون الذين يعودون بنسبهم الى ارم.
 - وحينما قسم نوح (عليه السلام) الأرض بين أولاده .فأسكن (سام) وسط الأرض حتى حضرموت إلى عمان (وعالج)ومن ولده (إرم) بن سام ثم عاد بن عروض بن (إرم) بن سام وكانوا يسكنون في الأحقاف وطسم وجديس إنبا (لاوذ) بن آدم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق بن لاوذ بن آدم نزل في الوسط وبعضهم في الشام ومنهم العمالق ونزل (ماش) بن آدم على شاطئ الفرات فولد نمرود وهو الذي بنى صرح بابل وظل خمسمائة عام ملكاً للنبط كما ولد (أرفخشذ) بن سام (شالغ) وولد شالغ (فالغ) وهو جد (ابراهيم) (عليه السلام)- وعابر بن شالغ وابنة قحطان ابن عامر وابنة يعرب بن قحطان أبو اليمن كلها وهو أول من تكلم العربية
 - وجاء ذكر (عاد الأولى) في قوله عز وجل (وأنه أهلك عاداً الأولى)^(٢).
- وعاد أول ملك في الأرض بعد نوح عليه السلام وذلك لقوله تعالى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فزادكم في الخلق بسطة)^(١).

(١) ابن خلدون جزء (٢) ص ٢٥٩.

(٢) النجم (من الآية ٥٠).

وذكر أن عاد كان يعبد القمر وله من صلبة أربعة آلاف ولد وأنة تزوج **ألف امرأة** وقد ملك بعده (شداد) بن عاد وهو الذي بنى مدينة (إرم) ذات العماد وهذه (عاد الثانية) في قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) (٢).

ومن أشهر الممالك مملكة العماليق (العماليق) وهم من قدماء العرب من أهل شمالي الحجاز ويشير النسابون اليهم أنهم غزوا مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة) ويسميهون اليونان (الهيكسوس) ويرجع لفظ (غزو) أول ذى بدء الى (العماليق) منذ عام ١٢٢٣ ق.م (٣) وقوم (عاد) (وارم) وهم قبيلة من العماليق يعودون بنسبهم الى ارم . وعبد قوم عاد القمر وجاء بعده (شداد) ثم من بعده ثمود ويذكر عن ثمود أنهم رفضوا دعوة صالح لعبادة الرب الواحد وجاء ذكر ثمود في ذكر البلاد التي غلبها سرجون الأكادى سنة ٧١٥ ق.م في الحجاز ومن قادة ثمود ملكها الأول (عابر) بن (إرم) بن ثمود.

طسم وجديس:

- وهما من إرم مثل سائر العرب البائدة وكانوا في اليمامة شرقي نجد وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف .وعم البلاء والظلم في عهدهم ورغم أن طُسمُ وجديس أبناء عم إلا أن طسم كان صاحب السيادة ومن شدة الظلم أن أحد ملوكهم أمر أن لا تهدى بكر من جديس إلى زوجها حتى (بفترعها) وقام بينهم إقتتال وغدر فقد صنع قوم جديس للملك وأعوانه من طسم طعاماً وحضر الملك وأعوانه ودفن قوم (جديس) سيوفهم في الرمال فلما أخذ الملك وأعوانه مجالسهم وبدءوا يأكلون.
- أخذت جديس سيوفهم من الرمل وذبحوهم عن آخرهم إستتصر من بقي من طوسون (بحسان بن تبع) (ملك اليمن) وقدم المهاجمون ناحية اليمامة، فلما وصلوا منها على مسيرة ثلاث، أمر الملك جنوده فقطعوا الشجر وحملوه أمامهم لخداع امرأة حادة البصر تدعى (اليمامة) ولكنها نظرتهم وحذرت قومها من قدوم (جمير) فكذبوها فلما أصبحوا هاجمهم (حسان بن تبع) وذبحهم عن آخرهم وأتى بالمرأة حادة البصر (اليمامة) ففقا عينها، وعن ذلك سميت المنطقة (باليمامة).

(مملكة الأنباط)

- وكان مقرها يحدها غرباً وادي عربه وجنوباً بادية الشام وشمالاً من جنوب فلسطين حتى خليج العقبة وكانت أرض المنطقة صخرية وسماها العرب (الصخرية) نسبة إلى بطرا أو الحجر ، وأهلها أقدم من سكن بلاد العرب الصخرية، الحوريون أو أهل الكهف الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم: (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا) (٤).
- ونشب قتال بين أنطيوخوس خليفة الإسكندر الأكبر وبطليموس صاحب الإسكندرية واضطر أنطيوخوس في زحفه أن يمر ببطرا واغتتم الفرصة وأرسل بعض قواته ودمر مدينة (بطرا) عن آخرها ونهب ما بها ، وكان معظم رجال المدينة خرجوا للغزو والإغارة على بعض القبائل، وعند عودتهم تمكنوا من ذبح جميع جنود أنطيوخوس فلما أراد الإنتقام أرسل بعض قواته مرة ثانية بقيادة أحد قواده واسمه (ديمتريوس)، فلجأ النبطيون إلى حصونهم في المدينة وكانت حصوناً قوية مانعة ولما طال حصار (ديمتريوس) دون أن يتمكن من إقتحام الحصون أطل عليه أحد المدافعين من فوق سور الحصن وخاطبه قائلاً: **(أيها الملك لماذا تقاتلنا ونحن مقيمون في بادية لا مطعم فيها لأهل المدن؟** أتحاربوننا لفرارنا من الرق؟ فأقبل رعاك الله ما ندفعه إليك نظير إنسحابك وإذا أبيتم فلن تتالوا غير التعب والفشل وإذا ظفرتم فلن تتالوا إلا ونحن عن آخرنا جثثا هامدة ، فتأثر (ديمتريوس) وبعد أن تأكد من إمتناع الحصون أثر الانسحاب، ومن أشهر ملوك بطرا (الحارث الثالث) وكان له شأن عظيم وتحالف مع القائد اليوناني الذي كان يتنازع مع أخيه في الملك وهزم وحليفه في منطقة (بابيرون) وقتل من رجاله ستة آلاف ويقول الرواة بأنه نتيجة هذه المذبحة تكون رافد إمتلاء بالدماء لمسافات طويلة.

(١) الأعراف (الآية ٦٩).

(٢) الفجر (٦، ٧).

(٣) التاريخ الإسلامي (مواقف وعبر)- دكتور عبد العزيز بن عبد الله الحمدي (دار الدعوة للنشر).

(٤) سورة الكهف ، الآية (٩).

دولة تدمر

كانت تشكل نهاية بادية الشام ، وكانت أقرب الطرق بين الشام والعراق ولأهميتها التجارية فتحها الرومان في عهد الإمبراطور (هادريان)، ومن أشهر ملوكها (أذنيه) الذي خاض معارك قتال طاحنة وطويلة بينه وبين الأقوام المجاورة وحارب سيطرة الروم والفرس ويحكي الرواة أن أيامه كانت (بحراً من الدماء لا يجف) حتى قتل في نهاية المطاف وتولت زوجته (زنوبيا) الحكم بعده.

- وخاضت زنوبيا حروباً طاحنة ومستمرة خاصة حينما نشبت الحرب بين الروم والفرس في صدر النصرانية وقادت زنوبيا جيوش تدمر ونشرت سلطانها على مصر والشام وأجزاء من العراق.
- ولكن تحركت الجيوش الرومانية في عهد الامبراطور (غالبا نوس) بقيادة (هرقليانوس) وجرت معركة كبرى قتل فيها هرقليانوس، إلا أن الإمبراطور أورليانوس جهز جيشاً جراراً، وحاولت (زنوبيا) تأليب القبائل العربية ضد الرومان بدون نتيجة تذكر ووقعت المعركة في (إنطاكية)، وكما كانت الجيوش في ذلك الوقت تتكون من ثلاثة مجموعات:

(١) مجموعة رماة السهام (٢) مجموعة الفرسان (٣) مجموعة المشاة

- وانسحب الجيش الروماني بعد هزيمته إلا أن أورليانوس جمع جيشاً جديداً ورسم خطته على ضرب (مجموعة فرسان تدمر) (أولاً) لترك المشاة والرماة دون حماية من الخيالة واعتمد على (الخدعة) والدهاء فأرسل قوة صغيرة من فرسانه أثارت حولها الكثير من الغبار قبل أن تهاجم خيالة تدمر وتنهزم (منسحبة لغرض الخداع)، فتقدمت خلفها تطاردها الخيالة التدمرية حتى وصلت إلى الموضع الذي إختاره (أورليانوس) لمواجهتها كما جهز من قبل كمائن من الحفر المغطاة مملوءة بالرماة المختبئين فيها وسحب شيوخ القبائل التي كانت موالية لتدمر مقاتليهم من جيش (زنوبيا) وبعد حصار ستة أشهر استولى الجيش الروماني على تدمر ، (وذبح الرومان كل من كان بالمدينة كما نهبوا ما بها، وتم إفناء كل ما كان حياً بالمدينة).

أخلاقيات الحرب

بين أقوام العرب البائدة

- (١) كان الغالب في القتال يسمونه القاهر ويستبيح حياة المهزوم وحياته ونسائه وأطفاله لا يمنعه وزع من أخلاق وكثيراً ما كان مكانه بين قومه أنه الرب المعبود يملك ويظلم فكيف هو فوق القوم المهزومين؟
- (٢) كان يملك حق الدخول على كل بكر تريد الزواج قبل دخول زوجها عليها وحتى في أوروبا الإقطاعية كانوا يسمون هذا الحق بالفرنسية (Le droit de cvissage ou de Jambage) وكانوا يتزوجون النساء بلا حدود لأعدادهن ، وذكر أن (عاد) تزوج (ألف امرأة)، وقد تأثر بعضهم بالإباحيين من قدماء الفرس فكان الواحد يتزوج ابنته كلقيط بن زراره أحد أشرف بني تميم فإنه تزوج بنته (دختوس).
- (٣) كانت تقوم بينهم الحروب والغارات لأتفه الأسباب ولا يفهمون للرحمة معنى وقد بلغ من قسوتهم أنهم كانوا (يئدون البنات) ويقتلون أولادهم خشية الفقر ويكرهون الرجل المدين على إكراه بناته ونسائه على البغاء فلا عجب إذا قلنا أن الإقتتال كان مستمراً بينهم لأوهن الأسباب.
- (٤) لجأت قبيلة (جديس) للخدعة وتخلصت من عمليق الظالم وأتباعه (وذبحتهم عن آخرهم) بعد أن أخفى مقاتلها سيوفهم في الرمال وأثناء الطعام أبادوا الملك وأتباعه وكذلك لجأ (ملك اليمن) فأمر رجاله بالتموه، وأن يحمل الجنود أغصان الشجر للخداع والتضليل ضد اليمامة، فالخداع والمكر والدهاء بها يستباح كل ما هو غير (أخلاقي).

(٥) كانت كل قبيلة تقف للأخرى بالمرصاد وتنتهز كل وسيلة للغض من شأنها والإستيلاء على موارد رزقها وبلغت العداوة درجة لا تطاق بين القبائل لشدة التنافس بينها كما حدث بين (عبس وذوبيان) وبين (الأوس والخزرج)، وبين بكر وتغلب، وبين (ربيعة ومضر)، وبين (أمية وهاشم) في مكة وفي ذلك يصف أحد الرواة الأقدمين حالة هذه القبائل بقوله: **(أرى أمماً قطعانا من الغنم ليس لها راع والسياسة كجمل هائج حبله على غاربه^(١) والسلطان كسيف في يد سكران يجرح به نفسه ويجرح به أولاده وإخوانه).**

(ثانياً): أقوام العرب العاربة

*ينتسب العرب العاربة ولد (سبأ بن يشجب) إلى يعرب بن قحطان وهم عرب (اليمن) وقد سميت جموعهم (بالمتعربة) لأنهم إقتبسوا اللغة العربية عن العرب البائدة (البائدة) وأشهرهم قبيلتا (حمير بن سبأ) و (كهلان بن سبأ) أما بقية بني سبأ فهم (السبئيون) وليست لهم قبائل دون سبأ.

(أ) وأشهر بطون حمير

- (١) قضاة ومنها (بهاء وبلي والقين وكلب وعذرة ووبره)
- (٢) السكاسك ومنها (بنوزيد بن وائلة بن حمير) وهي غير السكاسك في بني كهلان
- (٣) ريد الجمهور ومنها (حمير الأصغر وسبأ الأصغر وحضور وذو اصبع)

(ب) أشهر بطون كهلان

همدان وألهان والأشعر وطيء ومذحج (ومن مذحج عنس والنخع) ولخم (ومن لحم كنده) ومن كنده بنو معاوية والسكون والسكاسك وجزام وعاملة وخولان ومعاقر وأنمار، ومن أنمار خنعم وبجيلة ومن بجيلة أحمس والأزد ومن الأزد الأوس والخزرج وخزاعه وأولاد جفنه ملوك الشام المعروفين بآل غسان.

ووقع منذ البداية صراعات بين بطون كهلان وبطون حمير فهاجر بنو كهلان عن اليمن ويقال كان ذلك قبل سيل العرم، وبقيت حمير في اليمن والمهاجرون من كهلان أربعة أقسام هي:

- (١) الأزد: ومنهم أزدعُمان واستوطنوا عُمان ، وأزد شنوءة واستوطنوا تهامة ، وتغلبه بن عمرو فذهب إلى الحجاز واستوطن المدينة وكان إبنه حارثه بن ثعلبه (الأوس والخزرج)، واستقر خزاعه في مكة بعد أن أجلاها سكانها الجراهمة ، واستقر جفنه بن عمرو في الشام وهو أبو الملوك الغساسنة.
- (٢) لحم وجذام: ومنهم نصر بن ربيعة أبو الملوك المناذرة في الحيرة.
- (٣) بنوطي: واستقروا بالجبيلين أجا وسلمى حتى عرف الجبلان بجبلي طيء.
- (٤) كنده: واستقروا بالبحرين ثم منها إلى حضرموت ثم نجد ولكن ذهب آثارها.

(١) الملوك في اليمن

وقد عثر في حفريات (أور) على ذكر قوم سبأ منذ خمس وعشرين قرناً قبل الميلاد ولكن يرجح الرواة ذكرهم منذ ثلاث عشر قرناً قبل الميلاد كما يلي:

(١) الغارب: ما بين السنام والعنق

(أولاً): الفترة من ١٣٠٠ إلى ٦٢٠ ق.م

وعرفت بالدولة (المعينية) وأول ما ظهرت في (الجوف) بين نجران وحضرموت وقد بنوا سد مأرب وكان ملوكهم يلقبون بـ (مكرب سبأ) وعاصمتهم (صرواح) في الشمال الغربي من مأرب.

(ثانياً): الفترة من ٦٢٠ إلى ١١٥ ق.م

وعرفت بدولة سبأ واتخذوا مأرب عاصمة لهم وهي تبعد مائتين كيلو متراً شرق صنعاء

(ثالثاً): الفترة من ١١٥ ق.م إلى ٣٠٠ م

وتعرف بالدولة الحميرية الأولى وعرف ملوكها باسم (ملوك سبأ وذي ريدان) ، واتخذوا ريدان عاصمة لهم وقد تقلصت تجارتهم سريعاً بعد سيطرة الأنباط على شمال الحجاز وسيطرة الروم على طرق التجارة البحرية وشدة تنافس القبائل فيما بينها.

(رابعاً): الفترة من ٣٠٠ م حتى سنة ٦٢٨ م (دخول الإسلام إلى اليمن)

وتعرف بالدولة (الحميرية الثانية) وعرف ملوكها باسم (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت) ففي هذا العهد دخل (الرومان) عدن واحتلت (الأحباش) اليمن لأول مرة سنة ٣٤٠ م ، واستمر هذا الاحتلال حتى ٣٧٨ م فاستقلت اليمن ووقع السيل العظيم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم (بسيل العرم) في (سنة ٤٥٠ و٤٥١ م)، وفي سنة ٥٢٣ م قام ذي نواس اليهودي بحمله كاسحة على المسيحيين من أهل نجران وحفر لهم أخدوداً عظيماً وأشعل فيه ناراً عالية وألقاهم جميعاً فيه ، لم يفرق بين طفل ولا امرأة ولا كهل وجاء ذكر ذلك في القرآن الكريم: (فَتِلْكَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ)^(١)

وانتقم أباطرة روما المسيحية وساعدوا الأحباش فاحتلوا اليمن للمرة الثانية بقيادة أرياط سنة (٥٢٥ م).

واغتاله (ابرهة بن الصباح الأشرم) أحد قواد جيشه سنة ٥٤٩ م – صاحب واقعة الفيل وتوالت النكبات على أهل اليمن من ذل وقهر وظلم شديد واستمر يزداد بعد أن خلفه ابنه (يكسوم) ثم الأبن الثاني (مسروق) حتى أنه يقال أنه عم الشر المستطير أرجاء اليمن – وقاوم أهل اليمن واستجدوا بالفرس حتى تمكنوا من طرد الأحباش والاستقلال سنة (٥٧٥ م) بقيادة (معد يكرب سيف بن ذي يزن) الحميري ونصّبوه ملكاً عليهم ، واغتيل معد يكرب وبموته انقطع الملك عن بيت ذي يزن وأصبحت اليمن تحت الحكم الفارسي وكان أو الولاة الفرس (وهرر) وآخرهم (بازان) فقد اعتنق الإسلام وانتهت سيطرة الفرس على اليمن في عام (٦٢٨ م).

(٢) (الملك في الحيرة)

• ظلت الفرس تحكم بلاد العراق منذ ٥٥٧ ق.م حتى هزم الاسكندر المقدوني ملكهم (دارا) سنة ٣٢٦ ق.م وتجزأت البلاد وتولى حكمها ملوك الطوائف وفي عهد هؤلاء الملوك هاجر القحطانيون ثم لحقهم العدنانيون فسكنوا جزءاً من أرض الفرات وكان أول من ملك عليهم هو (مالك بن فهم التنوحي) من آل قحطان ولكن استولى (أردشير بن بابك) على الحكم وهو مؤسس الدولة الساسانية سنة ٢٢٦ م ، فاستولى على بلاد العرب في تخوم ملكه فرحلت (قضاعه) إلى الشام ولكن خضع له أهل (الحيرة والأنبار).

• ورأى (أردشير) أنه يستحيل عليه أن يحكم العرب مباشرة ويمنعهم من الإغارة المستمرة على (تخوم) ملكة كما كان يتخوف من الرومان ويحسب لهم حساباً كبيراً ولجأ إلى أن يضع عرب العراق أمام عرب الشام الذين يوالون الرومان. وبعد موت جديمة ولي الحيرة والأنبار (عمرو بن عدي بن نصر اللخمي) سنة ٢٦٨ م ، وهو أول ملوك اللخميين واستمر تتابع الملوك من اللخميين حتى (قباد بن فيروز) سنة ٤٤٨ م ، وفي عهده ظهر (مزدك) وقام بالدعوة إلى الإباحية فتبعه (قباد) ورفض المنذر

(١) سورة البروج الآية (٤)

بن ماء السماء قبول هذا المذهب فعزله قباذ وولى بدلا منه (الحارث بن عمرو بن حجر الكندي) بعد قبوله المذهب (المزدكي) وجاء (النعمان بن المنذر) سنة ٥٨٣م الذي غضب عليه كسرى وحبسه حتى مات وولى بدلا منه (إياس بن قبيصة الطائي).

- وكان النعمان نزل سراً على (هانئ بن مسعود) سيد آل شيبان ورفض هانئ تسليم النعمان فجمع كسرى جيوشه وآلات حربه وهاجم بني شيبان في معركة عظيمة عند (ذي قار) وانهزم الفرس هزيمة نكراء ويعتبر هذا أول يوم انتصرت فيه العرب على الفرس واختلف المؤرخون في تحديد سنة هذه المعركة فقيل بعد النبوة بقليل وقيل بعد الهجرة وقيل قبل النبوة بقليل (وهو الأقرب) وخرج الحكم من يد آل لخم حتى سنة ٦٣١م حتى تولى (المنذر بن النعمان الملقب بالمعروف) من آل لخم وإستمر حتى الفتح الإسلامي.

(٣) (الملك في الشام)

سارت بطون من قضاة إلى مشارف الشام فاستوطنت بها ويشير المؤرخون إلى أنهم كانوا من (بني سليح بن جلوان) المعروفون بالضجاجة فاصطنعهم الرومان ليمنعوا العرب في البرية من الإغارات على أطراف الأمبراطورية من ناحية وليكونوا عوناً لهم على عدوهم اللدود الفرس. وانتهت ولايتهم بعد إنتصار آل غسان عليهم فولت لهم الروم ملوكاً على عرب الشام ، وكانت عاصمتهم (بصرى) وتوالى الملوك الغساسنة حتى أسلم آخر ملوكهم (جبله بن الأيهم) بعد موقعة اليرموك سنة ١٣ هجرية.

(ثالثاً): أقوام العرب المستعربة (العدنانية)

الجد الأكبر هو إبراهيم عليه السلام من مدينة يقال لها (أر) من بلاد العراق، وهاجر إبراهيم عليه السلام من (أر) إلى حاران أو حران ومنها إلى فلسطين التي اتخذها قاعدة لجولاته ، ونزل في مصر فأخدمه فرعون مصر هاجر ووهبت سارة هاجر إلى إبراهيم فولدت هاجر له ابنه البكر إسماعيل عليه السلام وتفاقت الغيرة في قلب سارة فقدم إبراهيم عليه السلام بهاجر وإبنها إلى الحجاز وأسكنهما بواد غير ذي زرع عند البيت المحرم الذي لم يكن في ذلك الوقت غير مرتفع من الأرض وترك إبراهيم عليه السلام هاجر وإبنها ورجع إلى فلسطين ، ولم يكن في هذا المكان أحد ولما نفذ الماء والزاد وزادت المحنة بالأُم وإبنها ، تفجرت بئر زمزم بفضل الله وبإذن من أم إسماعيل عليه السلام قطنت مكة قبيلة (من جرهم) وحفظت المصادر المعتمدة أربعة رحلات لإبراهيم عليه السلام إلى مكة منها واحدة وردت في القرآن الكريم.

وشبَّ إسماعيل عليه السلام وتعلم العربية من جرهم وتزوج منهم وقدم إليه أبوه إبراهيم عليه السلام فسأل امرأته عنه وعن أحوالهما فشكت إليه ضيق العيش فاوصاها أن تقول لإسماعيل عليه السلام أن يغير عتبة بابه وفهم إسماعيل عليه السلام ما أراد أبوه، فطلق زوجته وتزوج إبنة مضايا بن عمرو سيد جرهم وعندما رجع إبراهيم عليه السلام، سأل زوجته عنه وعن أحوالهما فأثنت على الله بخير فأوصى إلى إسماعيل عليه السلام أن يثبت عتبة بابه، وفي زيارة إبراهيم عليه السلام الثالثة رفع قواعد الكعبة وبنائها أما زيارة إبراهيم عليه السلام الرابعة فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم فأرى الله إبراهيم عليه السلام أنه يذبح إسماعيل عليه السلام فإمتثل لهذا الأمر الإلهي ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾^(١)

رزق الله إسماعيل عليه السلام من ابنه مضايا إثني عشر ولداً ذكراً وهم (نابت. قيدار. أربائيل. مبشام. مشامع. دوما، ميشا. وحدد. تيما. يطور. نغيس.. قيدمان) وتشعب منهم إثنا عشرة قبيلة سكنت كلها في مكة فترة من الزمان ثم إنتشرت هذه القبائل في أنحاء شبه الجزيرة العربية.

(١) سورة الصافات: الآيات ١٠٣ : ١٠٧.

وازدهرت حضارة الأنباط (أبناء نابت) في شمال الحجاز وتكونت فيما بعد دولة قوية عاصمتها (البتراء) واستمرت هذه الدولة حتى جاء الرومان وقضوا عليها وجنح كثير من أهل العلم والأنساب ومعهم الإمام البخاري إلى إعتبار أن فلول غسان والأوس والخزرج كانوا من آل ثابت بن إسماعيل (رضي الله عنه) ومكث أبناء قيذار بن إسماعيل (رضي الله عنه) في مكة حتى كان منهم (عدنان) وولده (معد)، وعدنان هو الجد الحادي والعشرون للرسول (ﷺ) فكان إذا انتسب فبلغ عدنان يمك ويقول (كذب النسابون) وولد (لمعد) نزار، وتشعبت من أولاد نزار أربعة قبائل هي (إياد- أنمار- ربيعة - مضر) ثم اتسعت وتفرقت من ربيعة (ضبيعة وأسد) ثم من أسد (عزة وجديله) ثم تعددت بطون جديلة فكانت (عبد القيس- والنمر- وبنو وائل) ثم كان منهم بكر وتغلب ومن بني بكر كان (بنو قيس وبنو شيبان وبنو حنيفه وآخرين) وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين عظيمتين هما (قيس عيلان) بن مضر (وألياس) بن مضر، فمن (قيس وعيلان) جاء (بنو سليم) وبنو (هوازن) وبنو (ثقيف) وبنو (صعصعة) وبنو (غطفان) ثم جاء من بنو غطفان (عبس وذويبيان) (وأشجع) (وأعصر) وتشعب من ألياس بن مضر- (تميم بن مرة) و(هذيل بن مدركه) وبنو أسد بن خزيمه) وكنانة بن خزيمه ومن كنانة (قريش) وهم من أولاد (فهد بن مالك بن النضر بن كنانة) وصار من أشهر قبائل قريش (جمح - وسهم- وعدي- ومخزوم- وتيم وزهره) وبتون قصي بن كلاب وجاء منهم (عبد الدار بن قصي وأسد بن العزى بن قصي وعبد مناف بن قصي).

وخرجت من عبد مناف أربع فصائل هي: (عبد شمس) (ونوفل) (والمطلب) (وهاشم) ومن (هاشم) إصطفى الله الرسول (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم) (رضي الله عنه) وتكاثر فيما بعد أولاد عدنان^(١) وتفرقوا في أنحاء شتى وراء القطر ومناجيع العشب.

(الإمارة في الحجاز)

تولى إسماعيل (رضي الله عنه) الزعامة في مكة وولاية البيت طوال حياته وتوفى وله ١٣٧ سنة^(٢) وتولى بعده إبنان له هما (نابت) ثم (قيذار) ويقال العكس ثم ولي أمر مكة بعدهما (مضاض بن عمرو الجرهمي) فانتقلت زعامة مكة إلى (جرهم) وضعف بمرور الزمن أمر جرهم وأخذ نجم (عدنان) يصعد ويعلو في سماء مكة، وغزا (بختنصر) العرب في موقعة (ذات عرق) وكان القائد العربي (عدنان)^(٣) وتفرقت بنو عدنان إلى اليمن بعد غزوة بختنصر الثانية ٥٨٧ ق.م وزادت أحوال جرهم سوءاً في مكة وضافت أحوالهم فظلموا الوافدين إلى البيت واستحلوا الأموال، الأمر الذي أثار حفيظة العدنانيين ولما جاءت خزاعة بمزّ الظهران، ورأت حق العدنانيين على الجاهلية، استغلت هذا جيداً وتعاونت مع بطون من عدنان وهم بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة في حرب (جرهم) وطردتهم من الكعبة واستولت على حكمها في منتصف القرن الثاني للميلاد واستأثرت (خزاعة) بأمر مكة دون بني بكر واستمرت ولاية خزاعة على مكة ثلاثمائة سنة وفي فترة حكمهم انتشر العدنانيون في نجد وأطراف العراق والبحرين وبقي في مكة بطون من قريش وهم (حلول) (وصرم) وليس لهم من أمر مكة شيء حتى جاء قُصي بن كلاب^(٤).

كان والد قُصي (ربيعة بن خزام) من بني عُدرة ومكانه في أطراف الشام وبعد موت والده وقد صار في طور الشباب رجع إلى مكة وتزوج حُبَي بنت حليل بن حبشيه وكان خزاعة والي مكة فلما مات حليل نشب قتال شديد بين (خزاعة) (وقريش) وتعددت الروايات في أسباب نشوب هذا القتال ولكن المرجح أن خزاعة رفضت أن يقوم قُصي بسدانه البيت بعد وفاة حليل وأن تستمر سدانة البيت في خزاعة إلا أن قُصي نجح في التحالف مع قريش وبني كنانة، وتلاقى الجمعان عند (العقبة) وكل طرف متمسك بحقه في سدانة البيت فإقتتلا قتالا مريباً وقتل نفر كثير، وإستمر القتال طويلاً، حتى تداعوا إلى الصلح وحكّموا (بِعمر بن عوف)

(١) في الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٦/١ وتاريخ الطبري ٢/٢٧٢ و٢٧٣ بأن بين عدنان وإبراهيم (عليه السلام) أربعين أباً بالتحقيق الدقيق.

(٢) سفر التكوين ٢٥ : ١٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٩٩/١.

(٤) مسيرة بن هشام: ١١٧/١.

من بني بكر فقصى بأن (قُصياً) أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعه واستولى قُصي على أمر مكة والبيت في سنة (٤٤٠ م)^(١)، وصارت قُصي منذ ذلك التاريخ هي الرئيس الديني للبيت ثم إنتقلت السيادة لقريش من بعده وبادر قُصي بجمع قومه من منازلهم فجاءوا إلى مكة وأسس دار الندوة بالجانب الشمالي، وكانت مجمع قريش يتشاورون ويتحاورون في مختلف المهام.

ولدار الندوة الفضل في إجتماع الكلمة وفض المنازعات بالتراضي والإتفاق، وتعزز موقف قُصي في مظاهر الرياسة والتشريف، وقد تولى قُصي المهام الرئيسية الكاملة للبيت ونحدها في الآتي:

- (١) رياسة دار الندوة: وفيها تتعقد مجالس التشاور وفيها يزوجون بناتهم.
- (٢) القيادة: لا يخرج ركب لأهل مكة في تجارة أو غيرها إلا تحت إمارته أو إمارة أحد أولاده.
- (٣) اللواء: لا تعقد راية لحرب قوم من غيرهم إلا كانت في دار الندوة وبيده أو بيد أحد أولاده.
- (٤) الحجاب: فلا يفتح باب مكة إلا هو ، وكذلك أمر خدمتها وسدانتها.
- (٥) سقاية الحاج: كانوا يملأون للحجاج حياضاً من الماء يجلونها بالتمر والزبيب ليشرّب الحجاج.
- (٦) رفادة الحاج: وهو طعام الضيافة للحاج، وقد فرض قُصي على قريش خرجاً تخرجه من أموالها في موسم الحج، ويتولى قُصي صرفه لتوفير الطعام لمن لا زاد له^(٢).

وكان قُصي لا يُخالف أمره ولا يُردّ عليه شيء صنعه وكان أمره في حياته وبعد موته كالدين المتبع - ينفذ نفاذاً مطلقاً - ولما مات وتبعه ابنه (عبد مناف) (وعبد الدار)، اختلف أبناء العم فيما بينهم وانقسمت قريش إلى فرقتين كاد ينشب بينهما قتال ولكنهم تداعوا إلى الصلح واقتسموا المناصب التي كان يتولاها جدهم قُصي فيما بينهم ثم حكم (بنو عبد مناف) القرعة فصارت السقاية والرفادة (لهاشم) والقيادة (لعبد شمس).

حتى خلف (عبد المطلب) ابن هاشم بن عبد مناف جدّ الرسول ﷺ السقاية والرفادة وتعددت المناصب في قريش ووزعها فيما بينهم بالتراض ، حتى لا يتنازعو ويفسد أمرهم وكونوا بذلك (دويله) في مكة أساسها التشاور والإحتكام إلى الرأي السديد وتعددت المناصب المختلفة لإدارة هذه الدويلة والتي كان لها ما يشبه البرلمان وينعقد في دار الندوة وللدلالة على أن مكة كونت فيما بين أهلها حكومة (ديمقراطية) أساسها الشورى والتراضي ، نوجز المناصب الهامة في هذه الدويلة التي كانت في زمانها فريدة:

- (١) الشورى: وكانت في بني أسد.
- (٢) الإيسار: تولية قداح الأصنام للإستقسام وكانت في بني جُمح
- (٣) تججير الأموال: تنظيم النذور والقربان التي تهدى للأصنام وكانت في بني سهم
- (٤) الأشناق: تنظيم الديات والغرامات وكانت في بني تميم.
- (٥) العقاب: حمل اللواء وكانت في بني أميه
- (٦) القبة: قيادة الخيل وتنظيم المعسكر وكانت في بني مخزوم
- (٧) السفاره: وكانت في بني عدي^(٣).

(١) فتح الباري: ٦/٦٣٣.

(٢) ابن هاشم: ١٣٠/١.

(٣) تاريخ أرض القرآن: ١٠٤/٢ - ١٠٦.

وجرى العرف بين قبائل العرب أن درجة رؤساء القبائل في قومهم تعادل درجة الملوك وكان لرئيس القبيلة الحكم والاستبداد المطلق بالرأي وتتقاد القبيلة لرئيسها في السلم وفي الحرب وكانت القبائل تختار لأنفسها رؤساء يسودونها فلا يعصي له الأفراد أمراً ولا يخالفون له موقفاً.

العرب في الجاهلية

أولاً: عام

- أطلق العرب اسم الجاهلية على الفترة التاريخية من حياتهم والتي سبقت الإسلام، ويبدو أن هذه التسمية إشتقت من جهل العرب عن التوحيد وضلاتهم في إتباع شرائع الأنبياء بالإضافة إلى تمجيدهم للعصبية وسرعة غضبهم وحدثهم.
- وقد سكنت البادية في العصر الجاهلي قبائل بدوية لأن البادية لا يكون سكانها إلا للقبائل أهل العصبية التي تقوم بالدفاع عن نفسها بنفسها ، والأسرة هي الوحدة الأساسية في نظام البدو الإجتماعي، والسلطة العليا هي سلطة الوالد والإرث للذكور الذين يقطنون مع أهلهم عند زواجهم.
- والبدوي متعدد الزوجات واللواتي يقل عددهن لأسباب إقتصادية، ويفضل البدوي الزواج من قبيلته بهدف نقاء الجنس وحفظاً للتقاليد.
- والقبيلة هي أكبر تنظيم إجتماعي في الجاهلية وهي مجموعة أسر وبطن وأفخاذ توجد بينها صلات النسب والمصالح المشتركة فتعيش معاً وتتنقل وتهاجر معاً بسبب التماسك والأمن اللذين يعتبران من أهم الملامح المميزة للمجتمع البدوي.
- والقبيلة تستنفر كلها لرد الإعتداء وتشارك كلها في واجب الثأر والغزو، فإذا سارت إلى الغزو يسير جميع من بإمكانه حمل السلاح على سهوات الخيول، ويترك الفتيان والكهول للدفاع عن الحريم والأملاك وأحياناً تسير النساء خلف الحملات العسكرية بهدف دفع المقاتلين إلى المزيد من الإقدام والحماس في القتال.
- والسلطة بيد رئيس القبيلة الذي يختاره مجلس شيوخ القبيلة ، وله السمع والطاعة ومُقدّم في الرأي على الجميع ويتولى القضاء عندما يُحتكم إليه المتنازعون.
- والشاعر الجاهلي يعتبر خطيب قبيلته والناطق بإسمها ومشدّد عزائمها في الحرب حتى أن بعض القبائل إنتسبت إلى أحد الشعراء الجاهليين.
- وروي أن أحد أبناء قبيلة نمير اختلف مع أحد الشعراء في سوق بجانب مكة وكان يرعى غنمه فهجاه الشاعر وهجا قبيلته في قوله:

وَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغَتْ وَلَا كِلَابًا^(١)

ولم يعد بإمكان الراعي غير المغادرة الفورية والسريعة نحو قبيلته التي تبعد مئات الفراسخ عن مكة ، إلا أنه ومع وصوله إلى قبيلة نمير كان هجاؤه قد سبقه إليها مما أدى إلى طرده من القبيلة ، وهذا إن دلّ فإنما يدل على شدة تأثير الشاعر والشعراء على القبائل والأفراد في الجاهلية.

ثانياً: الرجل في الجاهلية

(١) كعب وكلاب من قبائل العرب المشهورة

- العربي البدوي عصبي المزاج سريع الغضب يهيج للشيء التافه ثم لا يقف في هياجه عند حد، وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته أو أنتهكت حرمة قبيلته، فإذا إهتاج أسرع إلى السيف وإحتكم إليه حتى كادت أن تفنيهم الغزوات والإقتال والذي صار نظامهم المألوف وحياتهم اليومية المعتادة - ويعزي ذلك في جزئية أن العرب في البادية كانوا يسكنون بقعة صحراوية تصهرها الشمس ويقل فيها الماء، ويجف الهواء وهي أمور لم تسمح للنبات أن يكثر ولا للمزروعات أن تنمو إلا كلاً مبعثراً هنا وهناك وقليل من الأشجار والنباتات المنقرقة.
- وإذا أمعنا النظر في تأثير الصحراء في نفس البدوي إذا قيست بحياة الحضرة - ففي البادية لا يقابل مزروعات واسعة ولا أبنية ضخمة ولا أشجار باسقة - ولكنه يقابل الطبيعة وجهاً لوجه لا شيء يحول دون إنقذاته إليها فتطلع الشمس عليه فلا ظل يجد ويطلع القمر والنجوم فلا حائل بينه وبينها. وتبعث الشمس أشعتها المحرقة القاسية فتصيب أعماقه وتلهب بدنه بلا رحمة ويسطع القمر فيرسل أشعته الواحدة فتبهر لبه وتتألق النجوم في السماء فتملك عليه نفسه وتعصف الرياح العاتية محملة بذرات الرمال فتدمر كل ما أنت عليه، والعربي البدوي يواجه هذه الطبيعة الخشنة القوية والطبيعة القاسية الملتهبة هذا في النهار ويرى الطبيعة الساكنة الواحدة إذا لم يعكرها هبوب عاصف الرياح - جعلت هذا العربي البدوي يفكر ويمعن في التفكير في فترات هجوع الغزوات والإقتال.
- إن ما تقرضه هذه الطبيعة المتمردة بأشكالها وألوانها العابسة أحياناً والوادة اللينة الجميلة حيناً آخر يُعزي إليها كثرة التأمل وعمق التفكير لدى العربي البدوي، ولعل ذلك ما يزيح بعض أستار السر في أن الديانات الثلاث الرئيسية وهي اليهودية والنصرانية والإسلام نشأت في هذه الصحراء من مناطق العالم في الصحراء سينا وصحراء فلسطين وصحراء شبه الجزيرة العربية.
- إن السكون العظيم المخيم على الصحراء يملأ النفوس المتأملة رهبة وروعة ويكسبها صفاء وجلاء، فالصحراء لها موسيقى ذات نغمة واحدة متكررة منها العابسة القاسية ومنها الحانية الدانية فتري أهلها من البدو قد استولى عليهم نوع من إنقباض النفس وكآبة الوجه، وطلاقة التأمل، فهم نتيجة إقليم طليق لا يحدُّ هواءه بناءً ولا يحجب شمس غيم ولا يحبس أمطاره وسيوله سد، كل شيء فيه حر على الفطرة فهم كذلك أحرار كهذه الصحراء الشاسعة والتي لا يحدها بصر.
- هذه البيئة حددت نوع معيشة العربي البدوي فهم رحل يتطلبون الكلاً وفقراء ثروتهم في كثرة ماشيتهم وهذه بدورها تحت رحمة الطبيعة الصحراوية فقد تنفق الماشية وينضب ماء الآبار ويقل المطر فيقل المرعى ويسوء العيش، ولذلك سمو المطر غيثاً بمعنى المنقذ لهم ولماشيتهم.
- أما معاملة الرجل مع أخيه وأبناء عمه وعشيرته فقد كانت موطدة قوية، فقد كانوا يحبون العصبية ويموتون لها وكانت روح الإجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة تزيدها العصبية وكان أساس النظام الاجتماعي هو (العصبية والجنس) وكانوا يسيرون على المثل السائد (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، إلا أن التنافس في الشرف والسؤدد كثيرا ما كان يفضي إلى الحروب بين القبائل التي كان يجمعها أب واحد كما نرى ذلك بين (الأوس والخزرج) (وعبس وذبيان) (وبكر وتغلب) وغيرها.
- هذه البيئة المتمردة والتي لا يقر لها قرار هي التي حددت نوع أخلاقهم وعقليتهم، وأوليس من العجب أن يكون شطف المعيشة هي التي جعلت الكرم صفة ملازمة لهم حتى الجود بتمرات قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع؟، أوليس ما لازمهم من طبعهم في إطعام الطعام وإيقاد النيران يهتدي بها الضيف في مقدمة الفضائل التي يمجدها؟ أوليس الفقر وشدة الحاجة وتقلب الطبيعة هي التي حببت إليهم الإغارة، فكانت الإغارات الكثيرة وإستمرارها هي العرف السائد فيما بينهم؟

- العربي البدوي يعيش بين إغارة يقوم بها ودفن مغير عن قبيلته وعن نفسه، والسبل كلها غير آمنة حتى كانت إمراة البدوي إذا خرج لشأن من شئونه خارج خيمته، سميت خروجه (غزواً)، لأنه قد لا يعود إلى إمرأته وأولاده، فقد تهلكه نوه من نوات الطبيعة وقد يفنيه عدو متربص به أو يقتله لص يبغى منه الغنم.
- أفليسوا إذا في حاجة لأن يعدوا الشجاعة والوفاء والعفو من كبريات الفضائل؟ فالأرض الصحراوية بما فيها من رمال ونجود ووهاد وما فيها من كلاً وأعشاب وحشرات وهوام كل ذلك وصفه العرب ووصفوا له الأسامي المختلفة فالأرض الصلبة الغليظة والمستوية والواسعة والمطمئنة والمجدبة والمخصبة والهضاب والوديان أكثرها من وصفها، والإبل كان لها دوراً أساسياً وعظيماً في حياتهم وللتدليل على ذلك فقد ورد في كتاب (المخصص لإبن سيده)، لقد إستغرق فيه الكلام عن الإبل، حتى أن هذا الكلام أخذ نحو جزء كامل من أجزاء الكتاب السبعة عشر، فإذا قلنا أن ما ورد في كلام العرب مما يتعلق بالإبل جزء من سبعة عشر جزءاً من مجموع اللغة العربية، لم يكن ذلك بعيداً عن الحقيقة، وليس ذلك بمستغرب في عالم البداوة، فالجمال عماد الحياة العربية البدوية.
- وقلت في اللغة كلمات السرور واللعب واللهو والمزاح في حين زادت الكلمات عن البؤس والقتال والحزن والويل، وتعددت الوقعات القتالية والمعارك الطاحنة فيما بينهم، وزادت وألمت بهم الدواهي حتى ورد في ذكرهم (أن كثرة أسماء الدواهي من الدواهي).
- إنها البيئة، بيئة شقاء وشظف وفقر لا بيئة رخاء ونعيم وجاء في كتب الأقدمين (أن العرب أصعب الأمم إنقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفه والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم من أجل ذلك حتى أنهم أهل (إنتهاب)، فاللبطاء يقعون تحت طائلة النهب والسلب ويمارسون فيما بينهم الإغارات والغزوات حتى يصير طرف منهم مغلب فإذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب ولم يسلم من الدمار).
- وكان من نتائج كرمهم أنهم كانوا يتمدحون بشرب الخمر، لا لأنها مفخرة في ذاتها بل لأنها سبيل من سبل الكرم، ومما يسهل السرف على النفس، ولأجل ذلك كانوا يسمون شجر العنب بالكرم وخمره بنبت الكرم وإذا أمعنا النظر في دواوين شعراء الجاهلية نجد في ذلك باباً من أبواب المديح والفخر، فيقول عنترة بن شداد العبسي في معلقة في مدح الخمر والتفاخر بالكرم:

| | | |
|-----------------------------|--------|---|
| ولقد شربت من المدامة بعد ما | | ركد الهواجر بالمشوف المعلم ^(١) |
| بزجاجة صفراء ذات أسرة | | قُرِنْتُ بأزهر بالشمال مفدّم ^(٢) |
| فإذا شربت فإنني مستهلك | | مالي وعرضي واقرّ لم يكلم ^(٣) |
| وإذا صحت فما أقصر عن ندى | | وكما علمت شمالي وتكرمي |

ومن نتائج كرمهم إشتغالهم بالميسر فإنهم كانوا يرون أنه سبيل من سبل الكرم لأنهم كانوا يعطون المساكين ما ربحوه أو ما كان يفضل من سهام الرابحين.

(ثالثاً): (المرأة في الجاهلية)

(١) المدامة: الخمر، الهواجر: نصف النهار، المشوف: المحلى الصافي

(٢) أسرة: خطوط في الكأس، أزهر: صفة إناء الخمر.

(٣) لم يكلم: لم يجرح.

- المرأة في الجاهلية ليست سوى سقط متاع ، فمنهم من كان يئد البنات خشية العار والإنفاق ويقتل الأولاد خشية الفقر والإملاق ، وكانت عندهم إجتماعات بين الرجل والمرأة تعقدها شفار السيوف ، وأسنة الرماح فكان المتغلب في حروب القبائل يسيي نساء المقهور فيستحلها والأولاد الذين تكون هذه أهمهم يلحقهم العار مدى حياتهم ، وكان معروف في أهل الجاهلية أنهم كانوا يعددون بين الزوجات من غير (حد) معروف ينتهي إليه، وكانوا يجمعون بين الأختين وكانوا يتزوجون بزوجة آبائهم إذا طلقوها أو ماتوا عنها وكان الطلاق والرجعة بيد الرجال.
- وكانت فاحشة الزنا سائدة في جميع الأوساط ، لا تستطيع أن تخص بها وسطاً دون وسط أو صنفاً دون صنف وكانت الحرائر أحسن حالاً من الإماء والطامة الكبرى هي الإماء ، ويبدو أن الأغلبية الساحقة من أهل الجاهلية لم تكن تحس بعار في الإنتساب إلى هذه الفاحشة ، وكانت المرأة تباع وتشتري وتعامل كالجملادات أحياناً ، وكان ارتباط الرجل بالمرأة بعقد الزواج تحت إشراف أوليائها ولم يكن من حقها أن تقتات عليه بينما هذه حال الأشراف كان هناك في الأوساط الأخرى أنواع من الإختلاط بين الرجل والمرأة لا نستطيع أن نعبر عنه إلا بالذميمة والمجون والسفاح والفاحشة.
- روي البخاري وغيره عن عائشة (رضي الله عنها): قالت (أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها (نكاح الناس اليوم) - يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو إبنته فيصدقها ثم ينكحها ، ونكاح ثان: كان الرجل يقول لأمرأته إذا طهرت من طمئنها (أرسلني إلى فلان فإستبضعي منه)، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح يسمى (نكاح الاستبضاع) (ونكاح ثالث): يجتمع الرهط دون العشرة، فيدخلون كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعتمت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت لهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، فتقول لهم: قد عرفت الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو إبنك يا فلان، فتسمي من أحببت منهم بإسمه فيلحق به ولدها ، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل، (ونكاح رابع): يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا ، وكن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعتمت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتأطت به ، ودعى إبنه لا يمتنع من ذلك).
- يحكي (الأصفهاني) في كتاب (الأغاني) أنه في أثناء غزو قبيلة (يشكر) قبيلة (تميم) إستطاع أحد المحاربين الشباب من قبيلة (يشكر) أن يختطف فتاة شابة من قبيلة (تميم) وفي ضوء القيم القبلية السائدة ذهب (عم) الفتاة إلى المحارب يطالبه باسترجاعها لقاء فدية ، لكن المحارب الوسيم قرر أن يترك الحرية للفتاة لتختار بنفسها دون سطوة أي وصاية عليها ، فعلي الفتاة وحدها أن تقرر إما أن تبقى معه وإما تعود إلى أهلها ، فاندشش العم لهذا النهج المناقض للطبائع البدوية المعروفة.
- ولأن العم لا يساوره أي هاجس بأن المرأة تقع على الدوام في دائرة الالتزام بما يختاره الرجال فالخاتمة وفقاً ليقينه أن الفتاة لا بد ستخضع لهيمنة العرف السائد وستمثل لإستحقاق العم ، ولكن الصدمة حدثت حينما أعلنت الفتاة خيارها بالبقاء مع المحارب الشاب ورفضت العودة إلى نقيض خيارها.
- ونتيجة صدمة الخيار اللامألوف عاد العم إلى عشيرته ساخطاً على (المرأة) هذا النوع الإنساني الذي رفض الموروث وأوامره، وتملك العم الغضب الشديد فأمر بدفن ابنتيه (الصغيرتين) وأقسم إن جاءته إبنته الثالثة أو رابعة سيكون الدفن مصيرها.
- ولا شك أن إستقرار موقف العم يعري مآزقه من هذا التمرد فقد غاب عن إدراكه أن الإحساس بمعنى الوجود الإنساني لدى المرأة والرجل تجسده الممارسة الفاعلة لحق الحرية ونظراً لقصور الاستيعاب والفهم عند العم عمد إلى قتل المعنى بدفن إبنتيه الصغيرتين.

(رابعاً): (ديانات العرب في الجاهلية)

- منذ أن أقام إسماعيل (عليه السلام) بمكة كان العرب يدينون بدين إبراهيم (عليه السلام) وكان فيهم التوحيد ويلتزمون بشعائر دين إبراهيم (عليه السلام) الحنيف وعندما وليت خزاعه أمر البيت وكان أول من ولي منهم (عمرو بن لحي) وأحبه الناس لما إتصف به من أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين.
- وعندما خرج إلى الشام ورأى أقواماً يعبدون الأصنام والأوثان فإستحسن ذلك وظنه حقاً وصدقاً لأن الشام محل الرسل والكتب فرجع إلى خزاعه ومعه (هبل) وجعله في جوف الكعبة ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه ثم لم يلبث أهل الحجاز أن تبعوا أهل مكة لأنهم ولاية البيت وكان (هبل) أول صنم للمشركين وأعظمهم عندهم.
- واتخذت (هذيل) و (خزاعه) (مناه) واتخذ أهل الطائف (اللات) وفي وادي نخله الشامية فوق ذات عرق إتخذوا (العزى) وكثرت الأوثان في كل بقعة من أنحاء شبه الجزيرة العربية ، أما (وذ) فكانت لكلب بدوومه الجندل من أرض الشام (وسواع) لهذيل بن مدركه ، وكانت (يعوث) لبني غطيف من بني مراد ، أما (يعوق) فكانت لهمدان في حيوان من اليمن ، و(نسر) كانت لحمير وكانوا يعظمونها كتعظيم الكعبة ، وكانت تهدى لها كما تهدى للكعبة ، وكان لدوس صنم يقال له (نو الكفين) وصنم يقال له (سعد) لبني بكر .
- وكان لعذره صنم يقال له (شمس) ، وبقبيلة خولان صنم يقال له (عميانس) وإنتشرت الأصنام وبيوت الأصنام في شبه جزيرة العرب حتى صار لكل قبيلة صنم ، ثم في كل بيت منها صنم وملأوا الكعبة بالأصنام بالمئات.
- وورد في قول أبو رجاء العطاردي (كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوةً من تراب ثم جئنا بالشاة فحليناه عليه ثم طفنا به).
- وساد بين القوم إعتقاد بأنه لا ينبغي لأحد أن يعرض حاجته على الله إلا بواسطة هؤلاء الصنم لأنهم يشفعون له عند الله ، كذلك لا ينبغي القيام بعبادة الله إلا بواسطة هؤلاء الصنم ومن جملة عبادتهم للأصنام والأوثان، تقاليد وأعمال إبتدعوها ومنها كانوا:

(١) يتقربون إليها بأنواع من القرابين ويذبحون لها على أنصابتها

(٢) كانوا يحجون إليها ويطوفون حولها ويسجدون لها

(٣) كانوا يلتجئون لها ويستغيثونها في الشدائد ويتذللون عندها

(٤) وكانوا يتقربون إلى الأوثان بالنذر في الحرث والأنعام ومنها البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ، وفي تفسير ذلك جاء عن سعيد بن المسيب قال: (البحيرة التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة وكانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء والوصيلة وهي الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تنثى بعد بأنثى).

- وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر والحامي فحل الإبل يضرب الضراب المعدود (العشر من الإبل) فإذا قضي ضرابه ودعوه للطواغيت وأعطوه من الحمل وسموه الحامي^(١) فلم يحمل عليه شيء، وكان (عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي) هو أول من غير دين إبراهيم كما أسلفنا فنصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمي الحامي ، ومن عادات العرب في الجاهلية الإستقسام بالأزلام، والزلم (القدح الذي لا ريش له) وكانت ثلاثة أنواع:

(١) صحيح البخاري ح (٤٦٢٣).

(١) نوع فيه ثلاثة أسهم أحدها (تعم) وثانيها (لا) وثالثها (غفل)، فإن خرج نعم عملوا به وإن خرج لا أخروه عامه وذلك حتى يأتيه مرة أخرى وإذا طلع غفل أعادوا الضرب حتى يخرج واحد من الأولين

(٢) ونوع فيه المياه والعقول والديات

(٣) ونوع فيه (منكم) أو من (غيركم) أو (ملصق) فإذا شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل ، وبمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح فإن خرج (منكم) كان منهم وسيطاً وإن خرج عليه (من غيركم) كان حليفاً وإن خرج عليه (ملصق) كان على منزلته فيهم ، لانسب ولا حلف^(١).

• وهو ضرب من القمار ، كانوا يقتسمون به لحم الجزور التي كانوا يتقاملون عليها ومن عاداتهم الموروثة أنهم يشتركون الجزور نسيئته فينحرونها ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً أو عشرة أقسام ثم يضربون عليها بالقداح وفيها (الرايح) و (الغفل) فمن خرج له قدح (الرايح) فاز وأخذ نصيبه من الجزور ومن خرج له (الغفل) خاب وغرم ثمنها

• هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والتصديق بأخبار المنجمين وكان إيمانهم كبيراً بالنجوم والإيمان بالأنواء فكانوا يقولون: (مطرنا نبوء كذا وكذا)^(٢)، ومن طبيعتهم الطيرة وتعني التشاؤم بالشيء ومنها التشاؤم ببعض الأيام والشهور والحيوانات والدور والنساء وكانوا يعتقدون أن المقتول لا يسكن جأشه ما لم يؤخذ بثأره وتصير روحه هامة أي بومه تطير في الفلوات

• وكانت قريش يسمون أنفسهم (الحمس) فلا ينبغي لهم الخروج من الحرم إلى الحل وقد ألزمت قريش أهل الحل ألا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب (الحمس) وكانت (الحمس) يحتسبون على الناس يعطى الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فإن لم يجدوا شيئاً فكان الرجال يطوفون (عراة) وكانت المرأة تضع ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً تطوف فيه وتقول:

اليوم يبدو بعضه أول كله وما بدا منه فلا أحله^(٣)

• وكانت أغلبية سكان شبة الجزيرة العربية لهم هذه المعتقدات الوثنية إلا أن البعض منهم إعتنق اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئية.

• فعندما قام الملك (بختنصر) سنة ٥٨٧ ق.م ودمر الهيكل وسبى كثير من اليهود هاجر بعضهم إلى الحجاز وتوطن في شمالها وعندما احتل الرومان لفلسطين بقيادة (تيطس) الروماني سنة ٧٠م وبعد تخريب الهيكل وتدميره فرحلت قبائل عديدة من اليهود إلى الحجاز وإستقرت في يثرب وخيبر وتيماء وانتشرت نسبياً الديانة اليهودية في شبة الجزيرة العربية وأشهر القبائل اليهودية هي: (خيبر) و(النضير) و(المصطلق) و(قريظة) و(قيناغ) وذكر السمهودي أن عدد القبائل اليهودية التي نزلت في يثرب بين حين وآخر كانت تزيد عن العشرين^(٤)

أما في اليمن فدخلت اليهودية من قبل (تُبَّان أسعد أبي كرب) فقد غزا يثرب واعتنق الديانة اليهودية كثير من أهل اليمن ولما تولى إبنه (يوسف ذو نواس) فهجم على نصارى نجران بعد رفضهم الدخول في الديانة اليهودية فخذ لهم (الأخدود) ، وأحرقهم في نيران عظيمة ولم يفرق بين الرجل والمرأة والأطفال والشيوخ ، حتى أنه يقال أن عدد المقتولين كان ما بين عشرين ألفاً إلى

(١) فتح الباري ٢٧٧/٨ وابن هاشم ١٥٢/١ ، ١٥٣ .

(٢) صحيح مسلم ٨٣/١ ح (٧١).

(٣) ابن هشام ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ .

(٤) قلب الجزيرة العربية صد ٢٥١ ووفاء الوفا ١٦٥/١ .

أربعين ألفاً^(١)، وقع هذا في شهر أكتوبر سنة ٥٢٣ م ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البروج في قوله تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧)).

- وقد جاءت الديانة النصرانية إلى شبه الجزيرة العربية عند احتلال الحبشة الأول لليمن سنة ٣٤٠م فشجعوا على نشر النصرانية إلا أنهم طردوا من الحبشة بين عامي ٣٧٠ - ٣٧٨م ووصل أثناء هذا الإحتلال رجل اسمه (فيميون) إلى نجران ، وكان رجلاً زاهداً وصاحب كرامات كما تتاقلت بين العامة ووجد قبولاً لدى عدد كبير في نجران فإعتقوا النصرانية ، ولما احتل الأحباش اليمن مرة أخرى عام ٥٢٥م كرد فعل على ما أتاه (نونواس) من تحريق نصارى نجران في الأخدود وقد بلغ حماسة الشديد أنه بنى كعبة في اليمن وأراد أن يصرف حج العرب إليها بدلا من الكعبة في مكة وانتشرت النصرانية في شمال شبه الجزيرة العربية المجاورة للرومان فإعتق النصرانية (الغساسنة) و(قبائل طيء) و(تغلب) واعتقها (بعض ملوك الحيرة).
- أما المجوسية فإنتشرت في العرب المجاورين للفرس فكانت في عراق (العرب) و(البحرين) و(الأحسا) حتى أنه دان لها رجال من اليمن إبان الإحتلال الفارسي.
- أما (الصابئية) وهي ديانة عبادة الكواكب وبالاعتقاد في أنواء المنازل وتأثير النجوم وأنها المدبرة للكون ويعتقد من الحفريات أنها كانت ديانة قوم إبراهيم (عليه السلام) الكلدانيين وقد دان بها كثيرون من أهل الشام واليمن في غابر الزمان إلا أنها وجدت في بعض عراق العرب وعلى شواطئ الخليج وبعض قرى إحتكاكهم بالفرس عن طريق التجارة^(٢) وكانت هذه الديانات هي ديانات العرب قبل الإسلام من وثنية أنشأت فيها عادات وتقاليد تجري مجرى الخرافات والبدع والأساطير الأولية.
- ومن يهودية إنقلبت رياءً وتحكماً وصار رؤساؤها أرباباً من دون الله وجعلوا همهم الحظوة بالمال والرياسة فضاع منهم الدين وإنتشر فيهم الإلحاد والكفر.
- أما النصرانية فقد عادت وثنية عسرة الفهم وأوجدت تعقيداً عجبياً بين الله والانسان ولم يكن لها في نفوس العرب تأثير حقيقي لبعد تعاليمها عن طراز المعيشة البدوية التي ألفوها وصعب عليهم الإبتعاد عنها.

(خامساً: أيام العرب)

(الإقتال في الجاهلية)

- يقصد (أيام العرب) الوقعات والمعارك والغزوات المستمرة والتي جرت بين القبائل العربية الشمالية في سبيل السيطرة على منابت الكلاً والواحات وعادات الاخذ بالثأر والإنتقام بين القبائل أو إثبات الوجود والسيطرة على منطقة أو الإستتفار للدفاع عن قوافل القبيلة أو عن مراكز النفوذ والعصبية وهذه الوقائع كثيرة ومتعددة ومستمرة وتقع لأوهن الأسباب حتى صار مثلاً عن العرب (أنهم اتفقوا على أن يختلفوا) ولذا فالعصبية الجاهلية كانت السمة السائدة لهذه الوقائع.
- ويصف ابن خلدون هذه العصبية في قوله: (إن صلة الرحم طبيعة في البشر ، وخاصة العربي ومن صلتها النصر على ذوي القربي وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ، وإذا حصل التغلب بتلك العصبية على قوم طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى ، والسبب في ذلك أنهم أكثر بدواة من سائر الأمم وأبعد مجالاً في الفقر وأغنى عن

(١) ابن هشام ٢٠/١ - ٢٢.

(٢) تاريخ أرض القرآن ١٩٣/٢ - ٢٠٨.

حاجات التلوث وحبوبها لاعتبارهم الشطف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقيادهم بعضهم لبعض لإيلافهم ذلك وللتوحش ، ورئيسهم محتاج إليهم غالباً للعصبية التي بها المدافعة^(١).

- والقبائل العدنانية القديمة كان مشهوداً لأفرادها بالقوة والشدة إلا أنهم كانوا غير متحدين لا يبرحون في إنقسام مستمر وخصم متأصل ويستظل الضعيف منهم بدولة تحميه من أخيه القوي وهذه القبائل المتحاربة والمتناحرة لم تتوحد في القتال رغم إستمراره بين القبائل لقرون عديدة إلا مرات ثلاث^(٢):
- ففي (المرّة الأولى): اجتمعت قبائل عدنان تحت لواء (ماهر بن الظرب) خلال القرن الرابع للميلاد لمحاربة قبيلة مذحج القادمة من اليمن سعياً وراء الكلاً ومنابع الماء
- وفي (المرّة الثانية): عادت واجتمعت قبائل عدنان تحت لواء (كليب بن الحارث) في قضاة خلال وقعه سميت (يوم السلاف).
- (والمرّة الثالثة): عادت واجتمعت قبائل عدنان تحت لواء كليب بن ربيعة للخروج من طاعة دولة حمير وكان سبب الحرب الجذب وتأخر ربيعة في تأدية الإتاوة لعميل حمير زعيم قضاة (زهير بن جناب الكلي).
- هكذا كانت الغزوات متبادلة والتطاحن مستمر فإذا تعرض إعرابي للقتل على يد فرد من أفراد قبيلة أخرى فإن جميع أفراد قبيلة الجاني يصبحون عرضة للقتل من قبل أبناء قبيلة المجني عليه لذلك كانت بعض القبائل تعتمد إلى دفع دية القتل إذا قبل مبدأ الدفع بدلاً من الأخذ بالتأثر.
- والغزو الشائع في ذلك الوقت كان صورة قبيلة للإعتداء والسيطرة على وسائل الحياة لا سيما المشية والمتاع كذلك العنصر النسائي ، فالقبيلة الغازية تستغل فرصة غياب المقاتلين عن ربيعهم لتنفيذ أعمالها بحيث لا تعترضها مقاومة تذكر فتحدث أعمال السلب والنهب حتى على النساء والأطفال دون أي وازع إنساني ، وقد تطلب القبيلة الضعيفة الحماية من أخرى أقوى فتعقد معها معاهدة (حسن جوار) ضمن مفهوم الأحلاف.
- وقد يقع القتال العنيف بسبب (هدر الكرامة) كما حدث في قيام (زهير الكلابي) زعيم قضاة ، فقد قام بغزو (بني القين) كونهم أهانوا أختاً له وكانت متزوجة من بني القين فقرر زهير الأخذ بتأرها منهم لأنهم أهانوها.

(يوم البيضاء)

- والحرب بين العدنانية ومذحج بما يسمى (يوم البيضاء) بين عدنان واليمن ، فكانت مذحج قادمة من اليمن طلباً للتوسع في المعاش فنزلوا تهاجم وفيها من بني معد قبائل متفرقة ومن جملتها قبيلة عدوان وكان أمير (عدوان عامر بن الظرب) فتفانق الصراع بين (المعديون) و(مذحج) فاجتمعوا رغم إختلاف بعضهم مع بعض تحت لواء (عامر بن الظرب) وهي أول مرة اجتمعت كل قبائل معد تحت لواء واحد وهي انما تجتمع لدفع مقاتلي اليمن وتبعدهم عن أماكن معيشتهم

(يوم البردان)

- وفي واقعة (يوم البردان) أغار (حجر بن عمره الكندي) ملك عرب نجد وكان معه (كنده) و(ربيعة) على (البحرين) وعندما علم زياد بن الهولة ملك الشام سار مع بني سليم من قضاة على أهل حجر وأخذ النساء والأموال وسبي منهم هنداً بنت ظالم زوجة حجر فعاد حجر من غزوته وطارد زياداً حتى أدركه على ماء يقال له (حفير) فاقتتلوا قتالاً شديداً وإنهزم زياد وأهل الشام وقتل منهم عدد كبير وأخذت بكر وكنده ما كان في أيديهم من الغنائم والسبايا وقتلوا زياداً.

(١) ابن خلدون المقدمة ص ١٠٢: ١٢٠.

(٢) ريحانا ، المجتمعات العسكرية عبر التاريخ ص ١٥٥ - ١٥٦.

(بني أسد وعطفان)

- وتولى (حجر بن الحارث) بني أسد وعطفان وإمتعتت أسد عن دفع الإتاوة لحجر وانتصر حجر بن الحارث على أعدائه من بني أسد ورق لهم فأطلق سراحهم فاجتمعوا وقاتلوه وقتلوه ففي الاقتتال لا مجال للعاطفة ولا حتى الانسانية.

(حرب البسوس)

- وحرب "البسوس"^(١) بين (بكر) و(تغلب) نضربها مثلاً للإقتتال العنيف والطويل بين القبائل فقد كانت بنو جشم وبنو شيبان أخلاطاً في دار واحدة إرادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب أخت جساس بن مره ، وكان لجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهي التي ضربت العرب بها المثل فقالت: (أشأم من سراب، وأشأم من البسوس) وإختلف كليب مع صهرة جساس على هذه الناقة، وقتل جساس كليب وكان همام بن مرة أخو جساس ومهلهل أخو كليب فلما دفن كليب سُقَّت الجيوب وُحْمَشَّت الوجوه وخر عقب الأبقار وذات الجذور العوائق إليه، وإنطلق المهلهل إلي المكان الذي قتل فيه كليب فوقف علي قبره ثم جر شعره وقصر ثوبه وهجر النساء والقمار والشراب وجمع قومه وأرسل رجالاً إلي مره والدجساس يعرضون عليه مخرجاً من أربعة (فإذا أن تحي لنا كليباً أو تدفع النبأ قاتله جساس فنقتله به، أوهماما فإنه كفاء له أو تمكنا من نفسك فإن فيك وفاء الدمة) فلم يقبل مره فنشبت حرب البسوس بين تغلب وبكر وتعددت الوقعات بين القبيلتين مثل أيام (عنيزه، والنهي، والذنانب، البقية، العضيل) ودام القتال أربعين سنة مات في أثناءها الشيوخ وشاخ الشبان وشب الولدان وولدت أجيال لم تكن في الحسبان كل ذلك أثناء فترة الإقتتال الدامي الشديد.
- وأن شن حرب طويلة بسبب الخلاف علي رعي ناقة في أملاك نسيب لا يمكن فهمها ولا تعليلها إلا إذا أرجعنا ذلك إلي زمن الجاهلية حين كانت الحروب تقع لأسباب واهية.

يوم عين أباغ

وترى في القتال في (يوم عين أباغ) والتي وقعت بين المنذر بن ماء السماء ملك اللخمين والحارث الغساني، وحدث في هذه الحرب أسباب مستهجنة ومستغربة في عرب الجاهلية فمن عاداتهم وتقاليدهم أن الحرب خدعة وليست تكون (خيانة) ويمكن خداع العدو وإنما لا يمكن عدم التقيد بالإتفاقات والعهود لأن ذلك يعد خروجاً عن الأصول والعرف السائد في ذلك الوقت فالحرب عند عرب الجاهلية خدعة وليست خيانة مذمومة.

يوم أوراه الأول

وحدث هذا القتال بين بكر وتغلب وأجارت بكر سلمه بن الحارث الذي أخرجته تغلب، فخلف المنذر بن أمرؤ القيس ليسيرن إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنهم علي قله جبل أوراه حتي يبلغ الدم الحضيض فالتقوا بأوراه فإقتتلوا قتالاً شديداً وهزمت بكر فأمر المنذر بقتل جميع الأسري وأمر بذبح الزراري علي جبل أوراه.

القتال بين قبائل مضر

تفوق الوقائع بين القبائل المضرية تلك التي وقعت بين قبائل ربيعة ومضر وكان زهير بن قيس العبي سيد قيس عيلان قد أرسل ولده الأصغر (شاسا) إلي النعمان بن المنذر وعند عودته قتله واحد من بني غني فراح زهير يغير علي بني غني ويقتل أبناءهم وكان حلاء بني عامر بن صعصعة فوققوا إلي جانبهم في هذا الصراع ووقع للقتال بين عيس وهوازن وأتي قيس بن زهير

(١) ابن الاثير ، جزء أول: ٤١٠ - ٤١٥.

بعد مقتل والده وقد أعانته بني عبس وذبيان وأجار النعمان بنو عامر ووقع قتال شديد وإنهزم بنو عامر وجيش النعمان بعد معركة كبيرة في وادي (حرحان) وواضح من هذا الإقتتال أن العصبية القبلية كانت تحرك القبائل العربية لأسباب شتى منها الذود عن أبنائها فالبدوي قد يجر قبيلته وخلفاءها إلي حروب طويلة وكان من الممكن أن تلجأ قبيلة الجاني إلي دفع القتل شرط قبول أهله وقلما كانوا يوافقوا علي ذلك.

حرب داحس والغبراء

بين فزارة وبني عبس والذي يدعو إلي العجب فقد وقع القتال بسبب سباق بين فرسين ودام الإقتتال فترة طويلة، ولكن يزول العجب عندما يتعمق الباحث في دراسة المجتمع العربي الجاهلي عن مفاهيمه للشرف والقربى والثأر والحرب وبرز من خلال حرب داحس والغبراء أحد المقاتلين وهو عنتر بن شداد والذي صار مثلاً عبر أيام العرب.

يوم مبايض

والسبب لهذا القتال الدامي أن طريقاً الغبري التيمي كان فارساً في قومه ولقي أثناء طوافه خميصه بن جندل الشيباني فأطال الشاب النظر إلي وجه طريق فقال له طريف (لم تشد نظرك إلي؟) قال الشاب (أريد أن أثبتك لعلي ألك في جيش فأقتلك) فقال طريف (اللهم لا يحول الحول حتي أقلاه) حث زعيم بنو شيبان علي القتال فقال (إذا أتوك فقاتلوهم شيئاً من قتال ثم إنحازوا عنهم فإذا إشتعلوا بالنهب فعودوا إليهم فإنكم تصيبون منهم حاجتكم)، وإقتتل بنو شيبان وبنو تميم قتالاً شديداً شرساً وفي هذا اليوم تبرز حالة إشتغال المقاتلين بالسلب والنهب يصرفهم عن القتال ويمكن أعداءهم من التغلب عليهم.

يوم الزوريرين^(١)

فقد كانت بكر قد أجريت بلادهم فإنتجوا بالد تميم فلما تدانوا جعلوا لا يلقي بكري تميمياً، إلا قتله ولا يلقي تميمي بكرياً إلا قتله، وذلك للنزاع علي مناطق الكلاً ومواقع الآبار وتقاوم الشر وعظم الخطب بين القبيلتين، حتي إجتمع علي القتال الحاسم، فجعلت تميم بعيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين المقاتلين معقولين وسموهما (زوريرين) يعني (إلهين) وقالوا (لا نفر حتي يفر هذان البعيران) وإقتتل الناس قتالاً شرساً وكثر القتال من الطرفين وتمكنت شيبان من البعيرين فذبحوهما وإشتد وطيس القتال وإنهزمت تميم وقتل بشر كثير وغستولي المنتصر علي أموال المهزوم ونسائه وزرازيره وأسر خلق كثير في ذلك اليوم.

حرب سليم وشيبان

ومثال آخر نضربه ليبين حالة الإغارات المستمرة بين القبائل العربية فقد خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلمي وهم يريدون الغارة علي بكر وائل فليفهم رجل من بني شيبان إسمه صليح علي فرس له يسمى البحراء فقال لهم (أين تذهبون؟) قالوا (نريد الغارة علي بني شيبان) فقال لهم: (مهلاً فإنني لكن ناصح إياكم. إياكم وبني شيبان فإنني أقسم لكم بالله لتأتينكم علي ثلاثمائة فرس خصي سوي الفحول والإناث) فأبوا إلا الغارة، فأسر صليح لينذر قومه فإستعدت شيبان وعندما أتوهم بنو سليم وهم جاهزون للقتال، فإقتتلوا قتالاً شديداً فظفرت شيبان وإنهزمت سليم، وقتل وأسر منهم كثير وصار مثلاً بين العرب (إن عدوا معروفأ هو نصف مغلوب) فقد أنذر صليح قومه فإستعدوا للقتال فإنتصروا في معركتهم.

يوم الشقيقة

(١) ابن الأثير جزء ١، ص ٤٨٠.

فقد غزا بطام سيد شيبان بني ضبه فسار حتى دنا من (نقال) رمل كثير) فشاهد ألف ناقه لمالك الضبي فأغار عليها وطاردها وهرب مالك إلي قومه ونادي (يا صباحاً) فقامت معه الفوارس من بني ضبة ولحقوا بالإبل وجري قتال عنيف قتل فيه بطام سيد بني شيبان وإنهزم بني شيبان وأسر ما يزيد علي السبعين.

يوم ظهر الدهناء (١)

وهو قتال شديد بين طئ وأسد التقوا بظهر الدهناء وإنهزمت بنو أسد وقتلوا قتلاً ذريعاً وكان السبب الرئيسي في هذا الإقتتال هو مديح وهجاء الشعراء من الطرفين وفيه أيضاً يظهر العادات العربية من العفو عند المقدرة فبعد أن يمكن أوسي من الشاعر بشير وألقي القبض عليه وأشار القوم إلي ذبحه ولكن رجع عن ذلك وعفا عنه رغم أن سيد طئ كان قد سبق وخاصة قتالاً دمويّاً ضد قبيلة بني أسد للقبض عليه.

يوم الوقيظ

ونضرب الأمثال علي الطبائع السائدة في عرب الجاهلية فقد نشب الصراع بين اللهازم وبني تميم، وقد إجتمعت اللهازم وآخرون بهدف الإارة علي بني تميم فيما هم آمنون وكان عندهم أسير تميمي (إسمه ناشب) أراد أن يحتال في إبلاغ الأمر إلي قومه فطلب من اللهازم السماح له بأن يرسل رجلاً إلي أهله يوصيهم ببعض حاجاته، فسمحوا له لإرسال غلام شرط أن يتكلم معه أمامهم فجري بينهما الحوار الآتي:

ناشب: أتيتموني بأحمق.

الغلام: والله ما أنا بأحمق.

ناشب: أتعقل؟

الغلام: نعم إني عاقل.

ناشب: النيران أكثر أم الكواكب؟

الغلام: الكواكب.

ناشب: (بعد أن ملأ كفه رملاً) كم في كفي؟

الغلام: لا أدري فإنه كثير.

ناشب: بعد أن أوماً إلي الشمس ما تلك.

الغلام: الشمس.

ناشب: ما أراك إلا عاقلاً إذهب إلي قومي فأبلغهم سلامي وقل لهم ليحسنوا إلي أسيرهم فإنني عند قوم يحسنون إلي ويكرمونني وقل لهم فليعروا جملي الأحمر ويركبوا ناقات العياء وليرعوا حاجتي في بني مالك، وأجزهم أن العوسج قد أورق وأن النساء قد إشتكت وليعصموا همام فإنه مشنوم محدود وليطبعوا (هذيل) فإنه حازم ميمون وأسألوا الحارث عن خبري).

فأبلغ الغلام الرسالة إلي تميم بعد أن ذكر الحوار بكامله، فهم الحارس سيد تميم فإذا قص ناشب وقال للقوم (إن الرمل يعني أن عدد طالبيهم من أعدائهم كثير وأن ذلك أوضح من الشمس وأما تعرية جملة الأحمر فيعني أن يرحلوا من مكانهم وأما

(١) ابن الأثير ص ٤٩٦ - ٤٩٧.

ناقته العياء فإنه يأمرهم أن يحترزوا في الصحراء وعن بني مالك فإنه يأمرهم بأن ينذروهم أيضاً) فإتخذوا حيطتهم وإستنفروا بني مالك وعندما أغار القوم وجدوا أن القوم الذين يهاجموهم قد غيروا أماكنهم وفي الوقيظ جري قتال عنيف إنتصر فيه قوم ناشب بفضل ذكائه الفطري ورسالة تحذيره لهم، فقد أندر ناشب قبيلته بفن رفيع المستوي من الذكاء ومعرفة الألغاز والأحاجي فحال دون مفاجأتهم من قبل أعدائهم الذين يفوقونهم عدداً.

يوم فيف الريح

وهو قتال وقع لثأر لبني عامر علي بني الحرث وكان بنو عامر ينزلون في مكان يدعي (فيف الريح) فقال لهم سيدهم (أغبروا علي القوم فإنني أري أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم) وإقتتلي الجمعان قتالاً شديداً لمدة ثلاثة أيام أو أربعة وكان الشرف في ذلك اليوم لبني عامر.

يوم أغيار

هي إغارات بين القبائل العربية لأسباب شتى منها السبب القوي والسبب الواهي، ومن ذلك أن المثلث بن المشجر كان مجاوراً لبني عيس فلعب الميسر مع عمارة بن زياد وخسر (فرهن) إبنه شرخاف عنده بإنتظار دفع ما عليه ثم عاد المثلث وأدي ما عليه وذهب مع إبنه ولما كان بالطريق أخبره إبنه أنه سمع عمارة يقول أنه هو الذي قتل أحد أقاربه ويدعي معضال ولم يطالب أحد بثأره، فجمع المثلث جمعاً كبيراً من عيس وأغار علي بني ضبة مضادر إبلهم وقاتل عمارة وإقتتل صبه وعيس زمناً طويلاً بسبب أخذ بثأر قديم.

يوم فلج

وهي غزوة عارضة لا لسبب معين فقد سار جمع من بكر إلي الصعاب وشتوا فلما إنقضي الربيع إنصرفوا فحروا حيث وجدوا أناساً من تميم فأغاروا علي نعم كانت لهم ومضوا فنادي التميميون وأقبلوا علي آثار بكر وساروا يمين ولبتين حتي أجهدهم السير وأنحدروا إلي بطن فلج والتقوا هناك ودار قتال شديد وإنهزمت تميم وبلغت منها بكر ما أرادت، فالحدث أن بكرأ عندما رأته تميم في حالة إسترخاء قمت بغزوهم مستغلين غفلتهم، ودون بسبب جوهرى لهذا الغزو.

وقد تم ضرب هذه الأمثال جزء يسير من كثير للإستدلال علي طبائع وعادات العرب في الجاهلية خاصة في الغزوات المتعددة والتعامل الإنساني فيما بين القبائل بعضها مع بعض وقد أوردنا ذلك لكي نوجز بعض أسباب القتال المتجدد بين القبائل العربية في الجاهلية ونوجز أهم هذه الأسباب في الآتي:

- (١) الغزو والإغارات صراع دائم علي النفوذ والسيطرة علي القبائل الأخرى.
- (٢) التوسع في المعاش والأموال والبحث عن أماكن عشب والبعد عن أماكن الجفاف.
- (٣) السيطرة علي الأماكن الرعوية والواحات الزراعية.
- (٤) سلب ونهب الأموال والمواشي وسبي النساء والأولاد.
- (٥) الأخذ بالثأر أو خطف فتاة بقصد الزواج الجبري والدفاع عن الأملاك والعائلة.
- (٦) إنقاذ الرهائن من أيدي القبائل الأخرى.
- (٧) طبيعة الظلم السائد فالقبيلة المسيطرة تقرض شروطها المجحفة.
- (٨) إجارة الملهوف أو الهارب والأحلاف التي كانت تعقد بين القبائل ضد القبائل الأخرى.

- (٩) التكبر والزهو والإستعلاء علي الآخرين (حرب البسوس).
- (١٠) تداخل مناطق النفوذ والرعي والإعتداء علي أبناء القبيلة المنعزلة في الغيافي.
- (١١) التمتع عن إيفاء دين أو التنفيذ بنتيجة رهان أو حتي السباق بين فرسين (داحس والغبراء).
- (١٢) الهجاء والغدر بالآخرين وإستخدام القوة لإخضاع قبيلة أو فرض إتاوة.
- (١٣) التصدي للقوافل التجارية لنهبها.
- (١٤) إنتهاء زمن المودعة والهدنة والمفاخرة بين القبائل.
- (١٥) الخلافات الشخصية بين أنصار القبائل وقتل الرهائن والأسري وحتي قتال الأطفال كما حدث في يوم (الفجار) وحدث عندما قتلت الأوس ستين حبيباً كانوا رهائن للخزرج عندها.
- (١٦) وقد درج عرب الجاهلية علي مباغته أخصامهم بالهجوم السريع والمفاجئ فيما هم آمنون وكان بعض المقاتلين المنهزمين يفرون إلي البادية حيث يهلكون جوعاً وعطشاً والملاحظ أن الغزوات والحروب والإغارات كانت تشن أحياناً لأسباب واهية وبسيطة وكان الحق دائماً إلي جانب القبيلة المسيطرة في ظل غياب العدل والمساواة وقصور الثقافة الإنسانية بل وإستشراء ثقافة القهر.
- (١٧) إستخدم العرب كلمة غزي أو أغار ووردت في أشعارهم كثيراً- بمعني (أن يأتي الآخر وهو في مأمن) وقد درج عرب الجاهلية علي مباغته أخصامهم بالهجوم السريع والمفاجئ عليهم فيما هم آمنون.
- (١٨) سجل حادث إنتحار فريد إثر معركة (ساحوق) بين ذبيان وعامر وحينما لاحق رجل عامر المنهزمين فقتلوا الذين أدركوه منهم فخاف، الحكم بن الطفيل أن يؤسر فجعل حياً في عنقه وصعد إلي شجرة وشده وأدلي نفسه فأختنق^(١).

الحروب بين الأوس والخزرج

المدينة أول من نزل بها العماليق وأقامت فيها قبائل منهم ثم نزلها أقوام من اليهود ثم سكنها الأوس والخزرج وهم بطون من الأزد والذي يقول العرب علي أنهم من كهلان وأنهم نزحوا إليها من اليمن بعد حادثة سيل العرم- ولفترة إستبد ملك اليهود بالأوس والخزرج فأستجدوا بالغساسنة فأعانوهم وإنتمقوا لهم من اليهود فأسمى الأوس والخزرج من أعز أهل المدينة وقد وقع فيما بينهم إختلاف وصراعات فجرت المعارك فيما بينهم ونسوق ذكر بعض المعارك التي دارت لندل علي أسباب ودواعي مثل هذه الحروب وهم من بطن واحدة ويقطنون محلاً واحداً، ويضيف ذلك أضواء علي طبائع وأنماط وعادات العرب القديمي، ويثرب أو المدينة تلك التي هاجر إليها الرسول ﷺ وقد عرف الأوس والخزرج بعد هجرة الرسول بالأنصار لأنهم نصرُوا النبي ﷺ حينما هاجر إليهم ولذلك فالحروب بينهم قبل الإسلام لها دلالة عن طبائع العربي القديم.

(١) حرب سمير

نزل كعب من ثعلب علي مالك السالمي وحالفه وخرج يوماً إلي سوق بني قينقاع فشاهد رجلاً من غطفان ينادي علي فرس معه قالاً (ليأخذ مني هذا الفرس أعز أهل يثرب)، وإختلف الحاضرون حول هوية أعز الرجال وإستقر الرجل فأعطي الفرس إلي مالك وسط تهليل نبيه كعب فغضب رجل من بني عمرو بن عوف إسمه سمير فأستفرد كعب وقتله وإختلف القوم علي قمة الدبة، فقد أبي مالك إلا أخذ الدبة كاملة رغم أنه ينالها عن حليفه وليس عن نبيه وكانت ديه الحليف نصف دبة النسيب وتقاوم الموقف فجري قتال عنيف بين الأوس والخزرج كان النصر فيها للأوس وتالت الوقعات القتالين فوق القتال مرة أخرى عنيفاً بين

(١) ابن الأثير ص ٥٠٩.

حجبا من الأوس وبني الحرث من الخزرج وإنّصر فيها الخزرج وعاد القتال مرة أخرى بني بني وائل من الأوس وبني مازن من الخزرج وفاز فيها الخزرج، وتجدد مرة أخرى بني بني ظفر من الأوس وبني مالك من الخزرج وإنّصر فيها الخزرج أحدثت فيما بين القبيلتين حرب (قاطع وحاطب) ويوم (الربيع والبقيع) وفازت فيها لأوس وكانت القبيلتان المتجاورتان تتصالحان بعد كل وقعت ثم تعودان إلي القتال مجدداً لأسباب يرجع أكثرها إلي الكبر والعنجهية والأنفة والثأر وقتل فيها قوم كثير .

(٢) يوم الفجار الأول

هذه الواقعة غير يومي الفجار بين كنانة وقيس وقد حدث ذلك عندما قتلت الأوس غلماناً للخزرج كانوا رهائن عندها فجمعت الخزرج جموعها في قرية بضواحي المدينة إسمها (الحدائق) بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول وكان قائد الأوس أبو قيس الأسلت، وإقتتل الجانبان قتالاً مريباً حتي كاد بعضهم يفني البعض الآخر ودعي هذا اليوم يوج الفجار الأول لغدر الأوس بالغللمان وقتلهم وعاد القتال مرة ثانية عنيفاً عند معبس ومضرس^(١)، وإشتد آوار القتال فإنّهزم الأوس حتي دخلوا منازلهم هارين.

(٣) يوم الفجار الثاني

طلبت لأوس من قريظ والنضير أن يحالفوهم ضد الخزرج وبلغ الخبر الخزرذ فهددوا قريظة والنضير وأخذوا منهم أربعين غلاماً كرهينة ولما أخلت القبيلتان بالإتفاق قتلت الخزرج كل من كان عندهم من الصبية الرهائن فاجتمعت الأوس وقريظة والنضير علي حرب الخزرج وإقتتلوا قتالاً شديداً ودعي ذلك يوم الفجار الثاني بسبب قتل الخزرج للغللمان الرهائن.

(٤) يوم بعث^(٢)

جددت قريظة والنضري حلفها مع الأوس فقامت الخزرج بحشد جموعها وأرسلت حلفاءها من أشجع وجهينة كما إنضم إلي الأوس حلفاؤها من مزينة والنقي الخصمان في بعث^(٣) فإقتتلا قتالاً شديداً وإنهزمت جموع الأوس وولوا هارين نحو العريض إلا أن قائد الأوس شدد من عزائمهم فعاودوا للقتال وقتل قائد الخزرج وإنهزمت جموع الخزرج وأحرق الأوس بعدهم ونخيلهم وكان القتال في وقعة بعث آخر الحروب الطاحنة بين الأوس والخزرج حتي إتفقت كلمتهم بعد هجرة الرسول ﷺ.

التقييم

- (١) كانت الصراعات القبلية متأصلة في نفوس سكان المدينة لأسباب عرقية ودينية.
- (٢) رغم أن الأوس والخزرج وهم بطون من الأزد من (كهلان) ويقطنون في مكان واحد (المدينة) وإشتعلت الحرب فيما بينهما عنيفة وطويلة وقاسية بسبب الإختلاف علي قيمة الدية^(٤).
- (٣) أكثر أسباب القتال يرجع إلي العنجهية الجاهلية والأنفة وروح الثأر.
- (٤) عندما أخلت القبيلتان بالإتفاق قتلت الخزرج كل من كان عندها والرهائن (أربعين غلاماً) وإعتبر ذلك غدرًا بالأمنين لم تكن من شيم العربي في العصر الجاهلي.

(١) معبس ومضرس جداران تمرکز المحاربون خلفهما.

(٢) بعث من أعمال قبيلة قريظة اليهودية.

(٣) ابن الأثير جزء (١)، ص ٥٢٦ - ٥٣٧.

(٤) كانت دية الحليف نصف دية النسيب.

الغزو ومعناه قديماً وحديثاً

(١) درج العرب منذ القدم علي الإغارة بعضهم علي البعض الآخر لأسباب شتى وأغراض متباينة وكانت الإغارة بمعناها ومغزها شائعة بين القبائل والجماعات البدوية ينتظر طرف خروج الرجال المقاتلين من مضارب وأماكن إقامتهم لأغراضهم وينتهزون الفرصة فيغيرون حيث لا يتواجد في الموقع سوي العدد القليل من المقاتلين الذين عادة ما يعجزون عن صد المهاجمين فيقوم المهاجمون بالإستيلاء علي الغنائم من ماشية وأرزاق ويسبون النساء فلا يرحمون شيخاً ولا امرأة ولا صبي ولا تأخذهم فيهم رأفة ولا شفقة ويقوم الطرف المغلول بالتحالف مع قبائل أخرى ويستعينهم لنصرتهم ويقوم بالإرارة علي مواقع الطرف الذي هاجمه ويثأر لنفسه ومن هزيمته السابقة وتكرر الإغارات والغزوات بلا هوادة حتي يكاد أن يفني طرف الطرف الآخر، وهكذا فإن الغزو أو الإغارة واقعة قتالية غير متكافئة وغالباً ما يكونا لطرف الغالب ظالماً وباغياً وتدور الدوائر علي الجميع يوماً ظالماً ويوماً مظلوماً، ورمي القتالي والسلب والنهب مستمرة ومحترمة بين القبائل والبطون والأفخاذ البدوية.

(٢) فحياة البدوي في العصر الجاهلي قاسية متقلبة قد يلجأ فيها للغدر وقد يغدر به وبأهله ويوسف البدوي بأنه (يده علي كل إنسان ويد كل إنسان عليه) فجرت العادة أن البدوي حينما يغادر جنته في الصحراء تعرف زوجته أنه إنما خرج من دياره وقد لا يعود مرة ثانية إليها فالأخطاء كثيرة ومتنوعة فقد يغير عليه آخرون لسلب ما يراعه وقد يغيرون عليه للأخذ بثأر من قبيلته نوقد يتحتم عليه القتال منفرداً أو مع جماعة أخرى معتدية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يغزو عند خروجه من مضارب قومه فقد تهاجمه الطبيعة القاسية وقد يفتك به الأفاعي والحشرات وقد يتعرض لسيول لا تبقي عليه وقد يهلك إذا عز عليه ما يروي ظمأه، ولذلك درج العرب القدامي علي إستخدام كلمة غزو أو إغارة تعبيراً عن مواجهة القتال في أي وقت وهو قتال غير نزيه وغير عادل وأقرب ما يكون إلي القرصنة خاصة أن أحوال القبائل في البداية كانت مفككة تسود فيهم المنازعات والإختلافات العنصرية والدينية والشاعر الجاهلي يصف حالة الغزو فيقول:

وما أنا من غزیه إن غويت غويت، وإن ترشد غزیه أرشد

ويقول شاعر آخر في هذا المعني:

غزاه ينشدون الرزق يوماً علي سهوات خيل لا يضام

وفي اللغة العربية تعني كلمة الغزو، في العرف السائد: يأتي علي الآخر وهو في مأمن، أي يهاجمه من حيث لا يدرى ولا يتوقع ويقائله وهو غافل في أمان وإسترخاء، ويقال الأنفس ويستولي علي ممتلكاته ويسبي نساءه.

(٣) وكلمة يغزو في اللغة الإنجليزية (Invade) ^(١) تعني إحتياج أو الإستلاء علي إقليم (country) وفي المعجم الفرنسي فإن (Invasion) تعني غزوه أو غزو أو غارة أو إحتياج منطقة كما تعني أن هناك طرفين خصمين أحدهما معتد وظالم ومتفوق في القوة يقهر طرفاً آخر ويضعه تحت الظلم والقهر وقد يسلبه أرضه وممتلكاته، وكانت هذه الكلمة شائعة الإستخدام عند القبائل العربية في الجاهلية والتي كان مدلولها يشير إلي طبيعة العدوان المستمر بين القبائل والأفخاذ وحتى الأفراد بلا رحمة ولا شفقة ولا أخلاق مثل الصفة التي تتصف بها المناطق الصحراوية الواسعة القاحلة ذات الحرارة الملتهبة وندرة الموارد.

(٤) ووردت كلمة (غزي) في آية واحدة في القرآن الكريم في سورة آل عمران (بأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزي لو كانوا غزي لو كانوا عندما ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحي ويميت والله بما تعملون بصير) وورد كلمة غزي إشارة إلي عمل المشركين.

(١) The oxford Dictionary.

(٥) وبعد الإسلام شرع الرسول ﷺ قواعد شريفة ألزم فيها المسلمين التقدير بها علي الجنود والقواد علي السواء ولم يسمح الخروج عنها بحال بل أرسى قواعد أخلاقيات الحرب كما سنري فيما بعد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً علي جيش أو سرية أوصاه في خاصته بنقوي الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال (أغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، إزوا، فلا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً... إلخ) الحديث وكان إذا جاء قوماً بيل لم يغر عليهم حتي يصبح، ونهي أشد النهي عن التحريق في النار، ونهي عن قتال العبد، وقتل النساء وضربهن، ونهي عن النهب حتي قال (إن النهي ليست بأحل من الميتة) كما نهي عن إهلاك الحرث والنسل وقطع الأشجار إلا إذا إشتدت إليها الحاجة، ولا يبقي سواه سبيل وقال عند فتح مكة (لا يجهزن علي جريح، ولا تتبعن مدبراً، ولا تقتلن أسيراً) وهذه أخلاقيات الحرب كأسمي ما تكون حتي في عصرنا الحديث، أن السفير لا يقتل، وشدد في النهي عن قتال المعاهدين حتي قال (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً) وإن كان نكر إسم الغزو إلا أنه ﷺ وضعا لضوابط والشروط الواجبة بل والصارمة لمنع التجاوزات عن القواعد النبيلة التي طهرت الحروب من ادران الجاهلية حتي جعلتها جهاداً مقدساً.

(٦) فقد صارت الحرب جهاداً في تخلص الإنسان من نظام القهر والعدوان إلي نظام العدالة والنصف، ومن نظام يأكل فيه القوي الضعيف، إلي نظام يصير فيه القوي ضعيفاً حتي يؤخذ منه، هكذا ورد لفظ غزا، يغزو في حديث رسول الله ﷺ، تحت شروط مشددة قوية ضابطة للمعني وبعيداً عما كانت عليه بالمعني بين العرب في الجاهلية.

(٧) لقد إقصت في الحديث عن لفظ (غزا)، (يغزو)، (غزوة)، وبأنها لفظ قديم كان يطابق الحال في العصر الجاهلي وعندما جاء الإسلام إستخدم الرسول ﷺ هذا اللفظ تحت قيود وضوابط إنسانية وأخلاقية وتتناسب مع حقوق الإنسان المشروعة في عصرنا الحديث والتي صدرت عن أكبر منظمة عالمية ينتمي إليها كل الدول ويناقش أمورها عقلاء الإنسان علي وجه الأرض.

(٨) وقد نشب قتال ضروب وطويل بسبب شاه سلبت من أحد الأقوام ويشير الشاعر أن القوم لا يوفقه الإقتتال حتي لو كان بين أبناء العمومة أو حتي بين الأخوة فلفظ الغزوة أو الإغارة تعود علي التعاطي معها في الجاهلية بما تعني من سفك الدماء وسبي وتخريب وقد تكون لأسباب واهية ولأغراض غير محمودة وبعيدة عن الأخلاق والإنسانية.

(٩) وسأوي بعض المستشرقين بين الغزو والقرصنة وأنهما لفظان يفيضان إلي معني واحد، وإذا تابعنا سياق المعارك القتالية في السيرة النبوية سنجد أنها حروب دفاعية فيما عدا معركة خيبر ومعركة حنين فكلتاها ينطبق عليها ما يعرف في العرص الحديث (الهجوم خير وسيلة للدفاع) كما أن القائد الحصيف عليه أن يعتقد مبدأ (لا تعزز الفشل) فإذا تعثر أمام العدو بإتباعه خطة ما فيجب عليه تعديلها بخطة بديلة علي الفور.

(١٠) وقد لجأ بعض المستشرقون في كثير مما يقولون إلي الإشارة إلي إستمرار تداول المسلمين لهذا اللفظ، وبما يغيبه أيام الجاهلية من معني سئ السمعة دون إبراز الضوابط الإنسانية المشددة التي أمر بها رسول الله ﷺ وأري بدون تجاوز للضوابط الفقهية أن يتم مراجعة تداول هذا اللفظ في الحديث عن المعارك القتالية للرسول ﷺ وفي بحثي سأستخدم لفظ وقعة أو معركة لتعني معركة قتالية وسأتجنب لفظ غزوة المتداولة حتي يومنا هذا لما لهذا اللفظ من معني سئ السمعة بعيد عن معني المعارك القتالية أثناء السيرة النبوية والغارة مرادفة للغزوة وفي لسان العرب القديم وورد في ديوان الحماسة لأبي تمام في هذا المعني^(١):

ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلباً وأفراساً حسانا
وكنا إذا أعزنا علي جناب وأعوزهن نهب حيث كانا
أعزنا علي الضباب علي حلال وضبة أنه من حان حانا

(١) كتاب التاريخ الإسلام (مواقف و عبر) تأليف الدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله الحميدي جزء أول ص ٥٣، دار الدعوة للنشر.

وأحياناً علي بكر أئينا إذا لم نجد إلا أانا

(١١) وتمادي بعض المستشرقين في تفسير لفظ غزوات، والسند إلي إستخدامها حتي في العصر الحديث كمعني متداول حتي بين المسلمين للدلالة علي المعارك القتالية التي خاضها الرسول ﷺ وتجاوزوا في تفسيرهم حتي أنهم إدعوا أن الإسلام إنتشر بالسيف. وتساءل بعضهم في مكر وتضليل لماذا كان يتم محاربة الأفكار والعقائد بالسيف؟ والأجدر أن يتم محاربة الأفكار بالأفكار عن طريق الإقناع والإستدلال والسعي نحو مزيد من بلورة الأفكار والنضج (maturity) والتركيز علي تطور الأفكار وعلم تاريخ الأفكار ورغم أن بعضهم حاول أن يكون محايداً مثل مونتجري وات في كتابه (The truth of the religions) وكتابه قلب العالم الإسلامي (endosoma) إلا أنهم يعمدون إلي إستخدام لفظ (الغزو) كما في معناها في القواميس الأجنبية سواء الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية حتي أن القاموس الألماني جاهد في تفسير اللفظ للتخفيف من وصمة الغزو النازي.

(١٢) وسأعمد في هذا البحث إلي الإستدلال وإستخدام بدلاً من لفظ غزوات (وقعات أو معارك قتالية) وقد لفت القرآن الكريم نظر النبي ﷺ وبين له أن عليه تبليغ الدعوة وأنه لا سلطان له علي تحويل الناس إلي الإسلام (أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين) (سورة يونس الآية ٩٩).

وأخلاقيات الحرب في العصر الحديث

مدخل الحقوق والأخلاقيات:

(١) إن الحقوق التي أعطاها الله للإنسان لا يستطيع أن يستردها سواه، وأما الحقوق التي يعطيها الإنسان لأخيه الإنسان فليس م العسير إنكارها أو إستردادها وعلي ذلك فإنه ليس للإنسان الحق في أن يدعي أن له قيمة داخلية أو كرامة أو حقوقاً أو واجبات مطلقة أو مسؤوليات محددة إلا بوصفه مخلوقاً من مخلوقات الله تعالي، والعقلاء هم الذين عتقدون بوجود ميزان للعدل وقوانين لحق فوق مستوي الفهم البشري يملكها الله وذلك ضروري لإكمال معني الحياة والكون والنابهين يبحثون دائماً عن هذه المعني.

(٢) وعدل الله فوق عدل البشر وهو عدل خارج وأسمي من القياس الإنساني مهما حاول الإرتقاء ولكي تفكر الإنسان في عدل الله تفكيراً مستقيماً لا عوج فيها ولا قصور عليه أن يحرر عقله من الأنانية ومن الأحقاد ومن كل ما يعوق التفكير الصافي السليم لكي يفهم عدل السماء فيسهم في محاربة الشرور والظلم والقهر والفساد والإفساد في الحقوق الإنسانية.

(٣) ولقد أقتضت حكمة الله أن يستخدم الإنسان عقله وإرادته وحرته في إتخاذ القرارات اللازمة والقوانين المنظمة الضرورية لمحاربة هذه الشرور حتي يصير حكم الله في الأرض مثل حكمة في السماء، ومهما بلغ رقي العقل الإنساني فسيظل قاصراً عن إدراك يتم القانون الأخلاقي الطبيعي القائم علي المحبة، والعدل والرحمة والحقوق والمسؤوليات مهما إجتهد في تنظيم القوانين ووضع الضوابط (وإن لكل شئ إذا إكتمل نقصاناً) والحد الأسود لا يسود إلا في غفلة من الزمن، وفي وسط الغوغاء.

(٤) وبعد أن مرت بالإنسان قرون من الحروب والتطاحن، وإنتبه الإنسان إلي نتائج هذه الحروب من هلك للنفس وتدمير لعناصر الحياة، وبعد ما عانته البشرية وتكرار فشل العقلاء في الحد من ظاهرة التخريب والتدمير البشري الشامل فالفكرة في الحد من الكوارث الإنسانية المهلكة لم تكن تتوقف علي الفكرة في حد ذاتها، وإنما علي طبيعة المتلقي، والمتلقي في منظم الحالات يتجاهل ثقافة السلام وثقافة العدل والإنصاف وثقافة الإخاء فتتبدد الجهود المبذولة في سبيل ثقافة المحبة والتحلل من مفقده في ثقافة الظلم والبيغي.

(٥) بعد صراع طويل مع الفشل إستفز في ضمير العالم وفي نموذج الجمعية العامة للأمم المتحدة فأطلقت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان Universal declaration of human rights، وهو تعبير عن الإعتراف بالكرامة المتصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم الثابتة والمتساوية هو أساس الحرية والعدل والسلام إن تناس حقوق الإنسان وإزديادها قد أفضيا إلي أعمال همجية آذت الضمير الإنساني وعذبتة أحقاباً طويلة وكان من الضروري أن يتولي القانون حماية و حقوق الإنسان لكيلاً يضطر المء آخر الأمر إلي التمرد علي الإستبداد والظلم وقد أكدت شعوب الأمم المتحدة في الميثاق إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدرته وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها علي أن تدفع بالرفقي الإجتماعي قدماً وأن ترفع مستوي الحياة في جو أفصح من الحرية والعدل وتوطيد إحترام الحقوق الإنسانية لضمان الإعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فاعلة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

ثالثاً: الأخلاقيات في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

من أهم هذه الحقوق الإنسانية هي تلك الحقوق العامة التي توفر للإنسان الضمانات الكافلة للعدالة والحرية ووتتطابق مع أماني الإنسانية قديماً وحديثاً، وتسود بعض هذه الحقوق التي أصدرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الآتي:

المادة ١: يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة ٢: لكل إنسان التمتع بكافة الحقوق والحريات دون أي تمييز كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو أي رأي آخر أو الأصل الوطني أو الإجتماعي دون أي تفرقة بين الرجال والنساء.

المادة ٣: لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة ٤: لا يجوز إسترقاق أو إستبعاد أي شخص ويخطر الإسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعه.

المادة ٥: لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة ٩: لا يجوز القبض علي أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

المادة ١١: كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلي أن تثبت إدانته.

المادة ١٢: لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه.

المادة ١٤: لكل فرد الحق أن يلجأ إلي بلاد أخرى أو يحاول الإلتجاء إليها هرباً من الإضطهاد.

المادة ١٧: لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

المادة ١٨: لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ويشمل هذا الحق حرية تغيير دينه أو عقيدته وإقامة الشعائر سواء أكان ذلك سراً أم مع جماعة.

المادة ٣٠: ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله علي أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلي هدم الحقوق والحريات الواردة فيه. كما يعتبر شعوب الأمم المتحدة أو الضمير الإنساني هو الأرقى

والأسمى والملاذ الأمن لضمان سلامة الإنسان والحفاظ علي كرامته ولهذا الضمير الإنساني الحكم النزيه العادل متوقفاً علي سلسلة الثقافات الأخرى من فكر وحضارة وإنسانية وهو بمثابة بوصلة هادية مرشدة وسط أنواع صخب الحياة وإختلالات النفوس البشرية، بالإضافة إلي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أصدرت شعوب الأمم المتحدة في العصر الحديث أربع إتفاقيات خاصة بأحوال الجرحي والمرضي ومعاملة أسري الحرب وحماية الاشخاص المدنيين أثناء الحرب، وذلك حفاظاً علي القيم الإنسانية والأخلاقية بقدر ما تسمح به ظروف الإقتتال.

١- الإتفاقية الأولى: إتفاقية جنيف لتحسين حال الجرحي والمرضي في الميدان.

٢- الإتفاقية الثانية: إتفاقية جنيف لتحسين حال جرحي ومرضي وغرقي القوات المسلحة في البحار.

٣- الإتفاقية الثالثة: إتفاقية جنيف بشأن معاملة أسري الحرب.

٤- الإتفاقية الرابعة: إتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب.

وأهم المواد الواردة في هذه الإتفاقيات المواد التالية:

المادة ١٢: يجب في جميع الأحوال إحترام وحماية الجرحي والمرضي ويخطر بشدة أي إعتداء علي حياتهم أو إستعمال العنف معهم وعدم قتلهم أو إبادتهم أو تعريضهم للتعذيب وتعامل النساء بكل الإعتبار الخاص والواجب إزاء جنسهم.

المادة ١٤: يعتبر الجرحي والمرضي الذين يقعون في أيدي العدو أسري حرب.

المادة ٧: علي أطراف النزاع التحقق من أن الموتى قد دفنوا بإحترام.

المادة ١٣: يجب حماية أسري الحرب ضد جميع أعمال العنف أو التهديد وتخطر تدابير الإقتصاص من أسري الحرب.

المادة ١١٨: يفرج عن أسري الحرب ويعادون إلي أوطانهم دون إبطاء بعد إنتهاء الأعمال العدائية الفعلية.

المادة ٣١: تخطر ممارسة أي إكراه بدني أو معنوي إزاء الأشخاص المحميين.

المادة ٣١: تخطر صراحة جميع التدابير التي من شأنها أن تسبب معاناة بدنية أو إبادة للأشخاص المحميين.

المادة ٣٣: لا يجوز معاقبة أي شخص محمي عن مخالفة لم يقترفها هو شخصياً، وتخطر العقوبات الجماعية وجميع تدابير التهديد أو الإرهاب، وتخطر تدابير الإقتصاص من الأشخاص المحميين وممتلكاتهم.

المادة ٤٦: تقي التدابير التقييدية التي إتخذت إزاء الأشخاص المحميين بعد إنتهاء الأعمال العدائية وكذلك إزاء ممتلكاتهم.

المادة ٥٣: يخطر علي دولة الإحتلال أن تدمر أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد محميين.

المادة ٥٨: تسمح دولة الإحتلال لرجال الدين بتقديم المساعدة الروحية لمن تحت الحماية.

المادة ٧٥: لا يحرم الأشخاص المحكوم عليهم بالإعدام بأي حال من حق التماس العفو أو إرجاء العقوبة.

المادة ١١٦: يسمح لكل شخص معتقل بإستقبال زائريه وعلي الأخص أقاربه.

المادة ١٣٢: تفرج الدولة الحاجزة عن أي شخص معتقل بمجرد زوال الأسباب.

المادة ١٣٣: ينتهي الإعتقال فور إنتهاء لأعمال العدائية.

ولكل حدث حديث في المعارك القتالية، وأخلاقيات الحرب التي أرسى مبادئها الرسول ﷺ والتزم بها المسلمون خلال اسيرة النبوية وصارت من أرقى وأسمى الأخلاقيات حتي بعد إصدار المجموعات الأخلاقية في العصر الحديث.

ضوابط أخلاقيات الحرب

(١) إن مؤسسة اليونسكو الدولية قدمت تعريفاً مثالاً بالمعني السئ فلسفياً لكلمة الحرب وهي أن (الحرب فكرة تنشأ في أذهان البشر) وفي هذا التعريف قصور فكري وأقرب فلسفياً منه للواقع العملي فالحرب ممارسة في المقام الأول والحرب لها أسبابها ودواعيها التي تختلف من حالة إلي حالة أخري والحرب أنماط وأشكال متعددة في الممارسة علي أرض الواقع، واول عدوان وقع علي سطح الكرة الأرضية، هو قتل قابيل لأخيه هابيل نتيجة صراع علي غنم، واليوم نعيش في كرة أرضية مزدهمة إلي حد مغلق بأكثر من قابيل.

(٢) وهم يختلفون عن جدهم الأول بصلافة تمنعهم من البحث عن التوبة والحوار لمحاولة الوصول إلي حياة مطمئنة تليق بأحلام البشر، إستشري في واقع اليوم العدوان والقهر والعدوان الصاج من الكبار ضد الصغار وفشلت كل الجهود الخيرة في نشر ثقافة إحترام الإنسان لنفسه والذي يقتضي إحترام إنسانية الخصوم، وتقنين معني العدوان، ويفجع إنسان اليوم حين نري ونسمع أن بعض الفرقاء المتقاتلين قام بقطع رءوس من إعتبروهم الخصوم واقاموا مباريات للعب بتملك الرءوس بأقدامهم بعيداً عن حرفة الموت وجورا ظالماً في إهانة وإذلال إنسانية الخصم أو الضحية.

(٣) الصراع (conflict) ظاهرة تمكنت من نفوس البشر بعد إتساع نطاق التطرف والعنف وينتهي الصراع عادة بالإقتال ونشوب الحرب، والحرب قد تكون حرب مشروعة وحرب غير مشروعة والحرب المشروعة هي حرب دفاعية هدفها رد العدوان وإيقاف الإعتداء وإسترداد الحقوق التي تم للتخصم الإستيلاء عليها فالعدوان من أجل العدوان والسيطرة علي مقدرات الآخر هو الحرب الغير مشروعة، ولكن منذ أن قتل قابيل أخاه بطريقه غير مشروعة كانت الحروب ولازالت حتي يومنا حروباً غير مشروعة، حروباً تبغي علي الآخر وغنم ماليس لها حق فيه وصفحات التاريخ حافلة بتلك الحروب الغير مشروعة والقليل ما ورد إلينا هي الحروب المشروعة، بل إنها في حكم الندرة في سجلات التاريخ.

(٤) والحروب التي قامت منذ فجر التاريخ كانت لأغراض وأهواء وأسباب لا يتيح مجال البحث للإستطراد فيها كما أن أنواع الحروب الغير مشروعة تطورت مع مرور الحقب التاريخية وكثيرت وعظمت أصولها وفروعها فتعدي مداها إلي ميادين الجدل والنضال الكلامي فصارت الحروب أنماط وأشكالاً وأواناً من الوسائل والأساليب تهدف في خاتمة المطاف إلي النصر وهزيمة الطرف الآخر، وتخرج في معظم الأحوال عن ضوابط الأخلاق الإنسانية وتتجاوز حدود الرحمة وتجرد النفس البشرية من المشاعر والقيم الأساسية، وتكون الحرب بعيدة عن الأخلاق نازعة لقتل هوية الضمير الإنساني.

(٥) ولما فاض الكيل بحكماء الناس من جبرية الحروب الغير مشروعة وعصي علي المعتدين نواب الخل والحياء وإستفحل السوء فيما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان إجتمع العقلاء من البشر ووضعوا ضوابط أخلاقية لتخفيف القهر والمعاناة للتقليل من تلك الرذائل والسيئات التي ينفر من هولها الإنسان وأصدرت لذلك شعوب الأمم المتحدة النداءات لتقنين الحد الأدنى من الأخلاقيات عند الممارسات الحربية.

(٦) فلقد تجاوز الإنسان في قسوته وغلظته وهمجته في حق أخيه الإنسان مبلغاً فاجراً حتي إعتدي عليه أخيه الإنسان ليجعله أرذل صورة، حتي أنه صار ضرورياً أن تفرض الضوابط ويتم مراقبة تنفيذها علي أرض الواقع.

(٧) ليست العبرة أن الشر واقع ولكن العبرة كيف ينظر الإنسان إليه وكيف يتقيه والإنسان غير الحيوان إليهم لأنه صاحب ضمير وإنما يقاس ضمير الإنسان بالقيم التي يعتقها والمثل العليا التي يتمثلها والمطالب التي يطلبها وينالها أو لا ينالها،

وإذا قلنا إن الإنسان في هذا العصر يطلب الخير ولا يدركه فقد قلنا علي اليقين إنه أفضل من الإنسان الذي كان لا يطلبه ولا يعرفه والدنيا التي يصنع فيها الهداة صنيعاً كثيراً خير من الدنيا التي لا موضع فيها لصنيع الهداة وجهاد الضمير وأن عقيدة الإنسان شيء لا يأتيه من الخارج فيقبله مرضاة للداعي أو ممتناً عليه ولكنها في ضميره وقوم حياته الصالحة ولا زالت الضوابط الأخلاقية ورقية أكثر منها عملية.

(٨) إن جهاد الضمير دائم وعمل دائم يتقدم فيه الإنسان شوطاً بعد شوط وطبقة فوق طبقة لا يفرغ من جهاده يوماً إلا لينظر بعده إلي جهاد مستأنف ولا يودع الشر في مرحلة من مراحلها إليها ليلقاه ويجاهده ولن يلقاه في سلام وإنسان اليوم كإنسان الأمس في شروره وعدواته بل هو أقسى وأمر، وفي ثقافة وشفافة وفي إعراضه عن اللباب وإقباله علي القشور وفي لاجاة في الجحود والعدوان حين يجحد ويعتدي فليس أثقل علي الإنسان من حمل الحرية ورفع شعار العدل والإنصاف، وضمير الإنسان حتي اليوم هو الشعلة التي مازالت مضيئة ولا زال الكفاح مستمراً وعلي الإنسان ان يسعي وعليه تحقيقي النجاح في تطبيق أخلاق الحرب.

(٩) ففي سبيل نيل هذه الغاية يشغي المصلحون وقد يهلك الشهداء ويأتي بعدهم التابعون بإحسان أو بغير إحسان حتي يزول الكرب والبلاء بعد تقشي الرغبة في العدوان، وخرجت صنيع النداءات الأخلاقية من شعوب الأمم المتحدة من خلال الكلمات والجمل الرضية يسبقها الأماني البشرية عسي أن يتم تطبيقها علي أرض الواقع فتضع حداً لإعتناق البشر ثقافة العدوان والإبادة والإلزال بين الإنسان وأخيه الإنسان.

(١٠) ولم تتوقف الحرب ولن تتوقف وإستمر تردي الأخلاقيات لأن الإنسان إبتعد عن الإيمان الذي يقوم علي العقل وإذا كان الإنسان يعجز أحياناً عن مشاهدة الأدلة فذلك راجع إلي عدم قدرته علي أن يفتح عينيه.

(١١) تخلص من ذلك أن الحرب علي أرض الواقع، كان لا يحكمها قيم ولا أخلاق فمتي وقع القتال تبيح كل طرف مالدي خصمه، فهو بالدرجة الأولي تبيح حياته بل حياة خصمه هي الهدف والمقصد، وما بعد الحياة فلا حياة ولا حياء، فإن إجتهد العلقلاء في إعلان حسن النوايا والعمل علي تنظيم الضوابط وترويض جمح النفوس وغيها في التتكيل بالخصم، فلا يعدو هذا الإجتهد إلي محاولة ستر عورة بما لا يسترها ويريق ثوب الجريمة المهلهل بما لا ينفعه.

(١٢) وتحديد أصوات التنديد والإستكار والإجتهد في تعرية الوصمة القبيحة المرذولة من شرور الحرب ومرارة الكرب صوت قد يجد أننا تسمح فتهجع عن النفس البشرية عما نقترفه من رذائل وخطايا فتركن بعيداً عن الحرب أو تمسك نفسها ببعض الإعتدال عن وقوع الشر المستطير في حالة نشوب الحرب في السيرة النبوية حسنة وقدوة مثالثة ولنا في أخلاقيات كما يتوضح ذلك فيها بعد.

(١٣) ورغم هذه النداءات وهذا الإجماع لإذكاء حيوية الضمير الإنساني وإيقاظه وغفلته فلا زالت الحروب ولا زال الإقتتال الذي لا يريعي فيه القليل والقليل من الأخلاقيات ولعل في تكرار مثل هذه الدعوات فائدة لكي ينحاز بنو الإنسان إلي الأخلاق ويثيوبون إلي رشدهم وإن كان المأمول العودة إلي بعض الحياو الخجل من حالة العماء للبصر والبصيرة وتجنب مآسي الحرب وآلامها.

(١٤)

(أ) أول من حدد الضوابط الأخلاقية للحرب عبر تاريخ البشرية هو الرسول ﷺ فالحرب لا أخلاق لها منذ فجر التاريخ وتغض البشر في تحديث وسائلها لتكون أكثر فتكاً وأشد تدميراً.

- (ب) ومنهجية البحث هو الدليل والبرهان وغاية ما نهدفه من هذا البحث هو إثبات مجموعة الضوابط والقيم الأخلاقية التي نادي بها القائد ﷺ أثناء المعارك القتالية في السيرة النبوية ونسوق النواهي والأوامر التي صدرت عن الرسول ﷺ كأول وثيقة أخلاقية ترتقي بالإنسانية وتعصم من التمادي في حماقة والضلالة.
- (ج) وفاقت الحدود وقيم التي أرساها الرسول ﷺ ما إجتمع عليه البشر في العصر الحديث، فكان لضيها وافرأ في الحد من الطبائع والنوازع المرذولة في البشرية خلال فترة إندار الإنسان إلي أدني المراتب وهي فترة الحروب.
- (د) فكانت مجموعة النواهي والضوابط والقيم منذ ما يزيد عن خمسة عشر قرناً، أوسع وأتقي وأرقى مما إجتمع عليه البشر اليوم.
- (هـ) إنها ثقافة المعني في أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية.

مكة تبدأ حرب لا تنتهي

- (١) بعد نزول البعثة علي محمد ﷺ أعلنت مكة الحرب من طرف واحد خبره وضد من يتبعونه، فأعلنت عليه العدا بالقول والفعل وناصبته وأتباعه كل صنوف القهر والتهوين.
- (٢) لم يسلم محمد ﷺ من الأذي والقذي ومعه الفئة القليلة الضعيفة فمارست مكة القهر بأبشع صورته وتمادت في الإستهزاء بهم والتهوين من شأنهم والنيل منهم.
- (٣) صور العدا ضد محمد ﷺ وأصحابه تعددت فالتعذيب وحتى إزهاق النفس وحتى الإعتداءات لابدية نال منه الكثير محمد ﷺ وبعض أتباعه لها حساب وشأن كبير بين العرب لذاقوا العذاب أضعافاً مضاعفة.
- (٤) لم يقابل محمد ﷺ وأصحابه عدا قريش بعداء مثلها ولم يواجهوا حربها بحرب مماثلة فقد أعلنت قريش الحرب ومارست مختلفة وسائلها من طرفها دون مقاومة من لهيها وأدواتها الظالمة الجائرة، وحتى بعد الهجرة إستمرت مكة في حربها ولم تعلن وقفها.
- (٦) وتعددت مراحل الحرب وطالت مدتها ثلاثة عشر عاماً (الفترة المكية) مستمرة لا تتقطع ولا تهدأ، وتزيد شدتها ويتفاقم أثرها وتدميرها في غير هواده ورغم ذلك لم يقابل محمد ﷺ وأتباعه هذه الحرب الغير مشروعة بحرب مماثلة لأسباب بسيطة:
- (أ) كان محمد ﷺ يخاطب الفكر والعقل ويدعو إلي التأمل والإيمان ولم يخاطب السلطة المادة لمكة، لأن مخاطبة السلطة تحتاج إلي سلطان القوة وكان يزهد فيها.
- (ب) لم تكن مكة تملك ثقافة الفكر وثقافة السؤال والفهم، فسلحها السلطان المادي وذلك دون سلطان الفكر والعقل.
- (ج) حدد الإسلام المنهج الذي يتحتم علي المسلمين إتباعه في الدعوة إلي الإسلام وجاء هذا المنهج في القرآن الكريم مشتقاً علي الدعوة إلي الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة (أدع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (سورة النحل آية: ١٢٥)، وفي قوله تعالى (وقولوا للناس حسناً) (سورة البقرة: الآية ٨٣).

(مكة تعلن الحرب)

أولاً: المرحلة الأولى للحرب (الدعوة سرأ)

لقب محمد (ﷺ) بالأمين في مكة وحرفه اهل مكة (التجاره والرعى) و انهم يتفقون على امر واحد الا وهو الاختلاف - فاذا اتفقوا دون إختلاف فعلى امر بين وظاهره فريده وهى الجبريه الواضحه التى جعلهم يجمعون على أمر تسمية محمد (ﷺ) (الامين) ولم يرد عن السلف ان اختلف إثنين منهم على هذا الامر .

فى مستهل شبابه عمل راعيا للغنم فى بنى سعد^(١) وفى مكة لاهلها على قراريط^(٢) ويرجع بعض الرواه انه حين شب عمل بالتجاره مع السائب بن ابى السائب المخزومي . فجاءة بعد ذلك يوم الفتح فرحب به وقال له (مرحباً بأخى وشريكى) ^(٣) وفى الخامسة والعشرين من عمره خرج تاجرا إلى الشام فى مال خديجه وكانت خديجه بنت خويلد امرأة تاجر ذات مال وتستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم بشىء تجعله لهم فلما بلغها عن محمد (ﷺ) من صدق حديثه وعظيم امانته وكرم اخلاقه بعثت اليه وعرضت عليه ان يخرج متاجرا فى مالها إلى الشام

وكان سادات ورؤساء قريش يحرصون على الزواج منها فتأبى عليهم ذلك .

وحيثما رأت خديجه بعد عودته الى مكة وما كان له من أمانة فى مالها كما اخبرها غلامها ميسره بما شاهد من شمائل كرمه وخلال سمحه وفكر راجح ومنطق صادق وامين ارسلت صديقتها لتقاتحه فى ان يتزوجها فقبل .

وكان سنها اذ ذاك اربعين سنة كما كانت أفضل نساء قومها نسبا وثروة وعقلاً .

(بناء الكعبه وقضية التحكيم)

قبل بعثة محمد (ﷺ) بخمس سنين جرف مكة سير عرم إنحدر إلى البيت الحرام فأوشكت الكعبه منه على الإنهيار فلجأت قريش إلى تجديد بناء الكعبه وانتقوا على ان لا يدخلوا فى بنائها إلا طيبا فجزأوا بناء الكعبه وخصصوا لكل قبيله جزءا منها تقوم ببنائه ولم بلغ البناء موضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه فى مكانه وإستمر النزاع بين القبائل واشرافهم أربع ليال أو خمسه واشتد حتى كاد أن يتحول إلى حرب ضروس فى ارض الحرم وانتقوا على أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه - وكان أول الداخلين محمد (ﷺ) فلما رأوه هتفوا (هذا الأمين) رضينا هذا محمد فلما إنتهى اليهم وأخبروه طلب رداء فوضع الحجر الأسود فى وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعه أن يمسكوا جميعا بأطرافه الرداء وأمرهم أن يرفعوه حتى اذا اوصلوه الى موضعه اخذه بيده فوضعه فى مكانه وقد رضى القوم بهذا الحل الحصيف الفطن

(الدعوة فى السر)

جمع فى نشأته خير ما فى طبقات الناس من مميزات وكان يستعين بصمته الطويل على عمق التأمل وشفافية الفكر وطالع بعقله وفكره وفطرته الصافيه صحائف الحياة وشئون الناس فى وقومه ومن حولهم وعاشرهم على بصيره من أمره وأمرهم فما وجد حسنا إلا شارك فيه والا رجع الى عزلته وتأمله فكان لايشرب الخمر ولا يأكل مما ذبح على النصب ولا يحضر للاوثان عيدا ولا إحتفالا^(٤) وكان يمتاز ضمن صفات أخرى - بالخلق الحسن والصدق والحلم وكان من اعف الناس لسانا وأمنهم عهدا ,افهم امانه حتى سماه قومه (الامين) وقد تفرد بهذا الاسم دون الجميع^(٥) .

(بدء نزول البعثة)

(١) ابن هشام ١٦٦/١ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الاجارات باب رعي الغنم ح ٢٢٦٢ .

(٣) سنن أبي داود ٦١١/٢ وسند أحمد ٤٢٥/٣ .

(٤) تاريخ الطبري ١٦١/٢ .

(٥) صحيح البخاري ح (٣) .

- * كان يذهب ﷺ الى غار حراء على بعد نحو ميلين من مكة فيقيم فيه شهر رمضان مفكرا متأملا منعزلا ولكي ينقطع عن شواغل الارض وضجة الحياة- واستمر في هذه العزلة السنويه قبل تكليفه بالرساله بثلاث سنوات ولما تكامل لمحمد ﷺ أربعون سنه نزل عليه الوحي واختلفت الروايات.
- * في بدء نزول الوحي واكثرهم متفقون على أن مبعثه ﷺ كان يوم الاثنين ويؤيدهم ما رواه أئمة الحديث عن أبي قتاده أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال (فيه ولدت وفيه أنزل على) .
- * ودخل على زوجته خديجه فقال (زملوني- زملوني) فزملوه ﷺ حتى ذهب عنه الروح فقال لخديجه (مالي؟) فأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسي) فقالت خديجه: كلا والله لا يخذيك الله ابدا - انك لتصل الرحم- وتحمل الكل وتكسب المعدوم- وتقرى الضيف- وتعين على نوائب الدهر .
- ومنذ نزل عليه الوحي ﷺ لم يسترح ولم يسكن وظل قائما يحمل على عاتقه العبء الثقيل - والأمانه الكبرى- وعاش ﷺ في معركة دائبه مستمره لا هوادة فيها .
- * قام رسول الله ﷺ بعد نزول آيات سورة المدثر بتليغ الرساله وكان من الحكمة ان تكون الدعوه في بدء أمرها (سريه) لكي لا يفاجئ اهل مكة بما يهيجهم وقد كانوا قوما جفاة لا دين لهم الا عباده الأصنام والأوثان - ولا حجه لهم الا انهم ألفوا آبائهم على ذلك ولا سبيل لهم في حل المشاكل والمنازعات الا السيف .
- ويصف ذلك الشاعر القديم في قوله.

فَقَضُوا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَضْدَرُوا ... الى كَلِّ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَحِّمٍ^(١)

- * طفق محمد ﷺ يفكر كيف يدعو قريش الى ما امن به وهو يعلم انهم احصاحرص ما يكونون على باطلهم حتى أنهم ليقااتلوا في سبيله ويقتلون وهم من بعد أهله وعشيرته الاقربون لكن هذه القلوب القاسيه وهذه الارواح الغلاظ قد يبست على عبادة ما كان يعبد آبائهم
- * و لكن خديجه بنت خويلد زوجة محمد ﷺ طمأنت روعه وفكرت بأن تقضى بما في نفسها الى من تعرف فيه الحكمة وإنطلقت إلى (ورقة بن نوفل) وكان قد تنصر وعرف الإنجيل ونقل بعضه الى العربيه.(وجهدت خديجه تهون عليه الامر وتثبته) وسارعت فقصت عليه نبأ ورقه ابن نوفل وما حدث به وسارعت إلى الإيمان بدعوته وقد جربت على طول حياته الامانه والصدق وعلو النفس وحب البر والرحمه ورأته في سنوات خلوته في الغار وكيف شغلت نفسه وارتفعت بقلبه وروحه وبقله فوق أوهام الناس ممن يعبدون الاصنام ويقربون لها القرابين

(تقدير موقف العدو)

- * ووجد قومه في قريش تجارة مكة تزدهر وزعامتها الدينيه تترسخ كمرکز حجيج عبدة الاصنام.
- وتساءل محمد ﷺ هل تترك قريش دين ابائهم ويعرضون مكانة مدينتهم الرفيعة بين القبائل في أنحاء شبه الجزيرة العربيه ويفقدون مكاسبهم من الجميع وستقف قريش موقفا عدائيا من الدعوة لأنها تهدد إقتصادها وتهدد الزعامه الدينيه لها
- * وفكر كيف سيواجه هذا العداء المتوقع والاذى الكبير لمن يهتدى الى دعوته؟
- ويرى أنه لا قبل له بهذا العداء فلا يقوى ولا من إتبعه على التصدى له ولكن في إستطاعة قريش القضاء على انباء أتباعه والقضاء عليه نفسه

(١) كفوا عن القتال مدة معلومة كما ترعى الأبل مدة معلومة ، فالحرب مستمرة ومتصلة فيما بينهم.

* وأصاب قريش أزمة كبيرة وكان أبو طالب كثير العيال وبمبادرة من محمد ﷺ قال لعمة العباس وكان من أكثر بن هاشم يسرا أن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من أزمة فانطلق بنا فلنخفف من عياله فكفل محمد ﷺ علياً وكفل العباس جعفرًا.

* وكان أول صبي أسلم هو علي بن أبي طالب ثم أسلم أبو بكر الذي أذاع بين أصحابه إيمانه بالله وبرسوله ﷺ وكان أبو بكر أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير أو شر وكان تاجراً ذو خلق فكان رجال قومه يألفونه لغير واحد من الأمر - لعلمه وتجارته وحسن مجالسته.

وأسلم عدد قليل وكانوا يستخفون لعلمهم بما تضمن قريش من عداوه لكل خارج عن أوثانها فكانوا يستعينون في حديثهم وفي تحركاتهم بالسرية والكتمان خوفاً وخشية من بطش قريش.

واشد أنواع الصراع بين البشر صراع العقائد (conflict values)

وإذا ارادوا الصلاة ذهبوا إلى شعاب مكة.

(أول دم أريق في الإسلام)

بينما كان سعد بن أبي وقاص⁽¹⁾ في نفر من أصحاب النبي في طريق جبلى إذا ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً منهم بركبة بعير فجرحه فكان ذلك أول دم أريق في الإسلام .

في بداية الرسالة الإسلامية ISLAMIC REVELATION وكان عبد الله بن مسعود أول من جهر بتلاوة القرآن بالإسلام بمكة بعد رسول الله ﷺ وفي ضحى يوم ذهب إلى قريش في أنديتها فقال :بسم الله الرحمن الرحيم بصوت مرتفع وقرأة آيات من سورة الرحمن. فسألو ماذا يقول فقبل لهم أنهم يتلون بعض ما جاء به محمد فقاموا إليه وجعلوا يضربونه في وجهه حتى اشتد به الألم وقد أثروا على وجهه بالعديد من الإصابات فسأل دمه ورجع إلى أصحابه قالوا له (هذا الذي خشيناك عليك).

الدعوة لازالت في الخفاء والقليل القليل ممن آمنوا بمحمد ﷺ وأوذوا وأصيبوا وسالت منهم الدماء لأن الفئه الباغية ناصيتهم العدا، وبادرت كل قبيلة بتعذيب من فيها من المسلمين وأخذوا يحسبونهم ويضربونهم ويجوعونهم ويعطشونهم.

وكان أمية بن خلف يعذب بلال بن رباحه فيخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ثم يأمر بصخرة كبيرة فتوضع على صدره، وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه إذا حميت الظهره يعذبونهم فيمر عليهم رسول الله ﷺ فيقول (صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة) فأما أم ياسر فقد قتلوها وطعنها أبو جهل بحريته فقتلها ومات ياسر بسبب العذاب.

(المصالح لا اخلاق لها)

لقد إتبع قريش أحقر الأساليب وأقذر الأسلحة حتى قتلت النفس حتى تقضى على الدعوة الجديده لأن في إنتشارها قضاء على مصالح قريش وزعامتها الدينيه بين العرب ومما لا شك فيه أن ظلم ذوى القربى أشد مضاضه على المرء من ظلم غيرهم كما يقول القائل وذلك لأن الإنسان في موقعه معهم بين أمرين أحلاهما مر فإما أن ينتقع لنفسه فهم وهو بهذا يهدم بناء القرابه ويقطع حبل الرحم ويفقد بعداوته لهم درعا كان من حقها أن تدفع عنه الأذى وترد عنه الكيد والبعى أو يسكت على الأذى الذى يصيبه فيشتد وجعه ويزيد ألمه ومعظم الحروب التى كانت تراق فيها الدماء وتزهق فيها النفوس يرجع معظمها إلى حماية القرابه والدفاع عن العرض والإنحياز إلى جانب النسيب.

(1) ممن أسلموا علي يد أبو بكر.

وحين يقارن العقل بين أبي لهب وحمزه وكلاهما ابن عبد المطلب وكلاهما عم الرسول ﷺ فقد كان أبو لهب خصم لدود وعدو كاشح والآخر صديق حميم رءوف شفيق بأبن أخيه

(حمزه العم العطوف وأبو لهب العدو اللدود)

مر أبو جهل بمحمد ﷺ يوماً فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب والتضعيف لأمره فأعرض محمد ﷺ ولم يكلمه وكان عمه حمزه لا يزال على دين قريش وكان رجلاً قويا ذا ولع بالصيد- فلما رجع في ذلك اليوم علم بما أصاب ابن أخيه من أبي جهل فملأه الغضب وذهب إلى الكعبة ولم يقف مسلماً على احد ممن كان عندها كعادته ودخل المسجد وألقى أبا جهل فقصد اليه حتى إذا بلغه رفع القوس وضربه فشجه منكره واراد رجال من بنى مخزوم أن ينصروا أبو جهل فمنعهم حسماً للشر وإعترف أبو جهل أنه سب محمد ﷺ سبا قبيحا ، ثم أعلن حمزة إسلامه ووقفه الى جانب محمد ﷺ.

وكان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف وقوة أنبه تأنيباً وقال له (تركت دين أبيك لنسفن حلمك ولنضعن شرفك) وإن كان تاجراً حاربه حرباً إقتصاديه وقال له (لنكسدن تجارتك)- وإن كان الرجل ضعيفاً ضربه وأغرى السفهاء به يعذبونه واحيانا يقتلونه

(إسلام عمر قوة للإسلام)

* لما رأى محمد ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب وأنه لا يستطيع ان يمنعهم مما هم فيه من الشده حتى منهم من قتل صابراً ومنهم من جرح ومنهم من المت به شدة المعيشه قال محمد ﷺ لأصحابه (لو خرجتم إلى الحبشه فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه) فعند ذلك خرج بعض المؤمنين مهاجراً الى الحبشه وهرباً من الحرب الظالمه التي تشنها عليهم قريش.

خرجوا سرأ يتسللوا من مكة خفية ولما إستشعرت مكة بذلك خرجت على آثارهم تطاردهم وتبغى القضاء عليهم ولكن لم تدركهم قريش.

ونشرت قريشا جنودها وجواسيسها حول الكعبة وفي اسواق مكة حتى لا يتصل احد الغرباء بمحمد ﷺ وهددوا كل من تسول له نفسه من الغرباء أن يتصل بمحمد ﷺ بالطرد والتعذيب ومصادرة بضاعته ونهب تجارته، ويعني ذلك بلغة العصر الحديث (فوضى الإقامة الجبرية) علي محمد ﷺ وفتته المستضعفين من أتباعه قسراً وإجباراً- وتلك من أساليب الحرب حتى في العصر الحديث.

وهذه صورته من صور الإستبداد والإستقزاز والظلم.

لقد اخذت عمر الحمية لما فعله حمزه بأبي جهل وهو خال عمر لكنه لم يشأ حينئذ ان يواجه حمزه لما يعلمه من شجاعته وغضب كثير من أبناء عبد المطلب فأخذ سبيله إلى محمد ﷺ ليقضى على أصل الداء ويصل إلى ميكروب هذه العله ويقتل محمداً ﷺ

خرج عمر متوشحاً سلاحه يريد محمداً ﷺ وجماعته فلقية نعيم بن عبد الله وكان يخفى إسلامه فقال له إلى أين يا عمر؟ قال عمر أريد محمداً ﷺ هذا الصبي الذي فرق أمر قريش وسفه أصرافها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله.

فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك يا عمر - أتري بنى عبد مناف يتركونك تمشى على الارض لو قتلت محمداً ﷺ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم امرهم؟

قال عمر وأى أهل بيتي؟

قال نعيم ابن عمك سعيد وأختك فاطمه فقد أسلما والله- فرجع عمر الى بيت أخته فاطمه- فلما سمعوا حس عمر أخذت فاطمه الصحيفة التي كانوا يقرأون فيها فخبأتها ودخل عمر فقال ما هذه الهيمنة التي سمعت؟

لقد أخبرت أنكم إتبعتما محمداً على دينه- وبطش بسعيد وقامت فاطمه لتمنعه فضربها فجرحها فقالت له (لقد أسلمنا- فاصنع ما بدالك)

فلما رأى عمر ما بأخته من دم فارعوى وقال لها إعطيني الصحيفة التي سمعتم تقرأونها من قبل لأنظر ما هذا الذي جاء به محمد ﷺ فقالت له أنا نخشاك عليها- فقال عمر: لاتخافى وحلف ليردنها إليها إذا قرأها- فطمعت فى إسلامه فقالت له أنه لا يمسه إلا الطاهر- فقام عمر واغتسل وقرأ الصحيفة فأدركته الخشية وقال (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) وما ينبغى لمن قال هذا الكلام أن نعبد معه غيره.

عند ذلك ظهر خباب وقال يا عمر والله انى لأرجو أن يكون خصك الله بدعوة نبيه فانى سمعته يقول أمس (اللهم أيد الإسلام بعمر ابن الخطاب) فالله الله يا عمر.

* فأخذ عمر سيفه وتوشح به وقال: دلنى على محمد ﷺ حتى آتية وأسلم وكان محمد ﷺ فى دار الارقم بن بنى الأرقم مجتمعاً بمن معه من المسلمين.

فدق عمر عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من الصحابه فنظر من خلال الباب فراه متوشحاً سيفه ففزع.

فقال حمزه: فأذن له فان أراد خيراً بدلناه له وإن أراد شراً قتلناه بسيفه- فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف منها أهل البيت من الصحابه أن عمر قد أسلم.

فلما علمت قريش قالت (إنتصف القوم منا)

بعد أن أسلم عمر قال: (يا رسول الله ألسنا على الحق نمتنا وإن حيناً؟)

قال الرسول ﷺ: (بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم أو حبيتم)

قال عمر: فيم الخفاء يا رسول الله؟ علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟

فقال الرسول ﷺ: يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا- حتى حينما هاجر بعض المؤمنين بإذن من الرسول ﷺ الى الحبشه (إثنا عشر رجل وأربع نسوة) كان رحيلهم عن مكة تسلاً فى ظلمه الليل حتى لا تقطن قريش ولما فطنت قريش وخرجت على اثارهم يبيغون ردهم او حتى قتلهم، وكان ذلك تنفيذاً لحكم قريش على محمد ﷺ والمؤمنين بالغفامة الجبرية وهذه من صور الحرب الظالمة التي أعلنتها قريش من طرف واحد ضد عقيدة التوحيد فلم يلحقوا بهم ونجوا من الأسر والقسر.

(التعليق)

(١) طبع العرب فى الجاهليه على شئ الغارات والغزوات والقتال الدائم فيما بينهم- وكانت الأسباب لهذا الإقتتال أسباب مادية تتعلق بالإستكبار والثأر والسلب والنهب والصراع على مصادر المعيشه

(٢) ولأول مره يبدأ الصراع بين المؤمنين والمشركين بين التأمل وبين الجحود والتحجر (fossilization) . والعقل الانسانى فى التعبير بين ما هو خالدا دائم وما هو مؤقت زائل وذلك العقل البدوى المتحجر الجامد الذى لا يتزحزح عما هو قائم وتقولب فى عادات وتقاليد متوارثه.

(٣) إنه تحجر عن تقبل الفكر الآخر لذلك نخلص أن المؤمنين الواصل لاقوا الشدائد والأهوال للقبض على إيمانهم ضد الهجمه الشرسه التي قادتها قريش ضد عقيدتهم. والقائد كان على بينه من هذا الأمر فحينما آمن عمر بما لديه من مهابة وقوة بين قومه إزدادت قوة المؤمنين فكبر محمد ﷺ لأن ذلك سيعزز من فئة المؤمنين ويرفع من روحهم المعنوية لأن الإيمان بالله هو أصل الفضائل الإجتماعيه والأخلاقيه والإنسانيه جميعاً. فبدون هذا الإيمان يصيح الإنسان في الغالب حيوان تحكمه الشهوه ولا يرده الضمير .

(٤) فاجتمعت قريش على ما قاله الشاعر الغربي كوبر Copper (الجحود الاعمى يوقعنا فى الاخطاء ويجعلنا نبصر آيات ولكننا نكفر بها) .

ويقول بعض المؤرخين إن عمر مشى إلى المسجد يعلم من فيه أنه أسلم فقام إليه نفر منهم يقاتلونه ويقاثلهم فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ من أشرف قريش فخلى بين المقاتلين وقال ما هذا فقالوا صبأ عمر - فقال الرجل إختار لنفسه أمراً ماذا تريدون منه؟ أتريدون بنى عدى يسلمون لكم؟ قال الشيخ خلو عن الرجل.

(٥) وقال عمر جئت أبا جهل بعد ذلك فلما طرقت بابه فتح لى وقال مرحباً بأبن أخي ما جاء بك؟ فقال عمر جئت لأخبرك أنى قد أسلمت - وأمنت بمحمد ﷺ فضرب الباب فى وجهى، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به.

(٦) فكيف تغير موقف كل من الرجلين للآخر بدأ الأمر بثورة عمر من أجل خاله أبى جهل ثم كانت ثورته ضد أبى جهل ولم يستغرق التاريخ فيه قصة العدوان وإسلام حمزه وإسلام عمر أكثر من أسبوع.

إنضم أحد جنود الحق الأقويا إلى القائد الأعلى فقد كان عمر ذو شكيمة لا يرام وقد أثار إسلامه ضجة فى وسط المشركين وشعروا بالذلة والهوان وكفا المؤمنين عزةً وشرفاً.

* لاجدال فى أنها حرب (غير مشروع) بين المعتدى القوى القادر وبين الضعيف المعتدى عليه ومما يثير السخريه أن الفئتين المعتدى والمعتدى عليه كانا نوى القربى لكنها الحرب الغير مشروع بين الفئه الضاله الباغيه والفئه الضعيفه - وهذه هى اقصى انواع الحروب واشدها وطأه ويسمونها الحرب الاخلاقية (unscrupulous war)

(حرب غير أخلاقية)

(المسلمون تحت التعذيب والإقامة الجبرية)

(١) إن الإعتقاد بوجود الله لابد أن يقوم على الايمان ورغم أن هناك أنواع من الإيمان فإن الإيمان المقصود فى هذا المقام هو الإيمان البصير وليس الإيمان الأعمى.

(٢) لقد جاء محمد ﷺ بالدعوة إلى الإيمان ولأجل المحبه وكلها قائمة على أساس العقل والتفكير - فاذا كان التفكير هو أساس التقدم المادى فإنه فى الأساس وسيله للتقدم الروحى والأخلاقى.

ومنذ بدأت الدعوة السريه بدأت الحرب الغير شرعيه بين الماده الضاله الغير جديره بالثقه وبين الإنضباط والإنتظام فى خلق الله (الإيمان) وبين ما هو خالد مطلق وما هو مؤقت زائل .

(٤) منذ بدأت الرساله إشتعلت الحرب - بين المؤمنين بالله الواحد وهم أقل القليل وبين المشركين وهم أكثر الكثير - حرب غير عادله يتفوق فيها الظلم والباطل، إنها ثقافه الخطأ والإصرار عليه.

(٥) لجأ محمد ﷺ إلى الدعوة فى السر فى بداية رسالته واعتمدت القله من أصحابه على قوة الإيمان وصلابته التى إنتقلت إليهم من القائد فهانت حياة النفس فى سبيل هذا الإيمان.

(٦) سعى القائد ﷺ في صبر وحلم لتعزيز موقف أصحابه حتى إتبعه حمزة وعمر وحتى قالت قريش بعد إيمانها (إنتصف القوم منا).

(٧) أمر القائد بعض المؤمنين بالهجرة هرباً من بطش الكثرة الغالبة الغير مؤمنه، ومن تخفيف وطأة الحرب عليهم.

(٨) مرت ثلاث سنوات لم يجهر محمد ﷺ بالدعوة وكانت الدعوة مقصوره على الأفراد بعيدة عن المجمع والنوادي إلا أنها عرفت لدى قريش- وفشا ذكر الاسلام في مكه ولكن محمد ﷺ لم يتعرض لدين قريش ولم يتكلم عن آلهتهم ولذلك لم تهتم قريش بذلك في بادئ الأمر- وإعتبرت دعوة محمد ﷺ ظاهره يمكن إحتوائها بل والقضاء عليها فلم يكن سادة قريش اصحاب فكرة يعارضون بها الدعوة ولكن كانوا أصحاب سيادة موروثه وتقاليده لازمه لتحفظ هذه السيادة فقريش لها السيادة الدينيه في شبه الجزيرة العربيه وتستمد سلطتها من ذلك فمن يعيب مصدر هذه السلطه (الأوثان) فستجتمع عليه قرش وتقوم عليه قومه واحدة بهدف القضاء عليه وعلى أتباعه.

فإقتضت حكمة القائد وأخلاقياته في مرحله الدعوة في (السر) على الإبتعاد عن مصدر السلطه لأنه عرف أن السلطه تزال بالسلطه ولاغنى عن إخضاعها عن القوة وهو في بداية دعوته لا يملك القوة، فأثر أن تكون دعوته سرية.

(٩) معلوم ان المصادمه لو تعددت وطالت لأفضت إلى تدمير المؤمنين وإبادتهم عن آخرهم- فقد كانت حرب غليظه غير متكافئه فمن الحكمه السريه والإختفاء حرصاً علي حياة القلة من المسلمين فالتمسوا المسالمة والمهادنة والمصابرة على المكاره وتحمل العذاب يعينهم إيمانهم على ذلك أما القائد مجهر بالدعوة والعباده بين ظهراىي المشركين يمنهم عنه شرفه وحسبه ونسبه ولكنه كان يجتمع بالمؤمنين (سراً) وخفيه لأنه لا يرضى بأن تكون حياتهم عرضة للخطر تسيل الدماء القليله المؤمنه.

(ثانياً): المرحلة الثانية للحرب

(الدعوة جهاداً)

* تكونت سرا مجموعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون ونزل الوحي ليكلف محمد ﷺ بإعلان الدعوة ومجابهة الباطل بالحسنى فنزل قوله تعالى (وأذر عشيرتك الاقربين) (الشعراء الآية: ٣١٤) فدعى محمد ﷺ عشيرته بنى هاشم بعد نزول هذه الآية فجاءوا ومعهم نفر من بنى المطلب بن عبد مناف- فكانوا خمسة وأربعون رجلاً، فلما أراد أن يتكلم بادره أبو لهب وقال: (هؤلاء عمومتك وبنو عمومتك فتكلم ودع الصباة- وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقه وأنا أحق من أخذك محسبك بنو أبيك- وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم أن يثبت بك بطون قريش- وتمدهم العرب فما رأيت أحداً جاء على بنى أبيه بشر ما جئت به) فسكت محمد ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس.

* ثم دعاهم ثانية وقال (الحمد لله أحمدته وأستعينه وأؤمن به- وأتوكل عليه وأشهد أن الا الله الا الله وحده لا شريك له) ثم قال (إن الرائد لا يكذب أهله والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة والله لتموتن كما تتامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وإنما الجنة أبداً أو ناراً أبداً).

* فقال أبو طالب ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا نصيحتك واشد تصديقا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعين وإنما أنا أحدهم ولكنى أسرع منهم إلى ما تحب فأفض إلى ما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك- غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب.

* فقال أبو لهب (إن هذه والله السوءة- خذو على يديه قبل أن يأخذ غيركم)

فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا^(١).

* تأكد محمد ﷺ من تعهد عمه أبو طالب بحمايته ومنعه وتأكد من ناحية أخرى عدا عمه أبو لهب وبأنه لا يتوانى في الهجوم عليه ومحاربه فيما يدعو إليه.

* ولكن محمد ﷺ لم يتكلم إلا بعد أن سمع الهجوم الشرس حتى أن أبى لهب وصف الدعوه بأسوأ الشرور ولكن أخلاقيات الموقف وحلم محمد ﷺ وصبره وأدبه وحكمته منعه من الرد على الهجوم الشرس تأدباً مع عمه!.

* سعد محمد ﷺ وهو في الصفا حجراً اعلاها ثم هتف (يا صباحاه)

وهي كلمة إنذار تخبر عن هجوم جيش أو وقوع أمر عظيم فأسرع الناس إليه من بطون قريش وعلى رأسهم أبو لهب فلما اجتمعوا قال: (أرأيتم إن أخبرتم أن خيلاً بالوادي بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟).

قال الجميع: (نعم ما جربنا عليك كذبا قط وما جربنا عليك إلا صدقاً).

فقال (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد - إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يرياً أهله) فلما تم هذا الإنذار إنفض الناس وتفرقوا ولا يذكر عنهم أي ردة فعل سوى أن أبا لهب واجه محمد ﷺ بالسوء وقال (تبا لك سائر اليوم ألهدا جمعنا؟).

* وكانت هذه الصيحة العاليه هي غاية البلاغ - ووضح فيها أن عصبية القرابه التي عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار.

وصار محمد ﷺ يصلى بفناء الكعبه نهاراً جهاراً وعل رؤوس الأشهاد - وخافت قريش من إقتراب موسم الحج واتفق مجلسهم على أن يقولوا للناس الوافدين في موسم الحج - أن محمداً ﷺ ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفوقوا عنه بذلك^(٢).

* وجلسوا بسبل الناس حين قدموا لموسم الحج لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره^(٣) ولما فرغت قريش من الحج فكرت في أساليب تقضى بها على هذه الدعوة نسوق بعضاً منها:-

(١) السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك :

كان الغرض تخذيل اتباع محمد ﷺ وتوهين قواهم المعنويه واذا مر عليهم تغامزوا عليه وأكثروا من السخرية والاستهزاء به وبأصحابه وزادوا من الطعن والتضحيك عليه.

(٢) إثارة الشبهات وتكثيف الدعايات الكاذبه - وقالوا إن له شياطين وإن محمداً ﷺ مصاب بالجنون وإتهموه بأنه شاعر وشككوا في بعث الأموات ونشرها وحشرها يوم القيامة حتى أن قائلهم قال:

أموت ثم بعث ثم حشر حديث خرافة يا أم عمرو

ورغم أنه وأتباعه المؤمنون تصدوا للدفاع الإعلامي الكاذب ولكن أهل قريش كانوا متكبرين فزادوا في طغيانهم يعمهون، وإشتدت شراسة حربهم الظالمة التي أعلنوها ضد محمد ﷺ وأصحابه.

(٣) الحيلولة بين الناس وبين سماعهم للقرآن ومعارضته بأساطير الاولين

(١) الكامل لابن الأثير ١/٥٨٤ - ٥٨٥.

(٢) ابن هشام ١/٢٧١، وأخرجه البيهقي وابو نعيم في الدائل وغيرها.

(٣) ابن هشام ١/٢٧١.

كانوا يطردون المؤمنين ويثيرون الشغب والضوضاء ويتغنون ويلعبون اذا رأوه وأتباعه يتأهبون للصلاة- حتى ان (النضر بن الحارس) أحد شياطين وشعراء قريش إشتري قينته فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا إنطلق به إلى قينته فيقول إطعميه وإسقيه وغنيه هذا خير مما يدعوك اليه محمد ﷺ.

(قريش تمارس في حربها التعذيب وإزهاق الأنفس)

أولاً: الإعتداءات علي المسلمين

* كانت في البدايه تتزعم قريش الحرب الدعائيه وحرب المجادله للنيل من المؤمنين ووجدت قريش أن هذه الأساليب لم تحقق نفعا كبيراً- ولم تحقق ما يأملون فيه فقرروا أن يقوموا بتعذيب المؤمنين فأخذ كل رئيس يعذب كل من دان من قبيلته بالإسلام وأنقض كل سيد على من إختار من عبيده طريق الإيمان- فكان أبو جهل إذا سمع عن رجل أسلم له شرف ومنعه أبيه وأخزاه وأوعده بإبلاغ خساره الفادحه في المال والجاه وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به واشتدت حرب الاضطهاد ضد الرسول (ﷺ) وأتباعه من المؤمنين ونضرب بعض الأمثال عن هذه الحرب الشعواء، وحوادث إعتداء قريش علي المسلمين في غير هواده- حرب المادة ضد الفكر والعقل- حرب غير أدلة بين السلطة والحكمة وبين الغماء والبصيرة.

(١) لما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه منعه الطعام والشراب وأخرجته من بيته وكان من أنعم الناس عيشة فخشن جلده، وضعف عودة وذبل شبابه الغض وجف حنان أمه عليه في قسوة غير معهودة.

(٢) وكان أبو فكيهة وإسمه افلح- مولى لبنى عبد الدار من الأزد فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حر شديد وفي رجليه قيد من حديد فيجرونه من ثيابه ويطرحونه في الرمضاء ثم يضعون على ظهره صخرة كي لا يتحرك وكان يبقي على ذلك حتى لا يعقل وكانوا مره قد ربطوا رجليه بحبل ثم جروه والقوه في الرمضاء وخنقوه حتى ظنوا انه مات وهذا ما دفعهم إلي تركه.

(٣) وكان ضباب بن الأرت مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعيه- وكان حدادا- فلما أسلم عذبتة مولاته بالنار فكانت تأتي بالحديدة المحمأة فتجعلها على ظهره أو رأسه- وكان آخرون يلوون عنقه ويجذبون شعره وقد القوه في النار ثم سحبوه فما أطفأها الا ودك ظهره^(١).

(٤) وكانت زنيه أمة رومية قد أسلمت فعذبت وأصيبت في بصرها حتى عميت، وأسلمت أم عبيس جاريه لبنى زهرة فكان يعذبها مولاه عذابا شديدا حتى تمكث زمنا لا تستطيع النهوض.

(٥) وأوذى أبو بكر (رضي الله عنه) فقد أخذه نوفل ابن خويلد العدوى وأخذ معه طلحة ابن عبيد الله فشداهما في حبل واحد ليمنعهما عن الصلاة وعن الدين فلم يجيباه وراعه أن رأهما بعد ذلك مطلان يصليان لذلك سميا بالقرييين^(٢).

وهذا قليل من كثير من التعذيب والتكيل التي كانت تقوم به قريش ضد المؤمنين فكانوا يتصدون بالأذى وحتى إزهاق الأنفس بالنسبة لضعفاء المسلمين لقد أعلنتها قريش حرب شعوا على محمد (ﷺ) وعلى أصحابه حرب ظالمة.

(ثانياً) الإعتداءات علي محمد (ﷺ)

(١) رغم أن محمد ﷺ كان رجلاً شهماً وقوراً وكان في منعه أبو طالب وابو طالب من رجال مكة المعدودين وكان عظيماً في أصله معظما بين الناس فكان من الصعب أن يجسر أحد على إخفار ذمته وإستباحة بيضته واختاروا سبيل المفاوضات مع أبو طالب مع شئ من أسلوب التحدى والتهديد الخفى حتى يذعن لما يقولون .

(١) أسد الغابة ٢/٢٤٨.

(٢) ابن هشام ١/٣١٨، ٣١٩، وطبقات بن سعد ٨/٢٥٦.

(٢) فى بادئ الأمر قال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً وشدت قريش تهديدها لأبى طالب حتى من ضمن ما قالوه (أنا استهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا وأنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين).

(٣) وللمرة الثالثة ذهبت قريش إلى أبو طالب بعمارة ابن الوليد بن المغيرة وقالوا له: (يا أبا طالب إن هذا الفتى أفهد رزقتى فى قريش فخذة فلك عقله ونصره وإتخذه ولدا فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقلته فإنما هو رجل برجل رفض ما أقدمت إلا أن أبو طالب رفض ما أقدمت عليه قريش وفسلت المفاوضات وإختارت قريش سبيل الإعتداء على محمد ﷺ حتى تقضى عليه.

(ثانياً) الإعتداء على محمد ﷺ

(١) كان أبو لهب قد زوج ولديه عتبه وعتيبة بنتى محمد ﷺ رقية وأم كلثوم قبل البعثة فلما كانت البعثة أمرها بتطليقها بعنف وشدة حتى طلقاهما^(١).

(٢) وكان أبو لهب يجول خلف محمد ﷺ فى موسم الحج والأسواق لتكذيبه وتسقيه ما يقول وقدروي طارق بن عبد الله المحاربي ما يفيد أنه كان لا يقتصر على التكذيب بل كان يضربه بالحجر حتى يدمى عقباه^(٢).

(٣) وكانت إمراة ابو جهل أم جميل أروى بنت حرب بن اميه- تحمل الشوك وتضعه فى طريق محمد ﷺ وتطيل عليه الأفتراء والدس وتؤجج عليه نار الفتنة وقالت يوما تعبر عن حقدتها وعدائها:

(مذمما عصينا. وأمره أبينا. ودينه قلينا.)

(٤) كان النفر الذى تمادى فى الأذى أبا لهب والحكم بن أبى العاص بن أميه وعقبه ابن أبى معييض وعدى بن حمراء الثقفى وكانوا جيرانه فى السكن فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاه وهو يصلى وكان آخر يطرحها فى برمته إذا نصبت له- فيقف محمد ﷺ على باب بيته ثم يقول (يا بنى عبد مناف أى جوار هذا؟) ثم يلقيه بعيداً^(٣).

(٥) وروى البخارى عن عبد الله بن مسعود كان محمد ﷺ يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحابه له جلوس اذ قال بعضهم لبعض- أياكم يجئ بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فإنبعث أشقى القوم (عقبه ابن أبى معييض)^(٤) فجاأ به وإنتظر حتى سجد النبى ﷺ ووضه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر- ولا أغنى عنه شيئاً ولو كانت لى منعه.

قال فجعلو يضحكون ويميل بعضهم على بعض ومحمد ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمه فطرحته عنه.

(٦) ولقد أرادت قريش قتل محمد ﷺ فيما رواه ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حضرتهم وقد إجتمعوا فى الحجر فذكروها محمداً فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل فلقد صبرنا على أمر عظيم- بينما هم كذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأخذ يمشى حتى استلم الركن ثم هم ليطوف بالبيت فغمزوه من بعض القول- فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ فلما مر بهم الثانية غمزوه- فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ فلما مر بهم الثالثة فغمزوا به بمثلها فوقف ثم قال (أستمعون يا معشر قريش- أما الذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح) فأخذت القوم كلمته حتى أن أشدهم فيه ليرفؤه بأحس ما يجد ويقول إنصرف يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

(١) ابن هشام ١/٦٥٢.

(٢) كنز الأعمال ١٢/٤٤٩.

(٣) ابن هشام ١/٤١٦.

(٤) صحيح البخاري ١/٥٤٣.

فلما كان الغد إجتمعوا كذلك يذكرون أمره - إذ طلع عليهم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به فلقد رأيت رجلا فيهم خذ بمجمع رداءه - وقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول

(أقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟)

(٧) **عزم أبو جهل على قتل محمد ﷺ**

بعد إيمان حمزة وعمر وهم قوة لا يستهان بها غيرت قريش من تفكيرها وإختارت أسلوب المساومات وتقديم الرغائب وبدأوا في التفاوض مع محمد ﷺ فلما فشلوا في ذلك هددوه أشد التهديد وقالوا (أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلكنا).
وإنصرف محمد ﷺ إلى أهله حزينا أسفاً لما فاته ما طمع من قوة أن يؤمنوا بالله الواحد.

(٨) ولما إنصرف عنهم خاطبهم أبو جهل في كبريا فقال (يا معشر قريش أن محمداً قد أبى ألا ترون من عيب ديننا وشمم آلهتنا وسفه أخلاقنا وشمم آبائنا - وإنى أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته ففتحت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو إمامعوني فليصبح بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم).

قالوا والله لا نسلمك لشيء أبد فأمض لما تريد، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدوا - فقام يصلى وقد غدت قريش فجلسوا في أنديةهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل - فلما سجد رسول الله ﷺ إحتمل أبو جهل الحجر وذهب نحوه حتى إذا دنى منه رجع منهزماً ممتعاً لونه مرعباً قد بيست يده حتى قذف الحجر من يديه وقامت له رجال قريش فقالوا له ما لك يا أبا الحكم؟

قال قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الإبل لا والله مثل ما رأيت هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني.

(٩) ولما فشلت قريش في مفاوضاتهم المبنيه على الإغراء والترغيب والتهديد والترهيب وخاب أبو جهل فيما قصده من قتل محمد ﷺ رغبوا فيما بينهم في الوصول الى حل حصيف بنقذ زعامتهم ومكانتهم بين سائر العرب، وفشلت المساومات والتنازلات بين طرفي الصراع ففريق طرف القوي والمعتدي والذي يملك القوة المادية والبأس الشديد والطرف الثاني - هم المسلمون - الطرف الأضعف والمعتدي عليه، ولكن هذا الطرف كان يرفع المعني والقيمة ويتعزز بالإيمان واليقين، وكان هذا الإيمان يتعزز كل يوم بعناصر جديدة من المؤمنين تتضم إليه فتزيد من قوة الطرف الضعيف وتتسلخ عن الطرف القوي.

١٠ - ضاقت بقريش السبل حتي أنهم ذهبوا إلي أحبار اليهود يستفتونهم فزود اليهود رسل قريش بثلاث أحاجي صعبة وغامضة حتي إذا فشل رسول الله ﷺ في الإجابة إنغض أصحابه من حوله وسقطت حجته وبرهانه فيضعف شأنه ولكن القائد المؤمن أجاب علي هذه الأحاجي بالأفحام والإقناع وإنصر.

(١١) لقد مارس المشركون مختلف الوسائل متتفكين من طور إلي طور ومن دور إلي دور فمن شدة إلي لين ومن لين إلي شدة ومن جدال إلي مساومة ومن مساومة إلي جوال ومن تهديد إلي ترغيب ومن ترغيب إلي تهديد فكانت القوة الباطشة تثور ثم تخور وتجادل ثم تجامل وتنازل ثم تتنازل وتتوعد ثم ترغب، فكانت قريش تتقدم وتتأخر لا يعز لها قرار ولا يعجبهم الفرار وكان غرضهم الرئيسي إحباط دعوة الإيمان ولم شفت الكفر.

(١٢) ولكنه بعد بذل كل الجهود وإختبار كل الحيل عادوا خائبين رغم كثرتهم وتفوقهم ولم يبق أمامهم إلا السيف والسيف لا يزيد الفرقة إلا شدة ولا ينتج إلا عن تناحر يستأصل الشافه وسقط بينهم كل تدبير وهان عليهم كل تبريري حتي أن قريشا رجعت إلي أبي طالب، تطالب بتسليم محمد ﷺ لهم ليقتلوه ورأي حوله الشواهد في تحركات قريش وتصرفاتها أنهم يريدون قتله وإخفار ذمته، فهذا السيف المشروع هو الحل في فهمهم، فلما وجد أبو طالب عزم وإجماع القوم علي القتل جمع أبو طالب

بني هاشم وبني المطلب ودعاهم إلي القيام بحفظ محمد ﷺ فأجابوه إلي ذلك كلهم مسلمهم وكافرهم حمية للجوار القبلي وتعاقدا وتعاهدوا عليه في الكعبة إلا ما كان من أخيه أبي لهب فإنه فارقهم وإنضم إلي حزب الأعداء حزب قريش.

التعليق

تجاوز محمد ﷺ المأزق الشديدة والمكائد العنيفة والأذى الكبير لأنه وأتباعه كانوا أكثر صدقاً وإيماناً وعفافاً وقابلوا السيئة بالحسنة والقهر بالتأسي وعززوا عزيمتهم بالصبر ومكارم الأخلاق

الحرب الإقتصادية

- نفذت بقريش الجبل ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين علي حفظ محمد ﷺ وهذه طبائع العرب وعاداتهم ومثار فخرهم وإعتزازهم فقد أجاروا إنبا عزيزاً عندهم فتحالفت قريش علي بني هاشم وبني المطلب إلا يناكحهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتي يسلموا إليهم محمد ﷺ ليقتلوه فيستريحوا.
- وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (إلا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رافة حتي يسلموا محمداً ﷺ للقتل) وقد تم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة فإنحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، إلا أبا لهب وحبسوا في شعب أبي طالب، وذلك فيما يقال ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة وقد قيل غير ذلك.

ثلاثة أعوام تحت الحصار الإقتصادي:

- إشدت الحصار وقطعت قريش عنهم المسيرة والمادة فلم تترك قريش طعاماً يدخل مكة ولا بيعاً غلا بادروه فأشتروه حتي بلغ المؤمنين وغيرهم في شعب مكة الجهد الشديد والتجأوا إلي أكل الأوراق والجلود ولدرجة تنفطر لها القلوب وكان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً.
- وكانوا لا يخرجون من الشعب لأشتراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العيد التي ترد مكة من خارجها ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتي لا يستطيعون شراءها.

إستمرار التهديد

كان أبو طالب يخاف علي ابن أخيه من القتل فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر محمد ﷺ أن يضطجع علي فراشه حتي ير ذلك من أراد إغتياله فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فإضطجع علي فراش محمد ﷺ وأمره أن يأتي بعد فرشهم، وعزم قريش علي قتل القائد مستمر وقد لجأت قريش إلي السيف بعد فشلها في المجادلة بالحق.

نقض صحيفة الميثاق والعودة للتفاوض:

- مر ما يقارب الثلاثة أعوام وقريش بين راض بهذا الميثاق وكاره له فسعي في نقض الصحيفة من كان كارها لها، وتلاومت أطراف من قريش فقال البعض للبعض الآخر أرضيت أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وأخوالك بحيث تعلم؟ فرد الآخر ويحك فما أصنع وأنا رجل واحد؟ وفي الكعبة قال أحد الرافضين الظلم قريش يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكي لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتي تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

- وجاء أبو طال يجلس في ناحية المسجد وأخبر القوم أن ابن أخيه قد قال أن الله أرسل علي الصحيفة الأرضه فأكلت جميع ما فيها من جوز وقطيعة وظلم إلا نكر الله عز وجل، وقال أبو طالب إن كان ابن أخي كاذباً خلىنا بينكم وبينه وإن كان صادقاً رجعت عن قطيعتنا وظلمنا، قالت قريش: قد أنصفت^(١)، وقام واحد من قريش إلي الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد ألكتها إلا بإسك اللهم وما كان فيها من إسم الله فإنها لم تأكله، فتم نقض الصحيفة وخرج الرسول ﷺ ومن معه من حرب التجويع الظالمة سالمين وتوقفت دونهم هذه الحرب الجائرة.

آخر المفاوضات:

- خرج القائد وتابعوه من المؤمنين من الشعب وجعل يدعو ويعمل علي شاكلته فيكسب المزيد من المؤمنين وقريش وإن كانوا قد تركوا القطيعة لكنهم لم يزالوا عاملين علي شاكلتهم من الضغط والجور ولا إيذاء فلهم اليد الطولي في هذا الصراع، وأما أبو طالب مهم رغم تقدمه في السن لا يزال يحوط ابن أخيه يمنعه عن قريش، وقد جاوز أبو طالب الثمانين وإشتد عليه المرض فخافت قريش سوء سمعتهم فيا لعرب إن أتوا بعد وفاته بمنكر علي ابن أخيه.
- فحاولوا مرة أخرى أن يفاوضوا محمد ﷺ بين يديه ويعطوا بعض ما لم يرضوا إعطائه قبل ذلك، خاصة أن حمزة وعمر قد إنضموا إلي حزب المؤمنين وقشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فإنطلقوا إلي أبي طالب وقالوا له: لقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك خادعه فخذله منا وخذلنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه.
- وفشلت المفاوضات فقالوا ريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك لعجيب ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون فإنطلقوا وأمضوا علي دين آباءكم حتي يحكم الله بينكم وبينه وتفرقوا^(٢).

التعليق

- (١) توفي أبو طالب العم الذي كان يحوط القائد وجنوده المؤمنين بالمنع وكأنه الحصن الشديد ضد بأس قريش وبعد ذلك بزمن قصير توفيت السيدة خديجة (رضي الله عنها) زوجة القائد وسنده وعونه منذ بعث فكانت إلي جواره تحن عليه ساعة قلقة وتؤازره في أحواله وأوقاته وتعينه في دعوته وتشاركه في مغارم الجهاد ضد بأس القوة المتفوقة عدداً وعدة وتواسعه بنفسها ومالها.
- (٢) وكانت هاتان مصيبتان عظيمتان أصابتا الرسول ﷺ في موجع كبير وتجرات القوة الكبيرة الظالمة بعد ما أصاب القائد من نكسه.
- (٣) فتجروا عليه وكاشفوه بالنكال والأذي بعد موت أبي طالب فإزداد غماً علي غم حتي يئس منهم من أن يصدوا عنه بالحسني فخرج إلي الطائف علي أمل أن يستجيبوا لدعوته أو يؤوده وينصروه علي قومه الظالمين الأقياء فلم يدمن يؤوي ولم ير ناصرأ بل آذوه أشد الأذي ونالوا من القائد ما لم ينله قومه، وفي مكة إعترضه أحد سفهاء قريش فتعثر علي رأسه تراباً فدخل بيته والتراب علي رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ومحمد ﷺ يقول لها (لا تبكي يابتيه فإن الله مانع أباك)، قال يويقول بين ذلك (مانالت مني قريش شيئاً الرهة حتي مات أبو طالب)^(٣).

(١) ملخص تفاصيل المقاطعة عن ابن هشام ٣٥٠/١، ٣٥١، ٣٧٤، ٣٧٧ وغيرها.

(٢) ابن هشام ٤١٧/١ - ٤١٩ والترمذي ٣٤١/٥ وابن جريري في تفسيره.

(٣) ابن هشام ٤١٦/١.

(٤) وإشتدت وطأة قريش علي أصحابه حتي التجأ رفيقه أبو بكر (رضي الله عنه) إلي الهجرة عن مكة فخرج حتي بلغ برك الغمام يريد الحبشة فأرجعه ابن الدغنة في جواره^(١).

في فترة الدعوة العلنية

- (١) أصبح يوجد قوتين متصارعين قوة قريش ولها قاعدة عريضة وإسعد وجنود كثيرون من أهل الوثنية ويملكون القوة والجاه والمال، وقوة إقتناع بازغة تتراوح مكانها ضعيفة قليلة الحول والطول.
- (٢) صار النزاع في العلن والعداء يتزايد والصدام فيما بينهما لاريب آت فالقوة الغاشمة تعتدي وتبتطش وتتكلم ولا تتورع عن سفك الدماء بل تسعي إليه والطرفي الضعيف من الصراع يصبر ويصابر ولا يعتدي حتي بالكلمة علي الطرف الظالم إلا أنه أنه يدعوهم إلي الإسلام بالحسني.
- (٣) أنواع كثيرة من الحرب تمارسها الفئة المقتدرة الباغية، ضد الفئة الضعيفة واللفنة الأولى وسائلها الغليظة القاهرة، فمن فرض الإقامة الجبرية ومن حصار إقتصادي ومن إيذاء باللسان ومن إستخدام لأدوات الفتك حتي الدعوة إلي القتل والإفناء.
- (٤) والفئة الضعيفة ثابتة صابرة علي هذا الإضطهاد والقسر، فقد إعتنقت الإيمان الجازم الذي إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الحيال ولا يطيش وقائد الفئة الضعيفة جذر في قلوب أصحاب حلوة الإيمان فصار لديهم اليقين فيرون متاعب الدنيا مهما كثرت وكبرة وإشتدت، لا تزيد عن طحالب عائمة فوق سيل جارف جاء ليكسر السدود المنيعة ويزيل القلاع الحصينة.
- (٥) تعلمت الفئة الضعيفة أن لا تبالي بشئ بشئ مما تلاقيه من المتاعب والمصاعب لأن ذلك ل يداني جزءاً قليلاً من حلوة وطراوة وبشاشة الإيمان الذي عمرت به قلوبهم وكان هو الإيمان بالحق فأستعذبوا العذاب في سبيله.

قيادة تهوي إليها أفئدة الجنود

قائد الفئة الضعيفة له من جمال الخلق وكمال النفس ومكارم الأخلاق والشيم البذيلة والشمائل الكريمة بما يجذب إليه القلوب وتتفاني دونه النفوس فهوت إليه النفوس والقلوب لأنه كان مثال العفة والأمانة والصدق وحل بين جنده محل الروح والنفس وشغل منهم مكان القلب والعين فكان حبه المصادق يندفع إليه إندفاع الماء إلي الحدود وكان من أثر هذا الحب والتفاني أنهم كانوا ليرضون أن تتدق أعناقهم ولا يחדش له ظفر أو يشارك شوكة وفي ذلك نضرب الأمثال:

- (١) وطئ أبو بكر بن أبي قحافة يوماً بمكة وكان من شرفاء ووجهاء مكة فضرب ضرباً شديداً دنامنه عتبه بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصومين ويحرفهما لوجهه ونزل علي بطن أبي بكر حتي ما يعرف وجهة من أنفه وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتي أدخلوه منزله ولا يشكون في موته فتلك آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ فمسوا منه بأسلنتهم وعزلوه وقالوا لأمه أم الخير: أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به الحت عليه ولكنه جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ وأخذ يكرر هذا القول وجاءت أم جميل فوجدت أبا بكر صريعاً دنفاً فدنت منه أم جميل وأعلنت باصياح وقالت: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر وإني لأرجو أن ينتقم الل لك منهم، ولكنه قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت هذه أمكن تسمع قال: فلا شئ عليك منها قالت سالم صالح فقال أين هو؟ قالت: هذه أمكن تسمع قال: فلا شئ عليك منها قالت سالم صالح فقال أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم فقال: فإن الله علي إلا أ وق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلنا حتي إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتابه يتكى عليهما حتي أدخلتاه علي رسول الله ﷺ.

عقيدة حقوق الله وحقوق البشر

(١) صحيح البخاري ٥٥٢/١، ٥٥٣ وابن هشام ٢٧٣/١ - ٢٧٤.

علم القائد محمد ﷺ جنده أن الحقوق التي أعطاها الله للإنسان لا يستطيع أن يستردها سواء أما الحقوق التي يعطيها الإنسان لأخيه الإنسان فليس من العسير إنكارها أو إستردادها فإذا لم تكن حقوقنا الثابتة صادرة عن المصدر والأعظم عن الخالق فمن الجهل والحماقية أن نظم أن للبشر حقوقاً لا يستطيع إنسان أن يتغافلها أو ينكرها، وعلي ذلك فإنه ليس للإنسان الحقو أن يدعي أن له قيمة داخلية أو كرامة أو حقوقاً أو واجباتنا أو مسئولياتنا إلا بوصفه مخلوقاً من مخلوقات الله، فإذا لم يكن لدي الناس قيم داخلية فأني تكون لهم حرية إختبار مطلقة تتبع من النفس أو واجب مطلق، لقد تعلم الجند المسؤولية التي لا يمكن عنها الحياد والإنحراف بحال فالعواقب التي تترتب علي الفرار عن تحملها أشد وخامة وأكبر ضرراً عما هم فيه من الإضطهاد.

ثقافة الإستقامة والإنضباط:

القائد يعلم جنوده الفكرة التي مفادها أن الإنسان المستقيم لا بد أن يحقق نجاحاً والعلاقة بين الأشياء والأشخاص جدية بالإنضباط والانتظام والثبات والبقاء والإستمرارية فتعلموا أن الإيمان هو ما يضيفه الله علي الطبيعة من إتساق (regularity) وأن ذلك يتجلي بشكل واضح أكثر ما يكون في الإرادة الإنسانية (human will) أما الفئة الباغية الكبيرة فإيمانها بأن الأشياء شاردة ضالة وغير جدية بالثقة وكانوا يفكرون في الطبيعة بإعتبارها لا تتسم بالإستمرار ومن هنا كان تركيزهم شديداً علي الحاجة للإستمرار في شئون البشر لأن درايتهم قليلة بإنضباط الطبيعة وإتساقها وقوانينها، فتعلم الجنود من القائد هذه الأخلاقيات وهذا المعتقد فأضاف لهم قوة علي ضعفهم وعزماً علي إرادتهم.

زرع بذور اليقين بالبيشارة والإنتصار

أخلاقيات ما جاء به القرآن الكريم وما علمه القائد لجنوده المؤمنين ثبت في قلوبهم فعرفوا منذ أول يوم لا قواقيه الشدة والإضطهاد وأن الإيمان يهدف إلي القضاء علي الجاهلية الأرض والديار فكانت إشارات واضحة إلي فشل أهل مكة في المستقبل ونجاح المسلمين وظفرهم في نهاية المطاف، وحينما كانت الحرب مشتتة بين الفرس والرومان، وكانت قريش يحبون غلبة الفرس لكونهم مشتركين مثلهم والمؤمنون يحبون غلبة الرومان لكونهم مؤمنين مثلهم وكانت الفرس يغلبون ويتقدمون، أنزل الله بشارة يغلبه الروم في بضع سنين ولم يقتصر علي هذه البشارة الواحدة بل صرح ببيشارة أخرى وهي نصر الله للمؤمنين حيث قال: **(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) (سورة الروم).**

أخلاقيات روحية تحقق النصر

المعلم القائد يغذي أرواح جنوده برغائب الإيمان ويزكي نفوسهم بتعلم الحكمة والقرآن، ويربيهم تربية دقيقة عميقة فيحدو بنفوسهم إلي منازل سمو الروح ونقاء القلب وإستقامة الخلق والتمرر من سلطان الماديات ويبث فيهم مقاومة الشهوات والسيطرة علي النفس وبذل حجرة قلوبهم ويأخذهم بالصبر علي الأذي والصفح الجميل فإزداد الجنود تقانياً في سبيل المرضاة وحرصاً علي العلم وقهراً للنزعات وغلبة علي العوظف وزود القائد حنبه المؤمنين بسلاح يستعطي علي ما هو أقوى وبقوة لا تخبو ولا تلتين فهذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية كما أن وراءها توجيهاً وتديباً خارج دائرة الإنسان إنها بداية مقدسة وتوجيه مقدس وتديب إلهي محكم وتخفيق النصر لاريب آت مهما كان الطريق إليه شاقاً ومكلفاً.

(العداء خارج مكة)

(١) الصراع قائم ومستمر بين قريش و المؤمنين ، و الصراع (conflict) حالة من العداء الشديد و المستمر يلتهب في فترة و قد يصل إلي قتل الأنفس و يخف حيناً آخر و يأخذ أشكال العداء صفات و ألوان إقتصادية وإجتماعية وإعلامية ثم يشتد مرة أخرى ليصل إلي سفك الدماء. ولا ينتهي الصراع عادة إلا بتغلب إرادة فئة علي إرادة الفئة الأخرى.

(٢) في شوال سنة عشرة من النبوة خرج محمد ﷺ إلي الطائف يدعو إلي الإسلام فلم يجب إليه واحدة من القبائل و مكث في الطائف عشرة أيام يدعو للإيمان إلا انه لم يجد إلا الصدود و الرفض و قالو له أخرج من بلادنا منكبين عليه ما جاء به إليهم وأغروا سفاءهم فلما أراد الخروج من الطائف وقفوا له سماطين (أي صفيين).

(٣) وجعلوا يرمونه بالحجارة و يقذفونه بكلمات السفه و رجموا عراقبيه حتى اختضب نعله بالدماء والمسافة بين مكة والطائف (٧٠) سبعون ميلا أو يزيد و ذهب إليها ماشيا و عاد منها ماشيا وعندما خير محمد ﷺ بين أن ينال القوم خيرا أو شرا بعد ما أظهروا عداؤهم للسافر و أسألوا دماءه قال : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله عز و جل و حده لا يشرك به شيئا) (١).

(٤) وفي هذا الجواب تتجلي شخصية محمد ﷺ وما كان عليه من الخلق العظيم والأخلاق النبيلة التي لا تنزع للجور و الظلم بل للتسامح والغفران. وزال الحزن واليأس والكآبة التي كانت مطبقة عليه منذ أن خرج من الطائف مطرودا مدحورا. وذلك بعد أن نزلت عليه آيات مبشرات (ورآنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا) (الجن آية: ١٢).

(٥) وإذا دنا من مكة مكث زكراء و بعث رجلا إلي المطعم بن عدي لكي يجبره بعد أن طلب من عدد آخر أن يجبروه فلم يستجيبوا.

فقبل مطعم وبعث إلي محمد ﷺ أن يدخل مكة و قيل أن أبا جهل سال مطعما: أمجبر أنت أم متابع؟ قال: (بل مجير) قال: قد أجرنا من أجرت) (٢)، وتبدو قسوة حرب قريش محمد ﷺ لا يستطيع العودة إلي بيته في مكة إلا بعد أن يجد من يجيره، وإلا تعرض للقتل.

(٦) و في موسم الحج أخذ محمد ﷺ يدعو القبائل إليه و أن يؤووه و ينصروه حتى يبلغ ما بعثه الله به وبدأ دعوته للقبائل في السنة العاشرة من البعثة. ورفضت قبائل (بنو كلب) و(بنو حنيفة) و(بني عامر بن صعصعة) وكما عرض محمد ﷺ الإسلام علي القبائل عرض علي الأفراد ومنهم سويد بن الصامت و إياس بن معاذ و ابو ذر الغفاري و طفيل بن عمرو الدوسي وضمام الأزدية وهم أشرف في قبائلهم، فمنهم من قبل و منهم من رفض.

(الخروج ليلاً (للإستخفاء) لدعوة القبائل إلي الإسلام)

(٧) وكان من حكمة محمد ﷺ إزاء ما يلقي من أهل مكة من التكذيب و العنف و الصد عن الإيمان انه كان يخرج إلي القبائل في ظلام الليل حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين فيمنعونه ويؤذونه. وخرج ليلة ومعه أبو بكر وعلي فمر علي منازل ذهل وشيبان بن ثعلبة وعمد إلي ستة نفر من شباب يثرب كلهم من الخزرج و كانوا من عقلاء يثرب و كانت الحرب بين الأوس والخزرج قد أنهكتهم. ولا زال لهيها مستعرا فأملوا أن تكون دعوته سببا لوضع حد للحرب ورجعوا إلي المدينة يحملون دعوة الإسلام.

بيعة العقبة الأولى

(٨) نجح محمد ﷺ في موسم الحج سنة ١١ من النبوة في دعوة ستة أفراد من أهل يثرب إلي الإيمان فإستجابوا ووعدوه بإبلاغ رسالته في قومهم . ومن جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي موسم الحج سنة ١٢ من النبوة إثنا عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الذين كانوا التقوا بمحمد (ﷺ) في العام السابق/ النبي هؤلاء بمحمد (ﷺ) فبايعوه وبعد أن تمت البيعة وإنتهى الموسم

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر ١٩٥/١.

(٢) ابن هشام ١/ ٣٨١، وازاد المعاد ٤٦/٢، ٤٧.

بعث محمد ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير للمسلمين في يثرب وهو (مصعب ابن عمير العبدري) وقبل حلول موسم الحج التالي أي حج السنة الثالثة عشرة عاد السفير إلي مكة يحمل إلي محمد ﷺ) بشائر الفوز ويزف إليه دلائل النجاح ويقص عليه خبر قبائل يثرب وما فيها من حسن القبول للإسلام وما فيها من قوة ومنعة^(١).

بيعة العقبة الثانية

(٩) يسعى الرسول ﷺ لتبليغ الرسالة ونشر دين الإسلام فهو الرسول المكلف بحمل الأمانة وكثيرون صموا أذانهم وناصبوه العداة بل حاولوا وأد الدعوة في مهدها ولجأوا إلي عدة محاولات لقتله. و قتلوا نفرا من أصحابه المؤمنين وهو قائد الفئة القليلة والضعيفة. فعليه أن يسعى بأقصى جهد لتقوية فئه القليلة وزيادة عدد المؤمنين بالله الواحد.

(١٠) في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج بضع و سبعون نفسا من المسلمين من أهل يثرب و جاءوا ضمن حجاج قومهم من المشركين فلما قدموا مكة جرت بينهم و بين محمد ﷺ اتصالات سرية أدت إلي إتفاق الفريقين علي أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من مني وأن يتم الإجتماع في سرية تامة في ظلام الليل خوفاً من بطش قريش وجاء إليهم محمد ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ علي دين قومه إلا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه و يتوثق له^(٢). بدأت المحادثات لإبرام التحالف العسكري وكان أول المتكلمين العباس عم محمد ﷺ.

فقال: إن محمدا منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو علي مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قوة و منعة في بلده. وأنه قد أبي إلا الإنحياز إليكم وللحاق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون إنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعه من قومه في بلده، وقال كعب أحد زعماء الخزرج^(٣)، فقلنا له: لقد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت^(٤)، وهذا الجواب من وفد الخزرج يدل علي ما كانوا عليه من عزم وتصميم وشجاعة مؤمنة وإخلاص كامل في تحمل المسؤولية العظيمة وتحمل عواقبها الخطيرة البالغة من الآتي:

أولاً: ما يترتب علي البيعة من مسؤولية:

لما إجتمعوا للبيعة قال العباس بن عباد بن نضلة: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال: إنكم تبايعونه علي حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فمن الآين فهو والله إن فعلتم جزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه علي نهكه الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة وتمت البيعة بالمصافحة وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الواقعة فكانت قولاً- ما صافح محمد ﷺ) امرأة أجنبيه قط.

التعليق

- (١) بهذه البيعة تم التحالف بين المسلمين في مكة والأنصار في يثرب ضد عداة وهجمات قريش.
- (٢) مما قال عباد بن نضلة لقومه توضيح لمخاطر العداة مع قريش وأنها الحرب الشاملة ضدهم بعد تحالفهم مع محمد ﷺ وأصحابه، فهي الحرب علي الأحمر والأسود.

(١) ابن هشام ٤٣٥/١ - ٤٣٨، وزاد المعاد ٥١/٢.

(٢) ابن هشام ٤٤٠/١ - ٤٤١.

(٣) كان العرب يسمون الأنصار خزرجاً.

(٤) ابن هشام ٤٤١، ٤٤٢.

بنود البيعة

روي الإمام احمد عن جابر مفصلاً. قال جابر : قلنا يا رسول الله ، علام نبايعك ؟

قال: علي السمع و الطاعة في النشاط و الكسل و علي النفقة في العسر و اليسر و علي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و علي أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم علي أن تتصروني إذا قدمت إليكم ، و تمنعوني من أنفسكم و أزواجكم ولكم الجنة^(١).

أثر البيعة على المسلمين

- (١) أتضح استعداد القوم للتضحية في هذا السبيل. وجديتهم وصدق عزمهم وذلك فيه تدعيم لموقف المسلمين.
- (٢) بعد أن تمت البيعة طلب الرسول ﷺ أن يختاروا اثني عشر نقيباً يكونون كفلاء علي قومهم يكفلون المسؤولية عنهم في تنفيذ هذه البيعة فأخذ عليهم الرسول ﷺ ميثاقاً آخر بصفتهم رؤساء مسئولين وقال لهم (أنتم علي قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسي ابن مريم. وأنا كفيل علي قومي).

قالوا: نعم

- وظهر حرص الرسول ﷺ، الكبير لأخذ الميثاق وتأكيد عليه. فذلك موقف فاصل و حاسم بشأنه وشان المسلمين كافة.
- (٣) الشواهد تثير بعض الشك لدي الرسول ﷺ وأصحابه فأراد تثبيت الإتفاق بما لا يدع مجالاً للشك فأخذ ميثاقاً آخر علي النقباء الأثني عشر (تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس) وكان صدق الأنصار حاسماً حتى إنهم أبدوا إستعدادهم لقتال قريش مباشرة، وقد زاد ذلك من ثقة المسلمين في أنفسهم وقدرتهم.

(إحتجاج قريش والمطاردة)

- (١) إكتشف واحد من نفر قريش المعاهدة بين يثرب ومحمد ﷺ وتم الإكتشاف في آخر لحظة متعذر علي قريش مباغته المجتمعين وهم في الشعب.
- (٢) ساور القلق والأحزان قريش لأنهم كانوا يعرفون معرفة تامة بعواقب وخطورة هذه البيعة علي ميزان الصراع بين قريش ومحمد ﷺ فأسرع وفد من الزعماء والأكابر للإحتجاج الشديد إلا أن مشركوا الخزرج لم يكن يعلمون شيئاً فنقوا ذلك وأكدوا لقريش أن ما سمعوه بأكمل.
- (٣) وصدق زعماء قريش نفي المشركين بيثرب فرجعوا إلي مكة وهم علي شبه تعين من كذب هذا الخبر.
- (٤) جعلت قريش تنتطس حتي تأكد لديهم الخبر فسارع فرسانهم بمطاردة اليثريين فرأوا إثنين من يثرب أثناء عودتهم بعد الحج، ونجحوا في القبض علي واحد منهم وهرب الآخر فربطوا يديه إلي عنقه بتسع رحلة وجعلوا يضربونه ويجرونه حتي أدخلوه مكة.
- (٥) ولكن أطلقوه لأنه كان يجبر قوافل قريش المارة بيثرب إلا أن العداء بين قريش ويثرب ظهر في العلن وأخذ كل طرف يعيد حساباته الحربية الإقتصادية.

(تقييم الموقف الحربي)

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن ٣/٣٢٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٩.

- (١) فرضت قريش حظراً علي الخروج من مكة لفئة المؤمنين للحد من حرية تحركهم وللدعوة لكسب مزيد من المسلمين. حتى إن الرسول ﷺ خرج في ظلمة الليل متخفياً إلي الطائف ليدعوا إلي الإسلام خارج مكة فطرد و جرح و لم يستطع دخول مكة عند عودته إلا بعد أن أجبر فدون ذلك سيقع عليه الأذى وقد يتعرض للقتل.
- (٢) لم ييأس الرسول ﷺ فذهب يدعو إلي دين الله الواحد في موسم الحج يدعو القبائل و الأفراد و لم يملكه اليأس ويقعده الإحباط حتى نجح في عقد محالفة مع اليثرييين بدأها في العقبة الأولى وأكمل في العقبة الثانية.
- (٣) الرسول ﷺ في تفكير وتدبير لزيادة عدد المؤمنين وبذلك يزداد أتباعه من الفئة القليلة- قوة- فزيادة عدد الجنود في فئة المؤمنين زيادة للقدرة وإضافة من الدعم المباشر لمجابهة الفئة الكبيرة و كان سلاحه هو الدعوة بالحسنى والموعظة الحسنة والوعد بالجنة.
- (٤) تمت بيعة العقبة الكبرى في جو تعلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين جماعات المسلمين وتعززه الثقة والشجاعة في هذا السبيل.
- (٥) صار المسلم من أهل يثرب يحنو علي أخيه المستضعف في مكة ويتعصب له ويغضب فمن يعاديه وتجيش في خباياه الود لهذا الأخ الذي أحبه بالغيب في ذات الله.
- (٦) كسب المسلمون ملاذاً آمناً يمكنهم من الهجرة إليه بعيداً عن عسف وشطط مكة وبعيداً عن القوم الظالمين.
- (٧) الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة والدعوة الطيبة بموعظة التوحيد تفوقت بلا جدال علي أسلحة الإذلال والزرع والوعيد التي كانت تمارسها مكة وبهذه الأخلاقيات كسب المسلمون مؤمنون جديداً ومقرأً جديداً. يستقبلهم بالمحبة ويزكيهم بقوة الإيمان.
- (٨) تعد بيعة العقبة إنتصاراً لمحمد ﷺ وأتباعه فبالحسنى إنضم إليه أتباع جدد لديهم الإصرار علي نصرته و الذود عنه وعن أصحابه بالسيف إن لزم الامر.
- (٩) ذكانت بيعة العقبة هزيمة لقريش. (الإيمان ضد السيف والعدل ضد الظلم) حتي حينما تنبهدت قريش لهذه الهزيمة سارعت الي مطاردة الانصار الجدد للقضاء عليهم ولكن لم يلحقوا بهم.

الهجرة ضرورة للدفاع

- بعد هجرة الحبشة الأولى والثانية و بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية. ونجح الإسلام في تأسيس موقع له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة. ويعد ذلك كسب يحققه محمد ﷺ وأصحابه منذ بداية الدعوة فأذن محمد ﷺ للمسلمين بالهجرة إلي المدينة حيث المكان الذي فيه الأمن والعافية والمنعة بعيداً عن القوم الكافرين.
 - ولم يكن هذا القرار سهلاً ولا هيناً. علي محمد ﷺ وعلي أتباعه المؤمنين. فالهجرة تعني إهدار مصالحتهم في مكة والتضحية بأموالهم وبيوتهم. والنجاح في الهجرة هو النجاة بالنفس فحسب. وحتى هذه النفس معرضة للهلاك في أوائل الطريق أو نهايتها. يتم مطارتها بفرسان قريش لمنعهم ولو بالقضاء عليهم إنها الحرب ضدهم.
 - أوضح محمد ﷺ خطته ووضع جميع المحاذير والعواقب. وفهم جنده المؤمنين بأنهم سيتركون كل ما يملكون تحت رحمة الأعداء ويفرون فرادي ليواجهوا المجهول فلا يدري المهاجر حكم الصعوبات والعوائق التي ستواجهه. ويشعر في قرارة نفسه بالخطر المحقق به من خلفه ومن أمامه ولنضرب الأمثال ففيها البرهان والدليل علي قسوة المخاطر:
- (١) كان أبو سلمة من أول المهاجرين هاجر قبل العقبة الكبرى بسنة فمنعوا عنه زوجته وتجادبوا فيما بينهم ابنه الغلام فملخوا يده وذهبوا به وتركوه وحده فنجأ بنفسه وبدنيه دفاعاً عن هذا الدين ونصرة له.

- (٢) وهاجر صهيب الرومي فوقف دونه فئة قريش وقالوا له أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثير مالك عندنا وبلغت الذي بلغت فترك لهم كل أمواله نظير إخلاء سبيله في الهجرة.
- (٣) إكتشف واحد من أفراد قريش المعاهدة بين يثرب ومحمد ﷺ وتم الاكتشاف في آخر لحظة فتعذر علي قريش مباغته المجتمعين وهم في الشعب رغم قيام مجموعة من فرسانهم بالمطاردة للقبض عليهم.
- (٤) ساور القلق والأحزان قريش لأنهم كانوا يعرفون معرفة تامة بعواقب وخطورة هذه البيعة علي ميزان الصراع بين قريش ومحمد ﷺ فأسرع لمقابلة زعماء يثرب للتأكد مما تم إلا أن مشركوا الخزرج لم يكونوا يعلمون شيئا فنفوا ذلك وأكدوا لقريش إن ما سمعوه باطل.
- (٥) تواعد عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص موضعا إسمه التناضب فوق سرف ثم يصيحون عنده ثم يهاجرون إلي المدينة وقدم أبو جبل وأخوه الحارث إلي عياش وأم الثلاثة واحدة وهي أسماء بنت مخدبة وناشدوا عياش بأمه فأبي عياش إلا الخروج معهما براتقسم أمه وفي الطريق أوتقاه وربطاه و دخلا به مكة نهارا جهاراً موثقا و قالوا: (يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا تسفيهننا) (١).
- (٦) الطاعة والانتظام صفة أساسية في فئة المؤمنين. وعلمهم الرسول ﷺ أن النصر لهم آت لا يرب فيه فخرجوا ارتالا و تبع بعضهم بعضا بعيدا عن أعين الرقابة و خفية في الظلام حتى أن بعد شهرين وبضعة أيام من بيعة العقبة الثانية لم يبق في مكة من المسلمين إلا محمد ﷺ وأبو بكر وعلي (٢) فقد أقاما بأمر القائد لحكمة لديه بقي أيضا بعض من احتبسه المشركون كرها وأخذ الرسول ﷺ يجهز عدته ويرتب أمره في سرية تامة حتى يؤمر بالخروج وأعد أبو بكر جهازه للهجرة فحبس أبو بكر نفسه علي الرسول ﷺ ليصحبه (٣).
- (٧) بقي هشام وعياش في قيد الكفار حتى إذا هاجر الرسول ﷺ قال يوما (من لي بعياش وهشام؟) فقال الوليد ابن الوليد (أنا لك يا رسول الله بهما فقدم الوليد مكة متخفياً)، ولقي امرأة تحمل إليهما طعاما فتبعها حتى عرف موضعها وكانا محبوسين في بيت لا سقف له فلما أمس تسور الجدار وقطع قيدهما وحملهما علي بعيه حتى قدم المدينة.

قريش تدرس الخطة المقابلة

- (١) رأت قريش أن أصحاب محمد ﷺ قد خرجوا إلي يثرب، أصابتهم الكآبة والحزن وندموا علي غفلتهم وساورهم القلق والههم بشكل غير مسبوق فاجتمعوا يتدارسون الخطر الكبير الذي اخذ يهدد كيانهم الديني والإقتصادي واجتمعوا في دار الندوة (برلمان قريش).
- (٢) فلم يكن يغيب علي قريش ما في شخصية محمد ﷺ من قوة التأثير وحكمة القيادة وما في أصحابه من العصمة والإستقامة والفاء في سبيل القائد الذي تهوي إليه نفوسهم.
- (٣) ثم يحسبون ما في قبائل الاوس و الخزرج من القوة والمنعة وما عند عقلاء هاتين القبيلتين من عواطف السلم والصلاح والتداعي إلي نبذ الأحقاد وكانوا يعرفون ما ليثرب.

(١) صحيح البخاري ١/ ٥٥٨.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٥٢.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٥٥٣.

من الموقع الحاكم بالنسبة إلي رحلات التجارة التي تمر بساحل البحر الأحمر من اليمن إلي الشام وبالعكس وقد كان أهل مكة يتاجرون إلي الشام بقدر ربح مليون دينار ذهب سنويا ومعلوم إن نجاح هذه التجارة مرهون بإستقرار الأمن علي هذا الطريق. فهو الشريان الإقتصادي الرئيسي وسيطرة محمد وأتباعه عليه ضربة قاتلة بالنسبة لهم.

الهجرة إلي المدينة ضربة موجعة لقريش

(١) وجه الرسول ﷺ ضربة قوية إلي قريش فكد أن يختل توازن قادتها فلقد نجح المسلمون في الهجرة إلي المدينة و بذلك نجحوا في تأسيس وطن في منطقة حاکمة وقابضة علي طريق التجارة الرئيسي لقريش - مصدر ثروتهم ومصدر قوتهم - وأصبح مهدد وتحت سيطرة حلفاء المسلمين وفي ذلك تعزيز لقوة المسلمين.

(٢) وتفوق محمد ﷺ في منطقته و في بلاغته علي حكماهم و غلبته علي قلوب الرجال بما يأتي به. هذه الضربة الموجهة لقريش تمت دون أن تراق فيها قطرة من دماء المؤمنين - ولو أنهم فقدوا أموالهم و بيوتهم فذلك موكول لاستعادته في الأيام المقبلة.

خطة برلمان العدو للقضاء علي الرسول ﷺ:

(١) وافق المجتمعون علي إقتراح أبو جهل فقد قال: (نأخذ من كل قبيلة فتي شابا جلدأ نسبيا فينا - ثم نعطي كل فتي منهم سيفا صارما - ثم يعمدون إليه (يقصد محمد ﷺ) فيضربوه ضربة رجل واحد فنقله - فنستريح منه - فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بني عبد مناف علي حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل واحد، ففعلناه لهم).

(٢) كانت الخطة سرية للغاية ولم تطهر قريش ما يحالف من مظاهرها ويغايير العادات السارية حتى يشتم أحد من أصحاب الرسول ﷺ رائحة التآمر ولا يدور في خلد أحد ما يتم تدبيره لقتل الرسول ﷺ وإتفقوا علي المكر والكتمان حتى تنجح خطتهم.

(٣) أبرم محمد ﷺ مع أبي بكر خطة الهجرة - و كان ذلك في بيت أبي بكر ثم رجع إلي بيته ينتظر مجيء الليل - و قد استمر الرسول ﷺ ورفيقه في أعمالهما اليومية المعتادة حتى لا يشعر احد بأنه يستعد للهجرة من مكة لتعمية المتآمرين فقد وصله الخبر لحتاط.

(٤) في حين أن فئة قريش كانت علي ثقة و يقين جازم من نجاح مكيدتهم و قتل محمد ﷺ .

(٥) قدم الرسول ﷺ إلي بيت أبي بكر فخرج من خوخة في دار أبي بكر ليلا حتى لحقوا بغار ثور في إتجاه اليمن^(١) - ولما كان محمد ﷺ يعلم أن قريشا ستجد في طلبه للقضاء عليه الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالا .

(٦) سلك الرسول ﷺ الطريق الذي يضاده تماما - و قيل انه ﷺ كان يمشي في الطريق علي أطراف القدمين كي يخفي أثره جفيت قدماه و أصابها الألم و في الغار و ضع رأسه في حجر أبي بكر و نام فلدغ أبي بكر في رجله من الحجر و لم يتحرك مخافة أن ينتبه محمد ﷺ فسقطت دموعه علي وجه محمد ﷺ فقال (مالك يا أبا بكر؟)

قال: لدغت فداك أبي وأمي^(٢).

(٧) وكمننا في الغار ثلاثة ليالٍ، ليلة الجمعة، ليلة السبت وليلة الأحد^(٣) وكان عبد الله ابن أبي بكر يبني عنهما وهو غلام شاب فبدلج من عندهم بسحر فيصبح من قريش بمكة فلا يسمع أمرا يكادان يكتادانه يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

(١) ابن هشام ٤٨٣/١، وزاد المعاد ٥٢/٢.

(٢) مشكاة المصابيح باب مناقب أبو بكر ٥٨٦/٢.

(٣) فتح الباري ٣٣٦/٧.

- (٨) وكان عامر ابن فهيرة يتبع بغنمه في أثر عبد الله ابن أبي بكر بعد ذهابه إلي مكة ليحفي آثار أقدامه عن عين قريش.
- (٩) وجن جنون قريش حينما تأكدا لديها إفلات محمد ﷺ من الذبح- فضربوا عليا صحبوه إلي الكعبة وحبسوه ساعة عليهم يظفرون بخبريهما^(١) ولما لم يحصلوا من علي علي جدوى جاءوا إلي بيت أبي بكر فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر.

فقالوا: لها أين أبوك؟

قالت: لا ادري و الله أين أبي؟

فلطم أبو جهل خدها لكمة طرح منها قرطها^(٢).

خطة قريش العاجلة

قررت قريش في جلسة مستعجلة إستخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض علي الرسول ﷺ و أبو بكر (رضي الله عنه) فعمدت إلي تنفيذ خطتها الجديدة:-

- (١) وضعت جميع الطرق النافذة من مكة (في جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة
- (٢) رصدت مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدوهما إلي قريش حيين أو ميتين كائنا من كان.
- (٣) أرسلت الفرسان و المشاة قصاصي الأثر في طلبتهما دون جدوى.
- (٤) وحين خمدت نار الطلب و توقفت أعمال دوريات التفتيش وهدأت ثائرات قريش بعد استمرار المطاردة ثلاثة أيام دون جدوى تهيأ محمد ﷺ وصاحبه للخروج إلي المدينة يتابعون طريقهم.

نجاح الهجرة إلي المدينة

- (١) إستأجر عبد الله بن أريقط أليثي و كان ماهرا بالطريق و كان علي دين قريش وأمناه علي أن يكون دليليهما- وعندما جاءهم عبد الله بن أريقط بالراحتين، وقرب أبو بكر الراحلة الأفضل إلي محمد ﷺ ولكنه رفض إلا بدفع الثمن.
- (٢) أتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهم ونسيت أن تجعل لهما عصاما- فلما إرتحلا ذهبت لتعلق السفارة- فإذا ليس لها عصام- فشقت نطاقها باتنين فعلقت السفارة بواحد و انتطقت بالأخر فسميت بذات النطاقين.
- (٣) أول ما سلك بعد الخروج من الغار أمعنا اكسير في اتجاه الجنوب نحو اليمن ثم إتجها غرباً نحو الساحل حتي اذا وصلا إلي طريق لم يألفه الناس إتجها شمالا علي مقربة من شاطئ البحر وسلكا طريقا لم يكن يسلكه أحد إلا نادرا.
- (٤) وكانت المدينة كلها قد زحفت لإستقبال محمد ﷺ وكان يوما مشهودا لم تشهد المدينة مثله في تاريخها وقد راي اليهود صدق بشارة حبقوق النبي (إن الله جاء من التيماء، والقدوس من جبال فاران).
- (٥) ومكث علي ابن أبي طالب بمكة ثلاثا حتى أدي عن الرسول ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ثم هاجر ماشيا علي قدميه حتى لحقهما بقباء و نزل علي كلثوم بن الهدم وإنتهي بذلك الفترة المكية في السيرة النبوية.

(١) صحبح البخاري ١/٥٥٣، ٥٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٧٤.

التقييم

- ١) أمر الرسول ﷺ بالهجرة إلي الحبشة لأن أتباعه- كانوا فئة قليلة و كان بطش العدو بهم شديداً- والتتكيل عنيف ومستمر حتى إزهاق الأنفس- فالمحافظة علي البعض من المؤمنين ولو كان بالهجرة كان قرارا (إنسانياً) وعسكرياً.
- ٢) مكث علي بن أبي طالب في مكة ليرد الأمانات والودائع التي كانت عند الرسول ﷺ لأصحابها من المشركين وغيرهم فيضرب بذلك المثل و القدوة في الأخلاقيات الرفيعة حتى وإن كان الصراع ملتهبا والأعداء يريدون القضاء عليه وعلى أصحابه. وقرش تقود حرباً لا هواءه للتكيل بالمسلمين وإبعاد أتباعه المؤمنين عن دينهم.
- ٣) رفض الرسول ﷺ ركوب الناقة التي عرضها عليه أبو بكر إلا بعد دفع ثمنها إليه وهي أخلاقيات العدل والإنصاف.
- ٤) قرر الرسول ﷺ إتباع طريق معاكس لناحية فسلك في إتجاه اليمين- ثم اتخذ طريقاً غير مطروقة ولا مألوفة لمرور العرب فيها زيادة في تعظيم الأمر وإخفائه عن أعدائه فقرش تطلب محمد ﷺ وصاحبه حيين أو ميتين للقضاء على الدعوة الجديدة.
- ٥) مشي النبي ﷺ علي أطراف قدميه كي يخفي أثره فحفيت قدماه و تورمت و أصابها ألم شديد حتى لجأ أبو بكر (رضي الله عنه) إلي حمله حين بلغ الجبل و طفق يشد به حتى انتهى إلي غار ثور كل ذلك لتضليل فرسان قرش و إخفاء الأثر.
- ٦) رصدت قرش مائة بعير جائزة لمن يأتي بمحمد ﷺ ورفيقه حيين أو ميتين. فجد العديد من قصاصي الأثر يبغونها حتى يغنما الجائزة.
- ٧) كان عبد الله ابن أبي بكر يبيت معهما قالت عائشة {وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قرش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكيدان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام }
- ٨) كان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه إثر عبد الله ابن أبي بكر بعد ذهابه إلي مكة ليحفي عليه. و ذلك للتضليل والتعمية لقصاص الأثر لقرش.

تأسيس الدولة الجديدة

- ١) أذن الرسول ﷺ بالهجرة و لم يكن معني الهجرة الفرار من الظلم و القهر ولكن كان يعني المحافظة علي حياة القلة من أتباعه المؤمنين- فليس أمامهم في مكة سوي الهلاك بعد استفحال شدة الحرب الغير مشروعة التي أعلنتها عليهم قرش. فالصراع كان بين كفتين غير متعادلتين وقوتين غير متكافئتين. ولن يصيب الضعفاء بمضي الوقت إلا زيادة القتل فيهم وتدمير معاشهم وهلاك حياتهم- وبذلك يخسرون.
- ٢) ومن ناحية أخرى كانت الهجرة تعني تعاوننا علي إقامة مجتمع جديد في بلد امن ومع حلفاء أقوياء ولذلك أصبح فرضا علي كل مسلم يقدر علي الهجرة أن يهاجر ويسهم في بناء المجتمع الجديد في المدينة (الدولة الجديدة).

طبيعة المجتمع الجديد في يثرب

عندما وصل محمد (ﷺ) كان أهل المدينة أربعة أقوام يختلف أحوال كل قوم منهم بالنسبة إلي الآخر إختلافاً واضحاً و تتنوع المسائل العديدة لكل فئة غير المسائل التي كان يواجهها الآخر و هذه الفئات الأربعة هي:-

١) المؤمنون حقاً والصادقون في إسلامهم.

٢) المشركون الذين لم يؤمنوا بعد.

٣) اليهود و قبائلهم عديدة في المدينة و حول المدينة.

٤) المنافقون و يظهرون غير ما يبطنون.

الفئة الأولى:

أما بالنسبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا إلي المدينة (المهاجرون) فقد. قابلوا ظروفًا تختلف تمامًا عن الظروف في مكة حتى إن عائشة قالت (وقدمنا المدينة و هي أوبأ ارض الله فكان بطحان يجري نجلا- أي مساء .

وقالت: (لما قدم رسول ﷺ المدينة وعك أبو بكر و بلال فدخلت عليهما فقلت يا أبة كيف تجدك ؟ و يا بلال كيف تجدك

قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمي

يقول: كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله.

وأشد الوباء وعم البلاء في المدينة حتى قال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها، وبارك في صاعها ومدّها وأنقل حماها ما جعلها بالجحفة) (١) .

- ولم يكن للمهاجرين ملجأ يأوون إليه و لا عمل يكسبون به ما يسد حاجتهم و لا مال يبلغون به قواما من العيش
- وكان يزيد عددهم يوما بعد يوم فتزعزع ميزان المدينة الاقتصادية في حين قامت القوات المعادية (قريش) بشبه مقاطعة إقتصادية فقلت لأجلها المستوردات و تفاقمت الإحتياجات وعز الكثير منها وارتفع ثمنها.
- والفريق الثاني من المؤمنين كانوا من الأنصار فهم في أرضهم وديارهم وأموالهم لا يهتم من ذلك ما يهتم الرجل وهو آمن في سرية وكان بينهم تنافر مستحکم وعداء مزمن. منذ الحرب الطويلة الفتاكة بين (الايوس والخزرج) **والفئة الثانية** هم مشركون حجم قبائل المدينة - وكان منهم من تتابته بعض الشكوك ولكن لا يبطن العداوة والكيد ضد المسلمين وكانوا واضحين في شركهم و يعرفهم الأنصار والمهاجرون.

الفئة الثالثة:

اليهود وكانوا يحتقرون العرب إحتقارا بالغا وكانوا يرون أن أموال العرب مباحة لهم في أيديهم تجارة الحبوب والتمر والخمر والثياب- وكانوا أصحاب دسائس ومؤامرات وعتو وفساد في الأرض وكان منهم في المدينة ثلاثة قبائل مشهورة:

(١) بنو قينقاع- وكانوا حلفاء الخزرج وديارهم داخل المدينة.

(٢) بنو النضير- و كانوا حلفاء الخزرج و ديارهم في ضواحي المدينة.

(٣) بنو قريظة- وكانوا حلفاء الاوس وديارهم بضواحي المدينة.

وكان اليهود لهم حساباتهم منذ عرفوا أن دعوة الإسلام تحاول الإستقرار في المدينة ولذلك كانوا يبطنون أشد العداوة للمسلمين حتى قال للنبي احد أبحارهم (عبد الله بن سلام) بعد إسلامه (إن اليهود قوم بهت فإذا علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني)

الفئة الرابعة

كان المنافقون أشد عداوة من المشركين فلا يجدون مجالا يكيّدون فيه للرسول ﷺ وأصحابه إلا وأعلنوا فيه وعلي رأسهم زعيمهم (عبد الله بن أبي سلول)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١١٩/٤ ح (١٨٨٩).

- (١) هذه أحوال الفئات داخل المدينة عندما قدم إليها الرسول ﷺ وأصحابه.
- (٢) وهي فئات مختلفة المصالح متنوعة الرغبات وكثير منهم تتعارض أهدافهم ويبلغ لديهم الإختلاف مبلغه.

الفئات حول المدينة

- أما من ناحية الخارج فكان يحيط بالمدينة أقوام تدين بما تدين به قريش
- وكانت قريش ألد عدو علي الإسلام والمسلمين - فعندما كان المسلمون في مكة شنّت قريش عليهم حرباً مضنية مع دعاية واسعة منظمة ومارست أساليب الإرهاب والتهديد والمضايقة والتعذيب والمقاطعة التجويع وإذاعتهم التكتيلات والويلات.
- وحينما هاجر المسلمون إلي المدينة لم يسلموا من أذى قريش و حلفاءها فلم تتوقف حرب قريش ضد المسلمين بعد الهجرة فصادرت قريش أرضهم وديارهم وأموالهم وحالت بينهم وبين أزواجهم وذرياتهم وحبست وعذبت وقتلت من قدرت عليه وتآمرت علي الفتك بصاحب الدعوة ﷺ عدة مرات وفشلت.

الدور العسكري لقريش بعد الهجرة للمدينة

- كانت قريش تمثل الزعامة الدينية للعرب والنفوذ والثروة في شبه الجزيرة العربية فأخذت تغرى غيرها من القبائل للتحالف معها في الحرب ضد المسلمين.
- فتبعها قوم كثير حتى صارت المدينة محفوفة بالأخطار الخارجية فالقبائل المتحالفة مع قريش في كل ناحية حول المدينة وخضع المدينة لمقاطعه شديدة قلت لأجل ذلك المستوردات وشحت الاحتياجات اللازمة للإعاشة وارتفعت أسعارها.
- وبذلك كانت (حالة الحرب) قائمة بين قريش وحلفاءها وبين المسلمين في وطنهم الجديد. فالحرب مستمرة وملتهبة ولم تخف حذنها ولم تتوقف- والتحريض علي أشده وحصار الوطن الجديد يكاد يغتال أهله اقتصاديا ومعيشيا.

أخلاقيات الحرب في المجتمع الجديد

الرسول ﷺ تصدى لهذه المشكلات المعقدة في المجتمع الجديد بأسلوب أخلاقي غاية في سمو الإنساني ونسوق القرائن كما يلي:

- (١) رفض الرسول ﷺ مصادرة أموال المشركين في المدينة ومصالح قريش بها و كان في استطاعة المسلمين أن يعاملوا المشركين بمثل ما عاملوهم به في مكة وحالة الحرب قائمة وفي صورها المختلفة وحالة العداء تشتد وكان للمسلمين الحق كل الحق ولا تثريب عليهم إن نجوا للمثل وعاملوا المشركين في المدينة بمثل ما عاملوهم به من قبل في مكة.
- (٢) قام رسول الله ﷺ ببناء مسجد وإختار له المكان التي بركت فيه ناقته ﷺ فاشتره من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وأسهم في بنائه بنفسه فكان ينقل بيديه مواد البناء مع أصحابه- فلم يصادر ما يملكه الغير وشارك بيديه في البناء فكانت أخلاق الرأفة والرحمة والتعاون وكان يقول أثناء البناء:-

(اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاعفر للأنصار و المهاجرة)

- (٣) جعل المسجد مركزا للتجمع والتآلف- وعمل علي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار (في دار انس ابن مالك)، ورغم مشارب الفئات الشديدة الإختلاف في المدينة إلا أن الرسول (ﷺ) نجح في إقامة مجتمع (التعايش السلمي) في الدولة الجديدة.
- (٤) فأخي بينهم علي المواساة و يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام فلما أنزل الله عز و جل (وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) (٧٥ الأنفال)

رد التوارث إلي الرحم .دون عقد الإخوة- ومعني هذا الإخاء أن تذوب عصبية الجاهلية وتسقط فوارق النسب واللون والوطن وقد إقترحت عواطف الإيثار والمؤانسة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الإخوة و حقا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة حكيمة، وحلا رشيدا لتضييق هوة الإختلاف بين الفئات وإزالة أسباب المشاكل فيما بينهم،ويشدد الترابط والتراحم ويزدادون قوة في مواجهة وشدة الحرب التي تمارسها عليهم قريش.

(٥) وضع الرسول ﷺ ميثاق التحالف الإسلامي للمجتمع الجديد - فأشتمل علي أخلاقيات راقية في حقوق الإنسان- فقد قضى هذا الميثاق القضاء المبرم علي ما في النفوس بين الأوس والخزرج من بقايا حرب شرسة استمرت طويلا ولا زالت مرارتها قائمة فيما بينهم. فجنحوا للسلم والمحبة و الإخوة- وتعاونوا في إرساء قواعد مجتمع جديد والرسول ﷺ يتعهد القوم بالتعليم والتربية وتركية النفوس والحث علي مكارم الأخلاق ويؤدبهم بأداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة- بعد سنين من القتل والنهب والتدمير والعداء والاغارات.

(٦) أشتمل هذا الميثاق الأخلاقي علي ستة عشر صفة أخلاقية بين المتخاصمين والمتنازعين لفض ما بينهم من عداوة وإزالة ما في نفوسهم من بغضاء وكان ﷺ: يقول (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجة ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه يوم القيامة ومن ستر مسلم ستره الله يوم القيامة).

(٧) بعد أن أسس قواعد مجتمع جديد بإقامة الوحدة الأساسية والنظامية بين المسلمين من المهاجرين و الأنصار واتجه لتنظيم العلاقات بغير المسلمين بغرض توفير الأمن والسلام والسعادة والخير . فكانت أخلاقيات السماح والتجاوز في ذلك المجتمع الملئ بالتعصب والأغراض الفردية والعرقية والمصالح المتنافرة. فرفع أخلاقيات السلام والمحبة رغم إستمرارية الصراع والحرب بزعامة قريش.

(٨) إتجه الرسول ﷺ إلي اقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين وهم اليهود فعقد معاهدة قرر لهم فيها النصح والخير وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال ولم يتجه إلي سياسة الإبعاد أو المصادرة أو الخصام.

(٩) تكونت بنود المعاهدة مع اليهود علي اثنتا عشر بندا أخلاقيا في حقوق الإنسان نذكرها فيما بعد و رغم إن المسلمين يعلمون ما يبطنه اليهود لهم من عداوة و لكن لا يظهرون إلا أن بنود هذه الأخلاقيات الإنسانية تصلح لكل زمان ومكان ولذلك تذكرها:

(١) إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم وكذلك لغير بني عوف من اليهود.

(٢) وإن علي اليهود نفقتهم وعلي المسلمين نفقتهم.

(٣) وإن بينهم النصر علي من حارب أهل هذه الصحيفة.

(٤) وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

(٥) وإنه لم يأثم أمرؤ بحليفه.

(٦) وإن النصر للمظلوم.

(٧) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

(٨) وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

(٩) وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو يخاف فساده فإن مرده إلي الله عز وجل وإلي محمد رسول الله ﷺ.

(١٠) وإنه لا تجار قريش ولا من يضرها.

(١١) وإن بينهم النصر من دهم يثرب علي كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

(١٢) وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم^(١).

(٩) وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية، وعاصمتها المدينة ولتوسيع منطقة الأمن والسلام عاهد محمد ﷺ قبائل أخري بمثل هذه المعاهدة.

(١٠) وكما نري فإن أخلاقيات الحرب التي إتبعها الرسول ﷺ هي أرقى أخلاقيات حقوق الإنسان حتي في العصر الحديث.

إستفزازات قريش المستمرة.

(١) نشأت دولة جديدة ومجتمع جديد وعاصمة هذه الدولة المدينة التي تبعد عن مكة (مركز القوة العظمي في المنطقة في هذا الوقت)، خمسمائة كيلو متراً فلا زال الحقد يكمن في عقول قريش علي المسلمين والغیظ يدهمهم بعد أن وجد المؤمنون مأمناً ومستقراً لهم في المدينة بعيداً عن أذاهم وبغيهم الشديد، فكتبوا إلي عبد الله بن أبي بن سلول، وكان إذ ذاك مشركاً بعنقته رئيس الأنصار قبل الهجرة وقد كادوا يجعلونه ملكاً عليهم فكتب قريش إليه في المدينة يقولون فيه:

(إنكم أويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لنخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتي نقتل مقاتلتكم ونستبيح نسائكم)^(٢).

فرما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من لامشركين والمنافقين إجتمعوا لقتال الرسول ﷺ فلما بلغ الرسول ﷺ ذلك فقال (لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، وما كانت تكيدكم بأكثر ما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم) فلما سمعوا ذلك تفرقوا^(٣).

(٢) إمتنع عبد الله بن أبي بن سلول عن القتال إذ ذاك لما رأي خوراً أو رشداً في أصحابه ولكن يبدو من تصرفاته أنه كان متواطئياً مع قريش فكان لا يجد فرصة إلا وينتهزها لإيقاع الشر بين المسلمين والمشركين وكان يضم معه اليهود ليعينوه علي ذلك ولكن أخلاقيات القائد، ونزعتة للسلم التي أعلنها في المعاهدة كانت تسمو فوق ذلك وتطفئ نار شرهم ونزعتهم العدوانية حيناً بعد حين.

(٣) عندما إنطلق سعد بن معاذ من الأنصار معتمداً منزل علي أمية بن خلف بمكة فخرج ليطوف بالبيت فلقبها أبو جهل فقال:

ياأبا صفوان من هذا معك؟ فقا: هذا سعد، فقال له أبو جهل: إلا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تتصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلي أهلك سالماً، فقال له سعد، ورفع صوته عليه؛ أما والله فنغني هذا لأمنك ما هو أشد عليك منه: طريقك علي أهل المدينة^(٤) وهذا فيه البيان عن الإستفزاز والعداء والصراع بين قريش وفئة المؤمنين بالمدينة.

(٤) وقد تأكد لدي رسول الله ﷺ من مكائد قريش وإصرارها علي الشر والحرب ما كان لأجله لا يبيت إلا ساهراً أو ي حرس من الصحابة ولم تكن هذه الحراسة مختلصة ببعض الليالي بل كان ذلك أمراض مستمراً ولم يكن الخطر مقتصرراً علي رسول الله ﷺ وهو القائد بل كان يحرق بالمسلمين كافة، فقد روي أبي بن كعب، قال:

(لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة واوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا بالسلام ولا يصبجون إلا فيه).

(١) ابن هشام ١/٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) أبو داود باب خبر النضير ٢/١٤٥.

(٣) ابو داود باب خبر النضير ٢/١٤٥.

(٤) صحيح البخاري كتاب المغازي ٢/٥٦٣.

الإذن بالقتال الضوابط والحدود:

في هذه الظروف الصعبة والأحوال الخطيرة ومكائد الحرب التي تخاك حول المسلمين والتهديد الدائم للذين كانوا يتعرضون له والشواهد من مؤامرات وأعمال عدائية تدبرها قريش وتسعي للدس للمسلمين في المدينة والوقعية بينهم وبين القبائل العربية التي علي دين قريش أنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين ولم يفرضه عليهم فقد قال الحق تعالى **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علي ضرهم لتقدير)** الحج الآية: ٣٩.

وواضح أن الإذن كان مقتصرأ علي قتال قريش في بادئ الأمر ونوضح تطور ذلك:

- (١) إعتبارأ مشركي قريش محاربين: لأنهم بدأوا بالعدوان، فحق للمسلمين أن يقاتلوهم.
- (٢) قتال كل من تحالف من مشركي العرب مع قريش وإتخذ معهم (كذلك كل من تقرد بالإعتداء علي المسلمين من غير قريش).
- (٣) قتال من خام أو تحيز للمشركين من اليهود الذين كان لهم عقد وميثاق.
- (٤) قتال من بادأ المسلمين من أهل الكتاب.
- (٥) الكف عن دخل في الإسلام مشركأ كان أو يهودياً أو نصرانياً.
- (٦) الإذن بالقتال (عند الضرورة بغرض الدفاع) ولم يفرض القتال (ليكون هجوماً).

التقييم

قواعد أخلاقيات الحرب التي إلتزام بها المسلمون في المدينة:

- (١) بدأت قريش الحرب علي المسلمين منذ بدء بعثة محمد ولازالت في حرب مستمرة بعد هجرة المسلمين إلي المدينة وعلي المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ضد العدوان المستمر ولوقف الفتن والتحريض المستمر ضدهم.
- (٢) يدافع المسلمون عن أنفسهم ضد حلفاء العدو الأكبر قريش الذين يتحرضون بهم من القبائل حول المدينة والذين علي دين قريش.
- (٣) يدافع المسلمون عن أنفسهم ضد من يخونهم أو يقطع تعاهدهم علي السلم.
- (٤) يدافع لامسلمون عن أنفسهم ضد من يبادر لعدواتهم للنيل منهم والبغي علي ما يمتلكون.
- (٥) يجنح المسلمون للسلم مع كل من دخل إلي الإسلام من أعداء حاربهم ونازعوهم حنفهم من قبل.
- (٦) وتخلص من ذلك أن الإذن للقتال للمسلمين كان أساساً للدفاع عن أنفسهم وبضوابط وحدود وقيم تحفظ كرامة وحقوق الإنسان سواء من المسلمين أو من أعدائهم.

الموقف الحربي حول الدولة الوليدة

- (١) حول المدينة قبائل عديدة مناوئة ومتضامنة مع نهج قريش في عداوتها الشرسة للمسلمين وبعضها متحالف مع قريش.
- (٢) التهديد مستمر وقائم وقريش تتوعد وتهدد المسلمين والحرب مستمرة وقائمة وإن كان بوسائل مختلفة.

(٣) لما نزل الإذن بالقتال رأي محمد ﷺ أن لا بديل عن تأمين الدولة الوليدة وحمايتها من المخاطر والحد من تهديدات قريش وحلفاؤها فكان عليه أن يؤمن أصحابه والمدينة ويمنع التهديد والوعيد من قريش ومن يساندها من القبائل الأخرى، فرأى القائد أن يبسط سيطرته علي الطريق الرئيسي الذي تسلكه قريش من مكة إلي الشام في تجارتهم، وإختار لذلك خطتين:

الأولي: عقد معاهدات الحلف أو عدم الإعتداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق أو كانت تقطن ما بين هذا الطريق وما بين المدينة فعقد معاهدة مع (جهينة) وكانت مساكنهم علي ثلاثة مراحل من المدينة وأبدي مرونة ورغبة في عقد معاهدات أخرى مع القبائل الأخرى.

الثانية: أرسل البعوث واحدة تلو الأخرى إلي هذا الطريق لتأمينه ولضمان خضوعه لسيطرة المسلمين فالدولة الوليدة وعاصمتها المدينة من الضروري تأمين طرق الإقتار إليها ومنها والسيطرة علي الطريق الرئيسي لمرور القوافل في رحلتها إلي ومن الشام ومكة.

الثالثة: ضرورة إشعار مشركي المدينة ويهودها والمنافقين فيها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن الدولة الجديدة قوية وأن المسلمين قد تخلصوا من ضعفهم القديم.

الرابعة: توجيه الإنذار إلي قريش حتي تكف عن غيرها وتتوقف عن تهديداتها المستمرة وتمتنع عن إرادة قتال المسلمين في عقر دارهم.

الخامسة: إشعار قريش بمحاذير إستمرارها في العداء وتهديدها تتفاقم المخاطر علي تجارتها وإقتصادها وأسباب معاشها حتي تجنح للسلم وتتوقف عن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة.

السادسة: علي قريش أن تبدي إحترامها للدولة الجديدة وعليها ألا تعتدي علي مصالح هذه الدولة لأن العدوان سيتم مقابلته بعدوان وإستمرار عدوانها وحربها سيعود عليها بالعزم.

السابعة: توقف قريش عن تاليب القبائل الأخرى علي الدولة الجديدة التأكيد علي أن هذه الدولة غير عدوانية ولا تبغي الحرب إلا للدفاع عن المسلمين حين يقع عدوان عليهم.

الثامنة: التوقف عن محاربة الدعوة والمسلمون يرغبون في نشر دينهم بحرية في ربوع الجزيرة ليأتي الراغبون إلي الدين الجديد بكامل حريتهم وبعيداً عن الإجبار والإفشاء.

حرية دفاعية لماذا؟

أولاً: يحدث نزاع بين طائفتين ويشد فيتطور إلي صراع وقد تزيد شدته فبادر طائفة إلي رفع السلاح والهجوم علي الطائفة الأخرى فيقتتلا. فتكون الطائفة البائدة في موقع المهاجم والأخرى في موقع المدافع فالطائفة الأوتى أتت عملاً غير أخلاقي ويتنافي مع القيم الإنسانية والطائفة الثانية قامت بعمل أخلاقي ويتفق مع المعايير الإنسانية لأن عملها يدفع البغي والظلم وينتصر للحق.

ثانياً: ومنذ الأيام الأولى للبعثة في مكة خاطب الإسلام العقل والفكر الإنساني ولكن العربي كان يعد مثلاً ونموذجاً مادياً ينظر إلي الأشياء نظرة مادية وضيقة ولا يقومها إلا بحب ما تنتج من نفع ويملك الطمع مشاعره وليس لديه مجال للخيال ولا للعواطف الطبيعية من حوله متغيرة متقلبة ليس لها ثبات ولا إستقرار كما أنه يبتعد عن التفكير والتأمل ولا يكثر بشئ إلا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية ويملؤه الشعور بكرامته الشخصية حتي يثور علي كل شكل من أشكال السلطة وخلاصة الرأي أن العربي مادي ضيق الخيال جامد العواطف شديد الشعور بكرامته وحريته تائر علي كل سلطة مخلص لتقاليد قبيلته شدة الإخلاص وكانت قريش قبيلة تجارية فمثلهم القائل (لا في العير ولا في النغير) يؤكد تفكيرهم المادي فهاجمت

قريش منذ البداية الإسلام لأن الفكر والعقل والتأمل لا يتلاقى مع المادة وظواهر الطبيعة المتغيرة فليس ما يروونه ثابت ولا دائم فنشأ الصراع واستخدمت قريش أدوات الحرب المادية أنواعها المختلفة واستمر عدوانهم علي الإسلام لأنه ببساطة شديدة يتعارض وماديتهم الصلوة وغرورهم الأحق، فبدأت قريش السبيل الغير أخلاقي ضد المؤمنين الجدد.

ثالثاً: بادرت قريش بالعداء لمحمد ﷺ وأصحابه المؤمنين وفي هذا الشأن (عقد الدكتور جولدزيهر)^(١) فضلاً في نقط النزاع بني الإسلام والفضائل عند العرب في الجاهلية عنونه (بالدين والمروءة) ويتخلص في (أن الإسلام رسم للحياة مثلاً أعلي غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية، وهذا المثلان لا يتشابهان وكثيراً ما يتناقضان، فالشجاعة الشخصية والشهامة التي لا حد لها، والكرم إلي حد الإسراف والإخلاص التام للقبيلة والقسوة والإنتقام والأخذ بالثأر ممن إعتدي عليه أو علي قريب له أو علي قبيلته بقول أو فعل، هذه أصول الفضائل عند العرب الوثنيين في الجاهلية، أما في الإسلام فالخضوع لله ولاإنقياد لأمره، والصبر وإخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة هي المثل الأعلى للإنسان في الحياة) لقد شرعت قريش سلاح الحرب لأنها كانت تعتنق (ثقافة الخطأ) ووقف المؤمنون يدافعون لأنهم إعتنقوا (ثقافة الصواب) ولا يتلاقى الصواب والخطأ ولا ينتهي الصراع.

رابعاً: أعلنت قريش الحرب علي الإسلام منذ الأيام الأولى للبعثة إستمرت ثلاثة عشرة سنة في مكة وقريش تمارس ألوان الحرب المختلفة علي محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين، فالإنسان لا يستطيع أن يمتلك الإيمان والأمل والمحبة إلا إذا كانت كلها قائمة علي أساس العقل، ولا يجوز للإنسان أن يتخلي عن عقله بل لابد من إستخدامه إستخداماً دقيقاً قوياً وهادفاً، والإيمان الذي لا يسبقه العقل يعتبر إيماناً ضعيفاً هزلياً يؤدي إلي الأخلاق السيئة والسلوك الشائن، فإذا كان التفكير هو وسيلة التقدم المادي، فلماذا لا يكون كذلك وسيلة للتقدم الروحي والأخلاقي؟ شنت قريش حرباً بغیضة طاعة علي المؤمنين في المدينة لسبب بسيط وهو أن قريش كانت تعتنق ثقافة (العالم كما هو قائم) والمؤمنون أصحاب محمد ﷺ إعتنقوا ثقافة (العالم كما ينبغي أن يكون) ولا يجتمع النقيضين إلا عندما تتغير ثقافة أحد طرفي الصراع الدامي.

خامساً:

- (١) نزل الإذن بالقتال للمسلمين القتال للدفاع عن مصالحهم وليس فرض القتال ليهاجموا الآخرين.
- (٢) إتخاذ الوسائل المختلفة ومنها الوسائل العسكرية لحماية الدولة الجديدة من عدوان الآخرين والعمل علي منع الهجمات عليها.
- (٣) داوريات للتفتيش في المناطق حول المدينة لمنع وقوع مفاجآت بالعدوان حفاظاً علي أمن وسلامة المدينة.
- (٤) مادات قريش مستمرة في عدوانها وحربها بكل الوسائل ضد المسلمين فمن اللازم القيام بالحد من شدة هذا العدوان وتهديد الشريان الإقتصادي لمكة حتي ترتدع وتتزع إلي السلام.
- (٥) يلزم تجميع المعلومات الحديثة والمستمرة اللازمة حول مناطق الدولة الوليدة لترتيب أعمال الدفاع المناسبة لكل حالة عدوان متوقعة ولذا أرسلت الداوريات والسرايا لهذا الغرض.

أخلاقيات الحرب

في السنة الأولى والثانية من الهجرة

أولاً: الإستعداد للدفاع:

(١) أحد أئمة المستشرقين.

- (١) تولى رسول الله ﷺ في المدينة القيادتين السياسية والعسكرية إضافة إلى السيادة الدينية. ونفذ خطط تثبيت دعائم الدولة الجديدة في المدينة
- (٢) قرر رسول الله ﷺ تطبيق الإخاء والعدل القائم على الشريعة محل الظلم. وحرر المرأة و أنهى فوضى الجاهلية وقنن نظم الإصلاح الاجتماعي.
- (٣) حول الإنسان العربي من جاهلي إلى متحضر بعقلة و إيمانه و أخلاقه العليا وأمانته وحماسة في نشر المعرفة والثقافة في صفوف أتباعه.
- (٤) نظم رسول الله ﷺ جميع جوانب الحياة بقوانين سياسية وقضائية وإدارية ومالية واجتماعية واقتصادية بالإضافة إلي أساليب القتال الدفاعية.
- (٥) بعد أن نظم الرسول ﷺ الدولة الإسلامية الجديدة وأخي بين الجماعات التي تقطن المدينة وشرع لها في الدين والدنيا - وتوجه لمتابعة مهامه خارج المدينة.
- (٦) بدأ الرسول ﷺ بتنفيذ (وقعات) قتالية (غزوات كما يسميها العرب في الجاهلية) وكان الغرض والهدف من هذه الوقعات القتالية:

- (أ) الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة والمسالك المؤدية إلى مكة
- (ب) عقد المعاهدات مع القبائل التي مسكنها على هذه الطرق الحاكمة والهامة.
- (ج) إشعار المشركين واليهود والمنافقين في المدينة وأعراب البادية الضارين حولها بأن المسلمين أقوىاء وقادرين على الدفاع .
- (د) تبليغ قريش بمخاطر التهديد على اقتصادها فتجرح إلي السلم وتتوقف عن الإستمرار في قتال المسلمين ومحاربتهم في دولتهم الجديدة.

ثانياً: قريش أعلنت الحرب منذ بداية البعثة في مكة:

أ- إستفزازات قريش بعد هجرة المسلمين إلي المدينة:

- أنت قريش جرائم متعددة ضد المسلمين نصبوا عليهم التنكيل والويل وصادروا ممتلكاتهم وبيوتهم وإستبد بقريش الغيظ والحنق بعد نجاح المسلمين في الهجرة إلي المدينة، فوجدوا مأمناً ومقرراً لهم.
- كتبت قريش إلي عبد الله بن أبي سلول- وكان إذ ذاك مشركاً بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة- فمعلوم أنهم كانوا نواقذ إتفقوا عليه- وكادوا يجعلونه ملكاً علي أنفسهم لولا أن هاجر محمد ﷺ إليهم- وأمنوا به كتبوا إليه وإلي أصحابه المشركين يقولون لهم:
- (إنكم أويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتلنه وأو لنخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتي نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم) (١).
- بمجرد بلوغ هذا الكتاب قام عبد الله بن أبي ليمتتل أوامر إخوانه المشركين من أهل مكة، وقد كان يحقد علي محمد ﷺ لما يراه أنه إستتله ملكه يقول عبد الله بن كعب: (فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان إجتمعوا لقتال

(١) أبو داود باب خبر النضير ٢ / ١٥٤.

الرسول ﷺ فلما بلغه يقهم فقال (لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، وما كان تكيديكم بأكثر ما تريدون أن تكيديوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم) فلما سمعوا ذلك من الرسول ﷺ تفرقوا^(١).

وأمتنع عبد الله بن أبي سلول عن القتال إذ ذاك لما رأي خوراً في أصحابه ويبدو من تصرفاته أنه كان متواطئاً مع قريش فكان لا يجد فرصة إلا وينتهزها لإيقاع الشر بين المسلمين والمشركين وكان نعيم معه اليهود ليعينوه علي ذلك ولكن تلك هي حكمة الرسول ﷺ كانت تقضي علي شرهم حيناً بعد حين^(٢).

(٢) قريش تهدد وتتوعد المسلمين:

كانت قريش تفكر جيداً في حرب فاصلة تمكنها من القضاء علي المسلمين وقطع دابرهم ووأد دعوة محمد ﷺ وتؤكد لدي المدينة مكائد قريش وإرادتها علي الشر، حتي أن محمد ﷺ ما كانت يبيت إلا ساهراً أو في حرس من أصحابه- روي الشيخان في حصيها عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (سهر رسول الله صلي الله عليه وسلم) مقدمة المدينة ليلة فقال (ليت رجلاً صالحاً من اصحابي يحرسني الليلة) قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال: (من هذا؟) قال سعد بن أبي وقاص- فقال له رسول الله ﷺ (ما جاء بكل؟)، فقال: وقع في نفس خوف علي رسول الله ﷺ فجننت أحرس فدعاه رسول الله ﷺ ثم نام^(٣)، ولم يكن الخطر مقتصرأ علي الرسول ﷺ بل كان يحدق بالمسلمين كافة فقد روي بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبجون إلا فيه.

(٣) الإذن بالقتال للدفاع:

في تلك الظروف الخطيرة والأحوال والتي فيها تهديد مستمر للمسلمين وكيانهم في المدينة أنزل الله تعالي الإذن بالقتال للمسلمين ولم يفرضه عليهم قال تعالي (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله علي نصرهم لقدير) (الحج الآية ٣٩).

وكان الأذنين مقتصرأ علي قتال المشركين ثم تطور فيما بعد مع تغير الظروف حتي وصل إلي مرحلة الوجوب، وجاوز قريشاً غيرهم، وتدرجت في مراحل نذكرها:

(١) إعتبار مشركي قريش محاربين: لأنهم بدأوا بالعدوان منذ بدء البعثة، وأعلنوا الحرب الشاملة علي المسلمين فحق للمسلمين أن يقاتلوهم ويصادروا أموالهم دون غيرهم من بقية مشركي مكة.

(٢) قتال كل من تعاهد من مشركي العرب وإنحد مع قريش: وكذلك كل من تعزز بالإعتداء علي المسلمين من غير قريش.

(٣) قتال كل من خام وتحيز للمشركين ومن اليهود الذين كان لهم عقد وميثاق: بعد نبذ ميثاقهم.

(٤) قتال من بادأ بعبادة المسلمين من أهل الكتاب: كالنصاري حتي يعطوا الجزية وهم صاغرون.

(٥) الكف عن دخل في الإسلام مشركا كان أو يهودياً أو نصرانياً: فلا يتعرض لنفسه وماله إلا بحق الإسلام.

ثالثاً: إرسال السرايا والخروج في وقعات متتالية:

(١) أبو داود باب خبر النضير ٢ / ١٥٤.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٦٥٥، ٦٥٦، ٩١٦، ٩٢٤.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ح (٢٨٨٥) فتح الباري ٦ / ٩٥، ١٣ / ٢٣٢، وصحيح مسلم.

لما نزل الإذن بالقتال رأى الرسول ﷺ أن يبسط سيطرته علي الطريق الرئيسي الذي تسلكه قريش من مكة إلي الشام، شريانهم الإقتصادي وإختار لذلك خطتين:

الخطة الأولى:

عقد معاهدات الحلف أو عدم الإغنداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق أو كانت تقطن ما بين هذا الطريق والمدنية فعقد الرسول ﷺ معاهدة مع جبهة قبل الأخذ في النشاط العسكري كما عقد معاهدات أخرى أثناء دورياته العسكرية كما سيتم ذكرها عند التفصيل.

الخطة الثانية:

إرسال البعوث واحدة تلو الأخرى إلي هذا الطريق.

السنة الأولى للهجرة (الأعمال القتالية)

١- سرية سيف البحر^(١):

• الكم والكيف: بعد سبعة أشهر من الهجرة وفي رمضان أرسل الرسول ﷺ أول سرية وعقد اللواء لعمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يعترضون عيراً لقريش جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل فالتقوا عند سيف البحر من ناحية العيص .

• القتال: حجز بينهم مجدي بن عمرالجهني وكان حليفاً للفرقيين فلم يقتلوا.

• الهدف: إنذار لقريش بتهديد اقتصادها لتجنح للسلام وتتوقف عن إستمرار حربها ضد المسلمين.

٢- سرية رابغ:

• الكم والكيف: في شوال لقب بعث محمد ﷺ عبيده بن الحارث بن المطلب في ستين رجلاً من المهاجرين وأمره بالمشير إلي بطن (رابغ) فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الدحفة فلقى أبا سيفان وهو في مائتين علي ماء يقال له أحياء .

• القتال: وقع بينهم الرمي دون المسايفه وانضم رجالان من جيش مكة إلي المسلمين.

• الهدف: الإنذار المتكرر لقريش وتقنيتش طرق الاقتراب وحمايتها من التجمعات التي تريد الإعتداء علي المدينة.

٣- سرية الخرار^(٢):

• الكم والكيف: في ذي القعدة بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلاً يعترضون عيراً لقريش وعهد إليه إلا يجاوز الخرار-فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار ويسبرون بالليل حني بلغوا الخرار .

• القتال: فوجدوا العبر قد مرت بالأمس فلم يقع قتال .

• الهدف: تهديد لقريش في تجارتهم للضغط عليهم لوقف الحرب ضد المسلمين.

التقييم

١- العيص ورابغ والخرار أماكن مطروقة لعبور عير قريش وأماكن حاكمة على طرق الاقتراب من المدينة .

(١) سرية: تعني قوة عسكرية يتم إرسالها في مهمة قتالية بسيطة وتعني حالياً وحدة قوامها حتى ١٥٠ جندياً.

(٢) الخرار: بالفتح بالتشديد موضع بالقرب من الحجة.

- ٢- من الضروري الإنتباه واليقظة المستمرة لمعرفة تحركات العدو وأخباره أولاً بأول - بغرض تأمين المدينة من المفاجأة.
- ٣- إنذار القوة العظمى (قريش) في ذلك الوقت والتي أعلنت الحرب على المسلمين منذ بدء البعثة -وتهديدها في تجارتها حتى توقف حربها ضد المسلمين.
- ٤- إظهار القوة الناشئة للمسلمين في المدينة لإرهاب الأعداء من القبائل حولها حتى يطمعون في سن الهجمات علي أهل المدينة وتهديد مصالحهم.
- ٥- كانت تعليمات الرسول ﷺ محددة للجنود المسلمين صريحة وواضحة لتحقيق أغراض محددة والقيام بأعمال لا يتجاوزونها في إطار خطط دفاعية ووقائية وأمنية.

التعليق

الغرض الرئيسي كان الدفاع عن الدولة الجديدة وإرهاب من يفكر في العدوان عليها والإعلان عن قوة المسلمين واستعداداتهم وإرسال إشارات تهديد لقريش بأن مصالحها الإقتصادية باتت مهددة عند الإستمرار في حربها ضد المسلمين..

السنة الثانية من الهجرة (الأعمال القتالية)

١- وقعة الأبواء أو ودان^(١):

- الكم والكيف : في صفر خرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من المهاجرين ليعترض عيراً لقريش حتى بلغ ودان.
- القتال :لم يلق كيداً وكان مقامه بها خمسة عشرة ليلة ثم قدم المدينة وكان استخلف فيها سعد بن عباد.
- الهدف :

(أ) تهديد اقتصاد قريش ليكلفوا عن حربهم وعداوتهم للمسلمين .

(ب) عقد معاهدة وتحالف مع عمرو بن مخشى الضمرى وكان سيد (بنى ضمرة) في زمانه وهذا نص المعاهدة.

(هذا الكتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة ،فأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله، ما بل بحر صوفه وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه)^(٢).

٢- وقعة بواط^(٣):

- الكم والكيف : في ربيع الأول خرج فيها رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي و مائه رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير فبلغ بواطاً من ناحية رضوى.
- القتال: لم يلق كيداً- واستخلف علي المدينة سعد بن معاذ.
- الهدف: النيل من قريش في اقتصادها مادامت تتمسك بالحرب والعدوان.

٣- وقعة سفوان :

(١) ودان: موضع بين كله والدينة بينه وبين رابع مما يلي المدينة ٢٩ ميلاً، والأبواء: موضع بالقرب من ودان وبينهما ستة أميال.

(٢) المواهب اللدنية ٧٥/١ وشرحه للزرقاني.

(٣) بواط: ورضوي جبلان أصلهما واحد من جبال جهينة بينه وبين المدينة ٤٨ ميلاً.

- الكم والكيف: في ربيع الأول - أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعى المدينة ونهب بعض المواشي - فخرج رسول الله (ﷺ) في سبعين رجلاً من أصحابه لمطاردته حني بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر.
- القتال : لم يدرك كرزاً وأصحابه فرجع دون قتال وهذه تسمى (وقعة بدر الأولى) واستخلف على المدينة زيد بن حارثة.
- الهدف : مطاردة المعتدى للنيل منه وإخافة من يسعى لمثل ما فعله كرز.

٤- وقعة ذي العشيرة :

- الكم والكيف : في أواخر جمادى الأولى وأوائل جمادى الآخر خرج رسول الله ﷺ في خمسين ومائه ويقال: في مائتين من المهاجرين ولم يكره أحداً على الخروج وخرجوا على ثلاثين بغيراً يتعقبونها - يعترضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام
- القتال : بلغ ذي العشيرة^(١) فوجد العير قد فاتته بأيام - وعقد رسول الله (ﷺ) معاهدة عدم اعتداء مع بنى مد لج وحلفائهم من بنى ضمرة واستخلف على المدينة أباً سلمه بين عبد الأسد المخزومي .
- ذالهدف : ضرب المصالح الاقتصادية لقريش لاستمرارها في رفع راية الحرب ضد المسلمين وتجميع المعلومات عن العدو وعقد تحالفات مع بعض القبائل (بنى مدلج وبنى ضمرة).

٥- سرية نخلة :

- الكم والكيف : في رجب بعث الرسول (ﷺ) قيها عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في أثنى عشر رجلاً من المهاجرين وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله وقرأ الكتاب بعد يومين فإذا فيه (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخله بين مكة والطائف - فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم) - فقال سمعاً وطاعة وأخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكرهم فمن أحب الشهادة فلينهض - ومن كره الموت فليرجع وأما أنا فناهض فنهوضاً كلهم- غير انه لما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن وقاص وعتبة بن غزوان بغيراً لهما كانا يعتقباه فتخلفا في طلبه .
- القتال: سار عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة ، فمرت عير لقريش ، فتشاور المسلمون وقالوا في آخر يوم من رجب- الشهر الحرام فان قاتلناهم إنتهكنا الشهر الحرام وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرام نحن- فدمى أحدهم عمرو بن الحضرمي وكان في العير فقتله وأسروا إثنين وهرب واحد ممن كانوا في العير - ثم قدموا بالعير والأسيرين إلى المدينة وقد عزلوا من ذلك الخمس { وكان ذلك أول خمس وأول قتل وأول أسيرين في الإسلام}
- الهدف: كأوامر القائد { تنزل نخلة - وترصد عير قريش - تعلم لنا أخبارهم {
(رصد أخبار قريش وتحسس معلومات جديدة عن العدد)

النتيجة

(١) موضع بناحية ينبع.

أنكر رسول الله ﷺ ما فعلوه فقد كان ذلك (مخالفة لأمره)، وقال (ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام) توقف عن التصرف في العير والأسيرين، إتهم المشركون المسلمين بأنهم أحلوا ما حرم الله بالقتال في الأشهر الحرم وكثر في ذلك القيل والقتال، نزل الوحي ليقضى في ذلك الأمر - فقد كان المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين صادرت قريش أموالهم حاربتهم وأرادت قتل الرسول ﷺ، أرسلت قريش تغدي الأسيرين فأفداهما الرسول ﷺ مقابل سعد أبي قاص وعتبة بن غزوان اللذين كانا قد تاها فأسرتها قريش.

التعليق

- (١) وردت في القرآن الكريم عبارة (قرآناً عربياً) خمس مرات وكل حياة العرب (الحضريون و البدو) تعتمد علي اللغة العربية كوسيط ثقافي وفكري وكوسيلة تحدد طريقتهم في التفكير ونظرتهم لقيمهم الخلقية و الجمالية بل وأفكارهم التاريخية فقد نشأوا على الفطرة .
- (٢) قديماً إعتقد العرب أن كثيراً من أوجه حياة الإنسان كمصدر رزقه وسننه وفاته وسعادته أو شقائه مقرر سلفاً من قبل قوة لا مفر من حكمها يطلقون عليها (الدهر) أو (الزمن) أو (الأيام) وهي قوة لا يتوجهون إليها بالعبادة.
- (٣) وجاء الإسلام دين الفطرة التي فطر بها العرب جميعاً عليها أفراداً وجماعات ما دامت الحرب في فطرة الناس منذ بدء الخليفة - فتهذيب فكرتها في النفوس وحصرها في إطار من الأخلاق الإنسانية هو غاية ما تحتل فطرة البشر .
- (٤) وخير تهذيب لفكرة الحرب ألا تكون ألا للدفاع وعن النفس عن العقيدة وعن حرية الرأي والدعوة إليه وأن ترعى فيها الحرمات الإنسانية تمام الرعاية وتحافظ علي كرامة الإنسان.

(هذا مدخل للمنهج البحثي في أخلاقيات الحرب في الوقعات والسرايا الأنفة)

(التقييم - أخلاقيات الحرب)

- (١) كانت بيعة العقبة معاهدة (دفاعية) تعهد فيها الأوس والخزرج (الأنصار) بحماية محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يعاهدوه علي العدوان، علي الآخرين.
- (٢) ترك المهاجرون أموالهم وبيوتهم وثروتهم وأعمالهم في مكة وهاجروا إلى المدينة إبقاء على حياتهم و الأقربون لهم إن أمكنهم ذلك - فصادرت قريش هذه الممتلكات واستولت علي كل ما تركوه- وإعتبره قادة قريش غنماً لأنهم أعلنوا الحرب منذ أوائل البعثة علي محمد ﷺ وأصحابه وانقطعت أسباب معاش كثير من المهاجرين فقابلوا صعوبات كثيرة في البحث عن الأعمال في مكانهم الجديد .
- (٣) بعد بضعة أشهر بعث محمد ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً ثم بعث عبيده ابن الحارث في ستين راكباً وبعث سعد بن أبي وقاص في ثمانية وفي عشرين في رواية أخرى وتفسير لذلك.
- (أ) المشاركون في هذه السرايا كانوا من المهاجرين (احتراماً لبيعة العقبة الدفاعية).
- (ب) عدد المقاتلون في السرايا قليلون في حين المكلفون عددهم كبير فالسرايا بحماية قوافل قريش عادة أضعاف ولم تكن تكفي للهجوم لأغراض الهجوم حسب خطط الحرب ومهما يكن من بأس حمزة و عبيد و سعد كانوا علي رأس هذه

السرايا لم تكن تشجعهم قتلهم على الحرب مما جعلهم يكتفون بمهمة تهديد قريش دون قتال إلا ما قيل عن السهم الذي رمى به سعد فخرج عن النص.

(ج) زعم المستشرقون أن المهاجرين فكروا وفكر محمد علي رأسهم في الإنتقام من قريش وذلك بالمبادأة بالعدوان وهذا يخالف الحقيقة شكلاً وموضوعاً لماذا؟ من الواجب علي الدولة الجديدة حماية أمنها والمناطق القريبة منها من العدوان وقريش العدو الأكبر لم توقف حربها ولم تتخلي عن عدوانها المستمر علي المسلمين.

(د) خرج محمد ﷺ إلى الأبياء حتى بلغ ودان فلم يلق قريشاً وحالفته بنى ضمرة وبعد شهر من ذلك خرج على رأس مائتين من المهاجرين والأنصار إلى بواط يريد قافلة أمية بن خلف فلم يدركها ثم خرج مرة ثالثة في أكثر من مائتين من المسلمين حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ينتظر مرور القافلة ولكن فاتته ووداع مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة وما كاد يرجع إلى المدينة حتى أغار عليها كرز بن جابر الفهري من المتصلين بمكة والمناصرين لقريش فخرج محمد ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز فلم يدركه . وزعموا أيضاً أنه كان غرض محمد و أصحابه من ذلك في

(١) غنم ما تحمله قوافل قريش .

(٢) أخذ الطرق على قوافل قريش ولكن ثبت بالدليل خطأ هذا الزعم للأسباب التالية:

١- أن قوافل قريش كان يحميها من أهل مكة من تصلهم من المهاجرين أمر القريبي وصلات الدم فلم يكن من اليسير عليهم أن يقتل بعضهم البعض وأن يتعرض هؤلاء وأولئك لطلب الثأر .

٢- إذا شاعت ثقافة الثأر ستتعرض مكة والمدينة لحرب أهلية أستطاع المسلمون والمشركون إبقاؤها بمكة ثلاثة عشرة سنة متتابعة من يوم البعث إلي يوم الهجرة

٣- الراجح في البحث أن غرض السرايا الأولى وخروج محمد ﷺ علي رأس بعضها إفهام قريش أن مصلحتهم تقتضيهم التفاهم مع المسلمين من أهلهم تفاهماً يقى الطرفين شرور العداوة والبغضاء ويكفل للمسلمين حرية الدعوة إلى الدين ولأهل مكة سلامة تجارتهم في طريقها إلى ومن الشام (الجنوح إلى السلم).

٤- ما يعزز الراجح من البحث أن المستشرق (سبر نجر) قدر تجارة مكة في السنة الواحدة ما يقارب مائه وستين ألف جنيهاً ذهباً فإذا أيقنت قريش تعرض هذه التجارة للخطر آتياً من أهلها الذين هاجروا إلى المدينة - أرغمهم ذلك على التفاهم وقبول فكرة إيقاف الحرب.

٥- ما يزيد التعزيز الراجح من البحث أن محمد ﷺ لما خرج إلى بواط وإلى العشيرة كان من بين الذين صحبوه عدد قليل من الأنصار - الذين بايعوه ليدفعوا عنه لا ليهاجموا معه أهل مكة فليس بين الفريقين من أسباب الحرب ما تجيزه أخلاق العرب أو يجيزه نظام صلاتهم بعضهم ببعض .

٦- أشار كثير من المستشرقين أن دفع هذه السرايا أو خروج محمد ﷺ إنما كان يقصد منها إلى نهب تجارة القوافل وكان النهب من طباع وعادات العرب في الجاهلية. وإن أهل المدينة إنما أغرتهم الرغبة في المغنم فإتبعوا محمداً (صلي الله عليه وسلم) على خلاف عهدهم في العقبة .

وهذه مظنة مغلوطة لماذا؟

١- أهل المدينة كأهل مكة لم يكونوا أهل بادية يعيشون على السلب والنهب .

- ٢- كان في طبعهم ما في طبع من يعيشون على الزراعة من حب الاستقرار مما يجعلهم لا يقاتلون إلا للدفاع المرغمين عليه.
- ٣- كان من حق المهاجرين أن يستخلصوا أموالهم وثرواتهم من قبضة قريش إلا أنهم لم يكونوا متعجلين إلى هذا الأمر.
- ٤- لم يشرع الإسلام القتال بغرض العدوان ولم يقم به محمد ﷺ لهذه الغاية البدوية المذمومة وإنما شرع الإسلام حق المسلمين في الدفاع فبعد سرية عبد الله بن جحش نزلت الآيات التي تفرض عدم العدوان (الإذن بالقتال للدفاع) (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله يحب المعتدين) (البقرة الآية ١٩٠) .
- ٥- الراجح المؤكد أن محمد ﷺ إنما كان يرمى من المعاهدات التي عقدها إلي تعزيز موقع المدينة (الدفاعي) حتى لا تكون مطمعاً سهلاً لقريش.

وما هي الأغراض الأخرى لدفع هذه السرايا ؟

- ١- الراجح المؤكد من البحث أن محمد ﷺ كان لا يأبى أن يعاهد قريش على أن تترك حرية الدعوة لدين الله طليقه وقد بدأ دعوته في السلم- فأعلنت مكة عليّة الحرب ونزعت لمحاولة قتله والقضاء على دعوته في مهدها ونعيد ذكر تلك الحادثة (بينما كان محمد ﷺ يصلى في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً. فأقبل أبو بكر حني أخذ بمنكبيه ودفعه عن محمد ﷺ وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله^(١)؟ كما عزم أبو جهل علي قتل محمد ﷺ للقضاء علي ما يدعوا إليه وفشل في ذلك.
- ٢- ولعل من الراجح أيضاً أن محمداً ﷺ كان يرمى من وراء دفع هذه السرايا إلى إرهاب المقيمين في المدينة من المنافقين واليهود وعلي مقربة منها من البدو فقد لجأ هؤلاء اليهود إلي كل وسيلة للدم بين المسلمين وإثارة البغضاء بين المهاجرين والأنصار لا يقاظ الأحقاد الماضية بين الأوس والخزرج بذكر يوم بعث وقد أعرض عنهم محمد ﷺ بعد إذ حاول إقناعهم بالحجة والدليل.
- ٣- ما يعزز الراجح في البحث أن اليهود دعاة فتنة (والفتنة أشد من القتل) فكان من الأفضل إشعار هؤلاء اليهود بقوة المسلمين وبأسهم مما يمكنهم من إخماد أية فتنة تقوم - والقضاء علي أسباب إجتثاث أصولها.
- ٤- كان خير وسيلة لإشعار هؤلاء اليهود وبث الخوف في نفوسهم إرسال السرايا والقيام بالمناوشات الحربية في مختلف الأنحاء بشرط ألا تتعرض قوات المسلمين لهزيمة تزيد طمع اليهود فيهم كما تطمع قريش فيهم وهذا ما يرجح لدينا من تصرف رجال مثل حمزة يتملكهم الغضب سريعاً فلا تكفي لصددهم عن القتال وساطة مدارع يدعو إلى السلم ما لم تكن بالدرجة الأولى خطة مبيته يقصد بها إلى درك غايات معينه لا يسمح بتجاوزها.

موجز التعليل والاستنتاج

الغرض المرجح من إرسال السرايا و المناوشات الحربية.

- ١- السعي للاتفاق مع قريش على ترك الدعوة للدين وإقامة شعائره في حرية ودون تهديد أو وعيد وإيقاف حربها ضد المسلمين.
- ٢- تخويف اليهود حتى يرجعوا عن سعيهم للفتنة ومن ثم إشعال حرب أهلية في المدينة.

(١) صحيح البخاري / ١ / ٥٤٤.

٣- أذن الله للمسلمين بالقتال دفاعاً عن النفس ودفاعاً عن العقيدة ولم يفرض القتال (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة الآية ١٩٠)

٤- شرع الإسلام القتال بضوابط ومنذ مزاعم قريش بأن محمداً وأصحابه أستحلوا الشهر الحرام .

هذه الضوابط منها :

- الصد عن سبيل الله والكفر به أكبر من القتال في الشهر الحرام .
 - فتنة الرجل عن دينه بالوعد والوعيد والأغراء والتعذيب أكبر من القتل في الشهر الحرام.
 - إخراج الأهل من المسجد الحرام أكبر من القتال في الشهر الحرام .
- ٥- الدفاع عن الرأي بالوسائل التي يقاتل بها أصحاب الرأي الآخر (الفكر بالفكر) وليس الفكر بالسيف وكرامة الإنسان تتخلص في كلمة واحدة (العقيدة)
- ٦- من يقاتل في سبيل العقيدة فإنه يدافع عن الفكر والحكمة ومن يقبل بها يكون عن إقتناع وقبول عقلي فصاحب العقيدة لديه الكثير من الثقة والإيمان بما يعتقد ولديه من المال ومن الجاه ومن العطاء ومن الحياة نفسها المادية التي يشترك الإنسان والحيوان فيها . والفرق هو الكثير من الحجة والبرهان، ومن طبائع الأمور أن يدافع صاحب العقيدة عما يعتقد ولا يلجأ في ذلك إلي الهجوم بسبب جوهرى أنه يثق في النصر، لذلك كان محمد ﷺ واصحابه في موقف الدفاع.

أمثلة علي مفاهيم أخلاقيات الحرب قديماً (ما جاء في التوراة)

- (١) تحدثنا أن يوشع فتى موسى وخليفته بأمر قومه اليهود بعد الإستيلاء علي "أريحا" أن (أقتلوا كل من في المدينة من رجل امرأة وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها) (١).
- (٢) ثم تحدثنا التوراة عن انتقال موكب التدمير والتخريب وعلي رأسه "يوسع" وقد إنتقل من أريحا إلى "عاى" (AI) فيقتل كل أهلها حتى تفاخر التوراة بأنه (لم يبق فيهم شارد ولا منقلب) (٢).
- (٣) زعم المستشرقون أن محمداً ﷺ دينه يدعو إلى الحرب أي أكره الناس بالسيف على الدخول في الإسلام وذلك ليس صحيحاً فرغم أن عيسى (عليه السلام) دعا إلى السلام والمحبة والإخاء فقد ورد في (إنجيل لوقا) (ما جئت لألقى علي الأرض سلاماً بل سيفاً.....الخ).

الدليل والإثبات

- (١) فيما تقدم إثبات واضح محمد ﷺ واصحابه المؤمنين إتبعوا منهجيه الأخلاق الإنسانية الراقية في الحرب في خروج الساريا وقيادته ﷺ للمناوشات القتالية بهدف الدفاع وليس العدوان.
- (٢) وكان الغرض تحقيق الأمن (للدولة الجديدة) والدفاع ضد المعتدين المتربصين مع إظهار القوة الكافية لمنع أي مطمع من الأعداء وهم كثيرون في تلك الفترة.

(١) التوراة سفر يوشع (٢٢ - ٣٩).

(٢) التوراه سفر يوشع (٢٢ - ٣٩).

- (٣) إعتد الرسول ﷺ اسرية في التحرك فقد أعطي كتاباً وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين ، وغضب لمخالفة أوامره الصريحة بالتجسس علي العدو فحسب دون القتال، وخلي الأسبرين ونزلت الآية القرآنية في هذا الشأن لتبين للرسول ﷺ وأصحابه التصرف الصواب كما أمر بدفع الدية لقتيل الأعداء
- (٤) لم يترك الرسول ﷺ المدينة دون قائد عندما قدا بنفسه الوقعات القتالية بل عين عليها مستخفاً وهذا التدبير مهم إذا أن الفراغ في السلطة قد يؤدي إلي الغوض والضياغ.
- (٥) خرج النبي ﷺ علي رأس مقاتليه لحفزهم علي القتال بعزيمة وإجتهد وهذه أخلاقيات القائد البصير.

وقعة بدر الكبرى

من أهم المعارك القتالية في السنة الثانية من الهجرة

- المكان:** بدر هي آبار بين مكة والمدينة (الأقرب من المدينة) وسوق تجاربه تنزل عندها القوافل التي تتوجه من مكة إلى الشام وبالعكس (رحلة الشتاء والصيف).
- (١) أقامت قريش وحلفاءها حصاراً اقتصادياً شديداً على المدينة الحق بأهلها والمسلمين الأذى الكبير - لذلك كان الرسول ﷺ يرسل السرايا إما لمراقبة القوافل المكية تمهيداً لاعتراضها وقد يحدث مناوشات حربية بغرض تخفيف هذا الحصار أو بهدف اعتراض هذه القوافل - للمساومة مع قريش على فك هذا الحصار الذي يعاني منه سكان المدينة ولذلك كان إستقضاء عيوناً ترصد وتراقب تحركات قوافل قريش .
- (٢) ودرج المكيون علي أن يقوم كل تاجر بتحصيل عدد من الجمال يقودها أحد عملائه أو يقودها هو شخصياً لذلك كانت تجتمع هذه الجمال لتبلغ المئات يرافقها المقاتلون والفرسان وعلى أستعداد للدفاع عن يحاول العدوان عليها وكان قائد قوافل قريش أبو سفيان بن حرب .
- (٣) ووصلت للرسول ﷺ معلومات بأن أبو سفيان قد سار بقافلة تجارية كبيرة عائدة من الشام - فأمر بمراقبة تحركاتها حني وصلت الحوراء .
- (٤) لما قرب رجوع العير من الشام إلى مكة بعث رسول الله ﷺ (طلحة بن عبيد الله) و(سعد بن زيد) إلى الشمال لقيوما بالإكتشاف وجمع المعلومات فوصلا إلى الحوراء ومكثا حتى مريهما أبو سفيان علي رأس القافلة- وأبلغا رسول الله ﷺ - ووجد المسلمون أنها فرصة ذهبية ليصيبوا أهل مكة بضرية إقتصادية قاصمة -لذلك أعلن الرسول ﷺ في المسلمين قائلاً:
- (هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا لعن الله منملكموها)
- ولم يعزم علي أحد بالخروج . بل ترك الأمر للرغبة المطلقة - لما أنه لم يكن يتوقع عند هذا الانتداب أن سيصتدم بجيش مكة بدل من العير . ولذلك تخلف كثير من الصحابة في المدينة وهم يحسبون أن مضى الرسول ﷺ في هذا الوجه لن يعدو ما الفوه في السرايا الماضية ولذلك لم ينكر علي أحد تخلفه عن القتال.

(٥) وكان أبو سفيان قد سمع أن النبي ﷺ يريدُه - فحذر وأستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة يستنفر قريشاً ويخبرهما الخبر فخرج ضمضم إلى مكة فتحفز الناس وكانوا بين رجلين إما خارج أو باعت مكانة رجلاً وحشدوا من حولهم كثيراً من قبائل العرب .

(٦) قدم الرسول ﷺ بدرأ وأخذ أبو سفيان طريق الساحل - وإستنفر قريشاً لنجدته وأرسل النبي مفرزة إستخبار فأخذوا غلاماً لبني الحجاج ليعرفا من أمر جيش قريش وزعموا أن رسول الله ﷺ قال (والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذب). قالوا فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت وقال: (قد صدق) واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم كلثوم .

(٧) دعاء رسول الله ﷺ الغلام فسأله فأخبره بقريش - وقال لا علم لي بأبي سفيان - فسأله - كم القوم؟ فقال لا أدى - والله هم كثير عددهم. فقال كم جزائر نحر لهم؟ قال عشرة جزائر - فزعموا أن النبي ﷺ قال: القوم ما بين التسعمائة إلى الألف فكان نفرة قريش يومئذ خمسين تسعمائة^(١).

التحضير للمعركة

(١) تحدث الرسول ﷺ مع أصحابه عن غير قريش الكبيرة فخرجوا لا يريدون إلا أبي سفيان والركب معه لا يريدونها إلا غنيمة لهم ولا يظنون أن كبير قتال إذا لقوهم وهذه أنزل الله عز وجل فيها (وتودون أن غير ذات الشوكة تكن لكم) (الأنفال - الآية ٧).

(٢) أمام تفوق قريش العددي إستشار الرسول ﷺ أصحابه فوافقوه ولكن قال سعد بن معاذ حامل لواء الأنصار (وكانك تريدنا يا رسول الله)^(٢).

(٣) كان أبو سفيان يسير في الطريق الرئيسي ولكنه لم يزل حذراً ومتيقظاً وضاعف حركاته الـستكشافية وذهب إلى مناخ راكبين علي تل فبادر أبو سفيان إلى مناخها فأخذ من أبعاد بعيرها فقتله فإذا فيه النوى - فقال : هذه والله علائف يثرب فرجع إلى غيره سريعاً وضرب وجهها محولاً إتجاهها نحو الساحل وبهذا نجا بالقافلة وأرسل رسالته إلى جيش قريش فيها (إنكم إنما خرجتم لتحزروا عسيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله فارجعوا)

(٤) هم جيش مكة بالرجوع بعد نجاة العير - ولكن قائد الجيش أبو جهل قال (والله لا نرجع حتى نرد بدرأ - فنقيم بها ثلاثا - فننجر الجذور ونطعم الطعام - ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ملا يزالون يهابوننا أبداً)^(٣) فرجع بنو زهرة وأرادت بنو هاشم الرجوع فأشدت عليهم أبو جهل فبقوا - وتمركزوا في أماكن دفاعية إستعداداً للمعركة رغم ما حدث من انشفاق.

(٥) أقرب المسلمون قدر إمكانهم من الماء وهو أهم موقع في أرض المعركة فأمر النبي ﷺ ببناء حوض بالماء وحفر ثقباً من جهة قريش لحرمان قريش منه وكان ذلك بناءً علي رأي الحباب بن المنذر. وكان الرسول ﷺ قد علم خبر العير والنفير وتأكد أنه لم يبق مجال لإجتناج اللقاء الدامي - فالبدل أنهم لو ترك الحرية لجيش مكة يجوس خلال تلك المنطقة يكون ذلك (تدعيماً لمكانه قريش العسكرية) (وإمتداداً لسلطانها السياسي) (واضعافاً لكلمة المسلمين وتوهينا لها). بل ربما تبقى الحركة الإسلامية بعد ذلك جسداً بلا روح ويجرؤ على الشر كل من فيه حقد أو غيظ على الإسلام.

(١) الطبري جزء ٢ ص ٢٠، ٢١.

(٢) ابن الأثير جزء ٢، ص ١٨.

(٣) ابن كثير جزء ٣، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٦) رأى الرسول ﷺ أنه لاضمان للمسلمين بإمتناع جيش مكة عن مواصلة تقدمه نحو المدينة حتي ينقل المعركة إلى أسوارها ويعزو المسلمين في عقر دارهم؟ كلا فلو حدث من جيش المدينة لكون ما لكان له أسوأ الأثر علي هيبة المسلمين وسمعتهم وفقدت الدولة الجديدة هيبتها وأمنها معاً.

المجلس الاستشاري لرسول الله ﷺ واستعداد الجيش

- (١) كانت قوة جيش المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً . ولم يتخذوا أهبتهم الكاملة فلم يكن معهم إلا فرس واحد أو فرسان ومعهم سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة واحداً. في حين جيش مكة كانوا تسعمائة وخمسون رجلاً فيهم مائة فارس.
- (٢) ونظراً إلى هذا التطور المفاجئ عقد القائد مجلساً عسكرياً إستشارياً وأشار فيه إلى الوضع القائم وتبادل فيه الرأي مع عامة الجيش . وحينئذ ترعزت قلوب فريق من الناس وخافوا اللقاء الدامي – ووافق قادة الجيش على القتال والصمود وكلهم من المهاجرين فتوجد الأنصار الرسول (صلي الله عليه وسلم) يستشير فنصوص العقبة لا تلزمهم بالقتال خارج ديارهم ولأن الأنصار كانوا يمثلون أغلبية الجيش – وكلهم لم يخزلوه ووافقوا على القتال.
- (٣) تحرك جيش المسلمين ليسبق المشركين إلي ماء بدر ويحول بينهم وبين الإستيلاء عليه فنزل عشاء أدني ماء من مياه بدر وهنا قام الحباب بن المنذر لخبر عسكري وقال يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال (بل هو الرأي والحرب والمكيدة) قال يا رسول الله: إن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتي نأتي أدني ماء من القوم (قريش) منزله ونغور أي نخرب ما وراءه من القلب^(١)، نبني عليه حوضاً فملاً ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال الرسول ﷺ (لقد أشرت بالرأي).
- (٤) وبعد أن تم نزول المسلمين علي الماء إقترح سعد بن معاذ علي الرسول ﷺ أن يبني المسلمون مقراً لقيادته إستعداداً للطوارئ وتقديراً للهزيمة قبل انصر، وحرصاً علي المناصحة فأثني عليه رسول الله ﷺ خبراً وبني المسلمون عريشة علي تل مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتالي ويشرف علي ساحة المعركة، كما تم إختيار فرقة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون الرسول ﷺ حول مقر قيادته، وكان ذلك ليلة الجمعة، السابعة عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة وكان خروجه في ٨ أو ١٢ من نفس الشهر.

الرسول ﷺ يقوم بنفسه بعملية الإستكشاف

- (١) قام الرسول ﷺ ومعه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بتحسس أخبار جيش قريش- وبينما هما يتجولان حول معسكر قريش إذ هما يشيخ من العرب – فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه – زيادة في التكتّم – و الحذر- لكن الشيخ قال . لا – أخبركما حني تخبراني من أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك فأخبرهم الشيخ بما يعرفه ولما فرغ من خبره قال ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ (نحن من ماء السماء) ثم أنصرفا وبقي الشيخ يتقوه ما من ماء؟ أم من ماء العراق؟
- (٢) أرسل الرسول ﷺ ثلاثة من رجاله للإستقصاء وتجسس أخبار جيش قريش فوجدوا غلامين يسقيان لجيش مكة وعلم الرسول أن جيش مكة فيما بين التسعمائة والألف – كما ذكرنا سابقاً وسألهم الرسول ﷺ فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا – عقبه وشيبهه إبن ربيعة وأبو البحر بن هشام – وحكيم بن حزام – ونوفل بن خويلد- والحارث بن عامر- وزمعه بن الأسود- وأبو جهل بن هشام- وأمّية بن خلف- فأقبل رسول الله ﷺ علي الناس فقال (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها).

موقف جيش مكة النهائي

(١) د. فاروق عبده فلية، التربية والتنمية في الدول النامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٧، ص٥٧.

- (١) قضت قريش ليلتها في معسكرها بالعودة القصوي وفي الصباح نزلت من الكتيب إلى وادي بدر وأقبل نفر منهم إلى حوض الماء الذي أعدة جيش المسلمين فما شرب منهم أحد يومئذ إلا قتل.
- (٢) بعثت قريش عمير بن وهب الجمحي للتعرف علي مدى قوة جيش المدينة - فدار عمير بفرسه حول المعسكر وضرب في الوادي حتى أبعده فرجع إلى قريش وقال بنظرة الخبير في علوم القتال. (رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا - نواصخ يثرب تحمل الموت الناقع - قوم ليس معهم منعه ولا ملجأ إلا سيوفهم - والله ما أرى أن يقتل رجلاً منهم حتى يقتل رجلاً منكم - فإذا أصابوا منكم أعدادكم فما خير العيش بعد ذلك؟ فمروا رأيكم!)
- (٣) قامت معارضة ضد أبي جهل - قائد قريش تدعوا إلى العودة بالجيش إلى مكة دونما قتال وطلب إثنان من قادة قريش العودة ولكن أبو جهل وقال ضمن ما قال (ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي - المقتول في سرية نخله - ثم قام عقبة بن ربيعة (أحد قادة وسادة جيش قريش) فقال (يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً - والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه - قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته فارجعوا خلوا بين محمد وبين سائر العرب . فإن أصابوه فذلك الذي أردتم وإن كان غير ذلك الفاكم ولم يعرضوا منه ما تريدون) ولكن أبو جهل تعجل مخافة أن تقوى المعارضة وطلب من أخ عمر الحضرمي وهو عامر الحضرمي أن ينشد حفرته ومقتل أخيه فأفسد أبو جهل الرأي الذي دعاهم إليه عقبه وذهبت هذه المعارضة دون جدوى وتراءى الجمعان.

موقف جيش المسلمين

- (١) أخذ الرسول ﷺ يعدل صفوف المسلمين وكان في يديه قدح يعدل به - وكان سواد بن غزیه مستقلاً^(١) من الصف - فطعن في بطنه بالقدح - وقال (استو يا سواد) فقال سواد يا رسول الله - أوجعتني فأقذني - فكشف عن بطنه وقال (استقد) فاعتقه سواد وقبل بطنه فقال (ما حملك علي هذا ياسواد؟). قال : يا رسول الله - قد حضر ما ترى - فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله بخير . (صورة صادقة للحب والأيمان الذي يربط الجنود بالقائد).
- (٢) بعد تعديل الصفوف أمر رسول الله إلى جيشه بالأبدا القتال حتى يتلقوا منه الأوامر الأخيرة في حين حاربت مكة بطريقة الكر والطر .
- (٣) ثم أدلى الرسول ﷺ بتعليماته النهائية في أمر الحرب فقال (إذا أكثبوكم - يعنى اقتربوا منكم - فارموهم - واستبقوا نبلكم^(٢) ولا تسلموا السيوف حني يغشوكم) ورجع إلى مركز قيادته^(٣).

المعركة بداية ونهاية

- (١) قتل حمزة بن عبد المطلب الأسود بن عبد الأسد المخزومي في أول مبارزة .
- (٢) خرج ثلاثة من خيرة فرسان قريش وهم عقبة وأخوه شيبه إنبا ربيعة والوليد بن عتبة فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار فقالوا: من أنتم؟ قالوا رهط من الأنصار - قالوا : أكفاء كرام ما لنا بكم حاجة. وإنما نريد بنى عمنا وانتهت المبارزة بقتل فرسان قريش الثلاثة.

(١) متقدماً.

(٢) صحيح البخاري ٥٦٨ / ٢ .

(٣) سنن أبي داود: باب في سل السيوف عند اللقاء ١٣ / ٢ .

- (٣) بعد ذلك حمى وطيس القتال واستدارت وحى الحرب بشدة وأصدر الرسول (صلي الله عليه وسلم) أوامره بالهجوم المضاد وحرصهم علي القتال فقال (شدوا) وقال (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ليقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر - إلا أدخله الله الجنة).
- (٤) زاد جنود المسلمين من حماسهم وعزمهم بعد أن رأوا رسول الله ﷺ يثب في الدرع. وقد تقدمهم فلم يكن أحد أقرب من المشركين منه^(١) فقاتل المسلمون أشد قتال .
- (٥) بدأت إمارات الفشل والإضطراب في صفوف المشركين وركب المسلمون ظهور أعدائهم بأسر ون ويقتلون حتى تمت علي قریش الهزيمة .

صور من الإيمان بالعقيدة

- (١) التقى في هذه المعركة الآباء بالأنباء والأخوة - خالفت بينهما المبادئ والقيم ففصلت بينهما السيوف.
- (٢) روى ابن اسحق عن أبي عباس أن الرسول ﷺ قال لأصحابه (إني قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، لا حاجة لهم بقاتلنا فمن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله - فإنه إنما أخرج مستكرها).
- (٣) وكان النهي عن قتل أبي البختري- لأنه كان أكف القوم عن الرسول ﷺ وهو بمكة - وكان لا يؤذيه - ولا يبلغ عنه شيء يكرهه - وكان ممن قام في نقض صحيفة مقاطعه بنى هاشم وبنى المطلب وعندما قال له المحذر : يا أبا البختري إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك - فقال : وزميلي ؟ وكان يقاتل بجانبه - فقال المجذر : لا والله ما نحن تباركي زميلك - فقال - والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً ثم اقتتلا فأضطر المجذر إلى قتله.
- (٤) وقع أمية بن خلف أسيراً في يد عبد الرحمن بن عوف وكانا صديقين في الجاهلية في مكة كاتب عبد الرحمن أمية بن خلف بأن يحفظه في صياغيته- أي خاصته وماله بمكة - و أحفظه في صاغيته بالمدينة فلما كان يوم بدر خرجت إلى حيل لأحذره حين نام الناس فأبعده بلال فخرج حتى وقف على مجلس الأنصار فقال : أمية بن خلف (لا نجوت إن نجا أمية) فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقوننا خلفت لهم إبنة ليشغلهم فقتلوه - ثم أبو حتى يتبعوننا - وكان رجلاً ثقيلاً - فلما أدركونا قلت له - أبرك فبرك فألقيت عليه بنفسي لأمنعه فتخلوه بالسيوف حتى قتلوه - وأصاب أحدهم رجلي بسيفه كان عبد الرحمن يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه^(٢).
- (٥) قتل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة ولم يلتفت إلى قرابته منه.
- (٦) ونادى أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إبنة عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين فقال : أين مالي ياخيبيث فقال عبد الرحمن :

لم يبق غير شكه ويعيوب وصارم يقتل ضلال الشيب^(٣)

(١) رواه البخاري وأحمد في المسند ١/ ٣٢٩.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الوكالة ١/ ٣٠٨.

(٣) الشكة: السلاح، ويعيوب: الفرس الكثير الجري.

(٧) وبعد انتهاء المعركة مر مصعب بن عمير العيدي بأخيه أبي عزيز بن عمير وقد وقع أسيراً أثناء المعركة ضد المسلمين - ومربه وأحد الأنصار يشد يده - فقال مصعب للأنصاري شد يديك به، فإن أمه ذات متاع - لعلها تفديه منك - فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بي؟ فقال مصعب - أنه أي الأنصاري - أخي دونك!

(٨) ولما أمر بإلقاء جيف المشركين في القليب - وأخذ عتبه بن ربيعة فسحب إلى القليب - نظر رسول الله ﷺ في وجه إنبه أبي حذيفة - فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: (يا أبا حذيفة - لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله. ما شككت في أبي ولا مصرعه ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام.

التقييم

أخلاقيات الحرب في بدر

(١) أقام الرسول ﷺ ببدر بعد انتهاء المعركة ثلاثة أيام وكان ذلك ضمن عادات العرب منذ الجاهلية - فبقي المنتصر في مكان المعركة ثلاثة أيام - ولم يخالف الرسول ﷺ هذه التقاليد المتفق عليها .

(٢) إشتد الخلاف بين الجيش حول الغنائم - ففريق بعد هزيمة قريش أنطلق في آثارهم يطاردونهم . وأكبت طائفة أخرى على الغنم يحرزونه ويجمعونه . وأحدثت طائفة الثالثة بالرسول ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض واشتد الخلاف بين الفرقاء الثلاثة أيهما أحق - فأمر الرسول ﷺ بأن يرد الجميع ما بأيديهم - ففعلوها - لحين حل المشكلة التي تحدث لأول مرة للمسلمين فنزل حكم الله تعالى في سورة الأنفال (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبيدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)^(١).

فقام رسول الله ﷺ بعزل خمس الغنائم وقسم الباقي بالتساوي بين المسلمين. وجعل للفارس مثل ما للفارس وللورثة حصة من استشهد ببدر وجعل حصة لمن تخلف بالمدينة فلم يشهد بداراً وكذلك قسم الفيء بالقسط فلم يشك المقاتل وحده بل كل من عاون في النصر.

(٣) وأول مرة يكون للمسلمين أسرى - فاختلف الرأي فعمر بن الخطاب كان يريد ضرب أعناقهم وأبو بكر الصديق كن يريد إطلاقهم وأنقسم المسلمون بين مؤيد الأول ومؤيد للثاني إلى أن قال الله سبحانه تعالى في حكمه:

(ما كان لنبي أن يسرى له أسرى حتى يتخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم)^(٢). وهكذا تم إبلاغ قريش بإمكانية إفتدائهم وكان بين الأسرى من زعماء قريش عمرو بن أبي سفيان وسهيل بن عمرو (أبو يزيد) وهو من أكثر الرجال هبة في مكة. وأبو العاص بن الربيع صهر الرسول ﷺ والعباس عم الرسول ﷺ وإنبا عمه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث. وعقبة بن عمرو بن جدام - وقد فدت قريش كل أسرها وفدى العباس نفسه وأبني أخيه وحليفه نوفل). (٤) قدم الأسرى بعد بلوغ الرسول المدينة بيوم - فقسمهم علي أصحابه - وأوصى بهم خيراً فكان الصحابة يأكلون التمر ويقدمون لأسراهم الخبز عملاً بوصية الرسول ﷺ - فلم يعذب أسير واحد - حتى قبل نزول الآيات القرآنية لتتصل في موضوع الأسرى (أخلاقيات الحرب).

(١) الأنفال: الآية (٤١).

(٢) الأنفال: الآية (٦٧).

- (٥) ونزل بعد ذلك حكم القرآن في الأسرى فقد جاء في سورة الأنفال (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (الآية ٦٨). والكتاب الذي سبق من الله قيل هو قوله تعالى (فإما منا بعد وإما فداء) (محمد ٤:). وفيه الإذن بأخذ الفدية من الأسرى. وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم.
- (٦) من لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فإذا أحذقوا فهو فداء فقد كان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون (أخلاقيات الحرب الدعوة للتعلم)
- (٧) ومن الرسول ﷺ علي عدد من الأسارى فأطلمهم بغير فداء منهم المطلب بن حنطب وصيغي بن أبي رفاعه وأبو عزة الجمحي- (ولذلك لعدم قدرتهم على الفداء) وفي ذلك ضرب للأمثال الكريمة في أخلاقيات الحرب.
- (٨) بعثت زينب بنت محمد ﷺ في فداء زوجها أبي العاص - بمال بعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة - أدخلتها بها على أبي العاص - فلما رآها الرسول ﷺ رق لها رقعة شديدة (وإستأذن) أصحابه في إطلاق أبي العاص ففعلوه. واشترط الرسول على أبي العاص أن يخلي سبيل زينب فخلاها - (فهاجرت) (القائد يستأذن في أمر يخص أبنته- حتى لا يحدث في النفوس ما يشونها)
- (٩) وكان في الأسرى سهيل بن عمرو. وكان خطيباً مصقلاً فقال عمر: (يا رسول الله انزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع^(١)) فلا يقوم خطيباً عليك في موطن أبداً) بيد أن الرسول ﷺ رفض ذلك. إحترازاً عن المثلة وعن بطش الله يوم القيامة (أخلاقيات الحرب- رفض تعذيب وإهانة الأسرى).
- (١٠) وخرج سعد بن النعمان معتمراً فحبسه أبو سفيان - وكان ابنه عمرو بن أبي سفيان في الأسرى - فبعثوا به إلى أبي سفيان فحلى سبيل سعد - لقد بين الله تعالى وشرح للمسلمين من قوانين الحرب والسلم ما كانت الحاجة تمس إليها حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية ويتفوق المسلمون في الأخلاق والقيم والمثل العليا ويتأكد للدنيا أن الإسلام ليس مجرد رأى ووجهة نظر - بل هو دين يتقف أهله على الأساس و المبادئ الأخلاقية العليا أخلاقيات السلام والحرب.
- (١١) أمر الرسول (لما وصل إلى عرق الظبية عند عودته إلى المدينة) بقتل عقبة بن أبي معيط. فقد كان مسرفاً في إيذائه وعدائه للمسلمين في بدء البعثة- وقيل أنه أشترك في تعذيب عدد من المسلمين بقوة وهو الذي ألقى سلا جذور على ظهر الرسول ﷺ وهو يصلى وهو الذي خنقه بردائه وكاد يقتله. وكان طاغية من طغاة قريش وممن يطلق عليه اليوم (مجرم حرب) وليس أسيراً .
- (١٢) أمر الرسول (لما وصل الصفراء عند عودته إلى المدينة) بقتل النضر بن الحارث - وكان هو حامل لواء المشركين يوم بدر ومن أكابر مجرمي قريش ومن أشد الناس كيداً للإسلام وإيذاء لرسول الله - فهو من أكبر المحرضين على المقاطعة ومن عتاة الزبانية الذين كانوا يتلذذون بإيقاع العذاب بالمسلمين في مكة والمنائين للدعوة . فكان لا يعتبر أسير حرب ولكن ينطبق عليه بلغة العصر (مجرم حرب) ولم يكن محمد ﷺ وأصحابه إلى هاته اللحظة قد وضع للأسرى نظاماً يكون علي مقاضاته قتلهم أو فدائهم أو استرقاقهم كما كان سائداً في الجاهلية.
- (١٣) طلب الرسول ﷺ من المسلمين منذ اللحظة الأولى من المعركة ألا يقتلوا بني هاشم وألا يقتلوا بعض الرجال من سادات قريش- مع أنهم اشتركوا في قتال المسلمين - ومع أنهم كانوا سيقتلون من المسلمين من يستطيعون قتله- وقد تذهب الظنون بالبعث أن الرسول ﷺ أراد أن يحابي أهله أو واحداً ممن يمتون إليه بأصرة القربى- فنفس محمد أسمى من أن تتأثر بمثل هذا إنما ذكر لبني هاشم منعهم إياه علي مدي ثلاثة عشر عاماً من يوم البعثة إلى يوم الهجرة حني كان عمه العباس معه

(١) يدلع: يخرج.

ليلة تبعة العقبة فهذا المعروف الذي تقدم به هؤلاء قد أعتبره محمد ﷺ حسنه يجزى من قدمها بمثلها - فليس ذلك مجاملة لأقاربه ولكنها الحسنه لمن أجار المسلمين وقت المحنة.

التعليق

(١) يقف غير واحد من المستشرقين عند مقتل النضر وعقبة ويتساءلون - أليس في ذلك ما يدل علي رغبة هذا الدين في إسالة الدم لولاه ما قتل الأسيرين ؟ و أليس أكرم للمسلمين بعد أن كسبوا الموقعة أن يردوا الأسرى وأن يكتفوا بالفئ الذي غنموا ؟ والتعليل المقبول يخاطب العقل ويجد المبرر كما يلي :-

(أ) كانت واقعة بدر أول معركة يقع في أيدي المسلمين أساري - حتى إختلفوا فيما يصنعون حيالهم فما بين متشدد وما بين مترفق. ولم يكن نزل الوحي بم يحسم وهذا الأمر بعد.

(ب) بعد المعاهدة التي ربط بها الرسول ﷺ بكل الفئات في المدينة علي أن تتماسك الجماعات من الأنصار والمهاجرين والمشركين واليهود . كان ذلك يعنى أن الدولة الجديدة تكونت . فإذا نظرنا إلى روح الخصومة التي كانت تسود بين الأطراف والإختلالات فيما بينها- لا من أجل اختلاف في المبدأ أو تباين في العقيدة إنما لشيء آخر كعادة العرب وهو الثأر القائم بين الفئات- خاصة بين الأوس والخزرج أيام الجاهلية، ومن دلائل شدة الضغينة في النفوس اندفاع بلال ليقتل أمية بن خلف رغم أنه كان أسير عبد الرحمن بن عوف - وكان بلال ينادى رأس الكفر أمية بن خلف - لا بحوث إن نجا.

(ج) وكان بين الأسرى شاعر هو أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحي . فقال (لي خمس بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن يا محمد . وأنى لمعطيك موتقاً لا أقاتلك لا أكثر عليك أبدا فأمنه النبي وأرسله من غير فداء - لأنه لم يشارك في إيذاء المسلمين في مكة وليس بينه وبين أحد ثأر يوغل الصدور ولصد القلوب عن الرحمة ولذا كان قتل النضر وعقبة إستثناء لما قدمت يديهم ضد المسلمين (مجرمي حرب).

(د) لا يذكر التاريخ من قبل دولة قامت منذ أول أمرها علي دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية في المدينة والسائد أن تقوم الدولة أولاً ثم تطور أمرها إلى وضع دستور وفيه جاء (وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو أثم وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم) - ويدل ذلك الدستور (الميثاق) يعلم كثير بأحوال الناس وفهم ظروفهم الاجتماعية . فلا ريب أن النضر وعقبة قد أتوا إنما عظيماً وظلماً فادحاً على المسلمين في مكة .

(هـ) رغم هذا الميثاق (الذي شمل الكثير من حقوق الإنسان ونادى بتكريمه) إلا أننا نذكر أمر عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان يتعامل مع المسلمين بوجهيم ولم يكن ذلك يخفي علي الرسول (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه- فمواقفه كلها كانت مفضوحة وهو من سادة قومه فكما هم واحد من المسلمين بقتله لبينه نفاقه منعه النبي إكراماً لأنبه الذي كان صادق الإسلام عميق الأيمان.

(و) لم ينس الرسول ﷺ أنه مطارد من أهل مكة وأن مطاردتهم له لم تنته بإخراجه منها وإنما هي مطاردة تتبعتها ملاحقه لأن العداوة بينهم لم تزل أسبابها ولم تنقطع بواعثها خاصة أن قريشا أعلنت الحرب من طرف واحد منذ الوهلة الأولى، وقد صار محمد وأصحابه في طريق تجارتهم ومن حقه أن يحمى دولته الجديدة ويتحكم في سبلها وكانت حروب قريش للنبي متعددة الميادين متنوعة الأسلحة لأن العداوة شديدة والحقد كالح والغيظ دفين - فكان عقبة بن أبي معيط الجار الثاني لرسول الله ﷺ وكان يعمل معه مثل أبو لهب - وقال له أمية بن خلف الجمحي وكان صديقاً له - وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ عنقه وتبصق في وجهه - وتلطم عينه فلما رأى عقبة الرسول ﷺ فعل

به ذلك فأنزل الله فيه. (ويوم يغص الظالم علي يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً)^(١). (سورة الفرقان: الآية ٢٦)

(ل) أما النضر فكان يقول يا معشر قريش فإني أحسن منه الرسول ﷺ ويقول ما أحاديث محمد إلا أساطير الأولين وكان دائم الإستهزاء برسول الله ﷺ وأنزل الله فيه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين)^(٢).

المقارنة والإستدلال

أولاً: في التوراة

- (١) جاء في سفر (يوشع ٢٢-٣١) (أقتلوا كل من في المدينة من رجل وإمرأة وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها).
- (٢) في التوراة يوشع من (٣٢-٣٩) ويصف موكب التدمير والتخريب وعلي رأسه يوشع وقد إنتقل من أريحا إلى عاي (Ai) فيقتل كل أهلها حتى تفاحز التوراة وتقول (لم يبق فهم شارد ولا منقلب) وقد بلغ عدد القتلى ١٢ ألفاً هم جميع أهل (عاي) ثم أحرق يوشع مدينة عاي (وجعلها تلاً أبدياً خرباً).
- (٣) ورد في كتاب (التوراة عرض وتحليل) للدكتور فؤاد حسين (كان العبرانيون لا يكتفون بفتح المدن وإنما كانوا يقومون بإتلاف وتدمير كل ما تقع عليه أيديهم ومما لاشك فيه أن الحديث عن الأباداة مثل الحديث عن الانتصارات العسكرية -يظل جزء من الحقيقة فإتجاه العبرانيون نحو الابادة الجماعية هو تعبير عن تخلفهم الحضاري. كما نجد أنهم كانوا يتخلصون من الأسرى بأبادتهم جسدياً).
- (٤) في التوراة (قضاه ٨/٧ و ١٢) أنه كلما كان يدعى أحد أفراد قبيلة أفرايم أنه من جلعاد كان يطلب منه أن ينطق بكلمة (شبوليت) أي (سنبله) فإن فشل في ذلك لسبب اللهجة كان يذبح.

ثانياً: العدل تكافؤ القوي

- (١) عندما إستقرت النصرانية في نجران من بلاد العرب وكان ذي نواس ملك اليمن قد ورث اليهودية عن أبيه فغضب الملك وقاد جيوشه إلي نجران وخبر أهلها بين اليهودية والمود ولم يدع لهم مخرجاً من هذين الأمرين وأطلق ذي نواس أيدي حمير في أهل نجران ينالونهم بالقتل والمثلة ويحتازون من أموالهم ونسائهم ما يشاءون وهنالك جرت الدماء أنهاراً وإنتشرت الأشلاء إنتتاراً، وأمر بحفر أخاديد كبيرة وأخدمت فيها نيراناً عظيمة والقي النصراني في الأخاديد الملتهبة لا فرق بين صغير ولا كبير ولا طفل ولا امرأة وكر الرواه أن ذا نواس أفني منهم قريباً عن عشرين ألفاً وأن رجلاً واحداً جر في الهرب حتي أعجز الطالبين فإنطلق إلي النجاش تستعينه علي النار.
- (٢) الأمثال كثيرة وليس مجال البحث حصرها فإن الناظر في التاريخ تحمر عيناه من مناظر الدماء المهددة ويكاد تغرقه أنهار الدماء المسفوحة ولا يخص أن كل نزاع فهو حرب وكل منافسة فيما هو عماد الحياة فهي جلاذ وكل عمل يأتيه أحد المتنافسين للظفر بمنافسة فهو جهاد وكل وسيلة تظفره بطلبته فهي سلاح وكل تجاذب أو تدافع بينهما فهو كفاح وكل منفعة حفظها أو إستخلصها منه فهي غنيمة وكل إغفال عن حق أو تقويت لمصلحة فهو هزيمة وهذا ما يحدث في عصرنا الحالي، رغم إتفاق شعوب العالم في الأمم المتحدة علي مبادئ (أخلاقيات حقوق الإنسان) ولكن الحقيقية تتضح في ذلك القول (العدل تكافؤ القوي).

(١) سورة الفرقان: (الآية ٢٦).

(٢) سورة لقمان: (الآية ٦).

ثالثاً: نماذج من أخلاقيات الحرب يندي لها الجبين في العصر الحديث

ثانياً: العدل تكافؤ القوي:

- (١) في الحرب العالمية الثانية عبرت حدود روسيا ثلاثة جيوش المانيا قوامها ١١٦ فرقة مشاه وفرقة خياله و ١٩ فرقة مدرعة، وقدم الجنرال جودرين ملك خبراء الدبابات الألماني فحترما الجبهة الروسية في العمق وإستولي علي مدينة (منشك) وقتل فيها ٣٠٠ ثلاثمائة ألف أسير بالإضافة إلي حصد أرواح ٢٠٠ مائتي ألف أسير آخر في مدينة سولمنسك (قتل الأسري)..
- (٢) الحرب الشاملة: ذكر أحد العاملين تحت إمرة الجنرال (كيرتي لي ماي) قائد قاذفات (ب- ٢٩) في الباسفيك، أن الغارة الأمريكية الواحدة علي طوكيو كانت تلقي فيها الطائرات ٢٠٠٠٠ طن من المتفجرات الحارقة ويعملية حسابية لزنة القنبلة في ذلك الوقت تستطيع الخروج بنتيجة وهي أن كل ميل مربع من منطقة الهدف إرتاع بما يقرب من ٨٣٣٣ قنبلة وبدا الطيارون ومساعدوهم كأنما يرقصون وطائراتهم علي نغمات الألم والعذاب والموت حول جهنم التي أشعلوها مثلما كانت تفعل القبائل المتوحسة من أكلي لحوم البشر بينما ضحيتهم تغلي في القدر!!.
- (٣) شهادة صبي نجا بأعجوبة من مذبحه دموية: حدث ذلك أيام الإستعمال البرتغالي في موزمبيق في قرية (ويري ياما)

قال الصبي: إن الطائرات البرتغالية حلقت فوق القرية وبدون سابق إنذار أمطرت الأهالي المسالمين بالرصاص والقنابل دون تمييز، فكانت جثث النساء والأطفال والرجال تتساقط كأوراق الشجر وبعد وقت قصير دخل القرية وحدة من الجنود ومدافعهم في أيديهم وأطلقوا رصاصهم علي من بقي حياً وسجل أحد الصحفيين للصبي علي شريط قوله: (ساقونا إلي ساحة وسط القرية وكنا من بقي ما بين ٦٠٠ - ٧٠٠ فرد ما بين طفل وامرأة ورجل وأمرونا برفع أيدينا إلي أعلا وفتحوا لانار علينا من كل صوب وسقط فعظمتنا علي الأرض أما أنا فقد أصبت برصاصة في كتفي فعضوا أجسام من سقطوا بأكوام من القش وكنت واحد منهم ولما أشعلوا النار في القش حانت لي فرصة النجاة من خلف الدخان واللهب قبل أن يصلني وإختفيت وراء أشجار القرية كك فعل صديقي (مانويل) ورأيتة يتقدم لمساعدة ولد آخر يصرخ طالب جرعة ماء أعطاه بعض الماء وهرب وإقترب جندي من الولد المصاب فأرادته قتيلاً بعدة طلقات من مدفعه وإنسكب الماء كما إنسكب حياته قبل أن يروي ظمأه.

حقائق عن أخلاقيات الحرب

قصدت في البحث أن يكون فيه خطاب يقرر الحقيقة لغير المسلمين أولاً وللمسلمين ثانياً، بعيداً عن المبالغة والتحويل وحرصاً علي الواقع دون التهوين، وإشير في ذلك إلي ما إستقرت عليه الحقيقة بعد التحليل والتحصيص والمقارنة والدراسة وما إستقر من وقائع مؤكدة مما ذكره الرواه من السلف الصالح وما أضيف عليه من إجتهد ومقارنة.

الحقيقة الأولى: حرب دفاعية:

- (١) زعم كثير من المستشرقين أن الرسول ﷺ حارب بالسيف فكرة (الإيمان) ويمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع.
- (٢) لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف (سلطة) تقف في طريق الدعوة لأن السلطة تزال بالسلطة ولا غني في إخضاعها عن القوة.
- (٣) الحروب التي أشرنا إليها سلفاً كانتكلها حروب دفاع ولم تكن منها حرب هجوم إلا علي سبيل المبادرة بالدفاع بعد الإيقان من نكث العهد والإصرار علي القتال.
- (٤) شاع في اللغات الأجنبية ترجمة مصطلح الجهاد (بالحرب المقدسة) والرسول ﷺ لم يعرف الحرب المقدسة ولكنه فقط حرب مشروعة وحرب غير مشروعة.

- (٥) القرار الحربي للرسول ﷺ أن السرايا ستطوف منذ اليوم الأول خارج يثرب تبحث في كل الطرق المؤدية إليها لتري إن كان هنالك ما يهدد علي ان ترجع هذه السرايا بالأخبار دون أن يشتبك في قتال.
- (٦) أثناء سرية (رابغ) لقيت قافلة عظيمة من قريش فهرب من القافلة ثلاثة رجال لحقوا بالمهاجرين فأعتاظ عكرمة بن أبي جهل رئيس القافلة فأطلق سهماً علي سعد بن أبي وقاص، فضمد سعد دراجة وإنترع السهم دون أن يخوض الحرب، وهذه أوامر الرسول ﷺ.
- (٧) محاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكر بالقوة ولا بد من التمييز بين العلملين لأنهما جد مختلفين.
- (٨) أذن الله للمسلمين بقتال أعدائهم الذين إعتدوا عليهم وعلي الرغم من الأذن بالقتال دفاعاً عن النفس فعاد القرآن يحذر من مجاوزة الحد في ذلك إلي الإعتداء فالله لا يحب المعتدين (فمن إعتدي عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما إعتدي عليكم) (١).
- (٩) إذا كان الجهاد يعني الحرب الدفاعية فإن ذلك لا يقتصر علي القتال فقد يكون الجهاد بالمال أو بالنفس أو بالفكر أو بأي وسيلة أخري تساعد علي رد العدوان في كل أشكاله وصوره.
- أخلص من ذلك الحقيقة أن المعارك التي نفذها الرسول ﷺ كانت جميعها معارك دفاعية.

الحقيقة الثانية: قوة السلطان أصبحت ضرورية:

- (١) الدولة التي يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها، ماذا تصنع إن لم تحتكم إلي سلاح (اليهود داخل المدينة يكبدون ويتأمرون، وينقضون ما عاهدوا الرسول عليه) من حرب إشاعات وحرب إخراج وحرب الإقتصاد.
- (٢) والدولة التي تحمل أناس من أبنائها السلاح علي أناس آخرين من أبنائها بماذا تغض الخلاف بينهم إن لم تقضه بقوة السلطان؟
- (٣) التهديد المستمر من القبائل المحيطة بالمدينة لا يردعه إلا قوة السلطان للحفاظ علي الأمن والإستقرار.
- (٤) الحرب التي أعلنتها قريش وتمادت فيها ومستمرة بعد إنقطاع وتأييب القبائل وتحالفها مع بعضها لا يوقف ذلك إلا قوة السلطان.

الحقيقة الثالثة: معاملة الأسري بالحسنة:

- (١) كما ذكرنا من قبل أن الرسول ﷺ أوصي بالأسري جبر بعد أن وزعهم علي أصحابه فكانوا يأكلون التمر ويقدمون للأسري الخبز والخبز طعم عزيز في الصحراء وأرقى من التمر ف التقدير البدوي.
- (٢) نزول قول الله تعالي (فإما منا بعد وإما فداء) (محمد الآية ٤).
- (٣) تم إطلاق عدد من الأسري دون فداء بعد ثبات عسرتهم.
- (٤) تم إطلاق عدد من الأسري بعد أن نفذوا تعليمات الرسول ﷺ بتعليم القراءات والكتابة لعدد من المسلمين.
- (٥) أمر الرسول ﷺ بقتل (النضر بن الحارث) وقتل (عقبة بن أبي صعيط) إثنين من الأسري ثبت ضددهم إرتكاب جرائم شديدة وفي العصر الحديث يطلق عليهم (مجرمو الحرب) بعد أن إرتكبوا صنوفاً من الجرائم الحربية ويلزم أن يتم محاكمتهم عن هذه الجرائم التي عقوبها تصل إلي الإعدام كما أن العصر الحديث أقام محاكم خاصة لهذا الشأن ويسمونها (محاكم جرائم الحرب).

(١) البقرة: الآية ١٩٤.

أخلاقيات الحرب بعد الانتصار في بدر

(١) لم تكد الشمس تميل - يوم بدر - حتى كانت قريش قد أنهكتها العطش والقتال وأمضها فقد خير فرسانها وشجعانها وساداتها فجمعت فلول جيشها تاركه جثث قتلاها على أرض الوادي وإذ رأى المسلمون جموع قريش تفر، إمتلأت قلوبهم بنشوة الظفر فمضوا يهنتون بعضهم البعض بالنصر .

• لكن محمداً ﷺ خشى أن يكون في الأمر مكيدة (الحرب خدعة) فقد تستدير جموع قريش لتطوقهم، أو لتداهم المدينة وهم خارجها، فأمر الرجال أن يتابعوا الجيش المهزوم، وأن ينالوا منه - ومن يدري؟، فقد يغدر اليهود ويفتحوا لهم أبواب المدينة من وراء ظهره، فطارده رجاله في أثر الجيش المهزوم - وجيش مكة يسرع مجهداً من العطش معذباً من الهزيمة حتى لقد ترك كثيراً من العتاد و المؤونه

(الحذر من نشوة النصر و زهو فينقلب الي نكسة تقوض النصر)

(٢) تفقد محمد ﷺ أرض المعركة بنفسه فوجد أن من قتل من رجاله أربعة عشر بينهم زوج حفصه بنت عمر بن الخطاب (الترحم على الشهداء لتكريمهم)

(٣) أمر محمد ﷺ من رجاله أن يواروا القتلى التراب بلاً إستثناء وأن يلقوا كبار رجال قريش في بئر جاف و يضعوا عليهم الحجارة (اكرام القتلى بسرعة دفنهم)

(٤) سمع محمد ﷺ ضحكات رجاله من خلفه وهم يسوقون الأسرى أو يجرونهم ومصعب بن عمير يقول لبعض صحبه (أحكموا شد وثاق أخي فإن له أما غنيه ذات متاع لعلها تقديه).

فنظر محمد ﷺ فوجد الأسرى يسرون مشدودي الوثاق فقال لأصحابه (استوصوا بالأسارى خيراً).

(معاملة الأسرى معاملة إنسانية)

وأمر الراكبين أن يحملوا الأسرى معهم وأمرهم أن يسقوهم حتى لا يهلكوا من العطش، ولمح بين الأسرى زوج إبنته زينب وعمه العباس بن عبد المطلب.

(٥) على مشارف المدينة أقبلت وفود من القبائل الموالية لمحمد ﷺ تهنته بالنصر، فقال لهم رجل من صحبه في زهو الإنتصار:

(ما الذي تهنتوننا به، إن لقينا إلا عجائز صلحاً كالإبل فنحرنها)

وكره محمد ﷺ من صاحبه هذا الصلف، فقال: (أي ابن أخي أولئك الملام)، (فما يليق أن يستهينوا بأقدار الناس لأنهم هزموا !!).

(٦) قضى أن يطلق سراح كل أسير يرسل قومه فديته والأسير الذي يُعلم عشراً من صبيان المسلمين يطلق سراحه، فقدم إليه أسير يشكو فقره. فما لديه ما ليفتدى به نفسه لا مال - ولا علم و له بنات في مكة يقوم عليهن - فأطلق سراحه و تركه لبناته يعولهن وإشترط عليه ألا يعود الي حربه مرة أخرى (المعاملة الإنسانية للأسرى) .

(٧) وأستبطأ المجاهدون توزيع الغنائم التي غنموها في الحرب فلقد أمرهم محمد ﷺ أن يلقوها اليه و لكنه لم يوزعها بعد، وأوشك القوم أن يقتتلوا في أمر توزيع الغنائم - وأستحمق بعضهم فكاد أن يرفع السيف في وجه أخيه فخرج محمد ﷺ يصيح في الناس مغضباً

(إنكم لأولى الناس ببعض- فليكن الحب ما يحكم بينكم لا المناقسة على عرض الدنيا فإنكم اذا لم تجعلوا بعضكم أحياء بعض وأولياء بعض ان لم تجعلوا الصفاء دستوركم (الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).)

ثم أمر أن توزع الغنائم بين الذين خرجوا جميعا على السواء

(إنكأء روح الوحده في الميدان- (Unity on the battle field)

(٨) مضى الي قبر إبنته رقيه فإنحنى محمد ﷺ يبكي علي القبر بين أصحابه ومضى قبل أن يدخل بيته يواسي أسر شهداء المسلمين الأربعة عشر!

(المحبة والرحمة)

(٩) وجاء رسول من مكه يحمل من إبنته زينب فدية زوجها الأسير وأستلم محمد ﷺ الفدية وتأملاها طويلا و سالت دموعه وأرسل الي بعض أصحابه يستأذنهم أن يرد الي أبنته فديتها ويطلقوا لها أسيرها- فوافق كل صحبه، على شرط أن يطلق زينب و يرسلها الي المدينة)

(النهي عما يثير العداوة والبغضاء)

(Reject Whatever causes animosity or hatred)

(١٠) وسأل محمد ﷺ أن يهبوه عمه العباس- اذا- شاءوا- فأطلقوا سراحه بلا فديه- والعباس هو الذي كان يحمي محمدا في مكه و مازال يرسل اليه خفيه بعض المال و يطلعه على تحركات أعدائه في قريش!!

(تطبيق الفضيلة علي النفس (Being Virtvons towards one self)

(والتواصي بالرحمة والإحسان (The advocacy of mercy and charity)

(١١) أمر محمد ﷺ شاعره حسان بن ثابت أن يطلق لسانه و كل ملكاته تمجيداً لإنتصار المسلمين في بدر و لتحذير قريش وحلفائها من محاولة عدوان جديد

(دعم مهابة المسلمين بين القبائل)، (ومقابلة مكر الأعداء (Confronting the trickery of the enemy)

(١٢) أخذ عبد الله بن أبي بن سلول يوسوس للناس و دس الي أمرأه من الأنصار فراشا وثيرا حملته الي عائشه وسمع محمد ﷺ فعاد إلي بيته ليجد عائشه مسترخيه على الفراش الوثير فسألها في غضب

ما هذا يا عائشه؟

فقات- إمرأه من الأنصار دخلت فرأت فراشك فبعثت الي بهذا فأمرها أن ترده فرد الفراش الي المرأه التي أهدهه وأستلقى محمد ﷺ علي الحصير كما تعود و دخل عمر ورأى محمد ﷺ علي الحصير خلافا لما سمع- ففاض الدمع من عين عمر فسألته محمد ﷺ ما يبكيك يا ابن الخطاب؟

فقال عمر:- ومالي لا أبكي و هذا الحصير أثر في جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها الا ما أرى وذلك كسرى وقيصر في

الثمار والأنهار!!

فأخذ محمد ﷺ يسري عن عمر و يعلمه أن قيمة الإنسان ليس فيما يملكه من متاع بل فيما يملكه من قدرة على إسعاد الآخرين فالأعمال الطيبات هي ما يبقى للإنسان

(١٣) وشكا عمر لمحمد ﷺ ما يلقاه الأرمال بعد وفاة أزواجهن في بدر فصار يجري على أسر الشهداء نفس المعاش الذي كان يكسبها عائلوها الشهداء، أما الأرمال الصغيرات فانه لمسئول عن تعويضهن بالأزواج (خوف الفتنة)

ويث عمر لمحمد ﷺ ألما يضيق به صدره فابنته حفصه أرملة صغيرة جميلة أستشهد زوجها في بدر- و لقد عرضها عمر على عثمان فقال له انه لايفكر في الزواج ثم عرضها على أبي بكر فسكت ولم يقل شيئاً

وأبتسم محمد ﷺ وسأل عمر ألا يغضب وستتزوج حفصه من هو خير من عثمان وأبو بكر (حسن سلوك المسلمين في الحرب) وتزوج محمد ﷺ حفصه بنت عمر (Good Human conduct by Muslim in times of war).

الأعمال القتالية بين بدر وأحد

الموقف العام

كانت معركة بدر أول لقاء مسلح بين المسلمين و المشركين و كانت معركة فاصلة أكسبت المسلمين نصرا حاسما شهد له العرب قاطبه ففرح المسلمون بنصر الله وحزن كثيرون من هذا النصر لأنه يعود عليهم بخسائر فادحة.

أولاً : أصابت قريش هزيمة جسيمة فكانت قريش ترى في ذلك ضربة قاصمة على كيانها الديني والأقتصادي- وتعمل علي الحرص على الثأر وازالة الهزيمة

ثانياً : أصاب اليهود الأستياء البالغ والغیظ الشديد فإنهم يشتركون مع قريش في المصالح ضد المسلمين و أزداد تذمر اليهود وكأن عهد الموادعه هو الذي حال دون الأشتباك والقتال

ثالثاً : المشركون الذين حقدوا على المسلمين صارت لهم اليد العليا في المدينة ويتعاونون مع اليهود وانتقل ميدان الثوره من مكة الى المدينة وأنتقل من الدين الى السياسة فلم تبقى دعوة محمد ﷺ الى الله وحدها التي تحارب بل كان كذلك سلطانه و نفوذ أمره موضع الرهبه و الخوف

رابعاً : المنافقون و تمتليء نفوسهم بالغل و الضغينه و يتريصون بالمسلمين و يتغامزون عليهم

المؤمرات ضد المسلمين

داخل و خارج المدينة

(١) الرسائل السرية ترد من العباس بن عبد المطلب تحمل أنباء إستعدادات قريش للقتال وحرص قريش على أن تظفر برأس محمد ﷺ

(٢) سعى تجار مكة لمخالفة يهود المدينة ومحالفة القبائل التي تضرب خيامها خارج المدينة.

(٣) غيرت قريش طريق تجارتها إلى الشام بعد هزيمة بدر واتخذت طريقا طويلا عبر العراق معتمدة على قبائل سليم.

(٤) إنتصار بدر أصبح يهدد نفوذ بني قينقاع في أسواق شمال الحجاز- ومن المسلمين- تجار كبار يزاحمونهم في المدينة نفسها

(٥) ثمة مصلحة مشتركة بين قريش وبني قينقاع في شمال الحجاز وهذه المصلحة يهددها منذ اليوم انتصار المسلمين في بدر، ورغم ما يشكله يهود بني قينقاع من خطر، ومؤمراتهم داخل المدينة (لم يجاهروا بنقض صحيفة المحالفة).

- (٦) ظهر خطر داهم على المسلمين بعد إنتصار بدر- فبنو سليم يوادون قريشاً وييسرون لها طريق التجارة ويحالفون قريشاً جهرة معتدين على مالهم من هيبة وسمعة حربية.
- (٧) وأرسل محمد ﷺ إلى بني سليم يطلب منهم ألا يظاهروا قريشاً، ولكن بنو سليم إستخفوا به وتجاهلوا طلبه، ومضوا يغالون في محالفة قريش- فحشدوا بعض فرسانهم لحراسة قوافل قريش وزودتهم قريش بالمال والسلاح.
- (٨) ولذلك وجد محمد ﷺ نفسه مضطراً إلى مهاجمة بني سليم- حماية لأمن وسلامة المسلمين

وقعة بني سليم بالكدر

- * وصلت المعلومات إلى رسول الله ﷺ أن بني سليم وبني غطفان تحشد قواتها لغزو المدينة وتجمعوا بذئ أمر- فباغتهم الرسول في مائتي راكب في عقر دارهم- وبلغ منازلهم في موضع يقال له الكدر^(١) ففر بنو سليم، وتركوا في الوادي خمسمائة بغير إستولى عليها جيش المدينة وقسمها الرسول بعد إخراج الخمس فأصاب كل رجل بعيرين وأصاب رسول الله ﷺ غلاماً يقال له "يسار" فأعتقه
- * وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ٢ هـ بعد الرجوع من بدر لسبعة أيام- ويقال في المحرم للنصف منه- وأستخلف على المدينة سباع بن عر فطه وقيل ابن أم مكتوم^(٢).

مؤامرة لأغتيال الرسول ﷺ

- بعد هزيمة قريش في بدر صارت مكة تغلي كالمرجل ضد محمد ﷺ وتآمر إثنان من صناديد قريش أن يقضوا على رأس الذل والهوان والخذلان لقريش وهو محمد ﷺ
- وتآمر (عمير بن وهب الحمصي) و صفوان بن أمية بعد وقعة بدر على قتل محمد ﷺ وكان عمير من شياطين قريش ممن كان يؤذي الرسول ﷺ وأصحابه في مكة وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر- فأنتقل الي المدينة- فرأه عمر بن الخطاب فقال هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا لشر- فدخل على الرسول ﷺ
- فقال يا نبي الله- هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال (فأدخله علي)
- فلما رآه الرسول ﷺ أخذ عمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه- قال (أرسله يا عمر- إذن يا عمير).
- وسأله الرسول ﷺ ما جاء بك يا عمير؟ قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه
- قال الرسول ﷺ (اصدقني ما الذي جئت له؟ قال- ما جئت إلا لذلك)
- قال محمد ﷺ:-

- (بل قعدت أنت و صفوان بن أمية في الحجر- فذكرتما أصحاب القلب من قريش- ثم قلت له:- لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني- والله حائل بينك وبين ذلك)
- قال عمير:-

(١) الكدر: ماء من مياه بنو سليم يقع في نجد علي الطريق التجارية الحيوية بين مكة والشام.

(٢) ابن هشام ٢/٤٣-٤٤.

أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء- وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا و صفوان، فوالله إني لأعلم ماأتاك به إلا الله. وأسلم عمير وحسن اسلامه بعد.

(وقعة بني قينقاع)

مؤامرات و خداع في المدينة و حولها

- (١) كان الرسول حريصا على تنفيذ المعاهدة التي عقدها مع اليهود- و لكن اليهود لم يلبثوا بعد بدر فسعوا إلى الدس والسير في طريق المؤامرات والتحريش وإثارة القلق والأضطراب في صفوف المسلمين.
- (٢) علم محمد ﷺ بالمراسلات السريه بين يهود بني قينقاع وقريش- وتعاونهم مع قريش ضد المسلمين
- (٣) جهز اليهود بيوتا للمتاع و زدوها باليهوديات الفاتنات وبالخمر القوية الفاخرة التي أشتهر بنو قينقاع بصناعتها لإغراء محاربي بدر- فزاد السكر والعريضة في المدينة
- (٤) وأن هي إلا أيام حتى كان يطوف بالمدينة مناد يحمل الأمر بالنهي عن الخمر- وأنها حرام
- (٥) إغتاظ بنو قينقاع وأعتبروا الأمر موجها ضدهم وهم أكبر منتجي الخمر في المدينة
- (٦) أرسل اليهود الى قريش يستحثونها على المبادرة بغزو المدينة- سجد قريش كل بني قينقاع يفتحون لها لأبواب المغلقه.
- (٧) الموقف حرج في الحق فمحمد (صلي الله عليه وسلم) لا يستطيع أن يواجههم بالعداء وهم مازالوا في الظاهر على عهدهم في شروط صحيفة التحالف وفي نفس الوقت تصله المراسلات السريه من عمه العباس بن عبد المطلب من مكه بكل هذه الدسائس والمؤامرات

(٨) قرر محمد ﷺ أن يذهب اليهم فيدعوهم الى الصواب ويحذرهم من سوء عملهم ضد المسلمين ولكنهم ردوه قائلين (يا محمد إنك ترى أننا لسنا كقومك لايعرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصه **(إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس)**)

(٩) إن قريش تكيد للمسلمين وتؤلب عليه- ولكن يجب حين يخرج من المدينة أن يؤمن ظهره؟ فعاد محمد ﷺ يتلطف الى بني قينقاع ويطالبهم بالصفاء والود ولكن بني قينقاع كانوا يضيعون بمنافسة تجار المهاجرين ويضيعون بالقواعد الجديده التي تحكم المعاملات فإمتلأت نفوسهم غيظاً وحنقاً علي المسلمين

نماذج من مكيدة اليهود

(١) مر شاس بن قيس وكان يهوديا قديما عسا^(١) عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين على نفر من الأوس و الخزرج ،فأمر شابا من اليهود كان معه -فقال :- أعمد اليهم فإجلس معهم ثم أذكر يوم (بعث) وما كان قبله و أنشدهم بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار ففعل، وتنازع وتقاخر القوم وتقاتلا رجالان من الفتتين، وقال أحدهما لصاحبه إن شئت رددنا الآن جذعه (يعني الأستعداد للحرب الأهليه)، وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم

الظاهرة -الظاهرة :الحره -السلاح -السلاح

فجاءهم الرسول ﷺ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ثم أنصرفوا بعد أن اطلقاً جمره توشك أن تلتهب.

(١) عسا: كبير.

(٢) وخلال تلك الأيام المتوترة و الشك المتبادل أقبلت على سوق بني قينقاع بدوية مسلمة ببضاعة لها وذهبت الى أحد الصاغة اليهود -فتعرض لها بعض الفتيان اليهود فمضوا يتغامزون على جمالها و استقامة قوامها و أخذوا يهزؤون من الأسلام الذي تقضى تعاليمه بحجب مثل هذا الجمال عن العيون . فعبث أحد اليهود بثوب المرأة المسلمة وأندفع أحد الرجال المسلمين يدافع عنها و تقاثل مع الذى عبث بثوبها فقتله - فتجمع اليهود على الرجل المسلم و قتلوه .

(٣) أعتصم اليهود في حصونهم بحي الصاغة و أعلنوا نقض الصحيفة و شنوا العداء سافرا و أنتظروا عون بني قريظة و بني النضير .

(٤) أمر محمد ﷺ رجاله من الأنصار أن يحاصروا بني قينقاع في حصونهم و تدخل عبد الله بن أبي ليستنصر الخزرج و يذكرهم بحلفهم القديم مع بني قينقاع قبل أن يأتي محمد .

(٥) ضد الخزرج كيد عبد الله بن أبي لأنه بموقفه هذا إنما يفسد في الأرض ويوشك أن يثير الفتنة بين المسلمين .

(٦) جاء الى محمد ﷺ رجال من الأوس يطالبون بقتل عبد الله بن أبي وخشى الرسول ﷺ أن تثور الفتنة من جديد بين الأوس والخزرج فأمر الأنصار جميعا أن يتركوا عبد الله بن أبي ويتولى هو بنفسه أمر الرجل .

الحصار ثم التسليم ثم الجلاء

(١) شدد المسلمون الحصار على بني قينقاع خلف حصونهم وأرسل بنو قريظة وبنو النضير الى محمد ﷺ يؤكدون له أنهم مازالوا على تمسكهم بصحيفة المحالفه ، وأنه لاشأن لهم ببني قينقاع و أستخلف على المدينة أبو لبابة بن عبد المنذر .

(٢) بعد خمسة عشر يوما من الحصار المضني إستسلم يهود بني قينقاع بلا شروط و تركوا أمرهم الى محمد يقضى فيه كما يشاء !!

(٣) إنتظر عبد الله بن أبي أن يقضى محمد بالموت على كل يهود بني قينقاع وأشار عليه الكثيرون من أصحابه أن يقتلهم تنفيذا لأحكام الصحيفة.... لكن الرسول (صلي الله عليه وسلم) رفض ذلك.

(٤) أمر محمد ﷺ بأن يخرجوا جميعا من أرض المدينة - فهي ليست أرضهم و انما كانوا قد جاءوها غازين من قبل فأقاموا بها و سادوا تجارتها .

(٥) حرص محمد ﷺ ألا يمسا بسوء أثناء الخروج و عين أحد زعماء الأنصار قائدا على نفر من رجاله يراقبون خروج اليهود من المدينة .

(٦) غنم المسلمون بعد خروج اليهود منازلهم وأسلحتهم وكثيرا مما تركوه من متاع و رغم نفاق عبد الله بن أبي الذي لم يكن قد مضى على إسلامه نحو شهر واحد - عامله محمد ﷺ بالحسنى - رغم الكثيرين من أصحابه الذين طالبوا بقتله نتيجة مؤامراته و تعاونه ضد المسلمين .

وقعة السوق

(١) بينما كان صفوان بن أمية واليهود والمنافقون يأترون فيما بينهم على المسلمين كان أبو سفيان يفكر في عمل قليل المغانم ظاهر الأثر - يتعجل به ليحفظ مكانة قومه - و يبرز ما لديه من قوة .

(٢) كان أبو سفيان نذر ألا يمسا رأسه ماء من جنابة حتى يغزوا محمد فخرج في مائتي راكب ليفي بيمينه و يبر بقسمه على الأنتقام بعد هزيمة بدر .

- (٣) نزل أبو سفيان بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثلب من المدينة على بريد^(١) ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة نهارا .
- (٤) دخل إلى ضواحي المدينة في الليل مستخفيا تحت جناح الظلام فأتى حي بن أخطب فأبى وخاف فأنصرف الى سلام بن مشكم سيد بني النضير فإستأذن عليه فأذن -فقرأه وسقاه الخمر وبطن له من خبر الناس ثم خرج وأتى أصحابه .
- (٥) بعث مفرزة من رجاله فأغارت على ناحية من المدينة يقال لها العريص -فقطعوا وأحرقوا هناك مجموعة من النخل ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حدث لهما فقتلوهما -وفروا راجعين .
- (٦) بلغ الرسول ﷺ الخبر فسارع لمطاردة أبي سفيان وأصحابه - ولكنهم تمكنوا من الفرار مسرعين وطرحوا سويقا كثيرا من أزوادهم يتخفون بها ولذلك تمكنوا من الإفلات .
- (٧) بلغ الرسول ﷺ قرقرة الكدر في مطارده ثم إنصرف راجعاً وحمل المسلمون ما طرحه المشركون من سويقهم وسموا هذه المناوشة (بغزوة السويق) وقد وقعت في ذي الحجة سنة ٢هـ بعد بدر بشهرين

(١) البريد: مسافة اثني عشر ميلاً.

(وقعة ذي أمر السنة الثالثة من الهجرة)

- (١) حملة عسكرية قادها الرسول ﷺ في المحرم سنة ٣ هـ.
- (٢) نقلت إستخبارات المدينة أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة ، فخرج في أربعمئة وخمسين مقاتلاً ، ما بين راكب وراجل وإستخلف على المدينة عثمان بن عفان.
- (٣) وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل من بني ثعلبة وأسلم وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو.
- (٤) تفرق الأعداء في رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة ، ووصل الرسول ﷺ إلى مكان تجمعهم وهو ماء يسمى (بذي أمر) ، فأقام هناك صفراً كله من سنة ٣ هـ ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ولكي يستولى عليهم الرعب والرهبه حتى لا يعودوا لتهديد المدينة والتأمر على المسلمين.

مفرزة محمد بن مسلمة**قتل كعب بن الأشرف**

- (١) كان كعب بن الأشرف من أشد اليهود عداوة للمسلمين ومن زعماء اليهود بالمدينة، وكان حريصاً على التعاون مع قريش ، ومظهراً عداوته الشديدة في العلن
- (٢) كان كعب بن الأشرف غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب وشاعراً من شعرائها، وكثيراً ما جاهر بشعره يهجو الإسلام والمسلمين، وحينما بلغه إنتصار بدر قال: (والله إن كان محمداً أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها).
- (٣) إشتد كعب بن الأشرف في هجائه للرسول ﷺ وهجاء المسلمين وأخذ، ويمدح قريشاً ويتأسى على قتلاهم، ويحرض قريش والقبائل الأخرى على المسلمين ، حتى أنه ركب إلى قريش وجعل ينشد الأشعار ويبكي فيها على أصحاب القليب من القتلى لكي يثير حفيظتهم ويذكي حقدهم ويدعو قريش إلى حرب محمد ﷺ وأصحابه للإنتقام والتأثر .
- (٤) حينما كان بمكة سأله أبو سفيان والمشركون: (أدبينا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأي الفريقين أهدى سبيلاً؟ فقال: أنتم أهدى فيهم سبيلاً وأفضل ، وفي ذلك أنزل الله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ^(١)"
- (٥) تمادى كعب بن الأشرف بعد رجوعه إلى المدينة يسب في أشعاره بنساء الصحابة ويؤذيهم بسلاطة لسانه أشد الإيذاء - وجاء فيما ذكرنا سابقاً طبائع العرب ومبلغ تقديرهم للمعرض وثورتهم من أجله.
- (٦) أذن رسول الله بقتل كعب بن الأشرف بعد إستفحال شره وتعاضم ضرره على المسلمين في المدينة وبعد رفضه الانصياع إلى الحسنى ويتوقف عن إثارة العداوة في الدولة الجديدة وأرسل مفرزه قتال لهذا الغرض.
- (٧) إنتهت المفرزة إلى حصن كعب بن الأشرف واستخدمت المكر والخديعة للوقية به وتم قتله، وكان أثر مقتل كعب بن الأشرف على اليهود شديداً فدب الرعب في قلوبهم العنيدة، وتأكدوا أن رئيس الدولة الجديدة لن يتوانى عن إستخدام القوة. حين يرى أن النصح لا يجدي نفعاً لمن يريد العبث بالأمن وإثاره الإضطرابات وعدم إحترام المواثيق ، وبقتل هذا الطاغية أسرعت الأفاعي إلى جحورها تختبئ فيها .

(١) سورة النساء الآية ٥١.

(٨) تفرغ الرسول ﷺ لمواجهة الأخطار المحدقة من خارج المدينة، وإستراح المسلمون بعد أن تخفف عنهم الكثير من المتاعب الداخلية التي كانوا يتوجسونها ويشمون رائحتها ويقدرّون مبلغ شرها .

وقعة بحران

الزمن: في شهر ربيع الآخر سنة ٣ هـ.

القوة: خرج الرسول ﷺ في دورية قتالية كبيرة قوامها ثلاثمائة مقاتل .

المكان: الذهاب إلي أرض يقال لها : بحران - وهي معدن بالحجاز من ناحية الفرع فأقام بها شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى .

الغرض: اختلفت المصادر في تعيين سبب هذه الوقعة، فقيل:- أن استخبارات المدينة نقلت إلي الرسول ﷺ أن بني سليم يحشدون قوات كبيرة لغزو المدينة أو أطرافها - إنتقاما لما أصابهم في الكدر في شوال سنة ٢ هـ .

وقيل:- بل خرج يريد قريشا و هذا الثاني هو الذي ذكره ابن هشام و اختاره ابن القيم^(١).

سرية زيد بن حارثة

الزمن :- في جمادى الآخرة سنة ٣ هـ و هي آخر وأنجح دورية للقتال قام بها المسلمون قبل أحد.

الموقف في قريش: نخب قريش صفوان بن أمية لقيادة تجارتها إلي الشام في هذا العام، وقال صفوان بن أمية لقريش: (إن محمدا وصحبه عوروا علينا متجربا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد واعدتهم ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رعوس أموالنا فلم يكن لها بقاء- و إنما حياتنا بمكة على التجارة إلي الشام في الصيف والي الحبشة في الشتاء) .

قرار قريش: وافقت قريش أن نسلك غيرها طريقا جديدا ،وغير مطروق على أن تنتكب العير الطريق على الساحل ثم الطريق إلي العراق وهي طريق طويلة جدا تخترق نجدا إلي الشام وتمر في شرقي المدينة على بعد كبير منها . وأتخذ قائد القافلة دليلا لأن الطريق مجهول و غير مطروق .

موقف المدينة: وصلت المعلومات إلي الرسول ﷺ بخروج عير قريش على الطريق الجديد ،فجهز القائد حملة قوامها مائة راكب في قيادة زيد بن حارثة الكلبى .

القتال: دهم زيد ومن معه القافلة بغتة وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال له (**قردة**) ففر صفوان ومن معه من حرس وأسر المسلمون دليل القافلة وإستولوا على غنيمة كبيرة من الفضة قدرت قيمتها بمائة ألف .

النتيجة: بدون قتال استولي المسلمون على كل مغنم القافلة، وكانت مأساة كبيرة لقريش فأشدت قلقها وحزنها ولم يبق أمام قريش إلا طريقان:-

الأول:- الإمتناع عن غطرتها وكبريائها وتأخذ طريق ألموا دعة والمصالحة مع المسلمين.

الثاني :- تقوم بحرب شاملة تعيد لها مجدها التليد وعزها القديم وتقضي على قوات المسلمين بحيث لا يبقى لهم سيطرة على هذا ولا ذاك.

(١) ابن هشام ٥١/٢ وزاد المعاد ٩١/٢.

وإختارت مكة الطريق الثاني فإزداد إصرارها على المطالبة بالتأثر وتصميمها على غزو المسلمين في ديارهم.

التقييم

أخلاقيات الحرب بين بدر وأحد

(١) لم يكن الرسول ﷺ رجلاً مقاتلاً يطلب الحرب للحرب ويطلبها و له غنى عنها فعندما ظهر خطر داهم على المدينة ومصدر هذا الخطر كان بنو سليم وتحالفوا مع بني غطفان وتهدد المدينة ويوادون قريشا العدو اللدود وظهر عداءهم السافر وبغيهم الشديد لجأ الرسول ﷺ) المهادنة واللين.

(أ) أرسل إلي بنى سليم يطلب منهم ألا يظاهروا قريشا عليه فتجاهلوا طلبه .

(ب) وصل استهتار بنو سليم بتحذير المسلمين مبلغا كبيرا فحشدوا بعض فرسانهم لحراسة قوافل قريش وأمدتهم قريش فزودتهم بالأموال و السلاح .

(ج) قاد الرسول ﷺ بنفسه الجيش إلى مضارب بني سليم لأهمية المعركة وتأثير ذلك على القبائل الأخرى المناوئة للمسلمين .

(د) عاد جيش المسلمين بغنائم كثيرة دون أن تراق قطرة دم واحدة .

(هـ) فخرجت القبائل المناوئة و المحيطة بالمدينة فقطعت مفاوضاتها مع قريش وخشيت من تكرار مثل هذه الحملات عليهم ،خاصة و أن قبيلة بني سليم كانت أكثر القبائل منعة وأشدهم قوة وأكثرهم تعرضا وتهديدا للمدينة .

(٢) حرص الرسول ﷺ على معاهدة ألموا دعه بين المسلمين وبني قينقاع – رغم تكرار خرق بنودها من قبل اليهود ،وبعد هزيمتهم لم يأمر بقتلهم رغم أن نصوص المعاهدة تنص على ذلك .

(٤) ذكر بعض المستشرقين أن قتل كعب بن الأشرف كان غدرا ولكنه للرد نذكر :-

(ا) ذهب إلي مكة ليتحالف مع العدو الرئيسي للمسلمين وينفذ لهم خطة تأليب القبائل داخل وخارج المدينة .

(ب) أخذ يشيب في أشعاره بناء المسلمين وهي جريمة شديدة لا يغفرها العرب .

(ج) كان يتجسس على تحركات و أخبار المسلمين ويبلغها إلي قريش، وينطبق عليه في أيامنا (الjasوس) وجريمته جزاؤها الإعدام .

(٥) إهتم الرسول ﷺ بالقضاء على القوة العسكرية المعادية ،ولم يغفل القضاء على القوة الاقتصادية التي يتناولها اقتداره وفي العصر الحديث كان القائد الشهير بنابليون يحارب الإنجليز بمنع تجارتهم وسفنهم أن تصل إلي القارة الأوربية ، ويطلق على هذا الأسلوب في العصر الحديث ويعمل به تحت اسم ((المصادرة)).

(٦) بعد رجوع الرسول ﷺ من وقعة بني سليم إشتد الخوف بين زيد بن حارثة وزوجته زينب بنت جحش ، وكانت صغيرة السن ومن أجمل فتيات بني هاشم ، وكانت تستعلي على زيد حتى صار الوفاق مستحيلا – فتم الطلاق و تزوجها الرسول ﷺ وأستغل عبد الله بن أبي واليهود ذلك استتروا أن محمدا ﷺ تزوج من امرأة إبنه بالتبني وذلك أمر مذموم ومكروه عند العرب فالولد شيء آخر . وهذا يوضح مدى مكر وخداع اليهود ومحاولة تأليب المسلمين علي أنفسهم وعلى رسول الله ﷺ.

معركة أحد

استعدادات قريش للانتقام

- (١) على أثر هزيمة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين فلهزيمة ثقيلة وقتل العديد من أشرفها، فمنعت قريش البكاء على قتلاهم في بدر منعوا من الإستعجال لعداء الأسرى حتى لا يتقطن المسلمون مدى مصيبتهم ، ونزعة الثأر و الانتقام مشتعلة في قلوبهم .
- (٢) إحتجزت قريش العير التي نجا بها أبو سفيان وطلبوا أن يستعينوا بهذا المال على حرب محمد ﷺ لعلنا أن ندرك منه تأرا فأجابوا .
- (٣) فتحوا باب التطوع لكل من الأحابيش وأهل تهامة وكنانة للمساهمة في غزو المسلمين وأغرى صفوان بن أمية أبو (عز الجمحي) وكان شاعرا أسر في بدر وأطلق إيساره بغير فداء بتحريض القبائل ضد المسلمين وعاهده أن يكفله وبناته وإختاروا شاعرا آخر هو سافح بن عبد مناف الجمحي لنفس المهمة.
- (٤) زاد لهيب الغضب في قريش ضد المسلمين بعد ما أصاب قريش في سرية زيد بن حارثة و الخسائر الفادحة التي قصمت قفار إقتصادها وتلك كانت من الدوافع في الاعجال بالاستعداد لغزو المسلمين والخوض معركة فاصلة معهم .

قوام جيش قريش :

أكملت قريش إستعدادها فأجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والأحابيس والحلفاء، وإصطحبوا معهم النساء حتى يكون حافزا لإستماتة الرجال في القتال وكن خمسة عشر امرأة وبلغه العصر كان سلاح (النقلبات) ثلاثة آلاف بغير ومن الفرسان مائتا فارس ومن سلاح (الوقاية) سبعمائة دراع وكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب .

الاستخبارات النبوية تكشف حركة العدو

- (١) العباس بن عبد المطلب يرقب تحركات قريش وإستعداداتها العسكرية وكان يرسل للرسول ﷺ في المدينة جميع تفاصيل قوة الحرب ، ووصلت رسالة عاجلة بتحريك جيش قريش الغزو المدنية وكان الرسول ﷺ في المسجد وقرأ الرسالة أبي بن كعب فأمره بالكتمان وتبادل الرسول ﷺ الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار .
- (٢) صارت المدينة في حالة إستنفار حتى أن رجالها لا يفارقها السلاح استعدادا للطوارئ وتم استنفار حراسات على مقر الرسول ﷺ وإنتشرت الحراسات على مداخل المدينة وتشكلت مقززات تتجول للحراسة خوفا أن يؤخذ المسلمين على غرة وقامت دوريات إلي خارج المدينة لإكتشاف تحركات العدو وتتجول في طرق الإقتراب المحتملة حتى لاتحدث مفاجأة.
- (٣) كان العباس على حرصه على دين آبائه ودين قومه يحس لمحمد شعور العصبية وشعور الإعجاب ويذكر له حسن معاملته إياه يوم بدر .

(الشوري وأخلاقيات الحرب)

Consultation and Ethics in War

- (١) خرج محمد ﷺ يحدث أصحابه عن قوة الجيش المهاجم و يسألهم الرأي و النصيحة وقبل أن يتحدث واحد من الناس قال لهم محمد ﷺ: (إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة) وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها).
- (٢) قال قائل الشباب: (أخرج بنا إلى أعدائنا يا رسول الله ، لا يرون أنا جينا عنهم وضعفنا).

(٣) وقال قائل الشيوخ (يا رسول الله، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخل علينا إلا أصبنا منة، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين).

(٤) وتخوف البعض من أن يمكثوا في المدينة فإذا إحتدم القتال إنفجرت الخيانة وفي المدينة من يضمّر العداء ويتأهب للكيّد).

(٥) أخذ محمد ﷺ الأصوات فإذا غالبية القادرين على حمل السلاح تُقرر الخروج إلى الحرب ، وأذعن محمد ﷺ لرأي الأغلبية فقد كانت الشورى أساس نظامه لهذه الحياة فلم يكن ينفرد بأمر إلا ما أوحى إليه من عند الله.

(٦) حين غادرهم محمد ﷺ ليرتدي ملابس الحرب ، تعاتبوا فيما بينهم فلقد أغلظ أحدهم لمحمد أثناء التشاور وقهره أن يتبع رأيهم على كره منه فقال له بعضهم (استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد صلى الله عليك)، وما كان له أن يتراجع بعد وقد عاهد الأقلية التي كانت تؤيده أن تنفذ قرار الأغلبية وما دام القرار قد صدر فيجب أن يحترمه الجميع

(٧) لما خرج الرسول ﷺ قالوا له يا رسول الله: ما كان لنا أن نخالفك فأصنع ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمتّه- وهي الدرع - أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه) (١).

موقف المنافقين عند خروج رسول الله ﷺ:

(١) أرسل محمد ﷺ إلى الحلفاء من يهود بني قريظة وبني النضير يطالبهم أن يخرجوا معه للدفاع عن المدينة ، فصحيفة التحالف التي كتبت بينهم تقضي عليهم الدفاع عن المدينة، ولكن بعضهم تعلل بأن الصيغة لا تلزمهم بالخروج من المدينة.

(٢) قال آخرون من اليهود. إن محمداً سيقاقل من الغد، وغداً هو يوم السبت ونحن لا نعمل في السبت ولا نشهر فيه سلاحاً، وغضب أحد رجالهم وعنف أصحابه على هذا التخاذل وامتشق حسامه وهو ينظر إلى قومه في ازدياد قانلاً (لا سبت لكم).

(٣) لما وصل المسلمون إلى منطقة يقال لها (الشيخين) شاهدوا مجموعة من اليهود بأسلحتهم الكاملة متوجهين لمساعدة قريش إلا أنهم رجعوا ولم يشتركوا.

(٤) حينما وصل الرسول ﷺ بمقربة من العدو فقد كان يراهم ويرونه ، تمرد عبد الله بن أبي فانسحب بنحو ثلث العسكر - ثلاثمائة مقاتل - معظمهم من الخزرج وكان عبد الله بن أبي قوي الحجة له قدرة بارعة على الإقناع ، فلوي زمام فرسه راجعاً إلى المدينة ومن ورائه ثلاثمائة رجل من خيرة المقاتلين ، ويبدو أن هدف عبد الله بن أبي من هذا التمرد وفي ذلك الوقت العصيب والمكان الخطير هو أن يحدث البلبلة والاضطراب في صفوف المسلمين فتتهار معنويات من يبقى مع رسول الله ﷺ، (وكانت الجبانة).

(٥) بعد تمرد عبد الله بن أبي والجنود معه همت طائفتان (بنو حارثة من الأوس ، وبنو سلمة من الخزرج) أن تفشلا ولكن الله تولاها ، فثبتتا بعدما سرى فيهما الاضطراب ، وهمتا بالرجوع والانسحاب ، وعنهما قال الله تعالى: [**إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**] (٢)

ما قبل المعركة:

أولاً: جيش قريش

(١) رواه أحمد ٣٥١/٢ والنسائي وابن اسحق.

(٢) الآية ١٢٢ من سورة آل عمران.

- (١) نزل إلى مشارف المدينة ونزل مقابل جبل أُحُد في مكان يقال له (العينين) على بعد خمسة أميال من المدينة.
- (٢) عبأت قريش جيشها حسب نظام الصفوف فكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان وعلى اليمين خالد بن الوليد وعلى اليسرة عكرمة بن أبي جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية وعلى رماة النبل عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان اللواء إلى مفرزة من بني عبد الدار (وهذا منصبهم الذي ورثوه من أيام الجاهلية).
- (٣) نجح أبو سفيان في إثارة غضب وحمية بنو عبد الدار فقد ذكروهم بهزيمة بدر يوم حملهم اللواء وتوعده - وثبتوا فيما بعد حتى أبيدوا عن بكرة أبيهم.
- (٤) حاول أبو سفيان إيقاع الثُّرقة والنزاع داخل صفوف المسلمين فقد أرسل أبو سفيان إلى الأنصار ، يقول لهم: **(خلأوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم ، فلا حاجة لنا إلى قتالكم)**
- ولكن فشلت هذه الخدعة وهذا المكر أمام الإيمان القوي المتين ، فلم يفلح وفشلت خدعة ومكر أبو عامر ، وكان رأس الأوس في الجاهلية ولكن المسلمين نبذوه فباء بفشل مكيدته.

ثانياً: جيش المسلمين:

- (١) بعد هذا الانسحاب لم يبق في جيش المسلمين إلا سبعمائة مقاتل وقد انسحب عبد الله بن أبيي بمعظم ما يملكه المسلمون من خيل.
- (٢) كان معسكر قريش يحول بين تحرك جيش المسلمين وبين أُحُد ، فطلب الرسول ﷺ وقال **(من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب (من طريق) لا يمر بنا عليهم؟)**، واختار أبو خثيمة طريقاً قصيراً إلى (أحد) يمر بحرة بني حارثة ومزارعهم تاركاً جيش قريش إلى الغرب.
- (٣) مر الجيش في هذا الطريق بحائط مربع بن قبيط ، وكان منافقاً ضريراً البصر ، فلما أحس بالجيش قام يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول: (لا أحل لك أن تدخل حائطي إن كنت رسول الله ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال الرسول ﷺ **(لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر)**).
- (٤) نفذ الرسول ﷺ حتى نزل الشعب من جبل (أحد) في عدوة الوادي فعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد ، وعلى ذلك صار جيش قريش فاصلاً بين المسلمين وبين المدينة.

أثناء المعركة:

بداية المعركة:

- (١) تقارب الجمعان وتداننت الفئتان وأنتت مرحلة القتال وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين (طلحة بن أبي العديري) فصرعه الزبير بن العوام.
- (٢) تتابع بنو عبد الدار في رفع لواء قريش قتلوا حتى بلغوا ستة نفر من بيت واحد قتلوا جميعاً حول لواء المشركين وتتابع حملة اللواء حتى أبيد عشرة من بني عبد الدار ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء فتقدم غلام لهم حبشي اسمه صُواب حتى قتل وسقط اللواء بعد ذلك ولم يجد من يحمله.

انتصار المسلمين في المراحل الأولى للمعركة:

- (١) بينما كان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين ، كان القتال المرير في سائر المواقع وسارت روح الإيمان بين صفوف المسلمين وطلب الزبير بن العوام ابن عمه الرسول ﷺ أن يأخذ سيف الرسول ﷺ فمنعه عنه وأعطاه أبو دجانة ، فقالت الأنصار أخرج (أبو دجانة) عصابة الموت، وكان أبو (دجانة) معلماً بعصابته الحمراء .
- (٢) كان في المشركين رجل لا يدع للمسلمين جريحاً إلا ذُقف عليه^(١)، فدعونا الله أن يجمع بينه وبين أبو دجانة ، فتقابلا وصرعه أبو دجانة .
- (٣) قاتل حمزة بن عبد المطلب قتال الليوث المهتاجه واندفع إلى قلب جيش المشركين وفعل الأفاعيل بأبطال المشركين من قريش وجندل أشدهم، ولكنه أُغتيل كما يغتال الكرام في حلك الظلام ويقول قاتل حمزة (وَحِشِّي بن حرب)، وكنت غلاماً لجبير بن مطعم ووعدي جبير وقال إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق (وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر) وإنما قتلته لأعتق فلما قدمت مكة عتقت^(٢) .
- (٤) عبأ الرسول ﷺ جيشه وهياهم صفوفاً للقتال واختار منهم فصيلة من الرماة الماهرين قوامها خمسون مقاتلاً وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان ، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة الشرقية من وادي قناة ، وعرف فيما بعد بجبل الرماة جنوب شرق معسكر المسلمين وعلى بعد حوالي مائة وخمسين متراً من مقر الجيش .
- (٥) كانت أوامر الرسول ﷺ لقائد الرماة (إنضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا تؤتيتن من قبلك)^(٣)، وقال للرماة (احموا ظهورنا فإن رأيتونا نقتل فلا تتصرونا وإن رأيتونا قد غنمنا فلا تشركونا)، وشدد الرسول ﷺ في أوامره على التنفيذ .
- (٦) اندفع (أبو دجانة) وفي يده سيف الرسول ﷺ وحول رأسه عصابة الموت ، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله حتى شق صفوف المشركين ، فرأى إنساناً يخمش^(٤) الناس خمشاً شديداً فحمل عليه بالسيف فولول ، فإذا هند بنت عتبة فارتد عنها مُكرماً سيف الرسول أن يضرب به امرأة .
- (٧) الحق أن ظفر المسلمين في صبيحة يوم أُحد كان معجزة من معجزات الحرب قد يفسرها بعضهم بمهارة محمد في وضعه الرماة في شعب الجبل يصدون الفرسان بالنبل فلا يتقدمون ولا يأتون المسلمين من خلفهم - وهذا حق - ولكن من الحق أيضاً ستمائة من المسلمين الذين هاجموا عدداً يوازي خمسة أمثالهم - إنما دفعهم إلى معجزات البطولة التي أتوا شيئاً أعظم من مهارة القيادة - - ذلك هو الإيمان - الإيمان الصادق بأنهم على الحق ومن آمن بالحق لم تزعه قوة مادية مهما عظمت .

تحول وتطور القتال:

- (١) تتضح في بداية المعركة القوة الكبرى ، قوة الفكر وقوة العقيدة وقوة الإيمان الصادق ، هذه القوة ظهرت في أول المعركة قوة لا غالب لها ما أراد صاحبها وجه الحق وحده ، وأوشكت نسوة قريش أن يؤخذن أسرى وتبع المسلمون عدوهم يزلزلون صفوفه حتى بُعد عن معسكره فجعل المسلمون ينتهبون الغنيمة وصرقهم ذلك عن اتباع عدوهم وعصا الرماة أميرهم عبد الله بن جبير وانطلق أكثرهم يبعون الغنائم .

(١) أجهز عليه وقتله .

(٢) ابن هشام ٦٩/٢ - ٧٢ ، وصحيح البخاري ٥٨٣/٢ .

(٣) ابن هشام ٦٥/٢ - ٦٦ .

(٤) ضربه وقطع عضواً فيه .

- (٢) أهتبل خالد بن الوليد فرصة إنشغال المسلمين خاصة رماة النبل فشد برجاله على مكان الرماة فأجلاهم ، وأتفت حول جيش المسلمين فترقت صفوف المسلمين وتمزقت الوحدة بين صفوف المسلمين، التي كانت إلى ساعة تقاتل بأمر ربها وهي الساعة تقاتل لتتجو من براثن الموت ومخالب الذلة ، تقاتل مبعثرة متناكرة ولا قيادة لها فلم يكن عجباً أن ترى مسلماً يضرب مسلماً بسيف وهو لا يكاد يعرفه.
- (٣) وصاح صائح بالناس: إن محمداً قد قتل فازدادت الفوضى وعظمت البلية وإختلف المسلمون وصاروا يقتتلون ويضرب بعضهم بعضاً حتى أن المسلمين قتلوا رجلهم جُبيل بن جابر أبا حذيفة وهم لا يعرفونه.
- (٤) ما لبثت قريش حين سمعت بمقتل محمد أن تدافعت تدافع السيل إلى الناحية التي كان فيها وكل يريد قتله ليفاخر الأجيال وأحاط المسلمون بالرسول ﷺ يدافعون عنه ويحمونه.
- (٥) أصيب الرسول من الحجارة التي تقذفها قريش فأصيب في ربايعته وشج في وجهه وكلمت شفتاه ودخلت حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته ، وتمالك الرسول وسار وأصحابه من حوله، فإذا به يقع في حفرة حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون.
- (٦) كانت أم عمارة الأنصارية قد خرجت أول النهار ومعها سقاء فيه ماء تدور به على المسلمين ، فلما إنهمز المسلمون ألقت سقائها وأستلت سيفاً وقامت تباشر القتال تذب عن محمد بالسيف وترمي بالقوس وكان محمد قبل ذلك يرمي بنفسه عن قوسه.
- (٧) بعضهم إندفع وراء محمد والذين ساروا معه وأدركهم أبي بن خلف وهو يقول: (أين محمد؟) لا نجوت إن نجا ! فطعنه الرسول بحربة الحارث بن الصمة طعنه جعلته ينقلب على فرسه ويعود أدراجه ليموت في الطريق.

إنقسام جيش المسلمين إلى طوائف:

- (١) فلما وقع المسلمون في التطويق طار صواب طائفة منهم وأخذت طريق الفرار وتركت ساحة القتال وهي لا تدري ماذا ورائها ؟ وفر بعضهم إلى المدينة وإنطلق بعضهم إلى ما فوق الجبل.
- (٢) ونادى ثابت بن الدحاح قومه فقال: يا معشر الأنصار ، إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم فنهض إليه نفر من الأنصار محمل بهم على كتيبة فرسان خالد فما زال يقاتلهم حتى قتله خالد بالرمح وقتل أصحابه^(١).
- (٣) ومرو رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشطح في دمه ، فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم^(٢).
- (٤) يمثل هذا الاستبسال والتشجيع عادت إلى جنود المسلمين روحهم المعنوية فعدلوا عن فكرة الإستسلام أو الإتصال بابن أبي رأس المنافقين ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان وقد بلغهم أن خبر قتل محمد ﷺ كذب مخلوق. فزادهم ذلك قوة على قوتهم فنجحوا في الإفلات من التطويق وفي التجمع حول مركز منيع بعد أن باشروا القتال المرير وجالدوا بضراوة بالغة.
- (٥) وكان هناك طائفة ثالثة من المسلمين لم يكن يهمهم إلا الرسول ﷺ فصاروا في مقدمة المدافعين عنه والمانعين عنه الهجمات، حتى إحتدم العراك حول رسول الله ، فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف ظهرت فيه نواذر الحب والتفاني واليسالة والبطولة.

(١) السيرة الحلبية ٢٢/٢.

(٢) زاد المعاد ٩٦/٢.

نماذج من البطولات النادرة في جيش المسلمين:

- قال أنس: لما كان يوم أحد إنهمز الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يديه مجوب عليه بجحفة له وكان رجلاً رامياً شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر معه بجحفة من النبل فيقول: (انثرها لأبي طلحة)، وقال ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك^(١).
- وقام أبو دجانة أمام رسول الله ﷺ فترس عليه بظهره ، والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك.
- وقاتلت أم عمارة فاعتزضت لأبن قمئه في أناس من المسلمين ، فضربها ابن قمئه على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوفاً ، وضربت هي ابن قمئه عدة ضربات بسيفها ، لكن كانت عليه درعاً فنجا وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها إثنا عشر جرحاً.
- وقاتل مصعب بن عمير بضراوة بالغة يدافع عن النبي ﷺ هجوم ابن قمئه وأصحابه وكان اللواء بيده فضربوه على يده اليمنى حتى قطعت فأخذ اللواء بيده اليسرى وصمد في وجوه الكفار حتى قطعت يده اليسرى ثم برك عليه ب صدره وعنقه حتى قتل وكان الذي قتله هو ابن قمئه وهو يظنه رسول الله - لشبهه به - فأنصرف ابن قمئه إلى المشركين وصاح: إن محمد قد قتل^(٢).
- وكان أرم ناقص الذقن وأبي بن خلف الجمحي وعبد الله بن حميد الأسدي تعاقبوا على قتل الرسول ﷺ فأما ابن شهاب فأصاب جبهته وأما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته وأما ابن قمئه فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها^(٣)

الرسول ﷺ ينفذ الموقف

- (١) لما قتل مصعب أعطى رسول الله اللواء علي بن أبي طالب فقاتل قتالاً شديداً، وإستطاع الرسول ﷺ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوّق.
- (٢) وعرفه كعب بن مالك فنأدى بأعلى صوته، يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ فأشار إليه أن اصمت، وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون، فتجمع حوله ثلاثون رجلاً من الصحابة يقاتلون ويدافعون.
- (٣) وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله ﷺ في الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل وهو يشق الطريق بين المشركين المهاجمين وإشتد المشركون في هجومهم لعرقلة الانسحاب إلا أنهم فشلوا أمام بسالة وشجاعة الرجال.
- (٤) وبمثل هذه البسالة بلغت هذه الكتيبة - في إنسحاب منظم - إلى شعب الجبل وشق لبقية الجيش طريقاً إلى هذا المقام المأمون تلاحق به في الجبل ، وفشلت عبقرية خالد العسكرية أما عبقرية رسول الله ﷺ.

الهجوم الأخير لقريش ونساء المؤمنين:

- (١) لما تمكن رسول الله ﷺ من مقر قيادته في الشعب قام المشركون بأخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين، قال بن اسحق: بينما رسول الله ﷺ في الشعب إذ علت عالية من قريش الجبل، يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد ، فقال رسول الله ﷺ (اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا) فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل^(٣).

(١) صحيح البخاري ٥٨١/٢.

(٢) ابن هشام ٧٢/٢.

(٣) الطبري جزء ٦٥

(٣) ابن هشام ٨٦/٢.

(٢) وفي مغازي الأموي : أن المشركين سعدوا على الجبل فقال رسول الله ﷺ أسعد (أجنبهم) يقول (أرددهم) ، فقال: كيف أجنبهم وحدي؟ فقال: ذلك ثلاثا ، فأخذ سعد سهماً من كنانته فرمى به رجلاً فقتله ، قال : ثم أخذت سهمي أعرفه ، فرميت به آخر فقتلته ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتلته ، فهبطوا من مكانهم فقلت: هذا سهم مبارك فجعلته في كنانتي ، فكان عند سعد حتى مات ثم كان عند نبيه^(١).

(٣) جاءت نسوة من المؤمنين إلى ساحة القتال بعد نهاية المعركة ، قال أنس: لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما تتقزان^(٢) القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تحيئان ففرغانه في أفواه القوم^(٣).

(٤) ولما رأت أيمن فلول المسلمين يريدون دخول المدينة أخذت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل وهلم سيفك ثم سارعت إلى ساحة القتال فأخذت تسقي الجرحى فرماها حبان بن العرقبة بسهم فوقعت وتكشفت فأغرق عدو الله في الضحك فشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له وقال (إرم به) فرمى به سعد فوقع السهم في نحر حبان فوقع مستلقياً حتى تكشف فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: (استقاد لها سعد - أجاز الله دعوته)^(٤).

(٥) إنذفع وراء محمد والذين ساروا معه وقد أدركهم أبي بن خلف وهو يقول أين محمد؟ لا نجوت إن نجا فطعنه رسول الله بحرية الحارث بن الصمة طعنة جعلته يتقلب على فرسه ويعود أدراجه ليموت.

(٦) وجاء محمد بن مسلمة بماء عذب سائغ فشرب منه النبي ﷺ ودعا له بخير^(٥)، وصلي الرسول ﷺ قاعداً علي أثر الجراح وصلي المسلمون خلفه قعود^(٦).

شماتة أبي سفيان ومواعدة التلاقي في بدر:

(١) تهيأ المشركون للانصراف وأشرف أبو سفيان على الجبل ، فنادى أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه فقال أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه فقال أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه وكان النبي ﷺ منعهم من الإجابة ، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم فقال أما هؤلاء فقد كفيتوهم فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء وقد أبقي الله ما يسوءك فقال قد كان فيكم مثله لم أمر بها ولم تسؤني.

(٢) قال ابن اسحق: ولما إنصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام القابل، فقال رسول الله لرجل من أصحابه: (قل: نعم ، هو بيننا وبينك موعد)^(٧).

فراصة وحزن الرسول ﷺ:

(١) زاد الميعاد ٢/٩٥.

(٢) تحملان.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٩١/٦ ح (٢٨٨) .

(٤) السيرة الحلبية ٢/٢٢٢ .

(٥) السيرة الحلبية ٢/٣٠٠ .

(٦) ابن هشام ٢/٨٧ .

(٧) ابن هشام ٢/٩٤ .

- (١) بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال: (أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن كانوا قد ركبوا الخيل وساقوا الأبل فإنهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده لئن أراؤها لأسيرن إليها فيها ثم لأنجزنهم).
- (٢) إنصرف قريش بعد أن دفنت قتلاها وقيل أنهم إثنان وعشرون وعاد المسلمون إلى الميدان لدفن قتلاهم وقيل أنهم سبعون وخرج محمد ﷺ يلتمس عمه حمزة.
- (٣) قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكيا قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، ووضع في القبلة ثم وقف على جنازته، وإنتحب حتى نشع من البكاء^(١).
- (٤) واستدار الرسول ﷺ ليرجع وكل جسده ينتفض ولكنه عاد إلى جثة حمزة وأخذ يغمغم (لن أصاب بمثلك أبداً..... ما وقفت موقفا قط أغيظ إلي من هذا!).
- (٥) ورجع إلى المدينة يحيط به بعض الصحابة وسمع خلال الطريق إلى بيته نواح النادبات يبكين القتلى كل بيت يبكي شهيدته وشعر هو وأهل بيته أنهم غرباء هاهنا أشد غرباً من أي وقت مضى!!، وهمهم محمد ﷺ بصوت يغيص في دموعه (ولكن حمزة لا بواكي له!!) فأمر الأنصار نسائهن أن يبكين حمزة سيد الشهداء وإرتفع النواح على حمزة من كل بيت.
- (٦) أما محمد ﷺ فقد اندفع إلى داره لا يكلم أحداً بعد ولا يكلمه أحد ثم أغلق عليه الباب وأخذ يبكي كما لم يبكي من قبل أبداً

الحب صور من الرحمة وعطف الرسول (ﷺ):

- (١) طاف محمد ﷺ مع صحابه بالبيوت يعزي الأرمال والأيتام كان عليه أن يأسوا الجراحات في سبعين بيتاً من المدينة
- (٢) أخذ محمد ﷺ ينصح أصحابه أن يتزوجوا الأرمال الصغيرات لكي يعصموهن من الفتنة وإستطاع أن يجد الكثير من هذه البيوت الثكلى رجالاً من أصحابه
- (٣) وبدأ يدبر المال الذي يجريه على بيوت الأرمال والأيتام التي لم يعد لها ما تعيش عليه بعد وأخذ ينصح أصحابه ليكونوا هم أنفسهم عزاء للأطفال الذين فقدوا آبائهم في أحد، وعزاء للنساء اللواتي فقدن الأزواج ويقول ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم بالليل الصائم بالنهار).
- (٤) لقيته في الطريق حمته بنت جحش فنعى إليها أخوها عبد الله بن جحش فإسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة، بن عبد المطلب فإسترجعت واستغفرت ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولوت، فقال الرسول ﷺ (إن زوج المرأة منها لبعكان)^(٢)
- (٥) وجاءت إليه أم سعد بن معاذ تعدو، وسعد أخذ بلجام فرسه فقال: يارسول الله أمي فقال (مرحبا بها) ووقف لها. فلما دنت عزاها بابنها عمرو بن معاذ. فقالت: أما إذ رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة (أى إستقلتها) ثم دعا لأهل من قتل باحد وقال (يا أم سعد أبشرى وبشرى أهلهم أن قتلاهم تراقفوا في الجنة جميعا..وقد شفعا في أهلهم جميعا) ..قلت -رضينا يارسول الله - ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يارسول الله أدع لمن خلفوا منهم فقال (اللهم أذهب حزن قلوبهم -وأجبر مصيبتهم- وأحسن الخلف على من خلفوا).

(١) رواه بن شاذان، مختصر سيرة الرسول (صلي الله عليه وسلم) للشيخ عبد الله النجدي ص ٢٥٥.

(٢) ابن هشام ٩٨/٢.

(٦) وممر بامرأه من بنى دينار - وقد أصيب زوجها واخوها وابوها بأحد- فلما نعو لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يأم فلان - هو بحمد الله كما تحبين - قالت أرونيه حتى أنظر إليه- فأشير إليها حتى إذا رأته قالت : كل مصيبه بعدك جلل- تريد صغيرة^(١)

الحية الرقطاء في المدينة

- (١) أحسن يهود بنى النضير إستغلال انهيار النفوس بعد هزيمة أحد فقد كانت حاله من حب المقامرة قد إستولت على كثير من النفوس بعد أن سحقت قريش أحلامهم دون الحصول على غنائم وأسلاب.
- (٢) فتح اليهود بيوتا للهو تقدم خمر البلح القوي وتعقد فيها المقامرات بالمبالغ الطائله وترقص اليهوديات الحسان!
- (٣) إلى مثل ها الجو الصاخب هرب كثير من المسلمين. وفي مثل هذه الدوامات من المقامرات ضاعت ثروات !
- (٤) ولم يكذب ينهزم المسلمون في أحد حتى أقام اليهود في بيوت فاخرة وأسواق للمقامره والمتاع. وإنحدر كثير من المسلمون في يأس هائل فما يضيّق الواحد منهم من الخمر حتى يلوذ أماكن القمار ثم يسارع ليستمتع بإحدى المغنيات أو الراقصات اليهوديات.
- (٥) وظل الرسول ﷺ يدعو ربه أن يحمل العزاء إلى هذه القلوب التي سحقتها الصدمه... ولكن بلا جدوى !
- (٦) وأخيرا أطلق الرسول ﷺ مناديا يدعو الناس إلى ترك الخمر فقد حرمت فلا يقربوها وعليهم ألا يقربوا الميسر ولحم الخنزير وألا يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- (٧) إحتج بنو النضير وإعتبروا وأمر محمد نوع من التضييق الاقتصادي. ويقفل باب الكسب الكبير أمامهم . وأن محمدا يحاربهم في أرزاقهم فصاروا يتميزون غيظا وحقدا.
- (٨) فلم يكذب بنو النضير يتسامعون قصائد شعراء قريش التي تسخر من محمد وتحض على الإستخفاف بشأنه وبدعوته. حتى أعلن أحد أغنيائهم أنه يمنع المسلمين من أن يشربوا الماء من بئر يملكها. وطالب ثمنا لقدح الماء اغلى من ثمن قدح الخمر !!!
- (٩) إن بنالنضير في المدينة لا يذكرون مناسبة الا وينالون من محمد ويسخرون من المسلمين ويعضون عليه ويأتمرون ضده وصار بنى النضير الحيه السامه ساكنة المدينة وتبغ سمومها في أرجائها-

أخلاقيات الحرب في أحد

أولاً: الدفاع:

- (١) وقعت معركة أحد عند جبل أحد ويبعد عن المدينة بضعة كيلو مترات ويبعد عن مكة ما يقارب خمسمائة كيلو مترا-فجاءت قريش غازيه وخرج المسلمون مدافعون . جاءت قريش لتهاجم المسلمين في عاصمه دولتهم .
- (٢) إجتمع الناس في المدينة يتشاورون في المسجد وخرج إليهم محمد ﷺ فقال (إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا - فإن أقاموا - أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهاهم) وهذا يعني حق الدفاع الشرعي (the legal right of self-defence)، ومأخوذ بهذه الحقوق في مواثيق الأمم المتحدة في العصر الحديث.
- (٣) إنتظر محمد ﷺ أن يسمع جوابا من الذين يشاورهم في الأمر. فإختلف الرأي على إثنين:

(١) ابن هشام ٩٩/٢ .

الاول: قال قائلهم (أخرج بنا إلى أعدائنا يارسول الله- لا يرون أننا جينا عنهم وضعفنا...)

الثاني: (يارسول الله.. أقم في المدينة ولا تخرج اليهم. فو الله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا. ولا دخل علينا إلا أصبنا منه. فدعهم فإن أقاموا .. فبشر محبس. وإن دخلوا قائلهم الرجال في وجههم-ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن هم رجعوا رجعوا خائبين).

وإستنادا الى قاعده الشورى [consultation] فأخذ محمد ﷺ وسلم الأصوات فإذا غالبية القادرين على حمل السلاح ترفض رايه وتقرر الخروج إلى الحرب في أحد. وأدعن محمد ﷺ لرأى الغالبية.

(٤) وعاهد محمد ﷺ الأقلية التي كانت تؤيده أن تنفذ قرار الأغلبية ومادام قد صدر القرار فيجب أن يحترمه الجميع وعليهم ان ينفذوه بنفس حماس المؤيدين .

(٥) التحقق من المعلومات الحربية

[Thorough checking of military informations]

سلم الغفاري الذي بعثه العباس بن عبد المطلب بكتابه من مكة إلى محمد ﷺ فقرأه عليه ابو بكر فا ستكتمه محمد ﷺ. وبعث محمد ﷺ إبنه فضاله أنسا ومؤنسا يتتسطان خبر قريش فألقياها قاربت المدينة وأطلقت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها- وبعث من بعدهما الحباب بن المنذر بن الجموح فلقد جاءه من خبرهم بالذى أخبره العباس

(٦) مقابله مكر الأعداء (بالسرية والتكتيم)

[Confronting the trickery of the enemy]

تحرك محمد ﷺ بجيش المسلمين من المدينة وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين أحد في مناطق كثيرة فقال (من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب-من طريق لا يمر بنا عليهم؟) حتى لاينكشف جيش المسلمين للأعداء فيمكرون به، والسرية تساعد علي إفشال خطط العدو.

(٧) الإستخدام الحسن لملاكاتنا [The effective use of our faculties] إحتل محمد ﷺ أفضل موقع من ميدان المعركة. مع أنه نزل فيه بعد العدو- فإنه حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل. وحمى ميسرته وظهره بسد التلمه الوحيده التي كانت توجد في جانب الجيش الاسلامى . وإختار لمعسكره موقعا مرتفعا يحتمى به.

ثانيا: الجهاد

(١) أرسل محمد ﷺ (بعد ما تأكد لديه من يقين بنية قريش غزو المدينة) إلى الحلفاء من يهود بنى قريظه وبنى النضير يطالبهم أن يخرجوا معه للدفاع عن المدينة وصحيفة التحالف تقضى عليهم الدفاع عن المدينة، ولكنهم رفضوا فخالفوا بذلك نصوص الصحيفة. وقد أخلفوا ما عاهدوا عليه محمد ﷺ ورغم ان ذلك هو النفاق [Deceit and hypocrisy] فلم يتخذ محمد ﷺ منهم موقفا معاديا وكان متسامحاً.

(٢) وعندما كانوا في منتصف الطريق بين المدينة وأحد إنسحب عبد الله بن أبى راجعا الى المدينة ومن ورائه ثلاثمائة رجل من خيرة المقاتلين -فألخيانة وقعت وهى أفحش جريمة فى وقت الحرب ورغم ان ذلك يعد (فراراً وقت الزحف)

[Desertion from ranks during on offensive action] إلا أن الرسول ﷺ تقدم بما بقى من جيشه وصبر وصابر، وإحتمل المخاطرة، ولم يعاقب رأس الخيانة (Deciet and hypocrisy).

(٣) جمع محمد ﷺ بعض شجعان المسلمين من حوله وأعطى سيفه لرجل من الأنصار أسمه (أبو دجانة) -وطلب منه أن يستوفى لهذا السيف حقه. فأمسك الرجل بالسيف في أيمان عميق بأنه لن يقهر وأخرج عصا الموت فعصب بها رأسه وإخترق قلب جيش قريش وقد الهمه الأيمان بان هذا السيف الذي يحمله يستطيع أن يصرع جنود قريش جميعا. وتقدم حمزه بضرب بسيفه كل ما يلقاه من الهامات وهو يصيح بصوت يبعث على الرعب (أمت .. أمت) -وكثيرون من شجعان المسلمين ينزلون في حامة الوعي- لا يهابون الموت- إن هذه الشجاعة وهذه القوة تتلخص في عقيدة الأيمان [faith in Allah and in the guidance and commandments that he has sent down]

(الإيمان بالله وبما أنزل من توجيهات وأوامر) إنها أخلاقيات الإسلام (إنه الجهاد على الشدائد)

(٤) عندما حمل أبو دجانة سيف الرسول ﷺ وإعتصب عصا الموت جعل- تبختر بين الصفيين على عادته إذ يختال عند الحرب. فلما رآه محمد ﷺ قال (أنها لمشية بنعضها الله إلا في هذا الموطن) (إنها أخلاقيات الحرب حص على جهاد الأعداء وينهى عن الزهو والجبلاء)

(٥) جعل أبو رجانه لا يلقى أحدا إلا قتله حتى شق صفوف المشركين فرأى مقاتلا من الأعداء يخمش الناس خمشا شديدا فحمل عليه بالسيف فولول فإذا هذا الشخص إمراه. هي هند بنت عتبة فارتد عنها مكرما سيف الرسول ان يضرب به إمراه

إنها آداب الحرب وأخلاقياته [Ethics in war]

ثالثا: تكريم الإنسان: [Honouring the human race]

(١) فر المشركون بعد إنتصار المسلمين فى بدر . وتركوا قتلاهم متناثرين فى أرض المعركة فطلب محمد ﷺ من رجاله ان يواروا القتلى التراب بلا إستثناء بعد أن تفقدتهم جميعا فى ارض المعركة وقتلى قريش كلهم كذبه أهانه وكلهم حاول أن يقتله. فلم يمثل بجثة أحد منهم، إنها أخلاقيات الحرب (وتكريم الجنس البشري والتحقق من أن الموتى قد دفنوا باحترام) (إنفاقية جنيف الأولى المادة ١٧) (Honouring the Human race).

(٢) فى حين فى أحد عندما سقط حمزه إنطلقت هند اليه وأخرجت قلبه وكبده وأخذت تعصر كبد حمزه بيدها وتلوكه بفمها وتلعق الدم متشفية وهى ترقص على جثته وإنطلقت هى والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من المسلمين يجدن الأذان و الأنوف وجعلت هند لنفسها منها قلائد وأقراطا. وتقدم أبو سيفيان إلى جثته حمزه فركلها -وضرب شذقه بسن حربته- وحين إخترقت الحربه شذق حمزه ضحك أبو سيفيان ومشى يسحق بجدائه كل ما هو نبيل وشجاع فى الرجل ويظهر الفرق الشاسع بين القائد محمد ﷺ وقائد المشركين أبو سيفيان فالفرق بين من يحترم الإنسان وحقوق الانسان وبين من يرتكب الجرائم ضد الانسانيه، (التعمد بالإساءة إلى حرمة الموتى)، وفي العصر الحديث الإصرار علي مناقضة ما جاء في معاهدة ضيف الأولى المادة ١٧، ومن وصية الرسول ﷺ لأئمة قوله (إنطلقوا باسم الله-وبالله-وعلى بركة الله ﷺ لا تقتلوا شيئا فانيا ولا طفلا ولا إمراه. ولا تغلوا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا. إن الله يحب المحسنين^(١)). هذه أخلاقيات الحرب .الأخلاق الانسانية الراقية وواضح الفرق الكبير بينهما وبين أخلاقيات الحرب لدى المشركين، (إنها أخلاقيات الحرب (Ethics in war)، (وتكريم الأخوة الإنسانية (Honouring human Fellowship).

رابعا: الطاعة في الميدان: (Absolute obedience in the battle field)

(١) . من وصية الرسول ﷺ

أمر القائد محمد ﷺ الرماه وكان عددهم خمسون رجلاً أن يصعدوا إلى أعلا الجبل وليجعلوا همهم رمى الفرسان بالنبال ومنعهم من التقدم للإشتراك في المعركة فيرى الرماه من أعلى الجبل أندحار جنود قريش -فى بدء المعركة-تاركين المتاع والدرع والسيوف والنساء فلم يستطيعوا صبراً وعصوا الأوامر فتركوا أماكنهم دفعه واحده وإنحدروا إلى السهل يجمعون الغنائم. فدارت الهزيمة على المسلمين ولقد عصى الرماه الأوامر في الميدان. وكان هذا العصيان سبباً في تحول المعركة لقد نسي الرماه أخلاقيات الحرب كما علمها لهم القائد إنها الطاعة الكاملة [Absolute obedience on the battle field]

خامساً: الصبر في الميدان: [Patience on the battlefield]

تقدم مصعب بن عمير يرفع رايه جيش المسلمين.فإنقض عليه رجل من قريش فقطع يده فأمسك بيده الأخرى فقطعت فأنكب على الرايه بجسده حتى قتل

فتسلم الرايه على ابن ابي طالب وصاح المشركون فرحين قتل محمد قتل محمد.فاندفع بعض رجال المسلمين يبحثون عن محمد ﷺ في الزحام فوجدوه يقعد منهكا وقد شجت راسه ودمه ينزف من جسده وحده مشقوق، إنغرست فيه حلقتان من الزرد. ومال أبو عبيده بن الجراح يشد بأسنانه الحلقتين فخلعهما. وإنخلعت بعض أسنانه. وإقتحم أبي بن خلف على فرسه مكان الرسول ﷺ وطلب أن يبارز محمداً.وإنقض محمد يبارز أبي بن خلف وجمع كل قوته في ضربة واحده ألقت بأبي بن خلف من على ظهر فرسه. وعاد محمد مثخنا بجراحه ينظم ويجمع الجنود ويرتب الإنسحاب المنظم من المعركة، إنها أخلاقيات الحرب-الإيمان والعقيدة وفي ذلك يقول عزم قاتل (يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (١)، إنها أخلاقيات الحرب، (وحسن سلوك المسلمين في الحرب good human conduct by Muslim in times of war)

سادساً: العدو المعروف هو نصف مغلوب:

- (١) بتكليف من الرسول ﷺ قام العباس بالإستعلام عن جيش قريش ونقل المعلومات لجيش المسلمين بالسرعة الممكنة.
- (٢) الإستعلام عن وضع العدو ومعرفة تفاصيل تحركاته وإعداد جيشه ونوعية أسلحته يساهم إلى حد كبير في نجاح مهمة جيش المسلمين .
- (٣) إهتم الرسول ﷺ بالحصول على المعلومات عن قدرات العدو وعمد إلى جمعها من أكثر من مصدر للتيقن منها والتأكد من سلامتها.
- (٤) المعلومة الحديثة عن العدو قوة والقوه من عناصر الإيمان بالقدرة والإيمان من (أخلاقيات الحرب) (التحقق من المعلومات الحربية Thorough checking of military information).

سابعاً: التعلق بالقائد والقتال في سبيله

- (١) عندما سرت شائعه عن قتل الرسول ﷺ خلال المعركة أثرت على معنويات المسلمين.
- (٢) وتراجع أداؤهم في القتال - فلجأت قريش إلى رمى السهام لقتل الرسول ﷺ.
- (٣) شكل المسلمون ستاراً بشرياً من أجسادهم ليحموه من نبال المشركين، (إنه الوفاء بالإيمان Haring true faith).
- (٤) من الأمثلة النادرة على الإيمان والوفاء للقائد ومحبته ، نوجز ذكر ما يلي:

(١) (آل عمران الآية: ٢٠٠).

- تضاعف عدد المشركين حول الرسول ﷺ حتى سقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر يكيد للمسلمين بها فجحشت ركبته فأخذه علي بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى إستوى تماماً.
- كان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي الرسول ﷺ ويرفع صدره ليقيه سهام العدو وكان يتترس مع النبي بترس واحد.
- وقام أبو دجانة أمام الرسول ﷺ فترس عليه بظهره والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك.
- قاتل مصعب بن عمير بضرارة بالغة يدافع عن الرسول ﷺ هجوم ابن قمئة. وأصحابه وكان اللواء بيده فضربوه على يده اليمنى حتى قطعت فأخذ اللواء بيده اليسرى وصمد في وجه الأعداء حتى قطعت يده اليسرى ثم برك عليه بصدره وعنقه حتى قتل، (إنها أخلاقيات الحرب، الجهاد والثبات في الميدان، Striving in behalf of Allah and His Religion, (and Standing one's ground on the battlefield).
- قاتلت أم عمارة فاعترضت لأبن قمئة فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف - وضربت هي ابن قمئة عدة ضربات بسيفها وبقيت تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحاً، (إنها أخلاقيات الحرب الوفاء بالعهد Fulfillment of (pledges).

ثامناً: آداب الحرب: Ethics in war

- (١) من وصية الرسول ﷺ وكرر قولها لجنوده المؤمنين: (إنطلقوا باسم الله وعلى بركة رسول الله ﷺ، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً ولا امرأة، ولا تغلوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين)، (إنها القدوة الحسنة Providing a good (example for others).
- (٢) إمتلأت المدينة بحديث ساخط عن إيثار محمد المهاجرين دون الأنصار ، بأموال بني النضير وبيوتهم (وقعة بني النضير ، سيرد حديثها فيما بعد) وبدأت مظاهر فتنة تهب على المدينة.
- (٣) أكد سعد بن معاذ وسعد بن عباد لشيخوخ الأنصار أن محمداً لم يستأثر بالرأي دونهما بل دعوها وفريقا من الأنصار ، فأتى على حُسن ضيافتهم للمهاجرين ثم قال لهم (إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال فإن شئتم قسمت أموال بني النضير وأموالكم بينكم وإن شئتم أمسكتكم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة) لكنهم أجابوا محمداً (بل قَسِم هذه فيهم واقسم فيهم لهم من أموالنا ما شئتم) وبذلك اتضحت الحقيقة لنا فسكتوا على اللغو وارتضوا، (رفض الطمع في قناع الآخرين من الأخلاقيات (Resect coveting the possessions of others).
- (٤) عندما كان الرسول ﷺ مشغولاً بأمر المدينة وخارج المدينة فوجئ برجل يحاول اغتياله ، رجل يحترف القتل أرسله أبو سفيان ، وكان موفداً من قريش ، لكن كيف دخل المدينة؟ وعند من أقام الليالي الطوال متربصاً؟، (الإنابة لمقابلة مكر الأعداء (Confronting the trickery of the enemy).
- (٥) ومرة ثانية . . . وثالثة يفاجأ محمد ﷺ بمن يحاول إغتياله!! وتمر أيام فزع، ويسهر فيها سعد بن أبي وقاص بسيفه في حراسة محمد ﷺ ولا أحد يدري كيف يدخل المدينة هؤلاء القتلة المحترفون ، فكيف يدخلون؟ وأين يختبئون؟ وفي كل مرة يقضي محمد ﷺ أو أحد أصحابه على محاولة الإغتيال، وتشير النظرات الغاضبة إلى عبد الله بن أبي؟ وإلى اليهود الذين خرجوا؟ وإلى قريش؟ العدو اللدود الذي أعلن الحرب منذ البداية وإستمر فيها.
- (٦) أوفد بعض أصحاب محمد ﷺ من يغتال أبو سفيان ولكن محمداً ﷺ عرف هذا فأرسل إلى الرجل من يعيده قبل أن يصل ، وأخذ يُعَنِّفُهُ ويُعَنِّفُ الذين أرسلوه فما كان الاغتيال سبباً لمحمد ﷺ وما كان الاغتيال من بين القيم التي جاء بها.

(٧) الإغتيال هو أحد الشرور التي نبذها ويطالب أصحابه أن نبذوها، فالزواحف السامة والحيوانات الدنيئة وحدها، لا الإنسان، هي التي تفاجئ خصمها من الظهر!!، هذه أخلاقيات الحرب عند محمد ﷺ، (من أخلاقيات الحرب- أن السلوك الأخلاقي أساس الجزاء (Ethical conduct to be the basis of reward and punishment)، (كما تدعو أخلاقيات الحرب إلي إعلاء الشعور بالمودة والأخوة الإنسانية، وكفالة حق الدفاع الشرعي (The legal right of self defence).

وقعة حمراء الأسد

جمع الشهداء ودفنهم:

- ١- أشرف رسول الله ﷺ على الشهداء. ومكث حتى واراهاهم الثرى .
- ٢- كان أناس من الصحابة قد نقلوا قتلاهم إلى المدينة فأمر أن يردوهم فيدفنوهم في مضاجعهم وألا يغسلوا وأن يدفنوا كما هم بشيابهم بعد نزع الحديد والجلود. وكان يدفن الاثنين والثلاثة في القبر الواحد ويجمع بين الرجلين في ثوب واحد
- ٣- قال خباب:(إن حمزه لم يوجد له كفن إلا برده ملحاء. إذا جعلت على رأسه قلصت عن قدميه. وإذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه حتى مدت على رأسه، وجعل على قدميه الإذخر^(١) وأمر الرسول ﷺ بدفنه مع عبد الله بن جحش. وكان ابن أخته وأخاه من الرضاعة.

الطوارئ في المدينة:

- ١- بات المسلمون- ليله الأحد الثامن من شوال سنة ٣هـ. وبعد الرجوع من معركة أحد وقد انهكهم التعب ونال منهم أي منال. وكانت تتلاحقهم الشبهات من كل جانب .
- ٢- كان الرسول ﷺ يخاف أن يرجع المشركون لغزو المدينة مره ثانيه فرغم انتصارهم في أحد الا أنه لم يكن إنتصاراً مبرماً قاضياً. فصمم على أن يقوم بعملية مطارده لجيش قريش.
- ٣- في صباح الغد من معركة أحد. يوم الاحد الثامن من شهر شوال سنة ٣هـ. نادى الرسول في الناس وقال (لا يخرج معنا الا من شهد القتال)، وأطاع المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المزيه وقالوا: سمعا وطاعة.
- ٤- سار الرسول ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة وعسكروا هناك

حرب الأعصاب:

- ١- أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي فقال يا محمد. أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فامر رسول الله ﷺ أن يلحق أبا سيفيان فيخذ له.
- ٢- نزل جيش قريش بالروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة فتلاوموا فيما بينهم وقالوا(أصبتكم شوكتهم وحدهم. ثم تركتموهم. فارجعوا حتى نستاصل شأفتهم)
- ٣- خالفهم زعيم مسؤل (صفوان ابن اميه) وقال: إني لأمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم.
- ٤- أجمع جيش مكة على العوده والسير نحو المدينة للقضاء التام على المسلمين .

(١) مشكاة المصابيح ١/١٤٠.

٥- قبل أن يتحرك أبو سيفيان بجيش مكة نحو المدينة لحقه معبد بن أبي معبد الخزاعي ولم يكن يعرف أبو سيفيان اسلامه فقال ما وراءك يامعبد؟ فقال معبد: وقد شن عليه حرب أعصاب دعائيه عنيفه.

(محمد فد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد إجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما ضيعوا فيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط).

٦- قال أبو سيفيان لقد أجمعنا الكره عليهم لتأصلهم .فقال معبد -لا تفعل فإنني ناصح .

٧- رأى أبو سيفيان العافيه في مواصلة الإنسحاب والرجوع إلي مكة بيد أنه قام بحرب اعصاب دعائيه ضد الجيش الاسلامي.

٨- مر به ركب من عبدالقيس يريد المدينة .فقال :هل أنتم مبلغون عني محمداً رساله وأقر لكم راحتكم هذه زديداً بعكاظ إذا أتيتم إلى مكة؟

قالوا: نعم

قال (فأبلغوا محمداً أنا قد أجمعنا الكرة .لنستأصله ونستأصل أصحابه).

الشدة مع الخونة [Dealing severely with traitors]

١- أقام الرسول ﷺ بجمراء الأسد الإثنتين والثلاثاء والأربعاء-١١، ١٠، ٩، شوال سنة ٣هـ.

٢- أخذ الرسول ﷺ بل الرجو إلى المدينة أبا عزة الجمحي-أسيرا وذلك للمره الثانيه فقد من عليه من أسارى بدر- لفقره وكثره بناته على الا يظاهر عليه أحداً.

٣- لكنه نكث وغدر فحرض الناس بشعره على الرسول ﷺ والمسلمين وخرج لمقاتلتهم في أحد للمرة الثانية بعد أسره في بدر (وعليه يتم تطبيق المادة (٢١) من إتفاقية جنيف الثالثة)^(١).

٤- قال: يا محمد .أقلنى وأمن على ودعنى لنباتى واعطيك عهدا الا اعود لمثل ما فعلت فقال الرسول ﷺ (لا تمسح عارضيك بمكه بعدها وتقول خدعت محمد مرتين لايلدع المؤمن من جحر مرتين .ثم أمر بضرب عنقه)، (وتحيز ذلك إتفاقية جنيف الثالثة) (المادة ٤٢)^(٢).

[وكذلك المادة (١٠٠) من نفس الإتفاقية بخصوص عقوبة الإعدام والتفاصيل المنظمة لذلك في المادة (١٠١) والمادة (١٠٧)، والمادة (١٠٨)، من إتفاقية جنيف الثالثة).

لارحمه مع الجواسيس:

(١) لما رجع المشركون يوم الاحد جاء معاويه بن المغيره إلى ابن عمه عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فاستأمن له عثمان رسول الله ﷺ .

(٢) امنه الرسول ﷺ على ان وجد بعد ثلاث قتله (مكث في المدينة).

(٣) فلما خلت المدينة من الجيش الاسلامي أقام فيها أكثر من ثلاث يتجسس لحساب قريش

(١) يلتزم أسري الحرب الذين يطلق سراحهم مقابل وعد أو تعهد بتنفيذ الوعد أو التعهد بكل دقة.

(٢) إستخدام الأسلحة ضد أسير الحرب علي أن يسبقها إنذار قياسي.

(٤) فلما رجع الجيش خرج معاويه هاربا . بعد أن تأكد قيامه بالتجسس وإعترافه فأمر الرسول ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فتعقباه حتى قتلاه^(١)، وفق إتفاقية جنيف الرابعة المادة (٦٨) (٢).

(إستمرار الحرب)

- (١) مما لا شك فيه أن وقعة حمراء الاسد ليست بوقعة مستقلة وإنما هي جزء من وقعة أحد وتتمه لها
- (٢) طالما بحث الباحثون حول مصير معركة أحد وهل هي هزيمة للمسلمين أم لأ؟ ولاشك أن التفوق العسكى فى الصفحه الثانيه كان لقريش بعكس الصفحه الأولى وأن قريش كانت مسيطره على ساحة القتال وأن طائفة من المؤمنين إنهزمت قطعاً.
- (٣) لكن لم يستطع جيش قريش إحتلال معسكر المسلمين ومع إرتباك جيش المسلمين والفوضى الشديده إلا أن المقدار الأكبر من جيش المسلمين لم يلجأ الى الفرار .
- (٤) لم يقع أحد من جيش المسلمين أسيرا لجيش قريش كما ان جيش مکه لم يحصل على شئ من غنائم المسلمين
- (٥) رغم أن جيش المسلمين لا زال فى معسكره إلا أن جيش مکه لم يقوموا الى الصفحه الثالثه من القتال وانهم لم يقيموا بساحه القتال يوما أو يومين أو ثلاثة أيام (كعاده القبائل العربيه المنتصره)
- (٦) لم يجترئ جيش قريش على الدخول الى المدينة لنهب الذرارى و الأموال مع أنها كانت على بعد قليل وكانت المدينه خاليه ومفتوحه تماما
- (٧) كل هذه الدلائل تؤكد أن ما حصل لقريش لا يعدو أنهم وجدوا فرصه نجحوا فيها بإلحاق الخسائر الفادحه بالمسلمين.
- (٨) فشل جيش قريش فى تحقيق الهدف من الحرب في إباده الجيش الإسلامى بعد عمل التطويق.
- (٩) الشواهد فى تعجيل أبو سيفيان في الإنسحاب والإنصراف فى أنه كان يخاف على جيشه المعرة والهزيمة لو جرت الصفحه الثالثه من القتال .
- (١٠) أخذ كل فريق بقسطه ونصيبه من النجاح والخسارة ثم حاد كل منهما عن القتال من غير أن يفر عن ساحه القتال ويترك مقره لإحتلال العدو وهذا ما تعنيه فى قاموس الحروب (الحرب الغير منفصله)

التعليق

- ١- لم يحدث قتال بين جيش المدينه وجيش مکه فى حمراء الأسد ولكن كانت بمثابة مطارده لجيش مکه رفعا لمعنويات المسلمين بعد مانالهم في أحد من أذى كبير .
- ٢- لبي المسلمون دعوة الرسول ﷺ لملاحقه جيش قريش وذلك فى اليوم الثانى ليوم معركة أحد حتى أن المسلمين الذين أصيبوا فى أحد بجراح بالغه خرجوا معه .
- ٣- قررت قريش نقل القتال من الطريق التجارى إلى عقر دار المسلمين (المدينه) وهذا القرار ينقل القتال إلى أرض العدو وهو قرار إستراتيجى صائب إذ يحقق مبدأ ر ئيسى من مبادئ الحرب وهو (حريه العمل).

(١) . ابن هشام ٦٠/٢-١٢٩، وفتح البارى ٣٤٥/٧-٣٧٧

(٢) عقوبة الإعدام وفقاً للمادتين (٦٤، ٦٥)، علي أشخاص يدانون فيها بالجاسوسية.

- ٤- إصطحب جيش مكة النساء معه في القتال وهذا ما زاد في حوافز المشركين الذين بذلوا أقصى جهودهم خلال المعركة فانتصروا فالفائد الجيد يخلق حوافزه لجنده لدفعهم إلى الإستبسال في القتال.
- ٥- علم الرسول ﷺ بتفوق جيش الخصم تفوقاً كبيراً فعمد بالرأى إلى إبعاد جيشه عن المواجهة المباشرة والإحتماء بأسوار المدينة، فلما خرج من المدينة. وغير خطته نزولاً على رأى الأغلبية عمد إلى المناورة مستغلاً طبيعة الأرض لحماية جنده فإستند على جبل أحد وركب الأرض المرتفعة.

بعض الغايات المحموده من وقعه أحد

- ١- رغم الهزيمه التى لحقت بجيش المسلمين فى أحد إلا أن ذلك عاد بالفوائد والحكم الريانيه والأخلاقيات المرغوبه ومنها:
- (١) عاقبه المعصبه وشؤم ارتكاب النهى لما وقع من هزيمة عند ترك الرماة موقعهم ومعصيتهم أمر القائد (ﷺ)، (إذ من أخلاقيات الحرب الطاعة الكاملة في الميدان (Absolute obedience to Him).
- (٢) من عاداه الرسل أن تبلى وتكون لها العاقبه فإذا إنتصروا دائماً دخل إلي المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من الكاذب.
- (٣) لو أنكسر المسلمون دائماً، لم يحصل المقصود من البعثة ولسرى التشكك وإنفرط عقد المؤمنين .
- (٤) إنكشف للمسلمين أمر المنافقين وتميز الصادق من الكاذب وعرف المسلمون أن لهم أعداء فى دورهم فاستعدوا لهم و تحرروا منهم.
- (٥) الحكمه فى تاخير النصر فى بعض المواطن كسر لشماخة النفس - فلما إبتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون.
- (٦) قبيض الله أسباب الإبتلاء والمحن للمسلمين حتى يتعضوا وترقى أعمالهم وتصح نواياهم.

الأثار السيئة لوقعة أحد

- ١- وقعت أحد أثرت سلباً على سمعة المؤمنين .وكادت أن تذهب ريحهم.
- ٢- زالت هيبتهم عن النفوس وزادت أمامهم المتاعب الداخليه والخارجيه.
- ٣- أحاطت الأخطار بالمدينه من كل جانب.
- ٤- كاشف اليهود والمنافقون والأعراب بالعداء السافر، وبدأوا حثيثاً يتحالفون مع بعضهم البعض ضد المسلمين.
- ٥- همت كل طائفه منهم أن تتال من المسلمين بل طمعت فى ان تقضى عليهم وتستأصل شأفتهم.
- ٦- لم يمض شهران على هذه المعركه حتى تهبأت بنو أسد للإغاره على المدينه .
- ٧- قامت قبائل عضل وقاره قى شهر صفر سنة ٤هـ بمكيده تسببت فى قتل عشره من الصحابه .
- ٨- فى نفس الشهر قام عامر بن الطفيل العامرى بتحريض بعض القبائل حتى قتلوا سبعين من الصحابه وتعرف هذه الوقعه بوقعة (بئر معونة)، وتم ذلك غدرًا بالمسلمين.
- ٩- جاهرنو النصير بالعداوه فقامت فى ربيع الأول سنة ٤هـ بمكيده تهدف إلى قتل الرسول (ﷺ).
- ١٠- وتجرت بنو عطفان حتى همت بالعدوان على المدينه فى جمادى الاولى سنة ٤هـ.

خطوات عسكرية إيجابية للرسول (ﷺ) بعد وقع أحد)

- (١) قيام الرسول (ﷺ) بمطارده جيش قريش التي قام بها إلي حمراء الأسد بذلك حفظ قدرا من سمعه وهيبة جيش المسلمين.
- (٢) إستخدم الرسول المناورة مع اليهود والمنافقين والذين جاھروا بالعداء مما أعاد للمسلمين مكانتهم المهزوزة وسمعته المنهوشة إبتداء من العام الرابع الهجري وسنذكر ذلك مفصلاً.

وقعات السنة الرابعة الهجرية

١ - سرية أبي سلمه:

الموقف: أول من قام ضد المسلمين بعد نكسة أحد هم بنو أسد بن خزيمه ونقلت إستخبارات المدينة أن طلحه وسلمه إبنى خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوان بنى أسد بن خزيمه إلى حرب المسلمين .

الموقف: أرسل محمد (ﷺ) سرية قوامها مائه وخمسون مقاتلا وأمر عليهم أبا سلمه وباغت أبو سلمه بنى أسد بن خزيمه في دياهم قبل أن يقوموا بغارتهم فتشتتوا وأصاب المسلمون عنما ولم يلقوا حربا وكان ذلك قرب قطن وهو ماء لبنى أسد، كان مبعث هذه السرية في أول محرم سنة ٤هـ^(١)

٢ - بعثة عبد الله بن أنيس :

الموقف: نقلت الإستخبارات أن خالد بن سفيان الهندلى يحشد الجموع لحرب المسلمين^(٢)

الغرض: أرسل الرسول (ﷺ) عبد الله بن أنيس ليقضى عليه في المحرم سنة ٤هـ

النتيجة: ظل عبد الله بن انيس غائبا عن المدينة ثمانى عشرة ليلة ثم عاد في أواخر المحرم وقد نفذ المهمة وقتل خالدًا.

٣ - بعثة الرجيع

الموقف: فى صفر لسنة ٤هـ قدم قوم عضل وقاره للرسول (ﷺ) وذكروا أن فيهم إسلاماً فأرسل الرسول (ﷺ) سته - فى قول ابن إسحق وفى روايه البخارى أنهم كانوا وأمر عليهم مرتد بن أبى مرثد الغنوى، (بمثابة دعاة للقوم ليدخلوا دين المسلمين)، بوصولهم الى الرجيع غدر بهم بنو لجان من هذيل ولم يبق من البعثة الا خبيب بن عدى وزيد بن الدثنه فقدموا بهما الى مکه فباعوهما، فإبتاع خبيبا حجير التميمى ليقبله بأبيه وإبتاع صفوان بن أميه زيد بن الدثنه ليقبله بابيه أميه بن خلف.

النتيجة: نكسه جديده للمسلمين فى المدينة

٤ - بعثة بئر معونه

الموقف: فى شهر صفر من السنة ٤هـ قدم أبا براء عامر بن مالك المدعو بملاعب الأسنه إلى الرسول (ﷺ) فدعاه للإسلام فلم يسلم ولم يبعد فقال: يارسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دنياك لرجوت أن يجيبوك فقال الرسول (ﷺ) (إنى أخاف عليهم أهل نجد) فقال أبو براء أنا جار لهم فبعثت معه أربعين رجلاً فى قول ابن إسحاق.

النتيجة: وقتل سبعين رجلاً (كما جاء فى الصحيح) وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بنى ساعدة الملقب بالمعنىق ليموت^(١) حتى نزلوا عند بئر معونه وهى أرض بين بنى عامر وجره بنى سليم وبعثوا برسول إلى عامر بن طفيل فقتله، ثم إستنفر

(١) زاد المعاد ٢/١٠٨.

(٢) زاد المعاد ٢/١٠٩.

بني عامر لقتال الباقيين. ولما كان عمرو بن أمية في الطريق بالقرقره من صدر قناة. قتل اثنين من بني كلاب كان معهما عهد من رسول الله ﷺ فقال له الرسول ﷺ (لقد قتلت قتيلين لأدينهما وقد تألم الرسول ﷺ دعا علي هؤلاء الأقوام والقبائل التي قامت بالغدر والفتك في أصحابه، ففي الصحيح عن أنس قال: دعا النبي ﷺ علي الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو في صلاة الفجر علي (رعل) وذكوران ولحيان، وعصية ويقول (عصية عصت الله ورسوله)، وإنشغل الرسول ﷺ) بجمع دية القتيلين من بني كلاب من المسلمين ومن حلفائهم اليهود، وهذا الذي صار سبباً في وقعة بني النضير كما سيذكر بعد^(١).

تداعيات الحالة

- (١) جاءت مأساة بئمة معونة بعد مأساة الرجيع خلال أيام معدودات^(٢).
- (٢) حدثت هاتين النكبتين بعد نكسة وقع بدر فجعل ذلك كثير من المنافقين واليهود والمشركين يشمتون في المسلمين ويتلمزون عليهم، حتي طمعت فيهم بعض القبائل الضعيفة التي احترفت الإغارة مقلان في المسلمين بعد نكبه احد الكبرى. إنها مصيبه اصابتهم وجعلت كثير من المنافقين واليهود يشحتون بينهم ويتلمزون عليهم .
- النار والحق: كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعهوه من سلامه بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب إبنها يوم أحد: لئن قدرت علي رأس عاصم لتشرين في قحفته الخمر.
- النتيجة:** زياده أعداء المسلمين من القبائل المجاوره وخاصه يهود بني النضير، بعد تداعيان نكبات أحد والرجيع وبئر معونة.

من أخلاقيات الحرب بعد تلك الأحداث المأساوية

(١) الصبر علي المصيبة Patience in the face of adversity

صبر الرسول ﷺ في إحتمال هذه الكوارث المتتالية وبدأوا في تجهيز أنفسهم وإعداد همتهم لمواجهة بني النضير .

(٢) تغليب روح السلام Demonstrate the spirit of peace

رغم محاولة بنو النضير تدبير المكر لقتل الرسول ﷺ. ورغم إصرار بنو النضير علي القتال وإطلاق النبل علي المسلمين إلا أن المسلمين غلبوا روح السلام بعد قبول بنو النضير في النزول وترك المدينة.

(٣) المعاملة الإنسانية للأسري Human fellowship in treatment of prisoners of war

إستسلم بنو النضير بعد أن حاصر المسلمون حصونهم فلم يذكر الرواه أن أحداً منهم تعرض لمعاملة غير إنسانية، أو الإذلال والخط من إحترام الأشخاص (اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسري الحرب المادة ١٣).

وقعة بني النضير

الموقف:

(١) لقب بذلك لأنه أسرع إلي الشهادة.

(٢) ابن هشام ١٨٨-١٨٣/٢

(٣) ابن سعد ٥٣/٢ (ذكر بن سعد أن خبر أصحاب الرجيع وبئر مؤنة أتيا النبي ﷺ) في لية واحدة.

- ١- بعد قتل كعب بن الأشرف خاف اليهود على انفسهم فاستكانوا والتزموا الهدوء، ولكنه كان هدوء الحية الرقطاء قبل أن تبخ سمها.
- ٢- واصل اليهود مجاهرتهم بالحقد والعداوة للمسلمين وتدبير المكائد والمؤمرات بالطرق الخبيثة الماكرة.
- ٣- بعد نكبه أحد زادت جرأتهم فكاشفوا بالعداوة والغدر وأخذوا يتصلون بالمنافقين والمشركين من أهل مكة سرّاً يتآمرون على المسلمين في المدينة.
- ٤- زادت جرأة اليهود بعد نكبه الرجيع وبئر معونة وتأمروا على قتل الرسول ﷺ.
- ٥- خرج إليهم الرسول ﷺ ليعينه في ديه الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري وذلك واجب عليهم حسب بنود المعاهدة فقالوا له نفعل يا أبا القاسم.
- ٦- جلس الرسول ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا وكان معه طائفه من اصحابه.
- ٧- قالوا: أيكم يأخذ هذه الرحي ويصعد فيلقها على رأسه يشدخه بها؟
- ٨- فلما هموا الرسول ﷺ بالاذى نجاه الله. وتأكد نقضهم للعهد وغدرهم وخيانتهم.
- ٩- بعث الرسول ﷺ محمد بن مسلمه إلى بنى النضير يقول لهم: (اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها وقد أجلتكم عشراً فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه).
- ١٠- فأقام اليهود يتجهزون للرحيل بيد ان رئيس المنافقين -عبد الله بن أبي- بعث إليهم لأن إثبتوا وتمنعوا ولا تخرجوا من دياركم فإن معي الفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم وتتصرمكم قريظه وحلفاءكم من غطفان فاستقر رأيهم على المناوأة

تغييرات الموقف:

- ١- بعث رئيسهم حى بن أخطب إلى الرسول (ﷺ) يقول (إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك).
- ٢- موقف المسلمين يزداد حرجاً فإن اشتباكهم بخصوصهم في هذه الفترة الحرجه لم يكن مأمون العواقب وقد رأوا كلب العرب عليهم وفتكهم ببعوثهم .
- ٣- كان يهود بنى النضر على درجه عاليه من القوه تجعل إستسلامهم بعيد الإحتمال وتجعل فرص القتال معهم محفوفاً بالمكاره.
- ٤- النكبه التي أصابت المسلمين ومحاولة بنى النضير قتل الرسول (عليه الصلاه والسلام) ضاعفت من نقمه المسلمين للنيل من مقترفيها بالاضافه الى حساسيه موقفهم من جرائم الغدر والاغتيال التي أخذوا يتعرضون لها جماعات وأفراداً.

(الوقعه)

- ١- إستعمل الرسول على المدينة ابن أم كلثوم في ربيع الأول سنة ٤هـ ونهض لمناجزة القوم وفرض الحصار عليهم .
- ٢- التجأ بنو النضير إلى حصونهم يرمون بالنبل والحجاره وكانت نخيلهم وبيساتهم عوناً لهم في ذلك فأمر الرسول (ﷺ) بالتهديد بقطعها وتحريقها.
- ٣- واعتزلتهم قريظه وخانهم عبد الله بن أبي وحلفاؤهم من غطفان فلم يحاول أحد أن يساعدهم أو يدفع عنهم شراً.
- ٤- دام الحصار ست ليال فقط وقيل خمسه عشرة ليلة حتى قذف الله في قلوبهم الرعب فإندحروا وتهايأوا للإستسلام فأرسلوا للرسول (ﷺ) بذلك.

- ٥- أنزلهم الرسول (ﷺ) على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذرائعهم وان لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، (تم معاملة يهود بني النضير معاملة إنسانية ولم تحدث عليهم تدابير الإقتصاص).
- ٦- نزلوا عن ذلك وخربوا بيوتهم بأيديهم ثم حملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائه بغير وترجل أكثرهم وأكابرهم إلى خير، (إحترام المسلمون أشخاص وشرف وكرامة بني النضير ولم تتعرض نساءهم لأي إعتبار منا في الأخلاق)، (اتفاقيه جنيف الثالثة، المادة (١٢)، (١٣)، (١٤)).
- ٧- أسلم من يهود بني النضير رجلان فأحرزا أموالهما .
- ٨- صارت أموال بني النضير وارضهم وديارهم خالصة للرسول (ﷺ) يضعها حيث يشاء ولم يخمسها لأن الله أفاءها عليه- ولم يوجب المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فقسما بين المهاجرين الأولين خالصة إلا أنه أعطى أبا دُجانة وسهل بن حنيف الأنصاريين لفقريهما .
- ٩- كان الرسول (ﷺ) ينفق من غنم بني النضير على أهله نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله.
- ١٠- أنزل الله في هذه الواقعة سورة الحشر بأكملها وبين أحكام الفبيء وبين جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض.

التعليق

- (١) بنو النضير هم القبيلة اليهودية الثانية التي أخرجها الرسول (ﷺ) من المدينة بعد أن حاولت إغتياله وذلك لكي لا يترك عدواً له في داخل معسكره بمثابة شوكة في ظهر المسلمين.
- (٢) أخطأ بنو النضير في تقدير قوتهم العسكرية نسبة إلى قوة المسلمين فخرقوا المبدأ الأول للحرب وهو (نسبية الأهداف إلى الوسائل) فخسروا.
- (٣) حدث ما توقعه الراهب بحيري من أن اليهود سيحاولون إغتيال محمد (ﷺ) وأنه سيقتلونه.
- (٤) لم يتعرض بنو النضير في خروجهم لما يمس الكرامة وعاملهم المسلمون معاملة إنسانية في إحترام شخصهم وشرفهم، (اتفاقيه جنيف الثالثة مواد ١٢ / ١٣ / ١٤).

وقعة نجد

الموقف:

- (١) انتصر المسلمون على بني النضير دون قتال وتضحية فتوطد سلطانهم في المدينة وتخاذل المنافقون عن الجهر بكيدهم.
- (٢) تجمعت الأعراب من بني محارب وبني ثعلبه من غطفان ، وتواتبوا على بعوث الدعاة يقتلون رجالها فسارع النبي (ﷺ) بجوس فيافي نجد ليلقي بذور الخوف في أفئدة البدو القساء.
- (٣) تفاقم خطر هؤلاء الأعراب وتجاوزت جرأتهم الحدود فهددوا بغزو المدينة، ولكن الرسول (ﷺ) وأصحابه إتخذوا من التدابير الأمنية الشديدة حتي يزدجر هؤلاء البدو والمناوين ولا يعاودوا قتالهم التي إرتكبها إخوانهم مع المسلمين.
- (٤) وأضحى الأعراب الذين مردوا علي النهب والسطو لا يسمعون بمقدم المسلمين إلا حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال.

وقعة بدر الثانية

الموقف العام:

- (١) كسر المسلمون شوكة الأعراف في المناطق حول المدينة وكفكفوا شرهم فباتوا لا يجروون علي معاودة أساليب القرصنة والغدر والقتل وإستفزاز الأمن في المدينة.
- (٢) إستدار العام وحضر الموعد المضروب مع قريش (في وقعة أحد) وحق لمحمد ﷺ وصحبه أن يخرجوا لمواجهة أبو سفيان وقومه ويتم حسم الموقف لأحد الفريقين.
- (٣) في شعبان سنة ٤ هـ خرج الرسول ﷺ لموعده منذ عام في ألف وخمسمائة وكانت الخيل عرة أفراس وحمل لواءه علي بني أبي طالب وإستخلف علي المدينة عبد الله بن رواحة.
- (٤) إنتهي جيش المسلمين إلي بدر فبقوا بها ينتظرون قريش.
- (٥) خرج أبو سفيان من مكة ميثاقاً في الغين من مشركي مكة وفيهم خمسون فارساً حتي إنتهي إلي (مر الظهران) علي بعد مرحلة من مكة فنزل (بمحسنة) وهي ماء في تلك الناحية).

موقف قريش:

- (١) فكر أبو سفيان في عواقب القتال مع المسلمين وقد تملكه الخوف وإستولت علي مشاعره الهيبة القلق وبات غير مطمئن يخش أن تدور عليه الدائرة فإحتال للعودة.
- (٢) قال أبو سفيان لأصحابه يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإن عامكن هذا عام جذب وإنني الرجاع فارجعوا.
- (٣) كانت مشاعر الخوف سائدة علي مشاعر جيش قريش كما كانت سائدة علي مشاعر القائد فرجع الناس ولم يبدو أي معارضة لهذا الرأي وفقدوا الحماس في مواصلة السير للقاء جيش المسلمين.

موقف جيش المسلمين:

- (١) أقام جيش المسلمين ببدر ثمانية أيام ينتظرون العدو.
- (٢) باعوا ما معهم من التجارة وربحوا وكانوا علي أهبة الإستعداد في إنتظار العدو.
- (٣) رجع جيش المسلمين إلي المدينة وقد ملكوا زمام المبادرة وتوطدت هيبتهم في النفوس وسادوا الموقف دون قريش.

النتيجة

- (١) يؤرخ الرواة هذه الوقعة بإسم (بدر الموعد- بدر الثانية- بدر الآخرة- وبدر الصغري).
- (٢) لم يحدث قتال وردجج جيش المسلمين وقد ملأ نفوس رجاله الإعتزاز وسيطروا علي الأحوال فهابهم القاصي والداني.

التقييم

- (١) إستعمل أبو سفيان أحد جواسيسه لتثبيط هم المسلمين عن القتال وقد نجح في مهمته، حين وعده أبو سفيان بعشر فرائض حتي أن الرسول ﷺ عندما بلغه مدي ما أصاب الناس من تثبيط قال (والذي نفسي بيده ربما لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي).

(٢) تراجع أبو سفيان عن المواجهة العسكرية مع المسلمين لأسباب تموينية ولوجستية ونضرب الأمثال بهزيمة بعض الجيش نتيجة خلل وإضطراب في الحالة التموينية للجيش:

- (أ) هزيمة رومل في شمال أفريقيا بسبب عدم إرسال النجذات والتموين إلي من ألمانيا.
- (ب) إستسلام مجموعة جيوش (فون باوليس) الألمانية في ستالغراد عندما أصبح أمر تموينها متعذراً.
- (٣) جاءه النبأ من عمه العباس أن أبا سفيان لن يجيء لي عامة لأنه وجد أن القتال غير مأمون العاقبة.
- (٤) بعد العودة إلي المدينة أمر محمد ﷺ شعراءه أن يمجدوا هذا الإنتصار لإظهار قوة المسلمين بين سائر العرب.

وقعات السنة الخامسة من الهجرة

وقعة دومة الجندل^(١)

كانت هذ الوقعة أواخر العام الربع الهجري ويقول آخرون من الرواه أنها كانت في بداية السنة الخامسة من الهجرة^(٢).

الموقف العام:

- (١) عاد الرسول ﷺ من بدر وقد عادت الهيبة لجيش المسلمين واطمأنت الدولة الجديدة بعد أن أُرهب البدو والقبائل التي كانت تقوم بالسطو والنهب وتهدد المدينة بين الحين والآخر.
- (٢) جاءت الأخبار بأن القبائل حول (دومة الجندل) و (موقع قريب من الشام).
- (٣) إزدادت هذه القبائل وتحالفت مع البدو في عمليات القرصنة وإرهاب الأمنين وصار خطرهما يهدد عاصمة الدولة (المدينة).
- (٤) تبعد مكان دومة الجندل بينها وبين دمشق خمس ليالٍ وهر مكان معروف بمشارف الشام.
- (٥) خرج الرسول ﷺ في ألف من المسلمين لخمس ليالٍ بقين من ربيع الأول سنة ٥ هجرية وأخذ دليلاً من بني عذرة وغستعمل سباع بن عرفطة علي المدينة.

موقف جيش المسلمين:

- (١) يسير الجيش ليلاً وتكمن نهاراً حتي يفاجئ الأعداء فلما دنا من (دومة الجندل) أخبره الدليلي بسوائم^(٣) بني تميم.
- (٢) لأن بنو تميم تواطأوا مع آخرين في عدائهم علي مدينة فهجم المسلمون علي ماشيتهم ورعائهم فأصاب ما اصاب وهرب من هرب.
- (٣) جاء الخبر أهل (دومة الجندل) فنفروا فنزل جيش المسلمين بساحتهم فلم يجد فيها أحداً فأقام بها أياماً.
- (٤) من دومة الجندل بث الرسول ﷺ السرايا للإستطلاع والإستخبار وإرهاب الأعراب الذين يفكرون في المهاجمة.
- (٥) وادع الرسول ﷺ (عبيدة بن حصن).

النتائج

(١) ابن كثير جزء ٤ ص ١٠٠.

(٢) زاد المعاد ١١٢/٢.

(٣) السوائم (الماشية).

- (١) نفذ الرسول ﷺ هجوماً إستباقياً علي (دومة الجندل) لمنع المجتمعين فيها من الإقتراب من المدينة حتي لا يتمكنوا من شن غارات علي المدينة.
- (٢) في الخطط العسكرية الناجحة فإن الهجوم الإستباقي بنفذه جيش لا ستباق عمل عسكري يحضره خصمه ضده.
- (٣) عم الرسول ﷺ إلي السير بجيش المسلمين ليلاً وإقامة كائن بالنهار وهذه إستراتيجية تهدف عادة إلي عدم لفت أنظار العدو بل مفاجأته بالهجوم عليه فيما هو غير متحضر للقتال.
- (٤) نجح الرسول ﷺ في تنفيذ مبدأ الحرب الناجح حرية العمل مفاجأً المجتمعين في دومة الجندل وصادر جيش المسلمين ماشيتهم وفرق جموعهم.
- (٥) بغية عدم إنحراف القوات المتقدمة عن الطريق المؤدية إلي هدفها فإستعمل الرسول دليلاً موالياً قادها مباشرة إلي (دومة الجندل) رغم أن الإنتقالات كانت تحصل ليلاً.
- (٦) أحسن الرسول ﷺ تطبيق قواعد إختيار الزمان والمكان المناسبين للعملية العسكرية.

التعليق

- (١) يهدف الإجراءات السريعة تم حسم الموقف لصالح جيش المسلمين.
- (٢) تم إستعادة السلام في المنطقة بالسيطرة بالخلافة وتحويل الموقف العام إلي جانب المسلمين.
- (٣) نتيجة هذه الوقعة تم تخفيف المتاعب الداخلية والخارجية التي كانت أحاطت بجيش المسلمين من كل جانب ويظهر ذلك في الآتي:
- (أ) سكت المنافقون وإستكانوا وتفرق عنهم بعض الموالين من العرب فتفرقوا.
- (ب) تم إجلاء قبيلة من اليهود وبقيت الأخرى تظاهر بإيفاء حق الجوار.
- (ج) إستكانة البدو والأعراب وحادت قريش عن مهاجمة المسلمين.
- (د) وجد المسلمون فسحة وفرصة لنشر الدعوة الإسلامية.

وقعة الأحزاب

الحاة في المدينة:

- (١) لازال اليهود علي عهدهم في الغدر والتآمر والذسائس خاصة بعد نفيهم إلي خيبر
- (٢) شرعوا في التآمر من جديد علي المسلمين وأخذوا يعدون العدد لتصويب ضربة إلي المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها.
- (٣) خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلي قريش يحرضونهم علي غزو المدينة ووعدهم من أنفسهم بالنصر لهم ورأت قريش في ذلك إنقاداً لسمعتها والبر بكلمتها.
- (٤) خرج هذا الوفد إلي غطفان فدعاهم إل ما دعا إليه قريشاً فإستجابوا لذلك.
- (٥) طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلي ذلك فإستجاب له من إستجاب.
- (٦) تجمعت جيوش قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة من الجنوب يقودهم أبو سفيان في أربعة آلاف.

(٧) وافاهم بنو سليم (بمر الظهران).

(٨) خرجت من الشرق قبائل غطفان (بنو فزارة) يقودهم عيية بن حصن وبنو يقودهم الحارث بن عوف وبنو أشجع يقودهم مسعر بن رحيلة وخرجت أيضاً بنو أسد.

(٩) تحركت هذه الأحزاب نحو المدينة علي ميعاد كانت تعاقبت عليه.

(١٠) وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عرمرم تعداده عشرة آلاف مقاتل.

تيقظ قيادة المدينة:

- (١) لم تغفل قيادة المدينة عما يحاك بها فكانت بهمة ونشاط تتجسس الأحوال وتقدر ما يتمغض عم مجراها.
- (٢) لم تكذب تتحرك هذه الجيوش عن مواضعها حتي نقلت إستخبارات المدينة إلي قيادتها فيها تفاصيل قوات العدو الزاحفة.
- (٣) تجمع حول المدينة جيش عرمرم يبلغ عشرة آلاف مقاتل جيش ربما يزيد عدده علي جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ.
- (٤) إذا بلغت هذه الأحزاب والمحزبية والجنود المجندة إلي أسوار المدينة بغتة لكانت أعظم خطراً علي كيان المسلمين قاطبة، ولذلك تحسبت قيادة المدينة ضخامة الخطر الداهم، وكانت متيقظة لم تزل تضع أناملها علي العروق النابضة وتأتي لها الأخبار من مكة بتفاصيل دقيقة عن زحف الجيوش وتحركها.
- (٥) كانت المدينة تحيط بها الحرات والجبال وبساتين من النخيل من كل جانب سوي ناحية الشمال فكان تقدير الموقف أن يكون الخندق ناحية شمال المدينة لأن زحف مثل هذا الجيش الكبير ومهاجمته المدينة لا يمكن إلا من ناحية الشمال.
- (٦) عقد محمد ﷺ مجلس إستشاري أعلي وبعد مناقشات بين القادة وأهل الشوري إتفقوا علي قرار قدمه الصحابي سلمان الفارسي.
- (٧) قال سلمان: (يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا) ولم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

قيادة المدينة تنفذ الخطة (حفر الخندق):

- (١) وكل الرسول ﷺ إلي كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً.
- (٢) عن البراء بن عازب قال: (رأيت رسول الله ﷺ ينقل تراب الخندق حتي واري عن الغبار جلده بطنه، وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمة ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول^(١)):

| | | |
|------------------------|--------|---------------------------|
| ولا تصدقنا ولا صلينا | | اللهم لولا أنت ما إهتدينا |
| وثبت الأقدام إن لاقينا | | فأنزلن سكينه علينا |
| وإن أردوا فتنه أيدنا | | إن الألي رغبوا علينا |

(٣) كان المسلمون يعملون في حفر الخندق بإيمان عظيم وقد قال أنس (كان أهل الخندق) يؤتون بملي كفي من الشعير فيصنع لهم بإهالة نسخة^(٢) توضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ربح^(٣) .

(١) صحيح البخاري ١/٣٩٧، ٢/٥٨٨.

(٢) الإهالة الدهن، وسنخة يعني تغيرت من طول بقائها.

(٣) صحيح البخاري ٢/٥٨٨.

(٤) ما رواه البخاري عن جابر قال: إنا يوم خندق بحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال (أنا نازل) ثم قال وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة لا ندوق نواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعادة كثيراً أهيل وأهيم^(١) أي صار رملاً لا يتماسك.

(٥) كان الرسول ﷺ يعلم أن زحف مثل هذا الجيش الكبير من الأحزاب ومهاجمته المدينة لا يمكن إلا من جهة الشمال فإتخذ الخندق في هذا الجانب.

القوات المهاجمة:

- (١) أقبلت قريش في أربعة آلاف حتى نزلت بمجتمع الأسيال من روقة بين الجرف وزغابة.
- (٢) وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف حتى نزلوا بذنب نغمي إلي جانب أحد.

القوات المدافعة:

(١) خرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين فجعلوا ظهورهم إلي جبل (سلع) فتحصنوا به والخندق بينهم وبين القوات المهاجمة.

(٢) إستخلف الرسول ﷺ علي المدينة ابن أم مكتوم.

(٣) أمر بالنساء والذراري فجعلوا في آطام^(٢) المدينة.

مرحلة القتال الأولي (محاولة إقتحام الخندق):

(١) أرادت القوات المهاجمة إقتحام المدينة فوجدوا خندقاً عريضاً يحول بينهم وبينها فإلتجأوا إلي فرض الحصار بينما لم يكونوا مستعدين له حين خرجوا من ديارهم.

(٢) أخذت القوات المهاجمة تدور حول الخندق يتحسسون نقط ضعفه لينحدروا منها

(٣) كره المهاجمون أن يقفوا حول الخندق من غير جدوي في ترقب نتائج الحصار.

(٤) حاول المهاجمون فتح ثغرة عبر الخندق، إلا أن القوات الدفاعية أفسلتهم.

(٥) إنشغل المدافعون إنشغالاً بليغاً وناضلوا أشد النضال لصد محاولات إقتحام الخندق حتي فات المسلمون ببعض الصلوات ففي مسند أحمد والشافعي أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعاً^(٣).

(٦) تكررت محاولة العبور من المهاجمين والمكافحة المتوصلة من المدافعين دامت أياماً إلا أن الخندق لما كان حائلاً بين الجيشين لم يجر بينهما قتال مباشر أو حرب دامية.

الدفاع والخيانة:

(١) بينما كان المدافعون يواجهون هذه الشدائد علي جبهة المعركة كانت أفاعي الدس والتآمر تتقلب في جحورها تريد إيصال السم داخل أجسامهم.

(١) صحيح البخاري ٢ / ٥٨٨.

(٢) حصون.

(٣) شرح مسلم للنووي ١ / ٢٢٧.

(٢) أنطلق حي بن أخطب كبير متأمري بن النضري إلي ديار بني ريظة فأتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة وصاحب عقدهم وعهدهم، وكان قد عاهد الرسول ﷺ علي أن ينصره إذا أصابته حرب.

(٣) دعاه أخطب لإنتهاز الفرصة فالقوم المهاجمون قد عاهدوه ألا يبرحوا حتي يستأصلوا محمداً ومن معه.

(٤) فقال له كعب: (إني لم أرض محمد إلا صدقا ووفاء).

(٥) فلم يزل حي بكعب يقتله في الذروه والغارب^(١)، ويمنيه ويواعده ويؤازره.

(٦) فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين المسلمين ودخل مع المشركين في المحاربة ضد المسلمين^(٢).

(٧) وفعلاً قامت يهند بني قريظة بأعمال الحرب وفي ذلك:

(قال ابن أسحق: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارح حصن حسان بن ثابت وكان حساب فيه مع النساء والصبيان) قالت صفية: (فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ولبس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في غور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إن أتانا آت، قالت: فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما تري يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل علي عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فأنزل إليه فأقتله.

قال: والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت: فأحتجرت^(٣) ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتي قتلته ثم رجعت إلي الحصن وقلت: يا حسان إنزل إليه فأسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل: قال ما لي بسلبه من حاجة^(٤))

(٨) أخذ اليهود المهاجمين بالمؤمن كدليل عملي علي إنضمامهم إليهم ضد المسلمين حتي أخذ المسلمون من مؤنهم عشرين جملاً.

(٩) وإنتهي الخبر إلي رسول الله ﷺ وإلي المسلمين فبادر إلي تحقيقه حتي يستجلي موقف قريظة فيواجهه بما يجب من الوجهة العسكرية.

(١٠) بعث الرسول ﷺ لتحقيق الخبر سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبدة بن عبد الله بن رواحة وخوان بن جبير وقال: (إنطلقوا حتي تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فلحنوا لي لحقاً أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس وإن كانوا علي الوفاء فأجهروا به للناس).

(١١) فلما دنوا منهم وجودهم علي أخطب ما يكون فقد جأهروهم بالسب والعداوة ونالوا من رسول الله ﷺ.

(١٢) وقالوا من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فأنصرفوا عنهم فلما أقبلوا علي رسول الله ﷺ لحنوا له وقالوا: عضل وقارة أي أنهم علي غدر كغدر عضل وقارة بأصحاب الرجعي.

(المرحلة الثانية) محاولة تحييد بني قريظة

خطة المدافعين إزاء الخيانة والنفاق:

(١) الذروة والغارب (أي لم يخادعه كما يخادع البعير إذا كان نافرأً.

(٢) ابن هشام ٢/٢٢٠، ٢٢١.

(٣) شددت وسطي.

(٤) ابن هشام ٢/٢٨٨، فتح الباري ٦/٢٨٥.

- (١) صار موقف المدافعين حرجاً فلم يكن يحول بينهم وبين بني قريظة شئ يمنعهم من ضربهم من الخلف بينما كان أمامهم جيش كبير لا يستطيعون الإنصاف عنه وكانت ذراريهم ونسأؤهم بمقربة من هؤلاء الغادرين في غير منعه وحفظ.
- (٢) إضافة إلي ذلك نجم النفاق من بعض المنافقين حتي قال: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسري وقيصر وأحدنا اليوم لا يامن علي نفسه أن يذهب إلي الغائط وحتي قال بعض آخر في ملأ من رجال قومه: إن بيوتنا عورة من العدو فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلي دارنا فإنها خارج المدينة وحتي همت بنو سلمة بالفشل.
- (٣) أخذ الرسول ﷺ يخطط لمجابهة الظرف الراهي فكان يبحث الحرب إلي المدينة لئلا يؤتي الذراري والنساء علي غرة.
- (٤) أراد الرسول ﷺ أن يصلح عيینه بن حصن والحارث ابن عوف رئيس غطفان علي ثلاث ثمار المدينة حتي ينصرفا بقومهما ويخلوا المسلمون إلي المهاجمين وإستشار سعد بن معاذ وسعد بن عباد فقالوا: (يا رسول الله إن كان الله يأمرك بهذا فسمعاً وطاعة وإن كان شئ تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه). فصورت الرسول رأيهما وقال (إنما هو شئ أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة).

الحرب خدعة:

- (١) جاء نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي من غطفاء إلي رسول الله ﷺ وقال: إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا إسلامي فمرني ما شئت فقال الرسول ﷺ (إنما أنت رجل واحد فخذل عندما إستطعت فإن الحرب خدعة).
- (٢) ذهب نعيم بن مسعود من فوره إلي نب قريظة وكان عشيراً لهم في الجاهلية فحذرهم من مظاهرة قريش وغطفان في حربها ضد المسلمين فقالوا: فما العمل يا نعيم؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتي يعطوكم رهائن، قالوا: أشرت بالرأي.
- (٣) مضى نعيم إلي قريش وقال لهم: تعلمون ودي لكن ونصحي لكم؟ قالوا: نعم، قال: فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم ثم ذهب إلي غطفان فقال لهم مثل ذلك.
- (٤) فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة ٥ هـ، بعثت قريش إلي يهود: إنا لسنا بأرض مقام وقد هلك الكراع واخف^(١) فإنهمضوا بنا حتي نناجز محمداً.
- (٥) فأرسل إليهم اليهود أن لا يوم يوم السبت وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه ومع هذا فإننا لا نقاتل معكم حتي تبعثوا إلينا رهائن.
- (٦) فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم.
- (٧) فتخاذل الفريقان ودبت الفرقة بين صفوفهم وخارت غرائمهم.

حرب الأعصاب:

- (١) معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل كنت معركة أعصاب فلم يجر فيها قتال مرير.
- (٢) كان المسلمون يدعون الله (اللهم أستر عوراتنا وآمن روعاتنا) ودعا الرسول ﷺ علي الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، إهزم الأحزاب، الله إهزمهم وزلزلهم)^(٢)
- (٣) إعتد الرسول ﷺ طريقة (الدفاع المتحرك) لهم قرار فكانت قواته جاهزة باستمرار للتحرك بإتجاه أي ثغرة وسدا فوراً.

(١) الكراع يعني الخبل وبالخف الإبل.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد ٤١١/١، وكتاب المغازي ٥٩٠/٢.

(٤) دأب الرسول ﷺ علي إرسال الدوريات المنتظمة لمراقبة مجريات المعركة مراقبة مستمرة وشاملة الأمر الذي حرم المهاجمين من إنتهاز أي فرصة.

(٥) بعد أن بلغ الحصار أشده وطالت مدته حتي بلغ الشهر من الزمن هبت الريح القوية تخللها أمطار غزيرة مع ععود وبرق لم يكن سكان شبه الجزيرة العربية قد تعودها سابقاً حتي قال أبو سفيان: يا معشر قريش فلينتظر أمرؤ جليسة نظراً لشدة العفرة وضعف الرؤيا وإرتباك الجيش.

(٦) إعتبر المؤمنون هذه الريح الشديدة والبرد والطور الذي بالكاد يستطيع الفرد أن يري كف يده رسالة من السماء إلي المهاجمون بالبر القارس والسيول الجارفة والريح العاصفة وفوجئوا بالخذق الذي حفره المدافعون، فطال الحصار حتي قال أبو سفيان قائد المهادمين (يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تظمنن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فإرتحلوا فإني مرتحل.

المرحلة الثالثة: نهاية المعركة

(١) تراجعت بني قريظة عن المواجهة وفشل جيش قريش وحلفائها في إقتحام الخندق وتحقيق أي نجاح فتراجع حماس أفراد هذا الجيش وضعفت معنوياته.

(٢) بعد أن بلغ الحصار أشده وطال حتي بلغ الشهر من الزمان حدثت مفاجأة عظيمة لصالح المسلمين فقد هبت ريح شديدة تخللها أمطار عذيرة مع ععود وبرق لم يكن سكان شبه الجزيرة العربية قد تعودوها من قبل.

(٣) إعتبر المؤمنون غضب الطبيعة رسالة من السماء إلي المشركين بعد أن إقتلعت الرياح بعض الخيام وقلبت القدور وشعر المهاجمون ببرد شديد لم يكونوا متحضرين لمجابهته.

(٤) قال قائد الجيش أبو سفيان (يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذ الريح مات ترون فإرتحلوا فإني مرتحل.

(٥) فلما سمعت غطفان بما فعلت قريش فإنشمروا راجعين إلي بلادهم وتفرقت جموع قريش وحلفاؤها فإنتهي الحصار عن المدينة.

النتائج بعد معركة الأحزاب

(١) تراجعت قريش عن مهاجمة المدينة بقصد إحتلالها والقضاء علي المسلمين.

(٢) إرتفعت معنويات المسلمين مقابل تراجع في معنويات أعدائها.

(٣) ترتب علي ذلك إخلاء المدينة من آخر قبائل اليهود (بنو قريظة) فإبتعد عن المدينة الخطر الداخلي وخطر الحرب الأهلية وتم القضاء علي الطابور الخامس من داخل صفوف المسلمين.

(٤) إنتقلت مبادرة القتال من قريش إلي المدينة وإتبر المسلمون أن خير وسيلة للدفاع هو الهجوم وقد أصبح الزمام في أيديهم.

(٥) كانت الحملة التي شنها المشركون ضد المدينة أكبر حملة عسكرية في تاريخ شبه الجزيرة العربية وقد باءت بالفشل مما حظ من معنويات أعداء المسلمين وأثر سلباً في مخططاتهم العسكرية اللاحقة.

(٦) لأول مرة يعتمد جيش المسلمين علي طريقة الدفاع المتحرك وإعتمد الرسول علي إرسال الدوريات المنتظمة لمراقبة مجريات المعركة مراقبة مستمرة ونشطة.

(٧) كان من أسباب إنتصار المسلمين وحدة القيادة في وقت كان المشركون قيودهم قادة عديدون يلاحق كل منهم هدفه الخاص.

(٨) المفاجأة التي واجهها المشركون في وجود الخندق الدفاعي، ولم يألفوا مثله من قبل والرياح والبرد والأمطار الشديدة التي لم تكن في حسابان جيش المشركين.

(٩) كان شهداء جيش المسلمين ستة رجال وقتلي المشركين ثلاثة مقاتلين^(١)

وقعة بني قريظة

أولاً: المجاهرة بالعداء السامر:

(١) تنفيذاً لأوامر الرسول ﷺ قدم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد بن عباد سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة وخوان بن جبير، ودخلوا مع بني قريظة حصنهم ودعوهم إل يالموادعة وتجديد الحلف فقالوا: الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النضير) ونالوا من رسول الله ﷺ فتشاتهم مع سعد بن عباد وأغضبوا الوفد القادم لهم ببغي استمرار السلام فيما بينهم وبين المسلمين.

(٢) ناداهم سعد بن معاذ فقال: (إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمرت منه، فقالوا: أكلت أيرابيك فقال: غير هذا القول كان أجمل بكم وأحسن، وقال بن إسحق^(٢)، نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد (ولا عقد) فشاتهم سعد بن معاذ وشاتموه.

ثانياً: نقض بني قريظة للعهد:

(١) أقبل السعدان ومن معهما إلي رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة أي كغدرعم بأصحاب الرديع جيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ (الله أكبر أبشر ما يا معشر المسلمين).

(٢) إنتشر خبر نقض بني قريظة للعهد، فسادت حال من الذعر أوساط المسلمين لكن الرسول ﷺ رفع راسه وقال (أبشروا بفتح الله ونصره) فعادت الحمية إلي صفوفهم رغم بعض مواقف التخاذل وإنسحاب أوسي بن قريظي وقومه^(٣)

(٣) ثبت المسلمون في مجابتههم قريش رغم الحصار الشديد ورغم نقض اليهود من بني قريظة عهدهم معهم وقطعهم المواد الغذائية عن الجيش الإسلامي وتهديدهم بحرق المحاصيل الزراعية.

حصار بني قريظة:

(١) في اليوم الذي رجع فيه الرسول ﷺ إلي المدينة بعد إنسحاب جيش الأحزاب أمر مؤذنا فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة واستعمل علي المدينة ابن أم مكتوم وأعطي الراية علي بن أبي طالب وقدمه إلي بني قريظة فسار علي حتي إذا دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ.

(٢) خرد الرسول في المهاجرين والأنصار حتي نزل علي بنر من آبار بني قريظة يقال لها بنر (أنا)، وتحرك الجيش الإسلامي نحو بني قريظة أرسالاً حتي تلاحقوا بالرسول ﷺ وهم ثلاثة آلاف والخيل ثلاثون فارساً فنازلوا حصون بني قريظة وفرضوا عليها الحصار.

(١) ابن كثير جزء ٤، ص ١٢٥.

(٢) ابن كثير جزء ٤، ص ١١٣ إلي ص ١١٤.

(٣) الطبري جزء ٢، ص ٩٤.

(٣) ولما إشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال ولكنهم ردوا هذ الخصال الثلاثة وإتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين فبعثوا إلي الرسول ﷺ أن أرسل إلينا أبا لبابه نستشيره وكان حليفا لهم وكانت أمواله وولده في منطقتهم وقالوا: يا أبا لبابه أتري أن ننزل علي حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلي حلقة يقول إنه الذبح.

(٤) برغم ما أشار عليه أبو لبابه قررت قريظة النزول علي حكم الرسول ﷺ وكان بإستطاعة اليهود أن يتحملوا الحصار الطويل لأسباب منها:

(أ) توفر المواد الغذائية والمياه والآبار في حوزتهم.

(ب) مائة حصونهم.

(ج) كان المسلمون يقاسون البرد القارس والجوع الشديد وهم في العراء.

(د) شدة التعب والإرهاق الذي أصاب المسلمين لمواصلة الأعمال الحربية ممن قبل بداية معركة الأحزاب.

(٥) تميزت الحرب ضد بني قريظة بأنها كانت حرب أعصاب فأخذت معنوياتهم تنهان وعزيمتهم تخور وحينئذ بادروا إلي النزول علي حكم الرسول ﷺ.

قبول حكم رجل فيهم:

(١) أمر الرسول ﷺ بإعتقال الرجال تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصاري وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال في ناحيه.

(٢) قامت الأوس إلي رسول الله ﷺ فقالوا:

يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد عملت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم فقال (إلا ترضون أن يحكم فيهم رجال منكم؟) قالوا بلي وقال: (فذاك إلي سعد بن معاذ) قالوا: قد رضينا.

(٣) لما إنتهي سعد إلي النبي ﷺ قال للصحابة: (قوموا إلي سيدكم) فلما أنزلوه قالوا: يا سعد إن هؤلاء قد نزلوا علي حكمك قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم قال: وعلي المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: وعلي من ها هنا؟ وأعرض بوجهه وأشار إلي ناحية رسول الله ﷺ إجلالا له وتعظيماً.

قال: (نعم وعلي) قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ونسي الذرية وتقسّم الأموال فقال رسول الله ﷺ (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات).

أسباب حكم سعد بن معاذ:

(١) بلغ المسلمون من القوة في المدينة أن أخرجوا بني قينقاع وأجلوا بني النضري ديارهم.

(٢) كانت فكرة تأليب العرب علي المؤمنين أصحاب الرسول ﷺ هي الفكرة التي أختمرت في نفوس أكابر بني الضنير وتنفيذاً لها خرج نفر منهم ومن بينهم حي بن أخطب وآخرون ومعهم نفر من بني وائل فعودت بن قيس وأبو عمار حتي قدموا قريشاً في مكة فسأل أهلها حيناً عن قومه فقال: (تركتم بين خبير والمدينة يترددون حتي تأتوهم فتسيراً معهم إلي محمد وأصحابه.

(٣) وسالوه عن قريظة فقال: (أقاموا بالمدينة مكرراً بمحمد حتي تأتوهم فيميلوا معكم).

(٤) ترددت قريش في هذا التحريض الذي يسعي إليه اليهود فليس بين قريش وبين محمد خلاف إلا علي الدعوة التي يدعوا إلي الله، فقالت قريش لليهود: (يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول وأهل المعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفدينا خبر أم دينه؟ قالت اليهود: (بل دينكم خير من دينه وأنتم أولي بالحق منه).

تفضيل اليهود وثنية قريش علي توحيد محمد:

(١) في كتاب الدكتور: إسرائيل ولفنون "تاريخ اليهود في بلاد العرب" كان من واجب هؤلاء إلا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش وإلا يقترحوا أمام قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي هذا بالإضافة إلي أنهم بإتجائهم إلي عباد الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراه التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام وبالوقوف منهم موقف الخصومة.

(٢) كما ذهب هؤلاء النفر من زعماء اليهود إلي قريش ذهبوا إلي غطفان من قيس عيلان ومن بني مرة ومن بني مزازة ومن أشجع ومن يسلم ومن بني سعد ومن أسد ومن كل من لهم عند المسلمين ثأر ومازالوا بهم يحرضونهم علي الأخ بثأرهم ويحمدون لهم وثنتهم.

(٣) أوجي حي بن أخطب إلي الأحواب أنه مقنع بني قريظة بنقض عهد مدادعتهم لمحمد والمسلمين والإنضمام إليهم وأن قريضة حتي فعلت أنقطع المدد والميرة عن محمد من ناحية وفتح الطريقة للدخول يثرب من ناحية أخرى.

وفاء محمد وصدقه لعهد:

(١) مازال حي بن أخطب بكعب بني أسد صاحب عقد قريظة حتي فتح له باب الحصن ثم قال له (ويحله يا كعبت! جئتك بعز الدهر وببر طام جئتك بقريش وبغطفان مع قادتها وسادتها وقد عاهدوني وعاهدوني علي إلا يبرحوا حتي نستأصل محمداً ومن معه).

(٢) تردد كعب بن أسد وذكر وفاء محمد لوعده وصدقه لعهده وخشي مغبة ما يدعوه حي إليه.

(٣) وسأل كعب وماذا يكون إذا إرتدت الأحزاب؟ هناك أعطاه حتي موثقاً إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه في حصنه فيشركه في خطة مقبل كعب ما طلب ونقض عهده مع محمد والمسلمين وخرج من حياته.

(٤) إتصل نبأ إنضمام قريظة إلي الأحزاب بمحمد وأصحابه فإهتروا فخافوا مغبته وأرسل الرسول ﷺ ليتيقن من الأمر، فعلم الرسول ﷺ ورأي أهل المدينة طريق قريظة وقد فتح للأحزاب فدخلوا عليهم وإستأصلوهم ورأوا قريظة تقطع المدد والميرة عنهم.

(٥) غستمهلت قريظة الأحزاب عشرة أيام تعد فيها عدتها علي ان تقاتل الأحزاب المسلمين في هذه الأيام العشرة أشد القتال وهذا ما فعلوه فقد ألفوا ثلاثة كتائب لمحاربة الرسول ﷺ.

الخيانة والحرب:

(١) بلغ الفرع من أهل يثرب وزلزلت قلوبهم ولمن قال منهم العذر في أن يقول (كان محمداً يعدنا أن نأكل كنوز كسري وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن علي نفسه أن يذهب إلي الغائط).

- (٢) وبدأ المتحمسون من قريظة ينزلون من حصونهم وأطامهم إلي منازل المدينة القريبة منهم يريدون إرهاب أهلها (كما حدث مع صفية بنت عبد المطلب في فارح حصن حسان بن ثابت).
- (٣) إن قريظة لولا إرتحال الأحزاب ولولا ما وقع في صفوفهم من شقاق وإنقسام كانت هلي أهبة النزول إلي المدينة والقتل بالمسلمين والمعونة ع لي إستئصالهم.
- (٤) ينطبق المثلي علي بني قريظة (لا تقطعن ذنب الأفعلي وتتركها).

أخلاقيات الحرب في السنة الخامسة من الهجرة

الهجوم:

- (١) جاءت الأزاب مجتمعة علي غزو يثرب وإستئصال محمد ﷺ وأصحابه جاءت قريش وحلفاءها مهاجمين وودوا أن تكون الحرب شاملة مع المسلمين بمعنى يفنوا لأنفس ويهدموا المساكن وأسباب المعاش لهم، يريدون الإبادة لهم.

الدفاع (حق الدفاع الشرعي) The legal right of self defence

- (٢) وقف الرسول ﷺ وأصحابه للدفاع عن المدينة دفاعاً عن وجودهم وسكنهم وعمدوا إلي حفر الخندق حرصاً ودعماً للخطة الدفاعية المشروعة.

- (٣) المدينة هي العاصمة للدولة الإسلامية واجب أهلها أن يهبوا للذود عن أنفسهم وعرضهم ومعيشتهم ووطنهم (Loyalty to the home land)

(٤) أخلاقيات الحرب تدعو إلي الإستعداد للدفاع عن الوطن Readiness to defend the home land

- (٥) أخلاقيات الحرب (واجب المشاورة) Relers to consult the ruled (أخذ الرسول بالرأي الصائب في حفر الخندق في إتجاه إقتار العدو وغزه ليثرب) وهي خطة سلمان.

- (٦) التحقق من المعلومات الحربية: Thorough checking of military in formation إنتهي الخبر إلي الرسول ﷺ وإلي المسلمين عن خيانة بني قريظة وكان الدليل العملي أن المسلمين أخذوا من مؤنهم عشرين جملاً، فبادر الرسول ﷺ إلي تحقيق خبر خيانة بني قريظة وبعث السعدين وآخرين ولكي يأتيه بالخبر اليقين في هذا الشأن شأن الغدر.

- (٧) أخلاقيات الحرب (الوحدة في الميدان) Unity on the battlefield والصبر في الميدان Patience on the battlefield، وفيه عن البراء عازب قال: رأيت ﷺ ينقل من تراب الخندق حتي واري عني الغبار جلده بطنه وكان كثير الشعر فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ما أهدتينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وما رواه البخاري عن جابر قال (إنا يوم خندق نحفر فعرضت كدبه شديدة.....) وقد تم ذكر ذلك فيما تقدم.

- (٨) من أخلاقيات الحرب (الشدّة مع الخونة) Dealing severely with traitors، منذ قال الرسول ﷺ (إلا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟) قالوا: قد رضينا وكان حكم سعد في غاية العدل والإنصاف فقد إرتضوه حكماً، ونزل الرسول ﷺ علي حكمه

- (٩) أخلاقيات الحرب (النفس بالنفس Self by self) لقد قتل من نساء بني قريظة امرأة واحدة كانت قد طرحت الرحي علي خالد بن سويد فقتلته فقتلت من أجل ذلك.

(١٠) من أخلاقيات الحرب (السلوك الأخلاقي أساس الجزاء) Ethical conduct to be the basis of reward or punish
>ment فقد إستوهب الرسول ﷺ أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية- رفاعة بن سموأل القرظي فوهبه لها فإستحيته فأسيلم وله صحبه.

(١١) من أخلاقيات الحرب (الإستعداد للدفاع عن الوطن Rediness to defend the home land، بعث الرسول ﷺ من السبايا إلي نجد تحت إشراف سعد بن زيد الأنصاري فإبتاع بها خيلاً وسلاحاً لتجهيز الجيش لما قسم أموال بني قريظة بعد أن أخرج منها لخمس فأسهم للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفارس وأسهم للرجال سهماً واحداً وأسلم يومئذ من اليهود أربعة فنجوا من القتل^(١))

(١٢) (إلتزام الرسول ﷺ بمبدأ الشوري في ميدان القتال (The principle of consultation in battlefield) فقد عرض سلمان الفارس خطة دفاعية وقال (إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا وكانت خطة لا يعرفها العرب فبادر الرسول ﷺ إلي تنفيذ هذه الخطة بعد إستشارة الصحابة.

(١٣) (الإستخدام الحسن للملكات والتوكل علي الله (The effective use of faculties and putting complete trust in ALLAH) فلقي تفتح المدينة القوات المهاجمة ليس لها إلا أن تقتحم من ناحية شمال المدينة، وتم إختيار حفر الخندق في هذه المنطقة تفعل الثغرة المتاحة أمام الأعداء فكان ذلك من حسن التدبير وفي البخاري عن سهل بن سعد قال: (كنا مع رسول الله في الخندق نهم يحفرون ونحن ننقل التراب علي أكتافنا دنا^(٢)) فقال رسول الله ﷺ (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأغفر للمهاجرين والأنصار)^(٣))

(١٤) (الصبر والثبات في الميدان Patience and standing one's ground on the battlefield كان المسلمون يعملون بنشاط كبير في حفر الخندق وهم يقاسون من شدة الجوع ما يفتت الأكباد قال أنسي كان أهل الخندق يؤتون بملئ كفي من الشعير فيصنع لهم بإهالة نسخة^(٤)) توضع بين يدي القوم والقوم جياح وهي بشعة في الحلق ولها ريح^(٥) .

(١٥) (القدوة الحسنة والتضامن والوحدة في الميدان Providing a good example for others solidarity and unity on the battlefield ما رواه البخاري عن جابر قال: (إنا يوم خندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقا: (أنا نازل) ثم قال وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة لا تذوق ذاقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كتيباً أهيل أو أهيم^(٦)) أي صار رملاً لا يتماسك).

(١٦) (حسن الإستماع والتتفيذ (Listening attentively and good excution on the battlefield) خرج الرسول ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، وبعد التشاور مع قواد الجيش جعلوا ظهورهم إلي جبل سلع فتحصنوا به والخندق بينهم وبين جيش الأحزاب وكان شعار المسلمين الواحد (حم لا ينصرون) وأمر الرسول ﷺ فأمر بالنساء والذراري فجعلوا في أطام المدينة^(٧))

التقييم

(١) زاد المعاد ٧٢/٢ - ٧٤، وابن هشام ٢/٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) جمع كنز وهو مجتمع الكفنين.

(٣) صحيح البخاري باب غزوة الخندق ٢/٥٨٨.

(٤) الإهالة: الدهن وسنخة تغيرت من طول بقائها.

(٥) صحيح البخاري ٢/٥٨٨.

(٦) صحيح البخاري ٢/٥٨٨.

(٧) حصون.

- (١) في رأينا أن دم بني قريظة معلق في عنق حي بن أخطب وأن كان قد قتل معهم فهو قد حنث في العهد الذي عاهد قومه من بني النضير حين أجلاهم محمد ﷺ من المدينة ولم يقتل منهم بعد المنزول علي حكمة أحداً.
- (٢) حي بن أخطب هو الذي حمل بني قريظة علي نقض عهدها والخروج عن حيادها ولو بقيت عليه لما أصابها من الشر شيء.
- (٣) حي بن أخطب دخل حصن بني قريظة بعد إنسحاب الأحزاب ودعاهم لمواجهة المسلمين والدفاع عن أنفسهم بمقاتليهم ولو أنهم نزلوا علي حكم محمد منذ اليوم الأول وإعترفوا بخطأهم في نقض عهدهم كما أهدرت دماؤها.
- (٤) لقد قبل اليهود والمسلمين التحكيم فيما بينهم والحكم الذي صدر علي قسوته إنما كان حكماً متأثراً بالدفاع عن النفس معتبراً بقاء اليهود أو زوالهم مسألة حياة أو موت بالنسبة للمسلمين.
- (٥) كانت ريحانة أحدي سبايا بني قريظة قد وقعت في سهم محمد فعرض عليها الإسلام فرفضت وأصررت علي يهوديتها وعرض عليها أن يتزوجها فقالت: بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك وبقيت ريحانة في ملكه حتي ماتت عنده.
- (٦) وطدت غزوة الأحزاب ووطد القضاء علي بني قريظة للمسلمين في المدينة فلم يبق للمنافقين فيها صوت قط وذهبت العرب كلها تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم.
- (٧) أدخل المسلمون في وقعة الأحزاب مفاجأتين المفاجأة الأولى شق الخندق لتأمين المدينة وتدعيم وتيسير الدفاع عنها والمفاجأت الثانية الإستعمال الجيد لتجسس نعيم بن مسعود ساهم في منع اليهود من بني قريظة عن المشاركة في القتال ضد المسلمين (الوقعة بين قريش وحلفائها).
- (٨) شكلت معركة الخندق منعطفاً في حرب الرسول ﷺ إذ أحدثت التغييرات التالية:
 - (أ) تراجع قريش عن مهاجمة المدينة بقصد إحتلالها.
 - (ب) إخلاء المدينة من آخر قبائل اليهود مما أبعث الخطر الداخلي.
 - (ج) تحولت المبادرة إلي جانب المسلمين الذين ينتقلون من مرحلة الدفاع إلي مرحلة الهجوم فأفضل وسائل الدفاع الهجوم ويسميه البعض (هجوم السلام).
 - (د) الخندق الذي شق في المنطقة الوحيدة التي كان بإمكان المشركين مهاجمة المدينة عبرها كان مفاجئاً وعقبة كأداء أم تحرك المهاجمين فأفاد المسلمون منها ومن حسن إستخدام طبيعة الأرض وإستخدام الدفاع المتحرك فكانت القنوات جاهزة للتحرك بإتجاه أي ثغرة وسدها فوراً.

وقعات السنة السادسة للهجرة

سريه محمد بن مسلمه

التاريخ/ لعشره ليال خلون من المحرم من سنه ٦ هجريه

الجهه/ تحركت الي القرطاء ضرية بالبكرات من أرض نجد وبين ضرية والمدينه سبع ليال

الغرض/ التصدي لبطن بني بكر بن كلاب وقد إزاداد عداؤهم لمحمد (ﷺ) وأخذو يؤلبون بعض القبائل حتي إن ثمامه

بن اثال الحنفي سيد بني حنيفه خرج متكرراً لإغتيال النبي (ﷺ) بأمر مسيلمه الكذاب^(١).

(١) السيرة الحلبية ٢/ ٢٩٧.

المواجهه/هرب القوم ما إن شاهدو مقاتلي السريه واخذو ثمامه بن اثال الحنفي سيد بني حنيفه إلى المدينه أثيراً.

النتيجه/أسلم ثمامه بن اثال الحنفي وعندما قدم علي قريش قالوا صبأت يا ثمامه قال لا والله ولكنني أسلمت مع محمد (ﷺ) وكانت يمامه ريف مكه وقال ثمامه لقريش ولا والله لا يأتيكم من اليمامه حبه حنطه حتي ياذن فيها رسول الله (ﷺ) وانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكه جهدت قريش وكتبوا الي رسول الله (ﷺ) يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامه يخلي إليه حمل الطعام ففعل رسول الله (ﷺ)

وقعه بني لحيان

التاريخ/ في ربيع الاول اوجمادي الاول سنة ٦ هجرية. خرج الرسول (ﷺ) في مائتين من أصحابه واستخلف علي المدينه ابن أم كلثوم وأظهر انه يريد الشام. للخداع والتضليل وليصيب القوم علي غره

الجهه/ بنو لحيان وكانت ديارهم متوغله في الحجار إلى حدود مكه والتارات الشديده قائمه بين المسلمين وقريش والأعراب ولم يرد رسول الله (ﷺ) أن يتوغل في البلاد بمقره من العدو الاكبر (قريش)

الغرض/ تاديب بني لحيان الذين غدروا بعشره من أصحاب الرسول (ﷺ) بالرجيع وقتلوه. فلما تآذلت الأخزاب واستوتت عزائمهم واستكانو للظروف الرادهه راي رسول الله (ﷺ) أن الوقت قد حان لأن يأخذ من بني لحيان بشار أصحابه المقتولين بالرجيع، فقتلوا غدرًا وخسة.

المواجهه/ للتضليل إتجه إلى الشام إلى بطن غران وهو واد بين أمج وسعفان -حيث كان مصاب أصحابه وسمعت بنو لحيان بقدومه فهربوا إلى رؤوس الجبال فقام يومين بأرضهم وبعث السرايا للمطارده فلم يقدرو عليه فسار إلى عسفان فبعث عشره فوارس إلى كراع الغميم لتسمع بهم قريش

النتيجه/ كانت غيبته عن المدينه اربع عشرة ليلة وتم تاديب القبائل والاعراب بالمنطقه.

سريه عكاشه بن محصن

التاريخ/ في ربيع الاول او الثاني سنة ٦ هجرية

الغرض/ خرج عكاشه في أربعين رجلا إلى الغمر -ما لبني اسد

النتيجه/ في القوم وأصاب المسلمون مائتي بغير ساقوها إلى المدينه

سريه محمد بن مسلمه

التاريخ/ في ربيع الاول او الآخر السنه ٦ هجرية إلى ذي القصه خرج ابو مسلمه في عشره رجال في ديار بني ثعلبه

الغرض/ الحد من مشاغبات وغارات الاعراب .قريباً من المدينه

النتيجه/ كمن القوم لهم- فلما نامو قتلوهم الا ابن مسلمه فانه اقلت منهم جري .

سريه أبي عبيده بن الجرح

التاريخ في ربيع الاخر سنه ٦ هجرية إلى ذي القصه وقد أرسل علي أثر قتل أصحاب محمد بن أبي مسلمه فخرج ومعه

أربعون فارساً فسارو ليلتهم مشاه، ووافوا بني ثعلبه مع الصبح فأعجزوهم هرباً في الجبال.

الغرض/ بغرض تاديب بني ثعلبه علي قتل اصحاب محمد بن مسلمه .

النتيجة/ مع الصباح فاغارو عليهم فأعجزهم هربا في الجبال وأصابوا رجلا واحدا فأسلم وغنمو نعماء شاء .

سريه زيد بن الحارثه

التاريخ/ في ربيع الآخر سنة ٦ هجرية وسار زيد الى الحجوم ماء لبني سليم في مر الظهران

الغرض/ تاديب بعض بطون بني سليم لكثرة إغاراتهم .

النتيجة/ خرج إليهم زيد فأصاب إمرأه من مزينه يقال لها -حليمه- فدلتهم علي محله من بني سليم. أصابو نعماء وشاء

وأسرى .

سريه زيد بن الحارثه الى العيص

التاريخ/ في جمادي الأولى سنة ٦ هجرية خرج زيد في سبعين ومائه راكب إلي العيص .

الغرض/ السيطرة علي طريق التجاره لقريش .

النتيجة/ أخذت أموال عير قريش وكان قائدها أبو العاص ختن رسول الله (ﷺ) أفلت أبو العاص فأتى زينب فاستجار بها

ف فعلت فأشار الرسول (ﷺ) برد الأموال من غير أن يكرههم. فردو الكثير والقليل والكبير والصغير حتي رجع أبو العاص إلى مكه

وادی الودائع إلى أهلها ثم أسلم وهاجر .

سريه زيد بن الحارثه

التاريخ/ في جمادى الآخرة سنة ٦ للهجرة خرج زيد في خمسة عشر رجلا إلى بني ثعلبه .

الغرض/ إيقاف الأعراب الذين يقطعون الطرق ويروعون الناس .

النتيجة/ هربت الأعراب- وغاب أربع ليال وغنم عشرين بعيرا .

سريه زيد بن الحارثه الى وادي القري

التاريخ/ في رجب سنة ٦ هجرية خرج زيد في إثني عشر رجلا الي وادي القري .

الغرض/ استكشاف حركات العدو والحصول علي معلومات إستخباريه .

النتيجة/ فهجم عليهم سكان وادي الفزي فقتلوا تسعه وأفلت ثلاثه منهم زيد بن الحارثه .

سرية الخبط

التاريخ: إختلف الرواه في تاريخ وقوعها فالبعض ذكر أنها في رجب سنة ٨ هجرية، وذكر البعض أنها وقعت قبل

الحديبية لأن المسلمين لم يكونوا يتعرضون لعير قريش بعد صلح الحديبية .

الغرض: قال جابر: بعثنا النبي في ثلاثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش فأصابنا جوع شديد حتي

أكلنا الخبط فسمي جيش الخبط .

النتيجة: لم تلق كيداً .

وقعه ذي قرد

التاريخ/ في السنة السادسة للهجرة أغار عيينه بن حصه الغزاري في خيل لغطان علي سرح النبي ﷺ بالغابه حيث وجد رجلا من بني غفار ومعه إمراته فقتلو الرجل وسبوا المرأة.

الغرض/ غطفان هي اشد القبائل العربية عداواً للإسلام كونها ترتبط بحلف مع اليهود وحتى التي إنضمت إلي قريش وحلفائها وأمدت الاحزاب بأكبر عدد من الرجال.

النتيجة

(١) لما بلغ الرسول ﷺ الخير نادي بالقوم في المدينة فجاءته الفرسان فسلم قيادتهم إلي سعد بن بني زيد وأمره بان (أخرج في طلب القوم حتي الحفك في الناس). وتتبع فرسان المسلمين العدو الذي لجأ مع غروب الشمس إلي غار فيه ماء يقال له (ذو قرد) فأجلى المسلمون العدو واستعادوا إبل النبي محمد ﷺ ولم يلاحق المسلمون العدو المتراجع الي غطفان.

(٣) إرهاب وإخافه قبائل غطفان العاديه واستعاديه ما إستولو عليه في إغارتهم.

وقعه بني المصطلق من خزاعه

التاريخ/ في شعبان سنه خمسه عند عامه أهل المغازي وسنه ست علي قول ابن أبي إسحق^(١).

الغرض/ بلغ الرسول ﷺ إن رئيس المصطلق الحارث بن ابي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريد حرب الرسول ﷺ فبعث بريده بن الخصيب الاسلامي لتحقيق الخبر وأن أعداد الذين يريدون الهجوم تزداد يوماً بعد يوم.

القتال

(١) بعد التيقن خرج الرسول ﷺ وكان خروجه لليلتين خلنا من شعبان وخرج معه جماعه من المنافقين لم يخرجوا قبلها.

(٢) وإستعمل علي المدينة زيد بن الحارثه وقيل آخرون وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجه عينا لياتيه بخبر الجيش الاسلامي فالقي المسلمون القبض عليه وقتلوه.

(٣) لما بلغ الحارث بن ابي ضرار ومن معه مسيره الرسول ﷺ وقتله عينه - خافوا خوفاً شديداً وتفرق عنهم من كان معهم من العرب لسبب المفاجاه وإنتهي الرسول ﷺ إلي (المريسيه) إسم لمام من مياهم في ناحيه قديد الي الساحل فتهيأوا للقتال وانهمز المشركون وسبي الرسول ﷺ النساء والذري والنعم والشاء وقيل انه لم يحدث قتال وكان من جمله السبي جويزيه بنت الحارث سيد القوم وقعت في سهم ثابت بن قيس فكابتها فادي عنها الرسول ﷺ وتزوجها.

النتيجة/ أعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائه من أهل بيت المصطلق قد أسلمو وقالو أصهار رسول الله ﷺ وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الأنصار وهو يري أنه من العدو فقتله خطأ.

شواهد خبيثه/ (ذكر بن إسحق أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكه نظرها للإسلام فطلب ديه أخيه هشام من الرسول ﷺ) لأنه قتل خطأ فأعطاه ديته - ثم مكث يسيراً ثم عدا علي قاتل أخيه فقتله ورجع مرتداً إلي مكه.

التقسيم

(١) زاد المعاد ٢/ ١١٥.

- (١) عندما قدم الرسول ﷺ لبني لحيان أظهر انه يريد التوجه بجيشه في غير إتجاههم وذلك للحوز علي المفاجأه ومهاجمتهم وهم مستعدين للقتال الا أن أحد جواسيسهم أخبرهم فتنبهوا للأمر وامتنعوا في الجبال المجاوره.
- (٢) عنما أغارت خيل بني غطفان علي سرح الرسول ﷺ) جاء رد فعله سريعا اذ سير مجموعه من الفرسان لحقت بهم وإستعادت الإبل منهم وهذا يعني أن جيش المسلمين في جهوزيه دائمه للتحرك فسرعه التحرك علي الاعراب والقبائل ميزه في هذا مرحله.
- (٣) شكل سرعه رد المسلمين في الإغارات المعاديه رادعاً قويا للقبائل المعاديه فمنعها من الهجمات
- (٤) شن الرسول ﷺ) هجوما إستباقياً ضدهم بعد وصله من معلومات عن إستعدادهم وتجهيز قواتهم للهجمات وبذلك أصبحت المبادره بين المسلمين.
- (٥) إستغل المسلمون عنصر المفاجأه أحسن إستغلال فهاجموا الاعداء وهزموهم .

دور المنافقين في المكيد

- (١) ذكرنا من قبل أن عبد الله بن سلول كان يحنق علي الـسلام والمسلمين ولا سيما علي رسول الله ﷺ) وكان الأوس والخزرج كانوا قد إنفقوا علي سيادته ويتوجونه عليهم فلما دخل الإسلام منعهم.
- (٢) بيد أن جميع أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين والمشركين كانوا يعرفون جيدا أن سبب غلبه الاسلام ليس في التفوق لكثرة الجيوش والسلاح والعدد وإنما في الأخلاقيات والمثل والقيم التي جاء بها الاسلام. والأخلاقيات الراقية التي جاء بها الرسول ﷺ) خاصة في الحرب .
- (٣) وضع عجر الأعداء في النيل من قيم وأخلاقيات الإسلام والرسول ﷺ) فشنو هجمات دعائيه واسعه ضد الدين من ناحيه الاخلاق والتقاليد فحينما تزوج الرسول ﷺ) بأمة المؤمنين زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن الحارثه وجد المنافقون ثلثتين:
- (أ) أن زوجته هذه كانت زوجه خامسه والقران الكريم لم يكن أن في الزواج بأكثر من أربع نسوه فكيف صح له هذا الزواج؟
- (ب) إن زينب كانت زوجه ابنه- متبناه- فالزواج بها من أكبر الكبائر حسب تقاليد العرب (وليس في مقامنا الرد تفصيلا علي خطأ الادعاءات ونفيها بالبرهان وإنما نسوقها لترصد فيما بعد رد الفعل وأخلاقياته الساميه في مثل هذا الموقف)
- (٤) بعد الفراغ من وقعه المصطلق وحينما كان يقيم علي المر يسع إختصم إثنان أحدهما من الأنصار والآخر المهاجرين وبلغ ذلك عبد الله بن أبي سلول فقال (أم والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) فوصل الخبر إلى الرسول ﷺ).
- (٥) قال عمر (مر عباد بن بشر فيقتله) فقال الرسول ﷺ) (كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن اذن بالرحيل) وذلك في ساعه لم يكن يرتحل فيها فارتحل الناس.

(٦) مشي الرسول ﷺ يومهم ذلك حتي أمسى وليلتهم حتي أصبح وصدر يومهم ذلك حتي أدتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقوا نيام ولقد فعل ذلك الرسول ﷺ (ليشغل الناس عن الحديث والتلاسن).

(٧) حينما نزل جيش المسلمين في نحر الظهره تكلم الناس كل منهم بشاكلته - في حديث الإفك- ووجد عبدالله بن أبي سلول قنفا من فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه حتي كان اصحابه يتقربون به اليه فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث.

(٨) أنزل الله بشأن الإفك (إن اللذين جاءوا بالإفك عصبه منكم... (النور ١١-٢٠) العشر آيات .

وقد أقميت حدود الله في ثلاثه ولم تحد عبد الله بن أبي سلول مع أن دوره كان كبيراً مع أهل الإفك.

سريه عبدالرحمن بن عوف بدومه الجندل

التاريخ/ في شعبان ٦ هجريه اعد الرسول ﷺ) عبد الرحمن بن عوف بين يديه وأوصاه بأحسن الأمور في الحرب.

الغرض/ إلى ديار بني كلب بدومه الجندل فقد كانوا من الاعداء الاشداء وذلك لبسط الأمن وتنفيذ السلام في المنطقة والسيطرة.

القتال/ أوصي الرسول ﷺ) عبد الرحمن بن عوف وقال له (إن أطاعوك فتزوج ابنه ملكهم) ومكث فيهم عبد الرحمن بن عوف ثلاثه أيام فلم يكن مقاتله.

النتيجه/ إستجاب القوم وتزوج عبد الرحمن بن عوف نما ضر بنت الاصبع بنت ملك القوم.

سريه علي بن ابي طالب بفدك

التاريخ/ في شعبان سنه ٦ هجريه وذلك انه بلغ الرسول ﷺ) أن بديار سعد بن بكر بفدك جماعات متعاونه مع العدو ويمدون اليهود ويؤازرونهم.

الغرض/ بعث إليهم علياً في مائتي رجل وكان يسير بالليل ويكمن بالنهار فأصاب عينا لهم فأقر أنهم بعثوه إلى خيبر يعرضون عليهم نصرتهم علي أن يجعلو لهم تمر خيبر.

القتال/ دل العين علي موضع تجمع بني سعد فأخذهم علي بغته وهرب بنو سعد بالطعن وكان رئيسهم وبر بن عليم وأخذوا منهم خمسمائه بعير وألفي شاه.

سريه ابي بكر الصديق

التاريخ/ في رمضان سنه ٦ هجريه كان بطن بن فزاره يريد إغتيال الرسول ﷺ).

الغرض/ بعث الرسول ﷺ) أبا بكر الصديق وقال سلمه بن الأكوع وخرجت معه حتي إذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغاره ووردنا الماء وأسرت أم قرفه وإبنتها

القتال/ كانت أم قرفه تحاول إغتيال النبي ﷺ) وجهزت ثلاثين فارساً من أهل بيتها لذا لاقت جزاءها وقتل الثلاثون- وبعث الرسول ﷺ) إلي مكه وفدي بها أسرى من المسلمين هناك^(١).

سريه كرز بن جابر الفهري

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٩.

التاريخ/ في ٦ شوال أرسل الرسول (ﷺ) كرز بن جابر الفهري الي العرنيين.

الغرض/ إتفق رهط من عكل وعرينه وأظهروا الإسلام واقامو بالمدينة فاستوخموها فبعثهم الرسول (ﷺ) في ذود في المراعي وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فلما صحو قتلوا راعي رسول الله (ﷺ) وإستاقو الإبل وكفروا بعد إسلامهم.

النتيجة/ أدركو وعمي الله عليهم السبيل فتقطعت ايديهم وارجلهم شملت أعينهم.

التقسيم

- (١) الوقعات والسرايا بعد الاحزاب وبني قريظه لم يجر في واحده فيها قتال مريز وإنما كانت مصارعات خفيفه.
- (٢) كانت هذه البعوث دوريات استطلاع وتحركات تاديبية لارهاب الاعراب والاعداء الذين لم يستكينوا بعد.
- (٣) بالتامل والإستنتاج وإستقراء الأحداث فان مجرى الايام كان قد أخذ في التطور بعد وقعه الأحزاب وأن أعداء المسلمين كانت معنوياتهم في إنهيار.
- (٤) أصبح للمسلمين رهبة في قلوب الأعداء خاصة من الأعراب اللذين كانت حرفتهم الإغار والسلب والنهب فخف الى درجه كبيره عدوانهم.
- (٥) ظهر جنبا إزدياد قوه المسلمين وزاد إنتشار الإسلام في كثير من القبائل بفضل أخلاقيات الإسلام وفضائله وأخلاقيات الرسول الكريم وسيظهر ذلك بجلاء فيما بعد.

عمرة الحديبيه وتوابعها

- التاريخ/ في ذي القعدة سنة ٦ هجريه وفي ذلك الوقت أخذت تزداد نجاح الدعوة الإسلاميه وتتعاظم قوه المسلمين ونيلهم إستحقاقهم في اداء عبادتهم في المسجد الحرام بعد أن حدهم المشركون عن هذا الحق منذ سته أعوام.
- (٢) أخبر الرسول (ﷺ) أنه معتمر فتجهزوا للسفر وإستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي ليخرجوا معهابطاً كثير من الأعراب- أما هو فغسل ثيابه وركب ناقته وإستخلف علي المدينة ابن أم كلثوم أو زميله الليثي وخرج منها يوم الاثنين غره ذي القعدة سنة ٦ هجريه ومعه زوجته أم سلمه في الف وأربعمائيه ويقال ألف وخمسائيه ولم يخرج معه سلاح إلا سلاح المسافرين.

التحرك الى مكة

- (١) تحرك الرسول (ﷺ) ومن معه الى مكة فلما كان بذي الحليفه قلد الهدي وأشعره وأحرم بالعمره ليأمن الناس من حريه.
- (٢) بعث الرسول (ﷺ) عينا من خزاعه يخبره عن قريش حتى اذا جاء قريبا من عسفان اتاه عينه فقال (أني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الاحابيش)^(١).
- (٣) إستشار الرسول (ﷺ) أصحابه وقال أبو بكر رضي الله عنه انما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال احد.

قريش تصد المسلمين عن البيت

- (١) لما سمعت قريش بخروج النبي (ﷺ) عقدت فيه مجلسا إستشاريا قررت فيه صد المسلمين عن البيت كيفما يكن.

(١) معجم البلدان ٢١٤/٢ المنجق ص٢٧، الأحابيس: عرب من بطون بني كنانة وحيشي جبل بأسفل مكة بينه وبين مكة ستة أميال

- (٢) أعرض الرسول (ﷺ) عن الاحابيش وأخبره رجل من بني كعب بأن قريشا نازله بذئ طوي وأن مائتي فارس في قياده خالد بن الوليد مرابطه بكراع النعيم في الطريق الى مكه.
- (٣) حاول خالد بن الوليد صد السلمين فقام بفرسانه إزائهم يتراءى الجيشان.
- (٤) قرر خالد بن الوليد أن يميل علي المسلمين وهم في صلاه الفجر ولكن الله تعالى انزل حكم صلاه الخوف ففاتت الفرصه علي خالد بن الوليد.

محاولة اجتناب القاء الدامي

- (١) خذ الرسول (ﷺ) طريقا بديلا وعرا بين شعاب وسلك بهم ظهري الحمص في طريق تخرجه علي ثنيه المرار فهبط الحديبيه من أسفل مكه.
- (٢) لما رأى خالد غبار الجيش الاسلامي قد خالفوا الطريق الرئيسي الذي يفضي الى الحرم -انطلق يركض نذيرا لقريش .
- (٣) إذا كان الرسول (ﷺ) بثنيه المرار بركت راحته فقالوا خلات العصواء فقال الرسول (ﷺ) (ما خلأ العصواء وما ذاك بخلق ولكن حبسها حابس الفيل)
- (٤) نزل الرسول (ﷺ) علي ثمد^(١) قليل من الماء فلم يلبث ان نزحه الناس فشكوا الى الرسول (ﷺ) العطش فانترع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال بجيش لهم بالري حتى صدروا.

وساطه بديل بن ورقاء الخزاعي

- (١) جاء بديل الخزاعي في نفر من خزاعه الي الرسول (ﷺ) واخبره ان قريشا مقاتلون وصادوك عن البيت.
- (٢) قال الرسول (ﷺ) (إن لم نجئ لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين وأن قريشا قد نهكتهم الحرب وقد أضرت بهم- فإن شاءوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس- وأن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا- وإلا فقد جموا^(٢)- وإن هم أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لاقاتلهم علي أمري حتي تتفرد سالفتي أو لينفذ الله أمره)
- (٣) ابغ بديل قريشا بأمر النبي (ﷺ) فبعثت قريش مكرز بن حفص فرجع الي قريش واخبرهم بمثل ما قاله بديل.

راي عروه بن مسعود النقي

- (١) أتى عروه بن مسعود النقي رسولا من قريش الي الرسول (ﷺ).
- (٢) تحاور عروه بن مسعود مع الرسول (ﷺ) وأصحابه ورجع إلى قريش.
- (٣) عندا رجع إلى قومه في قريش قال عروه (والله لقد وفدت علي الملوك- عي قيصر وكسرى والنجاشي-والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً- والله أن تتخم نخامه إلا وقعت في كف رجل منهم- فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم إبتدروا أمره -وإذا توحا كادوا يقتتلون علي وضوئه- وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده- وما يحدون النظر إليه تعظيما له- وقد عرض عليكم خطه رشد فاقبلوها)

طيش شباب قريش

(١) ثمد: حوض.

(٢) جموا: إستراحوا .

- (١) ساد بين زعماء قريش رغبه في الصلح فإستتكر ذلك بعض شباب قريش وأرادوا تنفيذ أحداث قد تشعل نار الحرب .
- (٢) خرج سبعون أو ثمانون منهم فهبطوا علي جبل التتعيم وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين.
- (٣) إعتقلهم جميعا محمد بن سلمة قائد الحرس .
- (٤) ورغبه في الصلح اطلق الرسول (ﷺ) سراحهم وعفا عنهم.
- (٥) وفي ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم)(الفتح ٢٤).

عثمان بن عفان سفيرا الى قريش

- (١) أراد الرسول (ﷺ) أن يؤكد لدى قريش موقفه وهدفه من هذا السفر فأرسل عثمان بن عفان فان عشيرته بها.
- (٢) أمر الرسول (ﷺ) عثمان بن عفان أن يخبر القوم في مكة (أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارا وأدعهم إلى الإسلام) وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله عز وجل فطر دينه بمكة حتي لا يستخفي فيها أحد بالايمان.
- (٣) بلغ عثمان بن عفان الرسالة إلى زعماء قريش فلما فرغ عرضو عليه أن يطوف بالبيت فرفض هذا العرض وأبى أن يطوف حتي يطوف رسول الله (ﷺ).
- (٤) إحتبسته قريش عندها- ولعلمهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم في الوضع الراهن ويبرموا أمرهم ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة.

إشاعة مقتل عثمان وبيعة الرضوان

- (١) طال إحتباس قريش لعثمان فشاع بين المسلمين أن عثمان قتل.
- (٢) لما بلغت الرسول (ﷺ) قال (لا نبرح حتي نناجز القوم)
- (٣) دعا الرسول (ﷺ) أصحابه إلى البيعه فثاروا اليه يبايعونه وبايعته جماعه علي الموت.
- (٤) ولما تمت البيعه جاء عثمان ولم يتخلف عن هذه البيعه إلا رجل من المنافقين يقال له حد بن قيس.
- (٥) أخذ الرسول (ﷺ) هذه البيعه تحت الشجره وهذه بيعة الرضوان التي أنزل الله تعالى فيها (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجره)(الفتح ١٨).

بنود صلح الحديبيه

- أسرعت قريش فأرسلت سهيل بن عمرو لعقد الصلح مع المسلمين فلما راه الرسول (ﷺ) قال (سهل لكم أمركم).
- أرادوا القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ثم إتفقا علي قواعد الصلح وهذه هي
- (١) الرسول (ﷺ) يرجع في عامه وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا معهم سلاح الراكب السيوف في القرب ولا يتعرض لهم بأي نوع من التعرض.
 - (٢) وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

- (٣) من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق فأبى عدوان يتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً علي ذلك الفريق.
- (٤) من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه -أي هاربا منهم رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد أي هاربا فيه لم يرد عليه.

أخلاقيات في كتابه صلح الحديبية

- (١) دعا علياً ليكتب الكتاب فأملى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل أما الرحمن فهو الله لاندري ما هو؟ ولكن أكتب بإسْمِكَ اللهم فأمر النبي (صلي الله عليه وسلم) بذلك .
- (٢) ثم أملى (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل لو تعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب (محمد بن عبد الله) فقال صلي الله عليه وسلم (إني رسول الله وإن كذبتُموني وأمر علياً أن يكتب محمد بن عبد الله. ويمحو لفظ رسول الله فابي علي أن يمحو هذا اللفظ فمحا صلي الله عليه وسلم بيده.
- (٣) ثم تمت كتابه الصحيحه فدخلت خزاعه في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش.
- (٤) وبينما الكتاب يكتب إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده -قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين فقال سهيل (هذا أول ما أقاضيك عليه علي أن ترده) فقال لنبي صلي الله عليه وسلم (أنا لم نقص الكتاب بعد) فقال- فوالله إذا لا أقاضيك علي شيء أبداً. فقال الرسول صلي الله عليه وسلم (إذا فاجزه لي). فقال (ما أنا بجيزه لك. قال صلي الله عليه وسلم (بلى فأفعل) قال (ما أنا بفاعل وقد ضرب سهيل أبا جندل في وجهه وأخذ بتلابيبه يجره ليرده الى المشركين وجعل أبو جندل يصرخ باعلي صوته (يا معشر المسلمين أأراد إلي المشركين أن يفتنوني في ديني؟) فقال صلي الله عليه وسلم (يا أبا جندل إصبر واحتسب فإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرحاً ومخرجاً ونا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم علي ذلك وأعطينا عهد الله فلا نغدر بهم)
- (٥) التواصي بالرحمة والإحسان للنساء The advocacy of mercy and charity to women عندما جاءت نسوة مؤمنات إلى الرسول ﷺ لم يردنهم إلي أوليائهم في مكة، وأن النساء إذا إستجرن وجبت إجارتهم ومعاملتهم بالرحمة والإحسان ثم إذا أسلمت المرأة لا تصبِح حلاً لزوجه المشرك.
- (٦) طلق المسلمون زوجاتهم الكافرات بهذا الحكم فطلق عمر يومئذ إمراتين كانتا له في الشرك تزوج باحدهما معاويه وبالأخرى صفوان بن اميه.

أخلاقيات الحرب في صلح الحديبية

(١) الإستجابة للسلام/positive response to peace efforts

أرسل الرسول صلي الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى قريش وقال أخبرهم أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمار وأدعهم إلى الإسلام ولما بلغته إشاعه نقتل عثمان قال الرسول صلي الله عليه وسلم (لأنبرج حتي نناجز القوم) ثم دعا أصحابه إلى البيعه فبايعوه في بيعة الرضوان وأسرت قريش بإرسال رسولها بشرطين.

- (١) التاكيد الا يكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا وإذا كان العام القابل دخلها فأقاموا ثلاثاً.
- (٢) التاكيد ألا تتحدث العرب عن قريش في مكة أنه دخل عليهم عنوه وقبل الرسول (صلي الله عليه وسلم) الضغط وإستجاب للسلام.

(٢) إحترام المعاهدات respect for agree ments

رد الرسول (صلي الله عليه وسلم) أبي جندل رغم أنه قال (أنا لم نقض الكتاب بعد) ومحاولته المتكرره في إقناع رسول قريش في قوله (فأجزه لي) لبقاء أبي جندل بين المسلمين.

(٣) إجتنااب الغضب/ do not lose your temper or be come angry

عندما أمر الرسول ﷺ عليا أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل أما الرحمن فهو الله لا ندري ما هو؟ ولكن أكتب -بسمك اللهم فأمر النبي ﷺ بذلك ثم أملى (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل (لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك)، فلم يغضب رسول الله (ﷺ) ومحا بنفسه ما إعترض عليه رسول قريش.

٤- مقابلة مكر الأعداء : Confronting the trickery of the enemy

عندما قال الرسول ﷺ (أنى رسول الله وإن كذبتمنى). وأمر عليا أن يكتب: محمد بن عبد الله ويمحو لفظ رسول الله فأبى على أن يمحو هذا اللفظ فمحاها ﷺ بيده- وتشدد مندوب قريش هو مكر الأعداء وفوت فرصه لتمكر قريش بالمسلمين.

٥- إجازة النساء : persistence in main-truing what is right

عندما جاءت نسوة مؤمنات أبى الرسول ﷺ ردهم- فلم تدخل النساء فى العقد رأسا (كما أوصنا سلفا)- ومن أقرت بالشروط لم يكن يردهن. وإن النساء إذا استجرن وجبت إجارتهن- ثم أن المرأه إذا أسلمت لم تصبح حلا لزوجها المشرك.

٦- الايمان بالله وبما أنزل من مبادئ وآداب:

Faith in Allah and in the guidance and Commandments that has sent down:

ولعل أعظم المسلمين حزنا كان عمر بن الخطاب فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله- ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال (بلى) قال (أليس قتلنا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال (بلى) قال (ففيهم بعض الدية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال (يا بن الخطاب- إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى ولن يضيعنى أبدا) قال (أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال: (بلى فأخبرتكم أنا نأتية العام؟) قال: لا قال: (فإنك آتية ومطوف به، وفي ذلك إيمان عميق أن الله لن يضيعه) والإيمان أساس للأخلاق.

٧- تحقيق الهدف بأنسب الوسائل :

Thorough checking target by best means:

جاء الرسول ﷺ والمسلمون للعمرة وليس للقتال- فعندما كان المسلمون فى طريقهم إلى مكة قال الرسول ﷺ (من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم فيها) بغرض تجنب القتال معهم- ولم يكن قد حدد مكان وزمان القتال كما أن الرسول ﷺ خلال المفاوضات يتساهل فى أمور كثيرة فيما كان مندوب مكة يتشدد، ومادام السلام والبعد عن الإقتتال سيحقق الهدف فواجب إتباعه.

٨- معاملة الأعداء بالحسنى : Good treatment of enamors

تسلل عشرات من شباب المشركين يتحرشون بمعسكر المسلمين- ويبيغون أسر بعضهم فقام الجيش الاسلامى بالقبض عليهم جميعا وأمر الرسول ﷺ بإطلاق سراحهم^(١) دون أن يلحقهم أذى ودون طلب دية عنهم- لضرب المثل فى التسامح، والصد عن القتال.

٩- العفو وروح التسامح Forgiveness and the spirit of peace:

تابعت قريش مظاهر العداة فأرسلت بعضا من أمهر رماتها لقتل بعض المسلمين وكان أحد الحراس المسلمين يقف فى (ثنية) الحديبية فرماه رماة قريش بسهم فقتلوه عند هذا الحد فأرسل الرسول ﷺ فرسانا من المسلمين فطاردوا المهاجمين وأسروا اثنى عشر فارسا منهم قدموهم الرسول ﷺ الذى أمر أيضا بإطلاق سراحهم هادفا من ذلك تلقين قريشا درسا فى التسامح والعفو.

١٠- الثبات فى الميدان Standing one's ground on the battlefield:

عندما إحتسبت قريش مندوب المسلمين-عثمان بن عفان- فبلغ الرسول ﷺ أنه قتل فقال (لا نبرح حتى نناجز القوم) ثم دعا الناس للبيعة- وذكر الرواه^(٢) أن البيعة حصلت للثبات فى أرض المعركة ومنع المسلمين من الفرار، ومواجهة أصعب التوقعات.

١١- معاملة غير المسلمين بالحسنى Good treatment of peaceful non-muslims:

كان صلح الحديبية جيدا بالنسبة للمسلمين فقد وضعت الحرب أوزارها وأمن الناس والتقوا وتفاوضوا- وتجادلوا فى العقيدة والحق- ولم يكن هناك إكراه ولا ضغط ولا إرهاب بالسلاح- فدخل كثير من العرب فى دين الله أفواجا من خلال الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة فكسب المسلمين الكثير وأكثر مما كان لو حدث بالقتال.

١٢- إحرار النصر بالوسائل السلمية To get victory by using peaceful means:

كان صلح الحديبية نصر للمسلمين وذلك مرجعه إلى فراسه (in sight) الرسول ﷺ ولا يستطيع تحقيق ذلك إلا الحكيم (sage) وللدلالة على ذلك:-

(١) مجرد الجنوح للصلح يعنى إعتراف قريش بقوة المسلمين فقد كانت قريش لا تعترف بهم أى اعتراف بل كانت تهدف لاستئصال شأفتهم، ومحادبتهم منذ اللحظة الأولى للبيعة.

(٢) فى البند الأول من المعاهدة فيه حد لصد قريش المسلمين عن المسجد الحرام- فنجحت فحسب فى الصد لذلك العام الواحد فقط، وفشلت قريش للنيل أكثر من ذلك.

(٣) كانت الداوريات العسكرية للمسلمين-القصدها- أن تغيق قريش من غطرسنها وصددها عن سبيل الله فالعقد بوضع الحرب عشر سنين حد لهذه الغطرسة ودليل على فشل من بدأ بالحرب وعلى ضعفه وانصاره، وعلي قريش أن توقف عن أعمالها العدائية ضد المسلمين.

(١) ابن كثير جزء ٢، ص ١٢٠.

(٢) ابن الأثير جزء ٢ ص ٨٩.

(٤) إن الحروب التي جرت بين المسلمين وبين أعدائهم لم تكن أهدافها- بالنسبة للمسلمين- مصادرة الأموال وإبادة الأرواح وإفناء الناس أو إكراه العدو على إعتناق الإسلام وإنما كان الهدف الوحيد الذى يهدفه المسلمون من هذه الحروب هو الحرية الكاملة للناس فى العقيدة والدين (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف: ٢٩).

(٥) وقد تحقق هذا الهدف بجميع أجزائه ولوازمه- وبطريق ربما لا يحصل بمثله فى الحروب مع الفتح المبين وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرية نجاحا كبيرا فى الدعوة.

(٦) القائد ﷺ حمل الرسالة الإسلامية (Islamic revelation) فمخاطبة الفكر والعقل ووثاقة المكون المنطقى Logical Consistency دون إكراه أو إجبار مخالفة النصر فى وقعاته السلميه كما حاله فى وقعاته العسكرية.

١٣- الإصرار على الحق : persistence in main-taining what is right

بعد صلح الحديبيه وعودة الرسول ﷺ إلى المدينة- إنفلت رجل من المسلمين ممن كان يعذب فى مكة وهو (أبو بصير) رجل من ثقيف حليف لقريش فأرسلت قريش فى طلبه رجلين وقالوا الرسول ﷺ العهد الذى جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفه فقتل أبو بصير رجلا منهم وفر الآخر حى أتى المدينة فلما إنتهى إلى الرسول ﷺ قال: قتل صاحبى وانى لمقتول- فجاء أبو بصير وقال: يانبنى الله- قد اوفى الله ذمتك- قد رددتتى إليهم ثم انجانى الله منهم قال الرسول ﷺ (ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد) فعرف أنه سيرده إليهم- فخرج حتى أتى سيف البحر- وبنفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير حتى إجمعت منهم عصابه- فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها- فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى الرسول ﷺ تستغيث به فتناشده الله والرحمة لما ارسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم فقدموا عليه المدينة^(١).

التعليق

كان المسلمون فى مكة مستضعفون ينالهم من كفار قريش كثير من المهانة والإذلال وعندما أصر الرسول ﷺ على تنفيذ بنود المعاهدة ورد أبو بصير- فكان بذلك فى الحق والتزام القدوة- فلما إستحل شأن أبو بصير إستجارت قريش بالرسول ﷺ وجاءت للتنازل عن بند فى المعاهدة حتى تتوقف أعمال أبو بصير وعصابته ضد قريش.

١٤- رفض الاعتداء : Opposing Aggression

((وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)) (البقرة ١٩٠)

(١) كان المسلمون على يقين أن قريشا لا تفتح لهم أبواب مكة يطوفون بالبيت الحرام عن رضا نفس وطيب خاطر وسوف تصدهم صدا إذا علمت أنهم سيدخلونها عليهم بحكم السيف وسلطان الحرب .

(٢) كان الرسول ﷺ لا يرغب فى الحرب وينبذ العدوان إلا أنه كان ينتظر أن يحقق الله له وعده والذى لا يشك فى أنه منجزه إياه- ولذا فكان يرجو أن يصل إلى غرضه باللين والرفق والسياسة والحكمة والكياسة والحزم.

(٣) بعثت قريش إلى المسلمين- سيد الأحابيش (الحليس بن علقمه) فلما رآه النبي مقبلا أمر بالهدى أن تطلق أمامه لتكون تحت نظره دليلا على أن هؤلاء الذين تريد قريش حربهم انما جاؤا معتمرين معظمين للبيت الحرام.

(٤) أيقن الحليس أن قريش ظالمه وعاد إليها ليقول لها:

(١) فتح الباري ٧/ ٤٣٩- ٤٥٨، وصحيح البخاري ١/ ٣٧٨- ٣٨١- ٥٩٨/٢- ٦٠٠.

(سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا- أتحج لخم وخذام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد الطلب!!) هللت قريش ورب الكعبة.

(وقعات السنة السابعة للهجرة)

(وقعة خيبر)

الوقت: في المحرم سنة ٧ هجرية

الموقع: كانت خيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على بعد ثمانين ميلاً من المدينة في جهة الشمال.

** الموقف بعد الحديبية في المدينة:

- (١) إطمأنت العلاقات بعد الحديبية بين قريش ومحمد (ﷺ) أعظم الطمأنينة- وأمن كل جانب صاحبه.
- (٢) إتجهت قريش كلها إلى التوسع في تجارتها.
- (٣) إتجه محمد (ﷺ) بفكره إلى متابعة إبلاغ رسالته للناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها بالافتقار واللين وبالرفق ومخاطبة العقل.
- (٤) إجلاء اليهود عن شبه الجزيرة العربية إجلاءً تاماً بعد غزوة خيبر.

** الموقف في شبه الجزيرة العربية وما حولها :

- (١) كانت دولتي الفرس والرومان أقوى دول العصر وصاحبتي الإملاء في سياسة العالم ومصاير أممه جميعاً .
- (٢) كانت الفرس صاحبة الغلب أول الأمر ثم دارت على الفرس الدائرة فعدت أعلام بيزنطة وكان مجرد ذكر إسم الامبراطوريتين يبعث الرهبة والهيبه فلا يدور بخلد أحد أن يفكر في غير خطبة ودهما .
- (٣) ولكن محمداً لم يتردد في دعوة الملوك والأمراء جميعاً إلى الإسلام فأرسل كتبه إلى هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس وملكي عمان وملكي اليمامة وملك البحرين والحارث الغساني ملك تخوم الشام وملك اليمن.
- (٤) لن يأمن محمد (ﷺ) من ناحية الشمال أن يستعين هرقل أو أن يستعين كسرى بيهود خيبر.
- (٥) كانت خيبر هي وكر الدس والتآمر ومركز الإستفزات العسكرية ومعادن التحرشات وإشارة الحروب- كانت هي الجديرة بالتفات المسلمين إليها أولاً.
- (٦) أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب واثاروا بني قريظة على الغدر وأخذوا يتصلون بالمنافقين.

** الخروج إلى خيبر:

- (١) لم يقم الرسول (ﷺ) بالمدينة بعد عودته من الحديبية إلا خمس عشرة ليلة على قول وشهراً على قول آخر ثم أمر الناس بالتجهيز لغزو خيبر على ألا يغزو معه إلا من شهد الحديبية .
- (٢) وإستعمل على المدينة سباع بن عرفطه الغفاري^(١)

(١) فتح الباري ٧/ ٤٦٥ وزاد المعاد ٢/ ١٣٣

١- حصن القموص (حصن بنى أبي الحقيق) ٢- حصن الوطيح ٣- حصن السلالم

** الرأى واختيار أرض المعركة:

- (١) إختار الرسول ﷺ منزلاً فاتاه حباب بن المنذر فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل الله- أم هو الرأى فى الحرب؟ قال: (بل هو الرأى).
- (٢) فقال حباب يا رسول الله - إن هذا المنزل قريب جداً من حصن نطاه- وجميع مقاتلى خيبر فيها- وهم يدرون أحوالنا- ونحن لا ندرى أحوالهم. وسهامهم تصل إلينا- وسهامنا لا تصل إليهم- و لا نأمن من بياتهم- وأيضا هذا بين النخلات- ومكان عائر- وارض وخيمه- لو أمرت بمكان خال من هذه المفاصد نتخذة معسكرا!!.
- (٣) قال الرسول (ﷺ) (الرأى ما أشرت) ثم تحول إلى مكان آخر .

** الاستعداد للقتال (المسلمون):

- (١) بعد عدة محاولات ومحاربات أعطى الراية لعلى بن أبى طالب.
- (٢) قال على (رضى الله عنه) بعد أخذه الراية (يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا).
- (٣) قال الرسول ﷺ (أنفذ على رسلك- حتى تنزل بساحتهم- ثم ادعهم إلى الإسلام- وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله- فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)^(١)

** الاستعداد للقتال (اليهود):

- (١) إستعد اليهود للقتال وتحصنوا فى حصونهم .
- (٢) أول حصن هاجمه المسلمون هو حصن ناعم- وموقعة استراتيجي- كما كان يعتبر حصناً منيعاً فيما تعتقد اليهود- وكان هذا الحصن هو حصن مرحب البطل اليهودى الذى يعد فى قوته بالألف (حسب الاعتقاد السائد).

** بدء المعركة:

- (١) تقدم على بن أبى طالب (رضى الله عنه) والمسلمون إلى حصن ناعم- ودعا اليهود للإسلام فرفضوا الإستجابة.
- (٢) برز اليهود إلى المسلمين ومعهم ملكهم مرحب فى ميدان المعركة ودعا إلى المبارزة.
- (٣) برز له من جيش المسلمين عمى عامر فأصابه مرحب- ومات.
- (٤) عاد مرحب يرتجز الشعر فى ساحة القتال فبرز له على بن أبى طالب فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه^(٢).
- (٥) ودنا على بن أبى طالب من حصونهم فأطلع يهودى من رأس الحصن وقال من أنت فقال على بن أبى طالب فخرج ياسر أخو مرحب و هو يقول من يبارز؟ فبرز اليه الزبير فقال صفية أمه: يا رسول الله يقتل ابنى قال (بل ابنك ثقيله) فقتله الزبير.
- (٦) دار فنال مرير حول حصن ناعم قيل فيه عدة سراة من اليهود و انهارت لأجله مقاومتهم فعجزوا عن صد هجوم المسلمين .

(١) صحيح البخاري، غزوة خيبر ٢/ ٦٠٥-٦٠٦.

(٢) يوجد إختلاف كبير فى الرجل الذي قتل مرحباً، وأخذنا ترجيح سياق رواية البخاري.

(٧) تروى المصادر ان القتال دام اياماً لاقى المسلمون فيها مقاومه شديدة حتى يئس اليهود فتسللوا من هذا الحصن إلى حصن الصعب واقتحم المسلمون حصن الناعم

الاستيلاء على حصن الصعب بن معاذ

- (١) كان حصن الصعب الحصن الثاني من حيث القوة و المناعه بعد حصن الناعم
- (٢) فرض المسلمون عليه الحصار ثلاثة أيام حتى قال المهاجمون من بنى سهم من اسلم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد جهدنا وما بأيدينا من شئ.
- (٣) ففدا الناس ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ وما نجير حصن كان أكثر طعاما وودكا منه^(١).
- (٤) وجد المسلمون فى الحصن بعض المنجنيقات و الدبابات، التي أعدها اليهود للقتال.

فتح قلعه الزبير

- (١) بعد فتح حصن الناعم و الصعب تحول اليهود من كل حصون النطاة إلى قلعه الزبير وهو حصن منيع فى قمه الجبل.
- (٢) فرض الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحصار على الحصن لثلاثة أيام.
- (٣) جاء رجل من اليهود فقال (يا ابا القاسم- أنك لو أقمت شهراً مابالوا- أن لهم شرابا وعيوناً تحت الارض يخرجون بالليل ويشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيتمنعون منك.
- (٤) فقطع المسلمون ماء هم عليهم فخرجوا فقاتلوا اشد القتال وافتتحه الرسول (صلى الله عليه وسلم)

فتح حصن أبي

- (١) بعد فتح قلعة الزبير انتقل اليهود الى حصن أبي وتحصنوا فيه .
- (٢) فرض المسلمون الحصار على الحصن وتبارز اليهود والمسلمون.
- (٣) اقتحم أبو دجانة سماك بن فرشه الأنصاري صاحب العصابة الحمراء (عصابة الموت) واقتحم معه المسلمون الحصن.
- (٤) جرى قتال شديد داخل الحصن ثم تسلل اليهود الى حصن النزار آخر حصن فى الشطرا لأول.

فتح حصن النزار

- (١) كان هذا الحصن أمنع حصون شطر النطاة.
- (٢) كان اليهود على شبه يقين بأن المسلمين لا يستطيعون إقتحامه.
- (٣) لذلك أقام اليهود مع الذرارى و النساء فى هذه القلعة.
- (٥) فرض المسلمون حصارا شديدا على هذا الحصن، وكان الحصن يقع على جبل مرتفع وعر منيع.

(١) ابن هشام ملخصاً ٢/ ٣٣٢.

(٦) عندما أستعصى حصن النذار على قوات المسلمين أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنصب آلات المنجنيق، وقذفوا به الفذائف فأوقعوا الخلل في جدار الحصن وأقتحموه.

(٧) دار قتال صعب مرير داخل الحصن فأنهزم اليهود هزيمة كبيرة لأنهم لم يتمكنوا من التسلل من هذا الحصن- بل فروا عشوائياً تاركين نساءهم وذريتهم.

اكتمال فتح الشطر الأول (النطاه) من خيبر

(١) بعد فتح حصن (النزار) أشد الحصون مناعه اكتمل فتح الشطر الأول من خيبر.

(٢) هرب اليهود بعد ذلك إلى الشطر الثاني من خيبر.

فتح منطقة خيبر الثانية

(١) أكمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فتح ناحية النطاه والشق (منطقة خيبر الأولى) وتحول إلى أهل الكتيبة (المنطقة الثانية) وبها حصن القموص.

(٢) حصن القموص- هو حصن بني أبي الحقيق من بني النضير، وحصن الوطيح والسالم، وقد لجأ إلى هذه الحصون وتحصن بها كل من فل من النطاه والشق.

(٣) فرض الجيش الاسلامي الحصار الشديد على ناحية الكتيبة ودام الحصار أربعة عشر يوماً واليهود لا يخرجون من حصونهم.

(٤) هم الرسول ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) الصلح^(١)

المفاوضات

(١) أرسل ابن أبي الحقيق إلى الرسول ﷺ أنزل فأكلمك؟ قال نعم.

(٢) صالح على حقن دماء من في حصونهم من مقاتله وترك الذرية لهم.

(٣) يخرجون من خيبر وأرضها بذريتهم.

(٤) يخلون بين الرسول ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى الذهب والفضة والكراع والحلقة الا ثوبا على ظهر إنسان^(٢)

(٥) قال الرسول ﷺ (وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم تمنيون شيئاً)^(٣) وبذلك تم فتح خيبر كلها.

المعاهدة

(١) رغم المعاهدة غيب ابنا أبي الحقيق ما لا كثيرا غيباً مسكاً^(٤) فيه مال وحلي لحي بن أخطب.

(٢) قتل كنانة الربيع بمحمود بن مسلمه الذي قتل تحت جدار حصن نواعم.

(٣) أهل خيبر أتفقوا مع الرسول ﷺ أن لهم الشطر من كل زرع ومن كل ثمر.

(١) ابن هشام ٢/ ٣٣١-٣٣٦-٣٣٧.

(٢) في سنن أبي داود يأخذون من الأموال ما حملت ركايبهم باب ما جاء في حكم أرض خيبر ٢/ ٧٦

(٣) زاد المعاد ٢/ ١٣٦.

(٤) جلدأ.

توزيع الغنائم

- (١) للرسول ﷺ سهم كسهم أحد المسلمين وللغارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد^(١).
- (٢) روى البخاري عن ابن عمر قال: - ما شبعنا حتى فتحنا خيبر.
- (٣) لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة والمهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم اياها من النخيل حين صار لهم بخيبر مال ونخيل^(٢).

قتل إبنى أبي الحقيق لنقض العهد:

- (١) قال ابن إسحاق وأتى رسول الله ﷺ بكنانة الربيع وكان عنده كنز بني النضير.
- (٢) سأل الرسول ﷺ كنانة عن المال فجدد أن يكون يعرف مكانه.
- (٣) قال الرسول ﷺ لكنانه (أرايت إن وجدناه عندك أقتلك؟) قال نعم وتم كشف الأموال عنده.
- (٤) وقع الرسول ﷺ بكنانه الربيع إلي محمد بن مسلمة فضرب عنقه بمحمود بن مسلمة وكان محمود قتل تحت جدار حصن ناعم وألقي عليه الرحي وهو يستظل بالجدار فمات.
- (٥) وذكر بن القيم أن رسول الله ﷺ أمر بقتل ابني أبي الحقيق وكان الذي اعترف عليهما بإحقاء المال هو ابن عم كنانة.

يهود فدك

- (١) بعد فتح خيبر أرسل الرسول ﷺ محيصة بن مسعود إلى يهود فدك ليدعوهم إلى الإسلام.
- (٢) أرسل الرسول ﷺ إلى يهود فدك يدعوهم إلى الإسلام فأبأوا عليه، ولكن قذف الرعب في قلوبهم - فبعثوا إلى الرسول ﷺ يصلحونه.
- (٣) وبعد فتح خيبر خاف يهود فدك فأرسلوا إلى الرسول ﷺ يصلحونه على النصف من فدك بمثل ماعامل عليه أهل خيبر فقبل ذلك منهم^(٣)، فكانت فدك خالصة للرسول ﷺ، لأنه لم يوجب عليه المسلمون بخيل ولا ركاب.

يهود وادي القرى

- (١) لما فرغ الرسول ﷺ من خيبر إنصرف إلى وادي القرى وكان بها جماعة من اليهود و انضاف اليهم جماعة من العرب وتحالفوا معهم .
- (٢) لما نزل جيش المسلمين بأرض وادي القرى استقبلهم القوم بالرمي وهم على تعبئة وجاهزون للقتال وقتل مدعم (عبد الرسول ﷺ) الله ﷻ.
- (٣) عبأ الرسول ﷺ أصحابه للقتال ورفع لواءه إلى سعد بن عباده وراية إلى الحباب بن المنذر وراية إلى سهل بن حنيف وراية إلى عباد بن بشر.
- (٤) عندما تجهز جيش المسلمين - دعا الرسول ﷺ القوم إلى الاسلام فأبوا.

(١) زاد المعاد ٢/ ١٣٧-١٣٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٩٦.

(٣) ابن هشام ٢/ ٣٣٧-٣٥٣.

- (٥) برز رجل منهم فبرز له الزبير بن العوام فقتله - ثم دعاهم الرسول ﷺ ثانية الى الاسلام فأبوا .
- (٦) تكررت المبارزة حتى قتل من يهود وادي القرى أحد عشر رجلا - وكلما قتل منهم رجلا دعا من بقى الى الاسلام ثم تعود المبارزة مرة أخرى فيقتل منهم رجلا فيكرر الرسول دعوتهم إلى الإسلام.
- (٧) إستمر القتال حتى أمسوا وغدا عليهم فلم ترفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا ما بأيديهم.
- (٨) بعد ذلك تم فتح وادي القرى عنوة وغنمه الله أموالهم.
- (٩) أقام الرسول ﷺ بوادي القرى أربعة أيام وقسم على أصحابه ما أصاب بها.
- (١٠) وترك الرسول ﷺ الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها (٢) (كما عامل أهل خيبر).

يهود تيماء

- (١) بلغ يهود تيماء خبر استسلام أهل خيبر ثم فدك ووادي القرى نزل الرعب في قلوبهم.
- (٢) بعث يهود تيماء من تلقاء أنفسهم يعرضون الصلح فقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) منهم ذلك.
- (٣) أقام أهل تيماء بأموالهم وكتب الرسول (ﷺ) لهم بذلك كتابا وهاك نصه
- (هذا كتاب من محمد رسول الله ليني عاديا-أن لهم الزمة وعليهم الجزية ولاعداء ولاجلاء الليل مد والنهار شد).

سرية أبان بن سعيد

- (١) بينما كان الرسول ﷺ في خيبر أرسل أبان بن سعيد الى الأعراب الضاربة حول المدينة، في صفر سنة ٧ هجرية^(١).
- (٢) إن إخلاء المدينة بعد خروج جيش المسلمين إلى خيبر، وبعد إنقضاء الأشهر الحرم ليس من الحزم قطعا، بينما الأعراف حول المدينة خاصة جهة الشرق يطلبون غزو المسلمين.
- (٣) لذلك أرسل سرية أبان بن سعيد الى نجد لارهاب الأعراب الذين يطلبون غرة المسلمين للقيام بالتهب والسلب وأعمال القرصنة.
- (٤) رجع أبان بن سعيد بعد قضاء ما كان واجبا عليه فوافى النبي ﷺ بخيبر وكان قد افتتحها^(٢)

وقعة ذات الرقاع

الحالة حول المدينة:-

- (١) اطمأن المسلمين من ناحية قريش بعد صلح الحديبية .
- (٢) فتح المسلمون خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وبذلك كسر جناح اليهود وحلفاءهم وأطمأن المسلمون من هذه الناحية .

(١) صحيح البخاري باب غزو خيبر ٢/٦٠٨-٦٠٩.

(٢) فتح الباري ٧/٤٩١.

- (٣) الجناح المتبقى الذي كان يؤرق طمأنينة المسلمين في المدينة -مجموعات الأعراب القساة الغلاظ الضاربين فب فيافي نجد والذين مازالوا يقومون بأعمال السلب والنهب والقرصنة بين آونه وأخرى .
- (٤) لما كان هؤلاء البدو لاتجمعهم بلدة أومدينة ولم يكونوا يقطنون الحصون والقلاع، وكانت أعمالهم عدائية وتهديداتهم للأمن متزايدة ومستمرة، وتفرقهم في مساحات واسعة من الصحراء صار فرض السيطرة عليهم واخماد نار شرهم والحد من اغاراتهم أمر بالغ الأهمية للمسلمين في المدينة وصعب نظراً لإنتشارهم في مساحات شاسعة.
- (٥) لم تكن تجدي في هؤلاء البدو إلا حملات التأديب والإرهاب للحد من أذاهم واتقاء خطرهم الدايم.
- (٦) قام المسلمون بعدد من حملات التأديب والإرهاب مرة بعد أخرى دون أن يجدي ذلك معهم ودون أن يسفر عن حسم لأمر عدوانهم الدائم.
- (٧) وصلت حالة التحدى مدى كبيراً كما تزايد تهديدهم وتفاقم خطرهم بعد أن أحتشدوا بغرض الإغارة على أطراف المدينة- فالخطر بات ذواهما على المدينة وأهلها.
- الوقت: يرجح الرواة أن يكون وقت هذه الواقعة بعد فتح خيبر والأغلب أنها وقعت في شهر ربيع الأول سنة ٧ هجرية.

الغرض

- (١) بلغ الرسول ﷺ إحتشاد بنى أنمار أو بنى ثعلبة وبنى محارب بن عطفان ييغون الإغارة على أطراف المدينة ونهب وسلب ما يستطيعون.
- (٢) خرج الرسول ﷺ في أربعمائة أو سبعمائة من أصحابه وأستعمل على المدينة أبا ذر أو عثمان بن عفان (رضي الله عنه).
- (٣) توغل سير جيش المسلمين حتى وصل إلى موضع يقال له (نخل) على بعد يومين من المدينة.
- (٤) لقي جمعا من عطفان فتقاربوا وأخاف بعضهم بعضاً ولم يكن بينهم قتال.
- (٥) وفي رواية البخاري:- وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين وكان للنبي ﷺ أربع والقوم ركعتان^(١).
- (٦) كانت هذه الصلاة صلاة الخوف.

أسباب تسميتها ذات الرقاع

- (١) في البخاري عن أبي موسى الأشعري قال:- خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحو ستة نفر بيننا بغير نعتبه- فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت ذات الرقاع -لما كنا نعصب الخرق على أرجلنا^(٢).

مواقف كريمة

- (١) عن جابر :- كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ فنزل رسول الله ﷺ فتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر- ونزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحت شجرة فعلق بها سيفه، قال جابر:- فنمنا نومة -فجاء رجل من المشركين: فأخترط سيف رسول الله ﷺ فقال: (أتخافني)؟ قال (لا) قال:- فمن يمنعك مني؟

(١) صحيح البخاري ١/٤٠٧-٤٠٨، ٢/٥٩٣.

(٢) صحيح البخاري ٢/٥٦٢، وصحيح مسلم باب غزوة ذات الرقاع ٢/١١٨.

قال:- (الله)

قال جابر:- فاذا برسول الله ﷺ يدعوننا فجننا، فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ (إن هذا إختلط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يد صلنا فقال لي:- من يمنعك مني؟ قلت الله فما هو جالس)

ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ وفي رواية أبو عوانة، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال:- من يمنعك مني؟

قال:- كن خير آخذ قال:- (أتشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله؟) قال الأعرابي:- أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك- قال:- فخلى سبيله- فجاء الى قومه فقال:- جئتم من عند خير الناس^(١).

(٢)- في مرجعهم من هذه الغزوة سبوا امرأة من المشركين - فنذر زوجها ألا يرجع حتى يريق دما من أصحاب محمد ﷺ فجاء ليلا وقد أُرصد رسول الله ﷺ رجلين ربيثة^(٢) للمسلمين من العدو وهما عباد بن بشر ، وعمار بن ياسر- فضرب عبادا وهو قائم يصلي بسهم فنزعه ولم يبطل صلاته حتى رشقه بثلاثة أسهم فلم ينصرف منها حتى سلم فأيقظ صاحبه فقال:- سبحان الله! هلا نبهتني فقال:- إني كنت في سورة فكرهت أن أقطعها^(٣).

أثر وقعة ذات الرقاع

- (١) قذفت الرعب في قلوب الأعراب القساء الغلاظ ، فقلت غاراتهم وضعف تهديدهم للمسلمين .
- (٢) لم تجتريء القبائل من غطفان أن ترفع رأسها وتسعى للقرصنة كما كانت تفعل من قبل .
- (٣) تحول الموقف العسكري الى صالح المسلمين حتى نرى عدة قبائل من هؤلاء الأعراب تقوم مع المسلمين في فتح مكة، وتشارك في وقعة حنين وتأخذ من غنائمها
- (٤) بهذه الوقعة تم كسر الأجنحة الثلاثة التي كانت ممثلة في الأحزاب وساد المنطقة الأمن والسلام.
- (٥) استطاع المسلمون بعد ذلك أن يسدوا كل خلل وثلمة حدثت في بعض المناطق من بعض القبائل.

(١)- سرية غالب بن عبد الله الليثي الى بني الملوح بقديد

الوقت:- في صفر أو ربيع الأول سنة ٧ هجرية .

السبب :- قتل بنو الملوح أصحاب بشير بن سويد من المسلمين .

السرية :- أرسل الرسول ﷺ سالم غالب بن عبد الله الليثي في عدة عشر رجلا في الكديد حيث منطقة بني الملوح.

الغرض :- الأخذ بالثأر لأصحاب بشير بن سويد وإرهاب من يفكر في العدوان على المسلمين.

النتيجة:

- (١) تم الهجوم في الليل وساقوا النعم وطاردتهم العدو بجيش كبير حال بينه وبين المسلمين مطر غزير وسيول شديدة^(٤).
- (٢) نجح المسلمون في الأنسحاب الى المدينة .

(١) فتح الباري ٧/ ٤١٦.

(٢) ربيثة: شخص فحوص للمراقبة.

(٣) زاد المعاد ٢/ ١١٢، ابن هشام ٢/ ٢٠٣- ٢٠٩، وفتح الباري ٧/ ٤١٧- ٤٢٨.

(٤) الطبري جزء ٢، ص ١٤٤.

(٢)- سرية حسمى

التاريخ: -في جمادى الثانية سنة ٧ هجرية - وراء وادي القرى .

السبب

- (١) اختار الرسول ﷺ دحية بن خليفة الكلبي لحمل الكتاب الى قيصر ملك الروم .
- (٢) ومن أثر هذا الكتاب أجاز القيصر دحية بمال وكسوة.
- (٣) ولما كان دحية بحسمى في الطريق لقيه ناس من جذام فقطعوها عليه .

القرار

- (١) بعث الرسول ﷺ زيد بن حارثة الي حسمى في خمسمائة رجل فهاجم جذام وأستفاق يفهم ونسائهم ، وأخذ من النعم ألف بعير ومن الشاة خمسة آلاف والسبي مائة من النساء و الصبيان .
- (٢) كان بين الرسول ﷺ وبين قبيلة جذام موادة .
- (٣) فأسرع زيد بن رفاعة الجذامي أحد زعماء هذه القبيلة بتقديم الاحتجاج الى النبي ﷺ .
- (٤) قبل الرسول ﷺ الإحتجاج وأمر برد الغنائم والسبي^(١).

(٣)- سرية عمر بن الخطاب الى تربه

التاريخ: في شعبان سنة ٧ هجرية .

القوات: بعث الرسول ﷺ عمر بن الخطاب الى تربه ومعه ثلاثون راكبا ودليل من بني هلال.

الغرض: كان هوازن بين القبائل التي تعادي المسلمين وتقوم بغارات وتحريك مؤامرات للتحالف ضدهم - وتقاوم خطرهما وصارت تهدد المسلمين فيما حول المدينة

الطريقة: كانوا يسيرون ليلا ويكمنون نهارا لأغراض المفاجأة .

النتيجة: لم يلق كيدا و لاقتال فأنصرف راجعا الى المدينة .

(٤)- سرية بشير بن سعد الأنصاري الى بني مرة بناحية فدك

التاريخ: -في شعبان سنة ٧ هجرية في ثلاثين رجلا بعث الرسول ﷺ (صلى الله عليه وسلم) بشير بن سعد الأنصاري .

الغرض: - عدد من قبائل بني مرة في أرض فدك فقد عادوا الى غاراتهم - على مصالح المسلمين وذلك للحد من خطرهم

(١) زاد المعاد ٢/ ١٢٢ .

القتال :-في باديء الأمر لم يلق المسلمون كيدا واستاقوا الشاء والغنم وبعد ذلك جمعوا عددا كبيرا وطاردوا المسلمين حتى أدركوهم ليلا ورموهم بالنبل حتى فنى نبل بشير وأصحابه فقتلوا جميعا الا بشير فانه ارتث الى فدك فأقام عند يهود حتى برأت جراحه فرجع الى المدينة .

(٥)-سرية غالب بن عبد الله الليثي في الميعة

التاريخ:-في رمضان سنة ٧ هجرية بعث الرسول ﷺ غالب في مائة وثلاثين رجلا الى بني عوال وبني عيد ابن ثعلبه بالميعة وقيل الى الحرقات من جهينة.

الغرض:- الأعراب المعادين للمسلمين والذين كانوا يقطعون الطرق ويغيرون للسلب والنهب وأعمال القرصنة حتى زاد خطرهم وعظم أمرهم على الأمن.

النتيجة:- حدث قتال وغلب المسلمون وأستاقوا نعما وشاء - وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد أنقال لاله الا الله؟

فلما أخبر الرسول ﷺ كبر عليه وقال:- (أقتلته بعدما قال :لا اله الا الله؟) فقال:- انما قالها متعوذا قال :- (فها شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب).

(٦)-سرية عبد الله بن رواحه الى خيبر

التاريخ:- في شوال سنة ٧ هجرية في ثلاثين راكبا .

السبب:٠- كان بشير بن زارم يجمع غطفان لغزو المسلمين فأخرجوا بشيرا في ثلاثين من أصحابه وأطعموه أن الرسول ﷺ يستعمله في خيبر .

النتيجة :- فلما كانوا بقرقرة نيار وقع بين الفريقين سوء ظن أفضى الى قتل بشير وأصحابه الثلاثين.

(٧)- سرية بشير بن سعد الأنصاري الى يمن وجبار

التاريخ :- في شوال سنة ٧ هجرية بعث الرسول بشير في ثلاثمائة من المسلمين . الى أرض جبار (أو جناب) من غطفان وقيل لغزارة وعذرة.

الغرض:- اجتمع جمع كبير وعزموا أمرهم على مهاجمة أطراف المدينة والأغارة وسلب ونهب ممتلكات المسلمين.

النتيجة:- ساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغ القوم مسيرة بشير هربوا خوفا وأصاب بشير نعما كثيرة وأسرجلين.

(٨)-سرية أبي حردد الأسلمي الى الغابة

التاريخ:- وذكرها ابن القيم في في سرايا السنة السابعة قبل عمرة القضاء .

السبب:-

(١) أقبل رجلا من جشم بن معاوية في عدد كبير إلى الغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة المسلمين.

(٢) بعث الرسول ﷺ أبا حردد مع رجلين ليأتوا منه بخبر وعلم .

(٣) كمن أبو حردد وصاحبه وقتل أبو حردد رئيس القوم فقتله.

(٤) وشد أبو حذرر وصاحبه في ناحية المعسكر فما كان من القوم إلا الفرار وأستاق المسلمون الثلاثة الكثير من الأبل و الغنم^(١).

عمرة القضاء

- (١) لما هل ذو القعدة أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم وألا يتخلف أحد منهم شهد الحديبية.
- (٢) خرج الرسول ﷺ في ألفين سوى النساء والصبيان^(٢).
- (٣) أستخلف الرسول ﷺ على المدينة عوف بن الأضبط الديلي وأحرم للعمرة من ذي الحليفة وخرج مستعدا بالسلاح والمقاتله خشية أن يقع من قريش غدر.
- (٤) حينما بلغ تأجج وضع الأداة كلها (الحجف، والمجان، والنبل، والرماح، وخلف عليها أوس بن خولي في مائتين من الرجال ودخل بسلاح الراكب (السيوف في القرب)^(٣).
- (٥) - خرج المشركون الى جبل قعيقعان شمال مكة .
- (٦) ودخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) مكة في الثانية التي تطلعه على الجحون، وأخذ عبد الله بن رواحه بين يدي الرسول ﷺ يرتجز متوشحا بالسيف.
- (٧) أقام الرسول ﷺ بمكة ثلاثا فلما أصبح اليوم الرابع أتوا عليه فقالوا: -قل لصاحبك: - أخرج عنا فقد مضى الأجل- فخرج الرسول ﷺ ونزل بسوق فأقام بها.
- (٨) سميت هذه العمرة بعمرة القضاء
- (أ) اما لأنها كانت قضاء عن عمرة الحديبية .
- (ب) أو لأنها وقعت حسب المقاضاه أي المصالحة وهي الأرجح .
- (٩) هذه العمرة تسمى بأربعة أسماء (القضاء)، (القضية)، (القصاص)، (الصلح)^(٤).

السرايا بعد عمرة القضاء

سرية ابن أبي العوجاء

التاريخ:- في ذي الحجة سنة ٧ هجرية بعث ابن أبي العوجاء في خمسين رجلا الي بني سليم.
الغرض:- ليدعوا بني سليم الى الاسلام فقالوا لاحاجة لنا إلى ما دعوتنا.
القتال:- قاتلوا قتالا شديدا جرح فيه أبو العوجاء وأسر رجالان.

وقعات وسرايا السنة الثامنة من الهجرة

(١) زاد المعاد ٢/ ١٤٩ - ١٥٠، وابن هشام ٢/ ٦٢٩ - ٦٣٠.

(٢) فتح الباري ٧/ ٥٠٠.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢١٨ - ٢١٠/٢ - ٦١١.

(٤) فتح الباري ٧/ ٥٠٠.

(١) - سرية غالب بن عبد الله بفدك

التاريخ: - في صفر سنة ٨ هجرية بعث الرسول ﷺ في مائتي رجل إلي مصاب بشير بن سعد بفدك.

الغرض: - عقاب والأخذ بثأر مصاب بشير بن سعد الذين قتلوا بفدك.

النتيجة: - أصابوا العدو وفروا وأصاب المسلمون من العدو نعماً.

(٢) - سرية ذات أطلح

التاريخ: - في ربيع الأول سنة ٨ هجرية بعث الرسول ﷺ بن عمير الأنصاري في خمسة عشر رجلاً.

الغرض: - حشدت بنو قضاعه جموعاً كبيرة للأغارة على المسلمين.

النتيجة: - عندما لقوا العدو دعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم وأرشقوهم بالنبل حتى أستشهدوا كلهم إلا رجل واحد فقد أرتى من بين القتلى^(١).

(٣) سرية ذات عرق إلى بني هوازن

التاريخ: - في ربيع الأول سنة ٨ هجرية فبعث الرسول ﷺ شجاع بن وهب الأسدي في خمسة وعشرين رجلاً.

الغرض: - أمدت بنو هوازن الأعداء مرة بعد أخرى وعاونتهم ضد المسلمين.

النتيجة: - لم يلقوا كبدًا وأستاقوا نعماً من العدو^(٢).

موقعة مؤته

التاريخ: - في جمادي الأولى سنة ٨ هجرية، ومؤته هي قرية بأدنى بلفاء الشام.

السبب: -

(١) بعث الرسول ﷺ الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بصرى.

(٢) فعرض له عامل البلقاء من أرض الشام (شرجبيل بن عمرو الغساني) وضرب عنقه.

(٣) كان قتل السفراء والرسول من أبشع الجرائم، وأكثر شدة من إعلان الحرب.

(٤) اشتد ذلك على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فجهز جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل^(٣).

تجهيز الجيش والتحرك

(١) أمر على الجيش زيد بن حارثة وقال (ان قتل زيد فجعفر، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحه)^(٤).

(٢) أوصاهم الرسول ﷺ أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام فان أجابوا وإلا أستعانوا بالله عليهم.

(١) رحمة العالمين ٢/٢٣١ - ارتث: حمل جريماً.

(٢) رحمة العالمية ٢/٢٣١، وابن الجوزي ص ٣٣ حاشية.

(٣) زاد المعاد ٢/١٥٥، وفتح الباري ٧/٥١١.

(٤) صحيح البخاري باب غزوة مؤته من أرض الشام ٢/٦١١.

- (٣) أوصى الرسول ﷺ فقال لهم:- (أغزوا بسم الله في سبيل الله من كفر بالله -لا تغدروا ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعه، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناء^(١)).
- (٤) خرج الرسول ﷺ وخرج القوم مودعين حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم^(٢).

جيش العدو

- (١) نزل جيش المسلمين في معان من أرض الشام.
- (٢) وصلت الأخبار إلى جيش المسلمين أن هرقل نازل بمآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وأنضم اليهم من لخم وجذام، وبلقين، وبهراء، وبلق في مائة ألف.

الشورى والرأبمان

- (١) لم يكن في حسابان المسلمين مواجهة هذا الجيش الحاشد العروم فبوغتوا وأخذوا على غرة.
- (٢) تشاوروا في الأمر وهل يهجم جيش صغير قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فحسب على مائتي ألف مقاتل؟
- (٣) فكروا في الكتابة الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) إما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا فنمضي له.
- (٤) شجع الناس عبد الله بن رواحه وقال:- ما تقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به.
- (٥) أستقر الرأي على ما دعا اليه عبد الله بن رواحه.

التحرك نحو العدو

- (١) قضى الجيش ليلتين في معان وأستقر الرأي بعد التشاور علي القتال.
- (٢) تحرك الجيش الاسلامي حتى لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء يقال لها ((مشارف)).
- (٣) دنا الجيش الإسلامي من العدو وأنحاز الى مؤقته فعسكروا هناك.

القتال

- (١) في مؤته إنتقى الفريقان ثلاثة آلاف رجل يواجهون مائتي ألف مقاتل -معركة تصيب المؤرخين بالدهشة والحيرة في هذين الجمعين الغير متكافئين.
- (٢) بمقتل زيد بن حارثه أخذ الراية جعفر بن أبي طالب حتى قتل فأخذ الراية عبد الله بن رواحه، وقاتل في بأس حتى قتل .
- (٣) إصطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ الراية وقاتل قتالاً مريراً^(٣).

نهاية المعركة

- (١) رغم البطولة والشجاعة الفائقة إلا أنه كان مستغرباً أن يصمد هذا الجيش الصغير أمام جيش يتفوق عليه بستين ضعفاً أو ما يزيد .

(١) مختصر السيرة للشيخ عبد الله، ص ٣٢٧.

(٢) ابن هشام ٢/ ٣٧٣ - ٣٧٤، وزاد المعاد ٢/ ١٥٦.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٦١١.

- (٢) نجح خالد بن الوليد في الصمود أمام جيش الرومان طوال النهار في أول يوم من القتال.
- (٣) عمد خالد بن الوليد الى مكيدة حربية تلقي الرعب في قلوب الرومان حتى ينجح الإنحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الرومان بحركات المطاردة.
- (٤) كان خالد بن الوليد يعرف جيدا أن الافلات من براثنهم صعب للغاية لو انكشف المسلمون.
- (٥) لما أصبح اليوم الثاني غير خالد بن الوليد من أوضاع الجيش وعبأه من جديد ورتب صفوفه، فلما رآهم العدو أنكروا حالهم وقالوا: - جاءهم مدد فدب في قلوبهم الرعب.
- (٦) في المناوشات بدأ خالد بن الوليد يتأخر بالمسلمين قليلا قليلا مع حفظ نظام الجيش والابقاء على ترابط صفوفه ولم يتبعهم الرومان ظنا منهم أن المسلمين يخدعونهم ويحاولون القيام بمكيدته ترمي بهم في الصحراء والفيافي.
- (٧) لم يفكر جيش الرومان في مطاردة المسلمين ونجح المسلمون في الانحياز سالمين حتى عادوا الى المدينة^(١).

الأثار السريعة للوقعة

- (١) لم يحصل المسلمون على الثأر الذين كانوا يبغونه لقتل الرسول الحارث بن عمير الأزدي إلي عظيم بصري، والذي أصابهم بالمرارة والشده.
- (٢) ألفت الوقعة العرب كلها الدهشه والحيرة فقد كانت الرومان أعظم وأكبر قوة على وجه الأرض- من لقاء هذا الجيش الصغير بهذا الحشد الهائل الجبار والعودة من غير أن تلحق به خسارة تذكر.
- (٣) كثير من المشركين والمنافقين- وكذلك مشركي قريش توقعوا فناء المسلمين وأن لا تقوم لهم شأن بعد سحقهم- وكانوا روحا وقالبا إلى جانب الجيش الروماني.
- (٤) كانت المفاجأة ضخمة وغير سارة للمشركين -حتى نرى القبائل اللدودة التي كانت لاتزال تثور على المسلمين-جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام.
- (٥) فأسلمت بنو سليم، وأشجع، وغطفان، وذيبيان، وفزاره، وغيرها.
- (٦) تأكد كثير من العرب في شبه الجزيرة العربية أن المسلمين من طراز آخر غير ما ألفته العرب وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله.

سرية ذات السلاسل

الغرض:-

- (١) وقفت القبائل العربية التي تقطن مشارف الشام مع الرومان ضد المسلمين.
- (٢) فشعر الرسول ﷺ بالحاجة الماسة لفك هذا التحالف المعادي ، وإحداث الفرقة بين القبائل والرومان.
- (٣) بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص، وكان إختبارا صائبا وسليما لأن أم أبيه كانت إمرأه من يلي، ووجد من الحكمة أن مجموعات بلى ستعين عمرو بن العاص ولا تعانليه، وكان ذلك في جمادي الآخرة سنة ٨ هجرية.

(١) فتح الباري ٧/ ٥١٣- ٥١٤، وزاد المعاد ٢/ ١٥٦.

(٤) بالإضافة إلى الغرض الأساسي لهذه السرية فإن الاستخبارات نقلت إلى الرسول ﷺ أن جمعا من قضاة قد تجمعوا يريدون الدنو والإغارة على أطراف المدينة.

(٥) أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فارسا وأمره أن يستعين بمن يمر به من بلى وعذرة وبلقين.

القتال :-

- (١) فسار الجيش بالليل وكمن بالنهار فلما بلغ من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا :
- (٢) فطلب مددا من الرسول (صلى الله عليه وسلم).
- (٣) أرسل الرسول أبا عبيده بن الجراح في مائتين وبعث له سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو.
- (٤) تعليمات الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يكونوا جميعا ولا يختلفوا.
- (٥) أراد أبو عبيده أن يؤم الناس فقال عمرو:- إنما قدمت علي مددا، وأنا الأمير فأطاعه أبو عبيده.
- (٦) سار الجيش حتى وطىء بلاد قضاة فدوخها حتى أتى أقصى بلادهم.
- (٧) ولقى الجيش جمعا كبيرا فحمل عليهم المسلمون فهربوا وتفرقوا.

التسمية :-

ذات السلاسل بقعة وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام وذكر ابن أسحاق أن المسلمين نزلوا على ماء بأرض جذام يقال له: ((السلسل)) فسمي بذات الأسم ذات السلاسل^(١).

سرية أبي قتاده إلى خضرة

التاريخ:- في شعبان سنة ٨ هجرية.

السبب:- إحتشذ بنو غطفان في خضرة وهي أرض محارب بنجد.

السرية:- بعث إليهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أبا قتاده في خمسة عشر رجلا فهزم القوم وسبى وغنم وكانت غيبته خمس عشرة ليلة^(٢).

التقييم وأخلاقيات الحرب

(١) الرأفة والتواضع (Amiability and Humility)

(١) حينما إنتهى المسلمون الى الوطيح والسلام بمنطقة الكتيبة وكانا آخر حصنين منيعين لليهود في خيبر فطلبوا الصلح على أن تحقن دماءهم فقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في رأفة محمودة ونزل على مطلبهم.

(١) ابن هشام ٢/٦٢٣-٦٢٦، وزاد المعاد ٢/١٥٧.

(٢) يكفح مفهوم أهل الأثر ص ٣٣ وغيره.

(٢) كان في قدرة جيش المسلمين أن يقضي على اليهود في الحصنين ويصنع بهم ما شاء له أن يصنع، ولكن القائد (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يبغى نصرا لشخصه ولا مجدا لنفسه، وبعد أن هرب معظم اليهود بعد فتح الحصون الأخرى - كان له أن يفعل بهم ما يريد وهو واثق ومنتصر.

(٢) معاملة غير المسلمين بالحسنى (Good treatment of peaceful Non muslims)

(١) بعد الإنتصار في خيبر لم يطرد اليهود من ديارهم وقيل وأبقاهم على أرضهم التي آلت إلى المسلمين بحكم الفتح، ويتمشي ذلك مع ما جاء في (إتفاقية جينيف الرابعة المواد ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤).

(٢) وافق أن يكون ليهود خيبر نصف ثمر الأرض مقابل عملهم

(٣) الخلق الإنسانس (ومعاملة غير المسلمين بالحسنى) (Good treatment of peaceful non Muslims)

(١) في وقعة خيبر ظهرت تصرفات القائد (صلى الله عليه وسلم) لاروحيا مجردا ولا جسديا جامدا بل انساني وسطا بين ذلك.

(٢) توافر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره فهدي ضالا و ألان قاسيا وهذب خشنا ومحا ظلما وأقام عدلا.

****وذلك****

عامل محمد ﷺ يهود خيبر بغير ما عامل به بني قينقاع، وبني النضير حين أجلاهم عن أرضهم -لأن الأخيرين كان بأسهم شديدا على المسلمين في المدينة وخيانتهم وتحالفهم مع الأعداء والكيد للمسلمين من تدبيرهم ومرمى قصدهم في حين أنه أمن لسقوط خيبر رأس اليهود شمال المدينة وبعيدا عنها.

(٤) - هجوم السلام:-

(١) رغم بعد خيبر عن المدينة مسافة طويلة إلا أن تحالف يهود خيبر مع الأعراب المشركين من غطفان، وسليم وغيرهم كان في تزايد ويسنفحل يوما بعد يوم.

(٢) الدولة الجديدة في المدينة اطمأنت لى أقوى أجنحة العداة وهي قريش بعقد معاهدة الحديبية في الجنوب.

(٣) صارت خيبر مع مرور الأيام هي وكر الدس والتآمر ومركز الأستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب.

(٤) لاتنسى المدينة أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين.

(٥) لاتنسى المدينة أن أهل خيبر أثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة ثم أخذوا في تعزيز اتصالاتهم بالمنافقين - الطابور الخامس في المجتمع الاسلامي.

(٦) - لاتنسى المدينة إستفحال تأثير خيبر على غطفان، وأعراب البادية وكانوا يتحالفون معهم على القتال.

(٧) وضع أهل خيبر أهل المدينة في محن متواصلة ومتزايدة حتى وضعوا خطة لإغتيال الرسول ﷺ.

خطر لايمكن السكوت عنه:-

(١) أرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي إلى يهود خيبر يخبرهم بتوجه محمد اليهم وينصحهم بأن يأخذوا حذرهم ولا يخافوا وحفزوا الحلفاء لمظاهرتكم على المسلمين.

(٢) أرسلوا إلى غطفان يستمدونهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر أن هم غلبوا المسلمين.

(٣)-تتوسط المدينة أجنحة عداء ثلاث تحيط بها

* ففي الجنوب قريش وقد أطمأنت المدينة من ناحيتهم.

* وفي الشمال يهود خيبر.

* ومن بقى وهرب من يهود المدينة باتوا يشكلون هما وخطرا داهما.

الهجوم خير وسيلة للدفاع (هجوم السلام)

(١) خرج الرسول ﷺ إلى خيبر مهاجما بعد إستفحال الخطر وتعاضم التهديد.

(٢) أعلن الرسول ﷺ ألا يخرج معه إلا كل راغب في الجهاد فلم يخرج معه الا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة. لمهاجمة وفتح خيبر دفاعا عن أمن المدينة.

(٣) صبر المسلمون في المدينة على عداء اليهود في خيبر حتى صار لامناص من مناجرتهم لمنع العدوان وفي ذلك يقول الحق:-

((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين))

(سورة البقرة -آية ١٩٠)

إن جنحوا للسلم

(١) عندما طلب اليهود الصلح قبل الرسول ﷺ.

(٢) هذا ما نزل في قول الحق ((وإن جنحوا للسلم فأجرح لها وتوكل على الله))

(سورة الأنفال -آية ٦١)

(٣)-روح السلام (The spirit of Peace)

(٤)- وتصلح مع أهل فداك على نصف أموالهم من غير قتال.

(٥)- الشورى (Consulation)

(١) تقدم الرسول ﷺ حتى اختار لمعسكره منزلا .

(٢) فأتاه حباب بن المنذر* - فقال :- (يارسول الله أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله أم هو الرأي في الحرب ؟)

* قال:- (بل هو الرأي) ، وبعد أن شرح حباب رأيه

* قال :- (لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذة معسكرا

* قال الرسول ﷺ:

(الرأي ما أشرت) ثم تحول الى مكان آخر .

(٦)- لا اكراه في الدين (No coercion In Religion)

(١) أوصى الرسول ﷺ معاذ بن جبل بألا يفتن اليهود في يهوديتهم.

(٢) - لم يفرض الرسول ﷺ الجزية على يهود البحرين وإن ظلوا متمسكين بدلت آبائهم.

(٣) صالح بنى غازيه وبني عريض على أن لهم الذمة وعليهم الجزية.

(٧) الشعور بالمودة والأخوة الإنسانية

(Being Conscious of The Spirit of the Brotherhood of man)

(١) وقف النبي ﷺ مع اليهود الذين بكوا عبد الله بن أبي وعزى ابنه.

(٨) مقابلة مكر الأعداء (Conronting The Trickery of The Enemy)

(١) أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم الى محمد شاة (وكانت ابنة وزوجة لأثنين من اليهود)، وكلاهما قتل في معارك مع المسلمين.

(٢) أعترفت زينب بأن الشاة مسمومة وقالت:- (لقد بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان مليكا أسترحمت منه وإن كان نبيا فسيخبر).

(٣) إختلف الرواة فذكر أكثرهم أن النبي ﷺ عفا عن زينب وقدر لها عذرها بعد الذي أصاب أباهما وزوجها، وذكر القليل منهم أنها قتلت في بشر الذي مات مسموما.

(٩) الأيمان بالله والثبات في الميدان

((مقارنة بين الحرب الشاملة والحرب غير الشاملة)).

(Faith in ALLAH and standing ones Ground On The battle Field)

لنضرب العبرة للمقارنه و الاستدلال بين أخلاقيات الحرب في بني اسرائيل وأخلاقيات الحرب في المسلمين .

أولاً: في بني اسرائيل - موقع عاي (Ai)

(١) بعد إستيلاء بنو اسرائيل على أريحا ملأهم الغرور لنجاحهم والزهو بأننتصارهم.

(٢) شرعوا في مهاجمة موقع صغير هو موقع (عاي Ai) الذي كان يقع على خط تقدمهم.

(٣) في بدء الهجوم فر جيش إسرائيل موليا الأدبار وأصاب قائدهم (Joshua) سخط شديد.

(٤) التراجع عن عاي (Ai) بسبب ذنب وحدث معصية ووقوع الخطيئة.

(٥) ثم عاود الأسريليون الهجوم على عاي (Ai) فدخلوا عاي ففعلوا بها وبأهلها أشد ما عملوه عند الإستيلاء على أريحا.

(٦) التوراة نفسها تحدثنا أن يوشع فتى موسى وخليفته بأمر اليهود بعد الأستيلاء على أريحا (أن أقتلوا كل من في المدينة من رجل وامرأة وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها). (التوراة سفر يوشع ٢٢-٢٩)

(انها الحرب الشاملة)

ثانياً: - في فتح خيبر:-

(١) فالظافر في ميدان المنافسة من كان رأيه أسد وقوته أشد، وسلاحه أحد- فإذا قربت القوتان من التكافؤ أمكن بمصالح المتنافسين أن تتفق- وسهل على كل منهما أن يرتفق وإلا أستحال الأتفاق. وأستبد القوي بالأرتفاق بل صعب على الضعيف أن ينال حق النقاء.

(٢) بعد فتح خيبر وودي القرى، وفدك بقى اليهود في أرضهم ومزارعهم، وبيوتهم، ويدفعون الجزية من محاصيلها الزراعية وفقا لعهدهم مع الرسول ﷺ.

فلم يحرق المسلمون ولم يدمروا ولم يقتلوا من أجل القتل - فالفرق أن حرب المسلمين كانت حربا غير شاملة في حين أيام حرب قوم إسرائيل في فلسطين كانت حربهم شاملة يقتلون ويحرقون ويدمرون حتى أن التوراة تفاخر ((بأنه لم يبق منهم شارد ولا منقلب)) وبلغ عدد القتلى ١٢ ألفا هم جميع أهل (عاي) ثم أحرق يوشع مدينة (عاي) (وجعلها تلا خرابا).

(٣)- الاسلام ينهى عن الحرب الشاملة :-

((Islam Prohibits Total Warfare))

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وأعملوا ان الله مع المتقين)

(١٠)- الحرب المحدودة

- (١) كانت حصون خيبر محصنة جيدا وموزعه على التلال والجبال.
- (٢) لم يهاجم المسلمون الحصون جميعها في وقت واحد وقد أستخدم المسلمون أستراتيجية المناورة بالخطوط الداخلية.
- (٣) هاجم المسلمون الحصن تلو الآخر فراحت الحصون تسقط تباعا محدودة ومقصورة على المقاتلين.
- (٤) ولذلك فان الحصنان الأخيران تم التفاوض مع سكانهما وقبل بابقائهم فيها مقابل حصول المسلمين على نسبة من غلة المزروعات.

(١١)- أخلاقيات الحرب (السلوك الأنساني)

((Human Conduct by muslims))

* نموذج للسمو الأنساني في وصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعبد الله بن رواحه رسوله اليهم^(١).

(لا تقاتلوهم حتى تدعوهم. فان أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم فان بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا، ثم أروهم ذلك، وقولوا لهم هل الى خير من هذا سبيل ولأن يهدي الله على يديك رجلا واحدا خيرا مما طلعت عليه الشمس وغربت) (٢) .

(١٢)- آداب الحرب ((Ethics In War))

- (١) (أنطلقوا باسم الله ، وبالله وعلى بركة رسول الله ﷺ، لا تقتلوا شيئا فانيا ولا طفلا ولا إمراة، ولا تغلوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)
- (ب) قبل معركة خيبر أعطى القائد العام الرسول ﷺ أوامره التحضيرية للمعركة موصيا بعدم أكل لحوم الحمير وكل حيوان ذي ناب وعدم قتل النساء أوبيع الغنائم.

(١) من وصية الرسول لمعاذ بن جبل.

(٢) وصية الرسول (صلي الله عليه وسلم) تكررت عدة مرات.

هذه نماذج من الوصايا التي حرص الرسول ﷺ توجيهها للمقاتلين المسلمين حرصاً على تكريم الإنسان والإرتقاء بأخلاقياتهم حتى أثناء القتال.

هذه النماذج تتوافق مع ما جاء في إتفاقيات جنيف الأربع في عام ١٩٤٩ والتي تبنت الثقافة الإنسانية من مبادئ إحترام الشخص الإنساني وإحترام كرامته وتقديم المساعدة النزيهة دون تمييز إلي ضحايا وأسري الحرب الذين لم يعودوا أعداء وإنما أصبحوا مجرد بش يعانون دون أن تكون لهم قدرة علي الدفاع عن أنفسهم.

(١) (إتفاقية جنيف الثالثة المواد ١٢-١٣-١٤-١٥) بشأن معاملة أسري الحرب بإنسانية) كما جاء في حديث الرسول ﷺ لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا امرأة.

(٢) مأوي وغذاء وملبس أسري الحرب (إتفاقية جنيف الثالثة المواد ٢٥-٢٦-٢٧).

(٣) وضع الأشخاص المحميين ومعاملتهم (إتفاقية جنيف الرابعة المواد ٢٧-٣١-٣٢-٣٣ كما جاء في حديث الرسول ﷺ (أصلحوا وأحسنوا).

(٤) لا إكراه في الدين ولا في الأعمال ولا إكراه في الأملاك ومصادرتها (إتفاقية جنيف الرابعة- المواد ٩٣-٩٨-١٠١-١٠٢-١٣٠-١٣٢) كما جاء في حديث الرسول ﷺ (لا تغلوا غنائمكم).

فتح مكة

سبب الوقعه:-

(١) في صلح الحديبية:- دخلت خزاعة في عهد الرسول ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش وصارت كل من القبيلتين في أمن من الأخرى.

(٢) كانت بين القبيلتين عداوة وتوترات في الجاهلية وكان بينهما ثأر قديم.

(٣) إغتم بنو بكر الهدنة وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم.

(٤) أغار نوفل بن معاوية الديلي في جماعة من بني بكر، وفي شهر شعبان سنة ٨ هجرية على خزاعة ليلاً وهم على ماء يقال له (الوتير) فأصابوا منها رجالاً وتناوشوا وأقتلوا.

(٥) أعانت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل.

(٦) إشتد القتال حتى حازوا خزاعة الى الحرم فلما إنتهوا إليه قالت بنو بكر:- يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم-الهك-الهك فقال كلمة عظيمة:- لإله اليوم (يا بني بكر أصيبوا تاركم).

(٧) خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على الرسول ﷺ المدينة فأخبروه بمظاهرة قريش بني بكر عليهم.

الغدر:-

(١)- ما فعلت قريش وحلفاؤها كان غدرا محضاً ونقضاً صريحاً للميثاق.

(٢)- سرعان ما أحست قريش بغدورها وخافت وشعرت بعواقبه الوخيمه.

(٣)- عقدت قريش مجلساً إستشارياً وقررت أن تبعث فائدها أبا سفيان ممثلاً لقريش بتجديد الصلح.

(٤)- قبل أن يصل أبو سفيان المدينة تأكد من أن بديل بن ورقاء قد جاء الرسول ﷺ في المدينة، وفشلت مهمة أبو سفيان.

(٥) - في المدينة قام أبو سفيان في المسجد فقال: - أيها الناس اني قد أجزت بين الناس ثم ركب بعيره وأطلق.

محاولة كتمان التهيؤ لفتح مكة

- (١) علم الناس في المدينة بنقض قريش للميثاق .
- (٢) أعلم أصحابه أنه سائر الى مكة وقال: - (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها).
- (٣) وزيادة في الأخفاء والتمويه عن عيون قريش بعث الرسول ﷺ سرية قوامها ثمانية رجال تحت قيادة أبي قتادة بن ربعي الى بطن إضم فيما بين ذي خشب وذي المروة.
- (٤) بعث الرسول ﷺ هذه السرية على ثلاثة برد من المدينة في أول شهر رمضان سنة ٨ هجرية ليظن الظان أن الرسول ﷺ يتوجه إلى تلك الناحية ولتذهب بذلك الأخبار.
- (٥) واصلت السرية سيرها حتى إذا وصلت حيثما أمرت بلغها أن الرسول ﷺ خرج الى مكة فسارت اليه حتى لحقته^(١).

محاولة الخيانة في الجيش الاسلامي

- (١) كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش كتابا يخبرهم بمسير الرسول ﷺ إليهم حتى يتدبروا أمرهم.
- (٢) أعطى الكتاب سرا المرأة وجعل لها جعلاً على أن تبلغه لقريش - وهذا يعد في درجة الخيانة.
- (٣) وضعت المرأة الخطاب السري في قرون رأسها إلا أن الخبر أتى الرسول ﷺ من السماء بما صنع
- (٤) قال الرسول ﷺ لهم: (إنطلقوا حتي تأتوا روضة خاخ، فإن بها طغية معها كتاب إلي قريش).
- (٥) أتوا الرسول ﷺ بالكتاب فدعا حاطباً فقال (ما هذا يا حاطب؟).
- (٦) طالب عمر بن الخطاب ضرب عنق حاطب خبائه، إلا أن الرسول ﷺ قال (إنه قد شهد بداراً وما يدريك يا عمر لعل الله قد إطلع علي أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فذرفت عنيا عمر وقال: الله ورسوله أعلم^(٢).
- (٦) هكذا أخذ الله العيون فلم يبلغ إلي قريش أي خبر من أخبار تجهيز المسلمين وتهيئتهم للزحف إلي مكة.

التحرك إلي مكة والوقوف بالظهران:

- (١) لعشر خلون من شهر رمضان للسنة ٨ للهجرة غادر الرسول ﷺ المدينة متجهاً إلي مكة في عشرة آلاف من أصحابه وغستخلف علي المدينة (أبارهم الغفاري).
- (٢) لما كان بالجحفة أوفوق ذلك، لقبه عمه العباس بن عبد المطلب وكان قد خرج مهاجراً بأهله وعياله، وفي الأبواء لقي الرسول ﷺ ابن عمه أبو سفيان بن الحارث وابن عمته عبد الله بن أبي امية فأعرض عنهما.
- (٣) واصل الرسول ﷺ سيره وهو صائم والناس صيام حتي بلغ (الكديد) وهو ماء بين عسقان وقديد - فأمطر وأمر الجيش فأوقدوا النيران عشرة آلاف نار، وجعل علي الحرس عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).
- (٤) كان الله قد عمير الأخبار عن قريش فهم علي وجل وترقب وكان أبو سفيان ونفران معه يخرجون يتحسسون الأخبار.

(١) زاد المعاد ١٥٠/٢، وابن هشام ٢/٦٢٦ - ٦٢٨.

(٢) صحيح البخاري ١/٤٢٢، ٢/٦٢٢.

- (٥) ركب العباس بعد نزول المسلمين بمر الظهران، بغلة الرسول ﷺ فالتقي بأبي سفيان وأتي به إلي الرسول ﷺ.
- (٦) دخل عمر علي الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه فقال العباس يا رسول الله إني قد أجرته.
- (٧) أعلن أبو سفيان إسلامه بين يدي الرسول ﷺ.
- (٨) قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فإجعل له شيئاً قال: (نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابيه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن).

التحرك من الظهران إلي مكة:

- (١) في صباح يوم الثلاثاء للسابع عشر من شهر رمضان سنة ٨ هجرية غادر الرسول ﷺ من الظهران إلي مكة.
- (٢) أمر اسررسول ﷺ أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتي تمر به جنود الله فيراها، فينقل ما رأي إلي أهل مكة فيدب فيهم الرعب والخوف.
- (٣) وممر به رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، فقال أبو سفيان سبحان الله! يا عباس من هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار فقال: أبو سفيان: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة.
- (٤) كانت راية الأنصار مع سعد بن عباد، فلما مر بأبي سفيان قال له: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، فقال أبو سفيان يا رسول الله ألم تسمع ما قال سعد؟ قال (وما قال؟) قال كذا وكذا.
- (٥) فقال الرسول ﷺ (بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة اليوم أعزم الله فيه قريشاً) ثم أرسل إلي سعد فنزع منه اللواء.

قريش تباغت الجيش الإسلامي في زحفه:

- (١) إجتمع بعض سفهاء مكة مع عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو بالخدمة ليقاتلوا المسلمين ووبشوا أو باشأ لهم وقالوا: تقدم هؤلاء فإن كان لقريش شيء كنا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا وكان فيهم رجل من بني بكر يسمى (حماس بن قيس).
- (٢) وزع الرسول ﷺ جيشه لجعل خالد بن الوليد علي المجنبة اليمني والزبير بن العوام علي المجنبة اليسري وأبو عبيدة بن الجراح علي الرحالة والحسر، (وهم الذين لا سلاح لهم).
- (٣) لقي خالد بن الوليد سفهاء مكة بالخدمة فناوشوهم شيئاً من قتال فأصابوا من المشركين إثني عشر رجلاً، وإنهزم المشركون.

شيء من القتال:

- (١) كان أحد الرجال المتشددين في مكة رجل من بني بكر يجعي حماس بن قيس كان يعد سلاحاً لمقابلة المسلمين فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أري؟

قال: لمحمد وأصحابه، قالت: واله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: إني والله لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فمالي علة هذا سلاح كامل وآله^(١)

وذو غرارين^(١) سريع السلة

(١) آلة: الحربة.

فإنهزم المشركون وإنهزم حماس بن قيس الذي كان يعد السلاح لقتال المسلمين حتي دخل بيته فقال إمرأته إغلي علي الباب.

فقال: وأين ما كنت تقول؟ فقال:

| | | |
|--|--------|---|
| إذ فر صفوان وفر عكرمة | | إنك لو شهدت يوم الخدمة |
| يقطعن كل ساعد وجمحة | | وإستقبلتنا بالسيوف المسلمة |
| لهم نهيت ^(٣) خلقاً وهممة ^(٤) . | | ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة ^(٢) |

وتلك الحالة نسوقها للدلالة علي الضعف الشديد للقتال ومواجهة الجيش الإسلامي حتي أن بعض الرواه تجاهلوا تلك المناوشات البسيطة.

الرسول ﷺ يدخل الكعبة ويظهر من الأصنام

- (١) دخل الرسول ﷺ الكعبة فإستلم الحجر الأسود وطاف بالبيت وفي يده قوس.
- (٢) جعل الرسول ﷺ يطعن الأصنام بالقوس وكان عددها ثلاثمائة وستون صنماً.
- (٣) كان طوافه ﷺ علي راحته ولم يكن محرماً يوماً فإقتصر علي الطواف.

لا تثريب عليكم اليوم:

- (١) خطب الرسول ﷺ في الكعبة ثم قال: (يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم: قال: (فإنها أقول لكم كما قال يوسف لأخوته: (لا تثريت عليكم اليوم) إذهبوا فأنتم الطلقاء.

مفتاح البيت إلي أهله:

- (١) دفع الرسول ﷺ مفتاح البيت إلي عثمان بن طلحة، وقال: (خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله إستأمنكم علي بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف).

صلاحة الفتح:

- (١) دخل الرسول ﷺ دار أم هاني بنت أبي طالب، وصلي ثمان ركعات في بيتها فظننها من ظن صلاة الضحي وإنما كانت (صلاة الفتح).
- (٢) أجازت أم هاني حمو بن لها قتال الرسول ﷺ (قد أجزنا من أجزت يا أم هاني).

(١) غرارين: سيف ذو حدين.

(٢) غمغمة: أصوات الأبطال.

(٣) الهمهمة: صوت في الصدر.

(٤) النهيت: صياح الأسد.

أخلاقيات الحرب بعد فتح مكة مباشرة:

- (١) جاء عثمان بابن أبي السرح إلي الرسول ﷺ وشفع فيه فحقن دمه وقبل إسلامه بعد أن أمسك عنه رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله، وكان قد ألم قبل ذلك وهاجر، ثم إرتد ورجع إلي مكة.
- (٢) أهدر دم فتیان كاننا لابن الأخطل، كانتا تهجوان الرسول ﷺ وكان الهجاء فاحشاً وسارة مولاه لبعض بني عبد المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب السالفة الإشارة إليه، وقيل أنه ﷺ عفا عنها.
- (٤) مر عكرمة بن أبي جهل إلي اليمن فإستأمنت له إمرأته فأمنه النبي ﷺ فتبعته فرجع معها وأسلم وحسن إسلامه.
- (٥) وممن أهدر دمه الرسول ﷺ مغيص بن صبابه فقتله، نميلة بن عبد الله وكان مغيص قد أسلم قبل ذلك ثم عدا علي رجل من الأنصار فقتله ثم إرتد ولحق بالمشركين.
- (٦) أهدر الرسول ﷺ دم هبار بن الأسود فهو الذي عرض لزینب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت فنحس بها حتي سقطت علي صخرة وأسقطت حبلها ففر هبار يوم مكة، ثم أسلم وأسئومن.
- (٧) وممن أهدر دمه وحشي بن حرب وهند بنت عتبه إمرأة أبي سفيان وقد أسلمت^(١).
- (٨) كملت عرة من أهدر دمهم من قريش ثمانية رجال وست نسوة.

إسلام صفوان بن أمية وفضاله بن عمير:

- (١) لم يكن صفوان ممن أهدر دمه.
- (٢) كان زعيماً كبيراً من زعماء قريش فخاف علي نفسه وفر فأستأمن له عمير بن وهب الجمحي الرسول ﷺ فأمنه وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر من جده إلي اليمن فرده.
- (٣) قال الرسول ﷺ (إجعلني بالخيار شهرين) فقال الرسول ﷺ (أنت بالخيار أربعة أشهر) ثم أسلم صفوان وقد كانت إمرأته أسلمت قبله فأقرهما علي النكاح الأول.
- (٤) كان فضالة رجلاً حريئاً جاء إلي الرسول ﷺ وهو في الطواف ليقتله، فأخبر الرسول ﷺ بما في نفسه فنجا الله الرسول ﷺ وأسلم فضاله.

اليوم الثاني من فتح مكة:

- (١) ولما كان الغد من يوم الفتح قام الرسول ﷺ في الناس خطيباً.
- (٢) قال الرسول ﷺ (أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلي يوم القيامة، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمأ أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما حلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب).
- (٣) إجتمع أهل مكة لبيعة الرسول ﷺ وبايعوه علي السمع والطاعة فيما إستطاعوا.
- (٤) لما فرغ الرسول ﷺ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء.

(١) فتح الباري ٨/ ١١، ١٢.

(٥) جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متتكرة خوفاً من الرسول ﷺ أن يعرفها فلما صنعت بعمه حمزة، وفي الصحيح جاءت هند بنت عتبة فقالت: يا رسول الله ما كان علي ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي الله أن يذلوا من أهل خباتك ثم ما أصبح اليوم علي ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خباتك قال: (وأيضاً والذي نفسي بيده) قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: (لا أراه إلا بالمعروف)^(١).

(٦) أقم رسول الله بمكة تسعة عشر يوماً يجدد معالم الإسلام ويرشد الناس إلي الهدى والتقوي.

أخلاقيات الحرب حتى فتح مكة

(١) الحاجة إلي ثقافة الإيمان:-

- ١- كان هرقل وكسرى على رأس دولتي الرومان والفرس أقوى دول العصر وصاحبتي الإملاء في سياسة العالم ومصائر أممه جميعاً
- ٢- وكانت الحرب مجالاً بين الدولتين وكانت الفرس صاحبة الغالب أول الأمر فاستولت على فلسطين وعلى مصر ووضعت يدها على بيت المقدس ونقلت منه الصليب
- ٣- ثم دارت على الفرس الدائرة فعادت أعلام بيزنطة تخفق مرة أخرى على مصر وعلى سوريا وفلسطين وإسترد هرقل الصليب
- ٤- ومن اليسير إذا ذكر مكانة الدولتين- في ذلك العصر- أن تقدر ما يبعثه إسمها من الرهبة إلى النفوس ومن الهيبة إلى القلوب
- ٥- لم تكن لدولة أن تجرؤ في التعرض لهاتين الدولتين ولا يدور بخلد أحد أن يفكر في غير خطبة ودهما فهما الدولتان الأعظم في عصرهما
- ٦- كانت بلاد الحجاز وشبه الجزيرة العربية محصورة في دائرة نفوذ الإمبراطوريتين الأعظم في ذلك الزمان
- ٧- وكانت حياة العرب وقفا على التجارة مع اليمن ومع الشام فكانوا بذلك يحتاجون أشد الحاجة إلي مصانعة كسرى وهرقل جميعاً حتى لا يفسد بسلطانهما عليهم تجارتهم
- ٨- كما كان العرب لا يزيدون على قبائل تشتد الخصومة بينهم حيناً وتهتأ حيناً آخر
- ٩- ولم يكن بين القبائل العربية رابطة تجعل منها وحدة سياسية تستطيع أن تفكر في مواجهة نفوذ الدولتين الأعظم

تربية مشاعر الإيمان:

- ١- كان أمراً مستغرباً أن يفكر الرسول ﷺ يومئذ في أن يرسل رسله إلي الملكين العظيمين والى غسان واليمن ومصر والحبشة يدعوهم إلي الدين الجديد.
- ٢- أثار الدهشة والعجب أن يرسل الرسول ﷺ خطابات إلي ملوك القوتين الأعظم يدعوهم إلي العقيدة الجديدة والعرب أضعف قوة وأقل نفراً إلا أن التاريخ توقف بإجلال وإكبار عند هذا الموقف الشجاع الفارق وهذه الجرأة البالغة لأن الرسول ﷺ كان يرسى قواعد ثقافة الإيمان بالعقيدة وإنها تبليغ ليس للعرب وإنما للعالم بآثره.

(١) صحيح البخاري، (٥، ٣٨، ٧١٦١)، وفتح الباري ٧/ ١٧٥، ١٣/ ١٤٨.

- ٣- كانت حكمة القائد ﷺ مبصرة فرغم أن الإمبراطوريتين العظيمتين كانت حضارتيهما هي الغالبة على العالم كله- إنما كانتا تتنازعان الغلب المادي على حين كانت القوة الروحية فيهما جميعا قد انحلت وضمحلّت.
- ٤- كانت فارس مقسمة بين الوثنية والمجوسية وكانت مسيحية بيزنطية قد اضطربت بين مختلف المذاهب والفرق فلم تظل عقيدة سليمة تحرك القلوب وتقويها بل إنقلبت رسوما وتقاليد يهيمن بها رجال الدين على عقول السواد لحكمه وإستغلاله.
- ٥- أما الدعوة الجديدة التي كان يدعو إليها محمد ﷺ فكانت روحية صرفة وكانت ترتفع بالإنسان إلى مراتب الإنسانية الراقية السامية وحيثما إنتقت المادة والروح وحيثما تعارض هم الحاضر وأمل الخلود انهزمت المادة وعنا وجه الحاضر

(٢) ثقافة التوكل على الله:-

- ١- (ما اكتمل أمر إلا بدا له نقصان) لقد بلغت القوتان الأعظم في زمانهما الذروة فترهلت ولم تعد قادرة على الإنشاء والخلق فحياتها في نقص مستمر
- ٢- الجماعة الإنسانية كالفرد الإنساني وككل كائن حي تتجدد كل يوم خلاياه فإذا كانت ما تزال فتية شابة كان تجدها خلقا وإنشاء ومزيدا من الحياة وإذا أصابتها جرثومة الترهل إنحدرت إلى درك النهاية
- ٣- كانت دعوة محمد ﷺ في شباب فتوتها جديرة بأن تعيد إلى هذه النفوس المنهزم داخلها بحكم التقاليد الدينية والخرافات القائمة فيها مقام الإيمان والعقيدة- حياة فتية تجدها وتردها إلى الحياة وشعلة الإيمان الجديدة متوهجة في نفس القائد والمؤمنين من حوله
- ٤- إنها قوة النفس التي سمت فوق كل قوة والتي تسلحت بأمضى الأسلحة في كل زمان وهي سلاح التوكل على الله لأن النصر من عنده

(٣) الإصرار على الحق في سرعة:-

- ١- إطمأنت العلاقات بعد الحديبية بين قريش ومحمد ﷺ أعظم الطمأنينة
- ٢- أرسل محمد ﷺ رسوله إلى القوتين الأعظم في زمانهما دون خشية لما قد يترتب على عمله هذا من نتائج ربما تجر على بلاد العرب كلها الخضوع لنير فارس أو بيزنطة وذلك كان مثيرا لعظيم الدهشة والعجب.
- ٣- إن المسلمين يخشون غدر اليهود الذين لا يزلون مقيمين شمال المدينة- فلا أمان أن يستعين هرقل أو أن يستعين كسرى بيهود خبير وأن يحرك في نفوسهم ثاراتهم القديمة وأن يذكرهم إخوانهم في الدين من بني قرنطية وبني النضير وبني قينقاع فقد أجلاهم محمد ﷺ عن ديارهم بعد أن حاصروهم بها وقتلهم فيها وقتل منهم وسفك دمائهم واليهود أشد من قريش عداوة ومكرًا؟! ولماذا؟ لأنهم أحرص من قريش على دينهم ولأن فيهم نكاءا وعلما أكثر مما في قريش وليس من اليسير أن يوادعهم بصلح كصلح الحديبية!
- ٤- هل يطمئن محمد ﷺ لليهود؟ لقد سبقت بينه وبينهم خصومات لم ينتصروا في إحداها فما أجدرهم أن يثأروا لأنفسهم إذا هم وجدوا من ناحية هرقل مددا
- ٥- إذا هو الإصرار على القرار فلا بد من القضاء على شوكة هؤلاء اليهود قضاءا أخيرا حتى لا تقوم لهم من بعد بلاد العرب قائمة أبدا

٦- ولا بد من المسارعة إلى حسم غدر اليهود حتى لا يكون لديهم من الوقت متسع للإستعانة بغطفان أو غيرها من القبائل المعادية للمسلمين والموالية لليهود

(٤) الثبات في الميدان: -

- ١- تشاور يهود خيبر فيما بينهم فأشار زعيمهم سلام بن مشكم فأدخلوا أموالهم وعيالهم حصني الوطيح والسلام وأدخلوا ذخائرهم حصن ناعم ودخلت المقاتلة وأهل الحرب حصن نطاه
- ٢- ضيق المسلمون الحصار واليهود يستميتون في الدفاع إيماناً منهم بأن هزيمتهم أمام محمد ﷺ فيها القضاء الأخير على بني إسرائيل في بلاد العرب
- ٣- بعث الرسول ﷺ أبا بكر لحصن ناعم كي يفتحه فرجع دونه فبعث عمر بن الخطاب فرجع دونه فبعث علياً بن أبي طالب فقاتل المسلمون قتالاً شديداً وثبتوا مع قائدهم في الميدان وإنما سقط حصن ناعم بعد أن قتل قائده الحارس بن أبي زينب مما يدل على استماتة اليهود في القتال وثبات المسلمين في الميدان

(٥) الصبر في الميدان: -

- ١- أثناء فتح خيبر قلت المؤمنة لدى المسلمين قلة توجه بسببها جماعة إلى محمد ﷺ يشكون أمرهم فسمح لهم بأكل الخيل والحمير لأن المسلمين يعانون من شدة الجوع
- ٢- اليهود لا يفرطون في شبر أرض ولا يسلمون حصناً إلا بعد أن يدافعوا عنه دفاع المستميت وبعد ألا يبقى لهم في صد هجوم المسلمين قوة فصابر المسلمون واحتملوا الشدائد.

(٦) احترام (ديانة التوحيد) للأعداء: -

- ١- بين ما غنم المسلمون في فتح خيبر عدة صحائف من التوراة
- ٢- طلب اليهود ردها فأمر الرسول ﷺ بتسليمها لهم

(المقارنة)

- ١- لم يصنع المسلمون صنيع الرومان حين فتحوا أورشليم وأحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم
- ٢- ولا صنع صنيع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا كذلك صحف التوراة

(٧) قوة العقيدة: -

- ١- يتمعن القاريء بانبهار كم في إجابات أكثر الملوك والأمراء من رفق ومن حسن رأي وأنه لم يقتل أحد من رسل محمد ﷺ ولم يسجن إلا واحد كاستثناء
- ٢- عاد رسل محمد ﷺ بما حملوا من رسالات في أكثرها رقة وعطف لماذا؟ وفي بعضها غلظة وشدة وهذا أمر دارج في مثل ذلك من المواقف
- ٣- كيف تلقى أولئك الملوك رسالة الدين الجديد وواضح في بعض عبارتها تهديد لهم ولملكهم ومثال ذلك تذكر كتاب الرسول ﷺ إلى كسرى ملك فارس (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن

بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين- فأسلم تسلم فإن أبيت فإن اثم المجوس عليك^(١)

فلما قرئ الكتاب على كسرى مزقه وقال في غطرسة: (عبد حقير من رعيتي يكتب إسمه قبلي)!!

- ٤- لقد طغت المادة على الروح في ذلك العصر حتى أصبحت الأمم تقتل حبا في الظفر وإرضاء لمطامع ملوكها وسادتها وشفاء لغرور أنفسهم.
- ٥- في مثل هذا العالم تهوي فيه العقيدة إلى شعائر تقام في العلن ولا تؤمن بها النفوس فلا تستمسك بهذه الشعائر إلا بمقدار ما تدر عليها من خير مادي فإذا فاتها هذا الخير خارت عزيمتها وتضعضت هممها ووهنت فيها روح المقاومة
- ٦- لم يلبث الناس حين سمعوا بهذه العقيدة ورأوا صاحبها يقوى بها على الإضطهاد وعلى الظلم وعلى التعذيب وينتصر على من يفوقونه عددا وعدة حتى شعر الكثيرون بالطمأنينة إليها وتطلعت الأرواح لمورد ربها
- ٧- إنها ثقافة العقيدة الجديدة وقوة ثقافتها في الجرأة وفي الحق وفي الحرب والسلام

(٨) الرغبة في التفاهم مع الأعداء (الجنوح إلى السلم):

- ١- أراد محمد ﷺ بعد صلح الحديبية أن يزداد التفاهم بين المسلمين وأعدائهم في قريش فأتخذ من زواجه ميمونة بنت عبد المطلب وسيلة لزيادة التفاهم بينه وبين الأعداء أملا في أن يجنحوا إلى السلم.
- ٢- لما إنقضت الثلاثة أيام التي نص عليها صلح الحديبية جاءه نفر من قريش فقالوا: (إنه انقضى أجلك فاخرج عنا)
- ٣- قال لهما (ما عليكم لو تركتموني فأعرس بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه)
- ٤- قال محمد ﷺ ذلك وهو يعلم أنهم إن قبلوا دعوته إلى الطعام فيتحدث إليهم ويتحدثون إليه فتحت مكة أمامه أبوابها طائعة وهذا ما خشى منه زعماء مكة.
- ٥- كان جواب نفر قريش غليظا وكان جوابهم (لا حاجة بنا إلى طعامك فاخرج عنا)
- ٦- لم يتردد محمد ﷺ في النزول على رأيهما تنفيذا لعهد مع القوم ووفاء بنصوص عهد الحديبية.

(٩) ثقافة الرقي الإنساني:-

- ١- عندما قدم المسلمون لعمرة القضاء جلت قريش عن مكة وصعد أهلها في التلال المجاورة ومن فوق كل مرتفع مطل على مكة (أبي قبيس وحراء) وينظرون إلى الطريد بالأمس وأعداء اليوم داخلين بلد البيت الحرام لا يصدهم عنها صاد.
- ٢- أخذت قريش لهذا المنظر المبهر ومحمد ﷺ وأصحابه في قوة وحماسة وهم يؤدون مناسك العمرة وأراد عبد الله بن رواحة أن يقذف في وجه قريش بصيحة الحرب فقال له الرسول ﷺ (مهلا يا بن رواحة وقل لا إله إلا الله وحده- نصر عبده وأعز جنده وخذل الأحزاب وحده).
- ٣- قريش وسائر أهل مكة يطلون من منازلهم فوق السطوح على مشهد المسلمين وهم يؤدون عمرتهم فيرون رجالا هذه أخلاقهم لا تقتتهم في الحياة فتنة ولا يأتون معصية ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٣٠٨/٢ والمستدرک للحاکم ٦٢٣/٢.

٤- الأثر الراقي مع أعداء الأمس- أثر هؤلاء المؤمنون ومنظرهم وإنضباطهم وخلقهم الذي سما بالإنسان إلى أسمى مراتب؟ وكانت النتيجة أن أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة حارس الكعبة وتبعهم كثيرون- دون إرغام وبلا قتال.

(١٠) الطاعة والانضباط:-

- ١- أمر الرسول ﷺ على البعث يوم مؤتة زيد بن حارثة وقال (إن قتل زيد فجعفر فعبد الله بن رواحة) وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير (رسوله إلى كسرى) وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام.
- ٢- لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فلما قتل حملها عبد الله بن رواحة تنفيذًا وطاعة لأمر القائد ﷺ ولم يختلفوا.

(١١) الإخلاص في الجهاد:-

- ١- أخذ الراية زيد بن حارثة (وقعة مؤتة) وجعل يقاتل بضراوة بالغة وبسالة لا يوجد لها نظير فلم يزل يقاتل حتى شاط في رماح العدو وخر صريعاً.
- ٢- حينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير- حتى إذا أرققه القتال إقتحم عن فرسه الشقراء فعرها ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله ولم يزل بها حتى قطعت شماله فاحتضنها بعضديه- فلم يزل رافعا إياها حتى قتل.
- ٣- روى البخاري عن نافع أن بن عمر أخبره: أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره- يعني ظهره^(١).

(١٢) إختيار القائد الأصلح:-

- ١- حينما قتل عبدالله بن رواحه إحتار المقاتلون في تسمية القائد- وقد قتل الثلاثة الذين أمر بهم رسول الله ﷺ
- ٢- إصطلح الجنود على رجل منهم- وتم إختيار الأصلح ووقع على خالد بن الوليد.
- ٣- روى البخاري عن خالد بن الوليد: لقد إنقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف- فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية^(٢)

(١٣) المؤمن لا يتردد ولا يخاف الموت (إيمان غير منقوص):-

- ١- إستشهد زيد وجعفر وابن رواحه في سبيل الله وفي موقعة واحدة وهم القواد الثلاثة الذين إختارهم الرسول ﷺ في حمل راية الجيش.
- ٢- لما علم الرسول ﷺ حزن على زيد وجعفر أكبر أسى وقال: (لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب- فرأيت في سرير عبد الله بن رواحه إزورارا عن سرير صاحبيه فسأل: لم هذا؟ فقيل مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى.
- ٣- الإسلام يعلم المؤمنين أن قيمة الحياة مال نضحي بالحياة في سبيله وأن الإمساك على الحياة في مذلة إهدار للحياة

(١) صحيح البخاري - باب غزوة مؤتة ٢ / ٦١١.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٦١١.

٤- إذا كان التردد القليل من بن رواحه مع إقدامه بعد ذلك واستشهاده قد جعله في غير مكانة زيد وجعفر اللذين اقتحما صفوف الموت اقتحاما بلا تردد ولا وجل، فلا سبيل إلي معصية في طاعة القائد.

(١٤) التدبير والحكمة في الشدة (ثقافة سلوك المسلم في الحرب)

(Human conduct by Muslim in times of war)

- ١- أخذ خالد الراية (في وقعة مؤتة) مع ما رأى من تفرق صفوف المسلمين وتضعف قوتهم المعنوية وجيشه صغير فجيش الأعداء يفوقه عشرات المرات
- ٢- أصدر خالد أوامره فداور بالمسلمين حتى ضم صفوفهم
- ٣- وقف من محاربة العدو عند مناوشات إمتدت حتى أرخى الليل سدوله
- ٤- في الصباح وزع عددا غير قليل من رجاله في خط طويل من مؤخرة جيشه فأحدثوا إذا أصبح الناس من الجلبة ما أدخل في روع عدوه أن مددا جاء كثيرا لعدد
- ٥- ظن العدو أن المدد الذي جاء للمسلمين كبير فإذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بهم الأفاعيل في اليوم الأول وقتلوا منهم خلقا كثيرا وإن لم يستطيعوا أن يثبتوا فما عسى أن يصنع هذا المدد الذي جاء لا يدري أحد عدته!!، إنها ثقافة الحزم والتدبير للمحافظة علي سلامة الجند في الميدان
- ٦- نجح خالد بن الوليد أن ينسحب إنسحابا تكتيكيا بعد معركة لم ينتصر فيها المسلمون ولم ينتصر عليهم عدوهم.

(١٥) تكريم المعنى الإنساني (ثقافة الأخوة الإنسانية)

(C. Human Fellow ship)

- ١- لما أصيب جعفر ذهب محمد ﷺ إلى منزله ودخل على زوجته وأولاده
- ٢- ذرفت عيناه بالدمع عندما تشتم أبناء جعفر فقالت أسماء في لهف وقد أدركت ما أصابها: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال نعم: أصيبوا هذا اليوم! وازدادت عيناه بالدمع تهتانا فقامت أسماء تصيح حتى اجتمع النساء إليها- أما محمد ﷺ فخرج إلى أهله فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم
- ٣- رأى الرسول ﷺ ابنة مولاة زيد قادمة فربت على كتفها وبكى

(١٦) استرداد الهيبة للجيش (ثقافة التضامن)

(Culture of solidarity)

- ١- رجع الجيش من مؤتة فجعل الناس يحثون على الجيش التراب يا فرار فررتم في سبيل الله!
- ٢- ففي تأسيسه لجيش المسلمين قال الرسول ﷺ ردا على استنكار الناس إنسحاب الجيش فيقول ﷺ: (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله)
- ٣- لم تمض أسابيع قليلة من عود خالد بن الوليد فأراد محمد ﷺ أن يسترد هيبة الجيش والمسلمين فبعث عمرو بن العاص للقبائل المعادية بالشام والأعراب التي تهدد وتقوم بغارات- تهدد الأمن وتريد محاربة المدينة وذلك حسماً لتداعيات الحالة وإرساء لثقافة الثقة في القيادة وفي النفس

(١٧) ثقافة الإنتماء لوحدة القيادة

(Culture of unity of Feadership in the battlefield)

- ١- بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص ليرهب عرب الشام الذين حاولوا عدة مرات الإغارة على المدينة
- ٢- عندما ورد عمرو بن العاص ماء بأرض جذام يقال له السلسل- خاف من كثرة جموع العرب المعادية فبعث إلى الرسول ﷺ يستمد فأمدّه بأبي عبيدة بنا لجراح
- ٣- قال الرسول ﷺ حين وجهه (لا تختلفا)
- ٤- وقال عمرو لأبي عبيدة: إنما جئت مددا لي فأنا على قيادة الجيش
- ٥- فقال أبو عبيدة لعمرو بن العاص (لقد قال رسول الله ﷺ لا تختلفا وإنك إن عصيتني أطعتك)

إنها التربية الثقافية للقيادة الواحدة

(١٨) مبدأ احترام الشخص الإنساني واحترام كرامته

- ١- صاح أحد عمال هرقل وقد كلف أن يدفع للجيش رواتبه- صاح في وجه عرب الشام اللذين اشتركوا في الحرب فقال: (إنسحبوا فالإمبراطور لا يجد ما يدفع منه رواتب جنده إلا بمشقة وليس لديه لذلك ما يوزعه على كلابه!!)
- ٢- فلا عجب أن ينصرف هؤلاء عن الإمبراطور لما فيه من إهانة لكرامتهم الإنسانية لذلك اعتنق الإسلام من سليم وعلى رأسهم العباس بن مرداس ومن عبس وأشجع وغطفان ومن زيدان ومن فزارة خلق كثير
- ٣- نظرت القبائل العربية المتاخمة للشام إلى أفعال المسلمين بإعجاب أشد الإعجاب ودفع ذلك أحد زعمائهم (فروة بن عمرو الجذامي) وكان قائدا لفرقة من جيش الروم ما لبث أن أعلن إسلامه
- ٤- فقبض عليه بأمر من هرقل يتهمه بالخيانة
- ٥- وكان هرقل على استعداد أن يرده إلى مركز القيادة الذي كان فيه إذا هو عاد إلى المسيحية
- ٦- رفض فروة وأصر على إباته وعلى عقيدته الجديدة فقتل بعد أن رأى المثل الطيب في أخلاقيات الحرب في جيش المسلمين.

(١٩) ثقافة الكتمان لتحقيق النصر (Culture of security)

- ١- درجت البعثات القتالية على إتباع ثقافة المفاجأة للعدو فكان يتم الإقتراب من موطن الأعداء من خلال التقدم ليلا ونصب الكمين نهارا.
- ٢- من الملاحظ أن محمد ﷺ عجل بالتجهيز بالسير إلى مكة وكان ينظر أن يبعث القوم على غرة منهم فلا يجدوا له دفعا
- ٣- كان محمد ﷺ يأمل أن تسلم قريش من غير أن تراق الدماء ولذا أمر الناس بالتجهيز للخروج ولم يعلمهم في بادئ الأمر الجهة التي يبغيها
- ٤- فلما تجهزوا أعلمهم أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد ودعا الله أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش حتى لا تقف من سيرهم على نبأ

(واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان)

(٢٠) خطر الإكراه (No coercion)

(اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب) الاتفاقية الرابعة ١٢ أغسطس (١٩٤٩) المادة (٣١)

- ١- حالة الحرب بين قريش وبين المدينة قائمة ومستمرة- وخرج أبو سفيان قائد قريش وحكيمهم يريد المدينة- وكلم محمدا ﷺ في العهد وإطالة مدته- بعد أن نقضته قريش- وفشلت مهمة رئيس حكومة مكة فذهب إلى المسجد وهناك أعلن أنه أجاز بين الناس.
- ٢- ركب أبو سفيان قائد قريش وانطلق ذاهبا إلى مكة وقلبه يفيض أسى مما لقي من هوان على يد إبنته وعلى يد أولئك الذين كانوا قبل هجرتهم في مكة يرتجون منه نظرة عطف أو رضا.
- ٣- لم يجر أي إكراه بدني إزاء أبو سفيان وهو في المدينة- ولا إكراه معنوي بهدف الحصول على معلومات تفيد جيش المسلمين.
- ٤- كان من الميسور على المسلمين في المدينة حجز قائد جيش مكة وذلك يعود بفائدة كبيرة على جيش المدينة ولكن كانت أخلاقيات الحرب تمنعهم من ذلك- فاعتبروا قائد جيش مكة سفيرا من قبل عدوهم.

(٢١) المخالفات المقترفة:- (المادة ٧٠) من اتفاقية جنيف الرابعة

- ١- خرج العباس بن عبد المطلب بن عم النبي ﷺ مع أهله حتى لقي محمدا ﷺ بالجحفة
- ٢- لعل طائفة من بني هاشم أرادت أن تلحق بمحمد ﷺ دون أن يصيبها أذى
- ٣- خرج أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عمتة حتى إتصلا بجيش المسلمين بنيق العقاب.
- ٤- عندما إستأذنا على النبي ﷺ رفض أن يأذن لهما لكثرة ما إقترفوه من أخطاء ومخالفات في حق المسلمين- ثم عفا عنهم وأذن لهم للسماحة والرحمة والتجاوز عن الأخطاء والمخالفات قبل دخول جيش المسلمين مكة وتلك أخلاقيات الحرب.

(٢٢) إسلام دون سفك الدماء:- (المادة ٣) فقرة (أ) في اتفاقية جنيف الرابعة

Peace without spilling human blood

- ١- رأى العباس بن عبد المطلب من جيوش بن أخيه ومن قوته ما راعه وأزعجه
- ٢- ولعله أفضى بمخاوفه هذه إلى الرسول ﷺ وسأله ماذا يصنع إذا طلبت قريش أمانه ؟
- ٣- لعل إبن أخيه سر بمفاتحة العباس إياه في هذا ورجا أن يتخذ منه سفيرا يلقي في قلوب القوم من قريش الرعب فيدخل مكة من غير أن يسفك دما وتظل مكة حراما كما كانت وكما يجب أن تكون
- ٤- وجلس العباس على بغلة النبي ﷺ البيضاء وخرج عليها حتى جاء ناحية الأراك لعله يجد إنسانا ذاهبا إلى مكة يحمله إلى أهلها رسالة بقوة المسلمين وبأس جيشهم
- ٥- سواء المصادفة هي التي ساقته ذلك كله أو أن شيئا من الإتفاق قد وقع- ففي كل الأحوال فإن محمدا ﷺ رغب بل وتمنى في كسب أكبر موقعة في تاريخ الإسلام من غير حرب ومن غير إراقة دماء (وهذه أخلاق الحرب وإن عزت في العصر الحديث)

(٢٣) رفض الإقامة الجبرية أو الإعتقال:- (المادة ٤١ من اتفاقية جنيف الرابعة)

- ١- أمر الرسول ﷺ أن يحبس أبو سفيان بمضيق الوادي عند مدخل الجبل مؤقتا.
- ٢- حتى تمر به جنود المسلمين فيراها ليحدث قومه بها عن بينة ولكي لا يكون في إسراره إليهم خيفة مقاومة أيا كان نوعها.

- ٣- فلما شاهد أبو سفيان مرور الوحدات المقاتلة قال (يا عباس ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة)
- ٤- إنطلق بعد ذلك قائد قريش أبو سفيان إلى قومه يصيح فيهم بأعلى صوته (يا معشر قريش! هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به)
- ٥- وكان الأثر واضحا والنتيجة جلية فحينما وصل محمد ﷺ إلى ذي طوى ورأى من هناك مكة لا تقاوم استوقف كتابه ووقف على راحلته وإنحنى لله شاكرا فأخلاقيات الحرب في أسمى صورها- لم يلجأ الرسول ﷺ إلى اعتقال قائد جيش الأعداء- بل بث في نفسه هيبة جيش المسلمين دون إكراه- بل رأى ذلك رأي العين.

(٢٤) لا قتال ولا سفك دماء إلا تحت الإكراه:- (المادة ١٢) اتفاقية جنيف الأولى

- ١- دخل الرسول ﷺ مكة دون إراقة دماء ولكن ظل متخذاً حذره وملتزمًا الحيطة
- ٢- أمر محمد ﷺ أن يفرق الجيش إلى أربع فرق كل فرقة تأخذ سبيلها إلى داخل مكة من نواحي مختلفة
- ٣- أمر جميع الفرق ألا تقاتل وألا تسفك دماً إلا إذا أكرهت على ذلك إكراها واضطرت إلى ذلك إضطرارا

(٢٥) قمع المخالفات:- (المواد ٤٩ إلى ٥٢ من اتفاقية جنيف الأولى

- ١- فيم يتأهب جيش المسلمين لدخول مكة- سمع بعضهم سعد بن عباد وقد أخذته الحماسة الشديدة يقول: (اليوم يوم الملحمة- اليوم تستحل الحرمة)
- ٢- في ذلك نقض لأمر النبي ﷺ والذي أمر ألا يقتل المسلمون من أهل مكة ما فيه
- ٣- لذلك رأى القائد ﷺ حين بلغه ما قاله سعد أن يأخذ الراية منه وأن يدفعها إلى ابنه قيس- وكان أهدأ من أبيه أعصابا. (وتلك أخلاقيات الحرب الراقية)

(٢٦) حظر تدابير العقوبات الفردية وتدابير الاقتصاص (المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف الرابعة)

- ١- دخلت الجيوش مكة فلم تلق مقاومة تذكر (وهذا ما تمناه القائد ﷺ)
- ٢- سبق أبو سفيان قائد مكة دخول مكة قبل جيوش المسلمين ونادى في قومه (نعم من دخل دار أبو سفيان فهو آمن)
- لأن أبو سفيان يحب الفخر (ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن)، فلا عقاب ولا تعذيب ولا تخريب ولكن الجيش المنتصر أعطي الأمان للجميع.
- (إنها أخلاقيات الحرب قبل إتفاقية جنيف بألف وأربعمائة سنة وما يزيد)

(٢٧) حظر أعمال التدمير (المادة ٥٣ من اتفاقية جنيف الرابعة):

- ١- بينما كان محمد ﷺ على رأس المهاجرين يرقى في مرتفع ينزل منه إلى مكة مطمئن النفس لفتحها في سكينه وسلم بصر بأمر القرى وبما فيها جميعا.
- ٢- وبصر بتلماع السيوف أسفل المدينة وبمطاردة جيش خالد بن الوليد لمن هاجموهم
- ٣- هناك أسف الرسول ﷺ وصاح مغضبا لمخالفة أمره ألا يكون قتال، فليست الحرب للقتال من أجل القتل!.
- ٤- وعندما سئل الرسول ﷺ- هل يريد أن يستريح في بيته؟ فأجاب كلا! فما تركوا لي بمكة بيتا! فلقد ضربه ودمره الأعداء وصادروا ما فيه.

(لم يهدم بيتا- ورفض المعاملة بالمثل لأن هناك فرق- إنها أخلاقيات الحرب السليمة الدائمة)

(٢٨) العفو العام عن الأعداء:- (المادة ٤) من إتفاقية جنيف الرابعة:

- ١- دخل محمد ﷺ مكة وقلبه مفعم بشكر الله وأجال بصره في الوادي وفي الجبال المحيطة به- في هذه الجبال التي كان يأوي إلى شعابها حين يشتد به أذى قريش وتشتد به قطيعتها.
 - ٢- طاف الرسول ﷺ بالبيت سبعا وتكاثرا لناس في المسجد فخطبهم
 - ٣- ثم سألهم (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟) قالوا: (خير أخ كريم وابن أخ كريم!) قال (إذهبوا فأنتم الطلقاء)
- (إنه العفو غير المشروط- في حين أن البند (٤) من إتفاقية جنيف الرابعة كانت مشروطة في تعريف الأشخاص المحميين)

(٢٩) عدم المساس بالحقوق (المادة ٤٧) من إتفاقية جنيف الرابعة:

- ١- ما أجمل العفو عند المقدرة! وما أعظم هذه النفس التي سمت كل هذا السمو فارتفعت فوق الحقد وفوق الإنتقام
 - ٢- بلغت هذه النفس من النبل فوق ما يبلغ الإنسان! فهؤلاء قريش يعرف محمد ﷺ منهم من ائتمروا به ليقتلوه ومن عذبه وأصحابه من قبل ذلك.
 - ٣- هؤلاء الأعداء الذين قاتلوه في بدر وفي أحد ومن حاصروه في وقعة الأحزاب ومن ألبوا عليه العرب جميعا- لا لذنوب إقترفه! سوى أن يقول ربي الله!
 - ٤- هؤلاء قريش في قبضة محمد ﷺ أمره نافذ في رقابهم وحياتهم جميعا معلقة بين شفتيه.
 - ٥- هذه الألواف المدججة بالسلاح- وفي سلطانه- تستطيع أن تبيد مكة وأهلها في رجع البصر! لكن محمد ﷺ ليس بالرجل الذي يعرف العداوة أو يريد بها أن تقوم بين الناس.
 - ٦- لقد قدر فعفا- وضرب بذلك للعالم كله والأجيال جميعا مثلا في البر والوفاء بالعهد.
- (هذه أخلاقيات الحرب الغير مشروطة- في المادة (٤٧) كما اتفق عليها البشر في العصر الحديث) بل أنها أخلاق الحرب التي أرساها من كان له في سمو النفس سمو لا يبلغه أحد

(٣٠) العقوبات (عقوبة الإعدام):- المادة ٦٨ من إتفاقية جنيف الرابعة (كانت تسبقها في أشد الحالات ثقافة

(العفو)

- ١- وفقا للمادتين ٦٤، ٦٥ وكذلك المادة ٦٨ يجوز إنزال عقوبة الإعدام في من يرتكبون الجرائم التالية:-
(الجاوسوسية- أعمال التخريب الخطيرة للمنشآت.... أو مخالفات متعمدة سببت وفاة شخص أو أكثر.....)
- ٢- أمر الرسول ﷺ بقتل البعض لجرائم كبيرة ارتكبوها كما يلي:-
(أ) عبد الله بن أبي السرح- كان قد أسلم وكان يكتب لمحمد ﷺ الوحي فارتد مشركا إلى قريش زاعما أنه كان يزيف الوحي حين يكتبه.

(ب) عبد الله بن خطل كان قد أسلم ثم قتل مولى له وإرتد مشركا وأمر جاريته فترتي وصاحبته فكانتا تغنيان بهجاء محمد ﷺ.

(ج) عكرمة بن أبي جهل وكان من أشد الناس عداوا في خصومة محمد ﷺ والمسلمين خصومة لم تهدأ حتى بعد فتح مكة

٣- أمر محمد ﷺ بعد دخول مكة ألا يسفك بها دم أو يقتل فيها أحد غير هذه الطائفة لذلك إختفى رجالها ونساؤها وفر منهم من فر.

٤- لما إستقر الأمر وهذأت الحال طمع بعض أصحابه في أن يعفو محمد ﷺ حتى عن هؤلاء الذين أمر أن يقتلوا فإستجاب محمد ﷺ في حالات لأنه لا يعرف الانتقام- ولو كان حقا وجزاؤه الحق- وما أجمل العفو عند المقدرة ونوسوق بعض أمثال العفو

الأمثال لحالات العفو (Culture of Forgiveness)

- أ- أتى عثمان بن عفان بإبن أبي السرح إلى النبي ﷺ فإستأمنه وأمنه
- ب- أسلمت أم حكيم بنت الحارس بن هشام زوج عكرمة بن أبي جهل الذي فر إلى اليمن وإستأمنت له محمدا ﷺ فأمنه فخرجت في طلبه وجاءت به
- ج- وعفا محمد ﷺ عن صفوان بن أمية وكان قد سحب عكرمة في فراره إلى ناحية البحر
- د- وعفا محمد ﷺ عن هند زوج أبي سفيان التي مضغت كبد حمزة عم الرسول بعد إستشهاده في أحد
- هـ- عفا محمد ﷺ عن أكثر من أمر يقتلهم ولم يقتل منهم سوى أربعة من هؤلاء الأربعة (الحويرث) الذي سبب الذي بزئب بنت النبي حين رجوعها من مكة إلى المدينة فأجهضت ورجلان أسلما ثم ارتكبا بالمدينة جريمة القتل وفرا راجعين إلى مكة مرتدين إلى الشرك- وإحدى قينتي بن خطل اللتين كانتا تؤذيان النبي بغنائهما وفرت الأخرى ثم استؤمن لها.

(٣١) حظر المخالفات الجسيمة: - (المادة ١٤٧ من إتفاقية جنيف الرابعة)

(Resection of fighting in the sacred mosque)

- ١- في غداة يوم الفتح عثرت خزاعة على رجل من هذيل وهو مشرك فقتلوه فغضب النبي ﷺ
- ٢- فقام في الناس خطيبا فقال: (أيها الناس إن حرم مكة- يوم خلق السموات والأرض- فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة- لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما أو يعضد فيها شجرا- لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي- ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضبا على أهلها- ثم رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة- ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع- لقد قتلتم قتيلا لأدنته- فمن قتل بعد مقالي هذا فأهله بخير الناظرين.

(إن شاءوا قدم قاتله- وإن شاءوا فعقله)

ثم ودي بعد ذلك الرجل الذي قتلت خزاعة)

(٣٢) معاملة الأسرى بإنسانية ولا يجوز ممارسة أي تعذيب بدني أو معنوي (Human Treatment of Prisoners of War)

(البنود ١٣، ١٤، ١٧ من إتفاقية جنيف الثالثة)

- ١- أقام محمد ﷺ بمكة خمسة عشر يوماً
 - ٢- بعث السرايا للدعوة إلى الإسلام لا للقتال، ولتحطيم الأصنام من غير سفك للدماء- وكانت أوامر الرسول ﷺ واضحة وصريحة
 - ٣- كان خالد بن الوليد قد خرج إلى نخلة ليهدم (العزى)- وكانت لبني شيبان-
 - ٤- فلما هدمها خرج إلى جزيمة- فلما رآه القوم أخذوا السلاح- فطلب إليهم خالد أن يضعوه فإن الناس قد أسلموا.
 - ٥- قال رجل من جزيمة لقومه: ويلكم يا بني جزيمة! إن خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار وما بعد الإِسار إلا ضرب الأَعناق.
 - ٦- قال قومه: أتريد أن يسفك دماءنا! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وأمن الناس وما زالوا به حتى وضع سلاحه.
 - ٧- عند ذلك أمر بهم خالد فغلوا- ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم
 - ٨- فلما إنتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد)
 - ٩- ثم بعث علي بن أبي طالب وقال له: (أخرج إلى هؤلاء القوم فإنظر في أمرهم وإجعل أمر الجاهلية تحت قدميك)
 - ١٠- وخرج علي ومعه مال أعطاه النبي ﷺ إياه فلما بلغ عليا القوم دفع الدية عن الدماء وعمأ أصيب من الأموال حتى إذا لم يبق شيء من دم أو مال إلا وأداه
 - ١١- أعطاهم علي بقية المال الذي بعث به الرسول ﷺ إحتياطاً لرسول الله مما لا يعلم
- (لقد خالف قائد من قواد جيوش المسلمين القواعد التي أرساها القائد العام ونفذ السهم فإتجه الرسول إلى السماء داعياً: وقال (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد)
- لقد صنع خالد خطأ فادحاً- ومنكراً عليه إثمه- ولشدة الخطأ الذي وقع فيه خالد- مخالفاً للأوامر- وهو خطأ لو يعلم عظيم إتجه إلى الله ليغفر ما حدث ويبرأ القائد- مما صنع خالد من إثم لا يستطيع القائد العام أن يصلح ما فسد- وإن لجأ لدفع دية الدماء المسفوكة.
- ١٢- هذه هي روح أخلاقيات الحرب التي وضع قواعدها الرسول ﷺ قبل ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام

السنة الثامنة للهجرة

وقعة حنين

- ١- جاء فتح مكة عقب إنتصار خاطف شده له العرب وبوغتت القبائل المجاورة بالأمر الواقع
- ٢- قبلت بعض القبائل بالأمر الواقع ومنها من أسلم وإنضم إلى المسلمين ومنها من إمتنع وكانوا من تلك القبائل القوية الشرسة وفي مقدمتها بطون هوازن وثقيف
- ٣- إجتمعت وتحالفت معها نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال وكلها من قيس عيلان
- ٤- ظنت هذه القبائل في نفسها عزة ومنعة- وغطرسة جعلها ترفض أن تقابل هذا النصر بالخضوع- بل تجاوزت أن جاهرت بالعداء واجتمعت على الحرب

٥- تحالفت هذه القبائل وإختارت لها زعيما هو مالك بن عوف النصري وقررت أن تسير إلى حرب محمد ﷺ وأتباعه من المؤمنين

نزول العدو بأوطاس :-

- ١- تولى مالك بن عوف قيادة جموع القبائل المعادية للمسلمين
- ٢- ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم- حتى يستميت الرجال في القتال
- ٣- سار الجيش المعادي حتى نزل بأوطاس- وهو واد في دار هوازن بالقرب من حنين
- ٤- وادي أوطاس غير وادي حنين وحنين وادي إلى جنب ذي المجاز
- ٥- يبعد وادي حنين عن مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات^(١)

قرار القائد العام للقوات المعادية: -

- ١- إختار مالك بن عوف وادي أوطاس ونزل فيه وإجتمع إليه الناس- وفيهم دريد بن الصمة وهو شيخ كبير ليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب
- ٢- سأل دريد بأي وادي أنتم؟ قالوا: بأوطاس
- ٣- قال دريد: نعم مجال الخيل- لا حزن^(١) ضرر ولا سهل دهس^(٢)
- ٤- ثم قال: مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويكاء الصبي وثغاء الشاء؟
- ٥- قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم
- ٦- دعا دريد مالك وسأله عما حمله إلى ذلك
- ٧- فقال مالك أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم
- ٨- فقال دريد: راعي ضأن والله وهل يرد المهزوم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك
- ٩- وقال دريد: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا إرفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم- ثم ألق الصبابة على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك
- ١٠- رفض دريد رأي مالك بن الصمة وقال: والله لتطيعني هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري
- ١١- وإختلف دريد ومالك وتبع الناس مالكا وكان شابا في الثلاثين من عمره قوي الإرادة ماضي العزيمة
- ١٢- وكره مالك أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي وقال الناس لمالك (أطعنك)
- ١٣- قال دريد- منكرا تجاهل مالك لرأيه الذي يعتمد على سابق خبرته في الحرب- فقال: هذا يوم لم أشهده وأنشد حزينا:

يا ليتني فيها جذع أحب فيها وأضع
أفود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

(١) فتح الباري ٢٧/٨ - ٤٢

العدو يأخذ مواقعه:

- ١- أمر مالك الناس أن ينحازوا إلى قمم حنين وعند مضيق الوادي
- ٢- فإذا نزل المسلمون واديه فليشدوا عليهم شدة رجل واحد تضعض صفوفهم
- ٣- فإذا قابل المسلمون تلك الكمائن الحربية فيختلط حابلهم بنابلهم ويضرب بعضهم بعضا وتدور عليهم الهزيمة ويزول أثر إنتصارهم حين فتحوا مكة
- ٤- وقال مالك واثقا من نجاح خطته- سيبقى لقبائل حنين في بلاد العرب جميعا فخار النصر على هذه القوة التي تريد أن تظل بسلطانها بلاد العرب جميعا
- ٥- امتثلت القبائل أمر مالك وتحصنت بمضيق الوادي

العدو يرسل عيونته للإستكشاف

- (١) أرسل مالك عيوننا له لإستكشاف أمر المسلمين وتجميع المعلومات عن تحركاتهم
- (٢) رجعت العيون وقد اضطربت نفوسهم وتفرقت أوصالهم
- (٣) قالوا: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى .

الرسول (ﷺ) يرسل عيوناً لإستكشاف أمر العدو

- (١) بلغت الرسول ﷺ أخبار مسيرة العدو وتجمع القبائل المعادية في قمم حنين وعند مضيق الوادي
- (٢) أرسل الرسول ﷺ أباحدره الأسمى وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم

جيش المسلمين يغادر مكة إلى حنين

- (١) في يوم السبت السادس من شهر شوال سنة ٨ هجريه غادر الرسول ﷺ في عد وعديد لم يكن لهم من قبل بها عهد قط.
- (٢) سار القائد العام ﷺ في أتى عشر ألفا من المقاتلين منهم عشر آلاف هم الذين جاءوا لفتح مكة والفان ممن أسلم من قريش حديثاً
- (٣) إستعار الرسول ﷺ من بن أميه مائة درع بأداتها وأستعمل على مكة عتاب بن أسيد
- (٤) كان ممن كانوا حديث عهد بالإسلام وخرجوا مع الرسول ﷺ أبو سفيان بن حرب
- (٥) سار المسلمون في هذا الجيش الذي لم تعرف بلاد العرب من قبل مثاله يتقدم كل قبيلة علمها وتمتلئ النفوس كلها إعجابا بهذه الكثرة وبأن لا غالب اليوم لها
- (٦) ظهرت روح الإعجاب والغرور في بعض نفوس الجيش فجعلوا يقولون: (لن نغلب اليوم لكثرتنا) فشق ذلك على الرسول ﷺ
- (٧) وبلغوا حنيناً والمساء يقبل

ثقافة البعد عن التشبه بالكفار وقول السوء

(Culture to be away of heathen- like behavior and Indulgerice in molecules

- (١) رأّت جموع الجيش أثناء تحركها إلى حنين سدره عظيمة خضراء يقال لها: ذات أنواط
- (٢) كان العرب تعلق عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون
- (٣) فقال بعض أهل الجيش للرسول ﷺ إجعل لنا أنواط كما لهم ذات أنواط
- (٤) غضب الرسول ﷺ لذلك وقال (الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى- إجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون- السنن لتركبن سنن من كان قبلكم)^(١)
- (٥) وركب محمد ﷺ بغلته البيضاء على حين سار خالد بن الوليد على رأس بني سليم في المقدمة وانحدروا من مضيق حنين في واد من أودية تهامة

العدو يباغت المسلمين

- (١) سبق مالك بن عوف قائد جيش الأعداء المسلمين وأدخل جيشه بالليل في الوادي وفرق كمناء في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق.
- (٢) أصدر قائد العدو أمره بأن يرشقوا المسلمين أول ما طلوعوا ثم يشدوا شدة رجل واحد
- (٣) وحينما كان المسلمون منحطون إلى الوادي إذ شدت عليهم القبائل بإمرة مالك بن عوف شدة رجل واحد وأصلوهم وابلا من النبال وهم جميعا ما يزالون في عماية الفجر
- (٤) إذ ذاك إختلط أمر المسلمين وإضطرب وعادوا منهزمين وقد أخذ الخوف والغزع منهم كل مأخذ حتى أطلق بعضهم ساقيه للريح

قال بعض المسلمين في الجيش

- (١) قال أبو سفيان بن حرب وعلى شفته إبتسامة المغتبط لفشل أولئك الذين إنتصروا بالأمس على قريش (لا تنتهي هزيمتهم دون الجر)
- (٢) وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحه (اليوم أدرك ثأري من محمد) وكان أبوه قد قتل في أحد
- (٣) وقال كنده بن حنبل (ألا بطل السحر اليوم)
- (٤) وقال أحوه صفوان بن حنبل (أسكت فض الله فاك!) فوالله لأن يريني رجل من قريش أحب إلى من أن يريني رجل من هوزان.
- (٥) تقع هذه الأحاديث والجيش يختلط حابله بناבלه والنبي ﷺ في المؤخرة تمر عليه القبائل واحدة بعد الأخرى مهزومة لا تلوى على شئ

إيمان القائد بنصر الله وثباته في الميدان

- (١) ماذا ترى القائد يصنع؟ كيف يتصرف وجنوده يفرون في فوضى مأسوية؟

(١) أحمد في مسنده ٢١٨/٥ والترمذي : الفتن ٤١٢/٤

- (٢) وجعل القائد ﷺ ينادي في الناس إذ يمرون به في فرارهم وذعرهم أين أيها الناس! أين! لكن الناس كانوا فيما هم فيه من هول الفرع لا يسمعون إلى شيء إلا الفرار والفرار
- (٣) وإنحدرت هوزان وثقيف من معتصمها بالقمم تطارد جيش المسلمين بلا هوادة
- (٤) لقد إنحدرت هو زان من مكانها يتقدمها رجل على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وكلما أدرك جند المسلمين طعن برمحه
- (٥) إستمر إنحدار هوزان وثقيف وهم يطعنون المسلمين ويثخنونهم بمطاعنهم
- (٦) إنحاز الرسول ﷺ جهة اليمين وهو ينادي ويقول: (هلموا إلى أيها الناس أنا رسول الله- أنا محمد ابن عبد الله) ولم يبق معه في موقعه إلا فئة قليلة من المهاجرين و الأنصار
- (٧) أراد القائد ﷺ أن يندفع ببغلته البيضاء في صدر هذا السيل الدافق من رجال العدو ليكن بعد ذلك أمر الله- لكن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أمسك بحطام بغلته وحال دون تقدمها والعباس بركابه يكفانها ألا تسرع
- (٨) وكان العباس بن عبد المطلب رجلاً جسيماً قهورى الصوت قويه فنادى بما أسمع الناس جميعاً من كل فج وقال (يا معشر الأنصار الذين أووا ونصروا- يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة! إن محمداً حي فهلموا! وكرر العباس النداء حتى تجاوبت في كل جنبات الوادي أصداؤه)
- (٩) والصحيح ما رواه أحمد و الحاكم في المستدرک من حديث ابن مسعود قال: (كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين و الأنصار- فكننا على أقدامنا ولم نولهم الدبر)^(١)
- (١٠) ثبت القائد ومعه نفر قليل من الصامدين وسمع أصحاب العقبة أسم العقبة فذكروا محمداً وذكروا عهودهم وشرفهم وسمع المهاجرين أسم محمداً فذكروا تضحياتهم وذكروا شرفهم
- (١١) سمع هؤلاء وأنتك بسكينة محمد وثباته كثباته يوم أحد في وجه هذا العدو الزاحف
- (١٢) وكان نداء العباس أثناء ذلك ما زال يدوي في آذانهم وتهتز لأصداؤه أوتار قلوبهم هنالك تصايحوا من كل صوب صائحين: لبيك لبيك وإرتدوا إلى المعركة مستبسلين
- (١٣) حدثت المعجزة فقال العباس: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها!!

ثبات القائد أحييت همم الرجال

- (١) صار يذهب الرجل ليثني بغيره فلا يقدر عليه فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتم عن بغيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى إذا أجمع إليه منهم مائه إستقبلوا الناس اقتتلوا^(٢)
- (٢) تلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى كما كانوا تركوا الموقعة
- (٣) وبدأت الطمأنينة تعاود محمد ﷺ حين رآهم يعودون- ويندفعون في غير هياب ولا وجل يقابلون هجوم هو زان وإنحدارهم.

تحول الموقعة إلى صالح المسلمين

(١) أحمد في مسنده ٤٣٥/١ - ٤٥٤ و الحاكم ١١٧/٢

(٢) صحيح مسلم ١٠٠/٢

- (١) أخذ يزداد عدد الجنود المسلمين الذين يعودون للمعركة ويواجهون القتال ببسالة وأخذ يشتد بعودتهم عزائم من خارت من قبل عزائمهم.
- (٢) إنحدرت هوازن من مكانها وأصبحت وجها لوجه مع المسلمين في الوادي
- (٣) وقد أضاء النهار وطغى النور على عماية الفجر فوضحت الرؤيا وبانت حركة الميدان أمام القائد
- (٤) إزداد حماس المقاتلين وإندفاعهم وقويت عزائمهم وجعل الأنصار يتصايحون يا للأنصار! ثم تتادوا: يا للخزرج ومحمد ﷺ ينظر إلى رجاله وقد دب فيهم العزم وتجلدوا في إستبسال ملحوظ
- (٥) حينما رأى القائد ﷺ الصدام إشتد ورأى رجاله تسمو نفوسهم ويطيحون بخصومهم نادى: (الآن حمى وطيس القتال- إن الله لا يخلف رسوله وعده)
- (٦) ثم طلب إلى العباس فناوله حفنة من الحصى ألقى بها في وجه العدو قائلاً: (شاهت الوجوه) وإندفع المسلمون إلى المعركة مستهينين بالموت في سبيل الله- مؤمنين بأن النصر لا محالة آت وأن من أستشهد منهم فله من النصر أكبر من نصيب من بقى
- (٧) كان البلاء شديدا حتى أن هوازن وثقيفا ومن معهم ما لبثوا- حين رأوا كل مقاومة غير مجديه وأنهم معرضون للفناء عن آخرهم أن فروا منهزمين لا يلوون على شئ تاركين وراءهم نساءهم و أبناءهم وأموالهم.

تطور وقعة حنين (أشار إليها القرآن الكريم)

- (١) كان غرور المسلمين بكثرتهم في بداية الوقعة من أسباب هزيمتهم وتفرقهم بل وفرارهم
- (٢) عندما ثبت الرسول ﷺ في القتال وإنتبه المسلمون أثناء فرارهم إلي دعوة القائد ﷺ بالثبات والإستبسال في القتال وإستجاب الكثيرون فتحول الموقف إلي صالح المسلمون وإنهزم العدو
- (٣) نزل القرآن الكريم في هذا الصدد في قوله: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاحت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) (٢٥) ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) (التوبة)

المطاردة:

- (١) تفرق العدو في حنين وطائفة منهم فرت إلي الطائف وطائفة إلي نخلة وطائفة إلي أوطاس
- (٢) بعث الرسول ﷺ رجالاً من جيش المسلمين تحت إمرة أبو عامر الأشعري لمطاردة العدو إلي أوطاس
- (٣) تناوش الفريقان القتال قليلاً ثم أنهزم جيش المشركين وقتل القائد أبو عامر الأشعري
- (٤) بعث الرسول ﷺ طائفة أخرى من فرسان المسلمين لمطاردة فلول المشركين الذين سلكوا نخلة- ولحقوا بهم وهزمهم
- (٥) ومعظم فلول المشركين لجأوا إلي الطائف وتحصنوا خلف أسوار منيعة وقرر القائد ﷺ التوجه على رأس الجيش لمحاربة الفلول الهاربة والمتحصنة بالطائف

توزيع الغنائم بعد وقعة حنين:

- (١) كانت الغنائم: السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرون ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألف شاه وأربعة آلاف أوقية فضة.

- ٢) أمر الرسول ﷺ بجمع الغنائم وحبسوها بالجعرانة- ولم يقسمها وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري
- ٣) لما عاد الرسول ﷺ بعد رفع الحصار عن الطائف مكث بالجعرانة بضعة عشرة ليلة لا يقسم الغنائم ويتأتي بها
- ٤) كان الرسول ﷺ يبتغي أن يقدم عليه وفد هوازن تائبين مسلمين فيحرزوا ما فقدوا
- ٥) عندما طال أنتظار الرسول ﷺ ولم يجئه أحد من هوازن فبدأ بقسمة المال ليسكت المتطلعين من رؤساء القبائل وأشرف مكة.

نصيب المؤلفلة قلوبهم من الغنائم

- ١) سمي الرسول ﷺ أشرف مكة الذين أسلموا بعد الفتح (المؤلفة) أو (المؤلفة قلوبهم) أشار إلي تأليف قلوبهم لتتألف بهم قلوب أقوامهم تعزيزاً للإسلام
- ٢) أن من المؤلفلة قلوبهم من تألفهم الرسول ﷺ ليسلموا مثل صفوان بن أمية ومن تألفهم لدفع شرمهم
- ٣) كان الرسول ﷺ يتألفهم جميعاً بالعطاء فيميزهم به عن سائر الصحابة
- ٤) بدأ الرسول ﷺ في توزيع الغنائم فكانت المؤلفلة قلوبهم أول من أعطي وحظي بالأنصبة الجزلة
- ٥) فأعطي أبي سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل- فقال: إني يزيد؟ فأعطاه مثلها فقال إني معاوية؟ فأعطاه مثلها
- ٦) وأعطي حكيم بن خزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها
- ٧) أعطي سفيان ابن أمية مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة^(١).
- ٨) وأعطي الحارث ابن الحارث بن كلده مائة من الإبل
- ٩) وأعطي رجلاً من رؤساء قريش مائة مائة من الإبل وأعطي آخرين خمسين خمسين وأربعين أربعين
- ١٠) شاع في الناس أن محمداً ﷺ يعطي عطاء ما يخاف الفقر
- ١١) فقد قال أبو سفيان: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأنت كريم في الحرب وفي السلم)

شكاية الصحابة فيما بينهم من توزيع الغنائم

- ١) شق على المهاجرين والأنصار تميز توزيع الغنائم على المؤلفلة قلوبهم
- ٢) وإستكروا الأمر- فكيف يتفرون وتفرق الغنائم في من لم يسلموا إلا مكرهين بعد أن غلبوا على مدينتهم؟
- ٣) وقال البعض (كيف يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا لا تزال تقطر من دمائهم؟)
- ٤) فبلغ الرسول ﷺ فجمعهم وسألهم فاعترفوا له بما قالوا فصوب قولهم

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٨٦

- (٥) لقد كانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة- لكنه عصيت على الفهم أول الأمر فأطلقت السنة شتي بالاعتراض
- (٦) وقال الرسول ﷺ في الأنصار (أني لأعطي رجلاً حديثي عهد الكفر أتألفهم لحسن إسلامهم ويسلم غيرهم تبعاً لهم- وأما أنتم فوكلتكم إلي إسلامكم الثابت الذي لا يتزلزل ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه والبعير وترجعوا أنتم برسول الله إلي رحالكم؟) وقال مثل ذلك للمهاجرين فارتضوا!

الأنصار تحد على رسول (ﷺ) ثم يرتضوا:

- (١) ذكرنا من قبل أن توزيع الغنائم تأجل حتى فك المسلمون الحصار عن الطائف وأوردنا توزيع الغنائم قبل سرد وقعة الطائف بغية ما في ذلك من حكمة بالغة وأخلاقيات سامية
- (٢) رأي ابن أسحق عن أبي سعيد الخضري قال: لما أعطي رسول ﷺ ما أعطي من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب- ولم يكن في الأنصار منها شيء- وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة^(١)
- (٣) حتى قال قائلهم: (لقي والله رسول الله ﷺ قومه) فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله أن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت- فقامت في قومك وأعطيت عطايا عظيمة في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء فقال: (فأين أنت يا سعد؟) قال: يا رسول الله ما أنا إلا في قومي قال: (فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة) فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة جاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا- وجاء آخرون فردهم فلم اجتمعوا له أنهم سعد فقال: لقد أجمع لك هذا الحي من الأنصار فأتهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا معشر الأنصار ما قاله بلغنتي عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف بين قلوبكم؟) قالوا: بلي الله ورسوله أمن وأفضل.
- (٤) ثم قال (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل قال: (أما والله لو شئتم لقلتم- فصدقتهم ولصدقتكم أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخدولاً فنصرناك ومطروداً فأوينناك وعائلاً فأسينناك (أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلي إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلي رحلكم؟) فو الذي نفس محمدأ بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار- اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)
- (٥) فبكي القوم بحرارة وقالوا: رضياً برسول الله ﷺ قسماً وحظاً ثم أنصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

لم يكن الرسول (ﷺ) بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً:

- (١) إزدحمت الأعراب على الرسول ﷺ يطلبون المال والغنم والنعم من الغنائم حتى إضطروه إلي شجرة فإنتزعت رداءه فقال: (أيها الناس ردوا عليه رداي فو الذي نفسي بيده لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألقيتوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً).
- (٢) ثم قام إلي جنب بعيره فأخذه من سنامه وبره فجعلها بين إصبعه ثم رفعها فقال: أيها الناس والله ما لي من فينكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم.
- (٣) كانت في السبي الشيماء بنت الحارث السعدية أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة فلما جئ بها إلي الرسول ﷺ عرفت له نفسها فعرفها بعلامة فأكرمها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ثم من عليه وردها إلي قومها

(١) ابن هشام ٢٩٩/٢ والبخاري ٦٢٠/٢ - ٦٢١

٤) وطلب الرسول ﷺ - إلي كل أن يرد ما غنم حتى تكون القسمة العدل (فمن أخذ شيئاً في غير عدل ولو كان إبرة كان على أهله عاراً وناراً إلي يوم القيامة) قال محمد ﷺ هذه العبارة مغضباً - ثم خمس الغنيمة وأعطى من خمسة الذين كانوا إلي أيام اشد الناس عدواه له أعطاهم نصيباً على نصيبهم

سنعود مرة أخرى إلي توزيع الغنائم بعد ذكر وقعة الطائف حتى ينتظم الذكر فلا يسبق حدثاً آخر - فيؤثر ذلك على السياق والاتساق

وقعة الطائف

تعتبر هذه الوقعة إمتداد لوقعة حنين وذلك أن معظم فلول هوازن وتقيف دخلوا الطائف مع قائدهم - مالك بن عوف النصرى وتحصنوا بها وإحتتموا خلف أسوارها المنيعة.

التاريخ:-

سار الرسول ﷺ على رأس جيش المسلمين إلي الطائف بعد فراغه من حنين وجمع الغنائم بالحجرانة في الشهر نفسه - شوال سنة ٨ هجرية

القوات والتحرك:-

- ١) وضع الرسول ﷺ خالد بن الوليد على مقدمة الجيش في ألف رجل
- ٢) سلك جيش المسلمين طريقه فمر على نخلة اليمانية ثم على قرن المنازل ثم لية وكان هناك حصن لمالك بن عوف فأمر بهدمه ثم واصل الجيش سيره حتى إنتهي إلي الطائف
- ٣) أمر الرسول ﷺ بفرض الحصار على الحصن ودام الحصار مدة غير قليلة ففي رواية أنس عن مسلم أن مدة حصارهم كانت أربعين يوماً وعند أهل السير خلاف ذلك فقبل عشرين يوماً وقيل بضعة عشر وقيل ثمانية عشر وقيل خمسة عشر^(١)
- ٤) كانت الطائف مدينة محصنة لها أبواب تغلق عليها كأكثر مدن العرب في ذلك العصر وكان أهلها ذوي دراية بحرب الحصار وذوي ثروة طائلة جعلت حصونهم من أمنع الحصون
- ٥) فلما نزل المسلمون على مقرية من الحصون ما لبثت ثقيفاً حين رأتهم من أعلي حصونها أن نالتهم بالنبال وقتلت جمعاً منهم
- ٦) لم يكن من اليسير أن يقتحم المسلمون هذه الحصون المنيعة إلا أن يستخدموا من الوسائل غير التي ألفوها
- ٧) أمر الرسول ﷺ فنقل الجند بعيداً عن مرمى النبل لكي لا يصيبهم فيقتل رجال من المسلمين ولم يكن من ذلك بدا بعد أن قتلت بنبال ثقيف ثمانية عشر من المسلمين وجرح كثيرون بينهم أحد أبناء أبي بكر.

الحصار:-

- ١) قال أحد الأعراب للرسول ﷺ (إنما ثقيف في حصنها كالثعلب في جحره لا سبيل إلي إخراجها إلا بطول المكث فأن تركته لم يلحقك منه ضرر)
- ٢) كان لبني دوس (إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة) علم بالرماية بالمنجنيق وبمهاجمة الحصون في حماية الدبابات
- ٣) صحب الطفيل أحد رؤساء دوس منذ وقعت خيبر وكان معه عند حصار الطائف

(١) فتح الباري ٨/٤٥

- ٤) أوفد الرسول ﷺ الطفيل إلي قومه يستنصرهم فجاء بطائفة منهم ومعهم أدواتهم فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها.
- ٥) ورمي المسلمون الطائف بالمنجنيق وبعثوا إليه بالدبابات دخل تحته نفر منهم ثم زحفوا بها إلي جدار حصون الطائف ليحرقوه
- ٦) لكن رجال الطائف كانوا من المهارة بحيث أكره هؤلاء على أن يلونوا بالفرار فقد أحموا قطعاً من الحديد بالنار حتى إذا انصهرت ألغوها على الدبابات فحرقوها (١).
- ٧) عند إشتعال الدبابات فر جنود المسلمين من تحتها خيفة أن يحترقوا- فرمتهم ثقيف بالنبال فقتلت جمعا منهم
- ٨) لم يستطع المسلمون التغلب على منعة هذه الحصون ولم يفلح الجهد ولا المعدات المستخدمة

أخلاقيات الحرب وأعمال التدمير المحظورة (المادة ٥٣ من اتفاقية خندق الرابعة):-

تنص هذه المادة على ما يلي: (يحظر على دولة الإحتلال أن تدمر أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات أو بالدولة أو السلطات العامة أو المنظمات الإجتماعية أو التعاونية إلا إذا كانت العمليات الحربية تقتضي حتماً هذا التدمير)

- ١) كروم الطائف لها من زيوع الإسم في بلاد العرب جميعاً ما يتباهي به الطائف أخصب بلاد العرب وما جعل الطائف واحة كأنها الجنة وسط هذه الصحاري
- ٢) فأمر الرسول ﷺ بتخويف أهل الطائف بنية الجيش تقطيع شجر الكروم فبدأ المسلمون ينقدون ويقطعون ويحرقون الكروم مع تعمد البطء والإظهار في التنفيذ- وفي وضح النهار حتى يستشعر الثقيفون ويوقنوا أن جيش المسلمين جاء في خطته لتدمير اقتصادهم حتى يرجعوا ويستسلموا.
- ٣) بعث الثقيفون إلي الرسول ﷺ أن يأخذ لنفسه أن شاء وأن يدعه لله وللرحم لما بينه وبينهم من قرية
- ٤) عندما وصل إلي الرسول ﷺ خبر استغاثة ثقيف لمنع تدمير الكروم أستمهل محمد ﷺ رجاله عن التدمير وفي قول آخر توقفوا
- ٥) وأتضح أن أمر قطع الأشجار وحرقتها جزء من سياسة الحرب لإلجاء العدو إلي الاستسلام وعندما سألته ثقيف أن يدعها لله وللرحم فتركها لله وللرحم
- ٦) نادى محمد ﷺ في ثقيف أنه معتق من جاء إليه من الطائف (أيما عبد نزل من الحصن فخرج إلينا فهو حر)
- ٧) ففر قرابة ثلاثة وعشرون رجلاً (١) فيهم أبو بكر الذي تدلى من حصن الطائف وإستخدم بكره مستديرة
- ٨) حينئذ أعتقهم الرسول ﷺ فشق ذلك على أهل الحصن مشقة شديدة
- ٩) وعرف الرسول ﷺ من الفارين أن بالحصون من الذخيرة ما يكفي أمدا طويلا
- ١٠) هنالك رأى الرسول ﷺ أن الحصار سيطول أمده وأن جيوشه تود الرجوع لإقتسام الفيء الذي كسبه وأنه إن أصر على البقاء فقد ينفذ صبر رجال الجيش وانتشر بينهم القيل والقال
- ١١) كانت الأشهر الحرم قد أذن وقتها ولا يجوز فيها قتال لذلك أثر الرسول ﷺ أن يرفع الحصار بعد شهر من وقوعه

(١) الدبابات كانت تصنع من الخشب والجلد وكان الناس يدخلون في جوفها ثم يدفعونها في أصل الحصن لينقبوه
(١) صحيح البخاري ٦٢٠/٢

١٢) كان ذو القعدة قد هل ورجع بجيشه معتمرا وذكر أنه متجهز إلى الطائف إذا انتهت الأشهر الحرم

الرجوع عن فتح حصن الطائف

- ١- عندما عزم الرسول ﷺ على رفع الحصار والرحيل فأمر عمر بن الخطاب
- ٢- ثقل هذا الأمر على نفوس الكثير من جند المسلمين وقالوا: نذهب ولا نفتح؟ فقال رسول الله ﷺ (أعدوا علي القتال) فعدوا فأصابهم جراح
- ٣- قال الرسول ﷺ (إنا قافلون غدا إن شاء الله) فرضوا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون
- ٤- وقيل: يا رسول الله أدع على تقيف فقال: اللهم إهدي تقيفا وأنت بهم

الاختلاف في توزيع الغنائم

- ١- بعد توزيع الغنائم بعد وقعة حنين وما كان من الأنصار والمهاجرين وجهرهم بالشكوى وأخذهم على الرسول ﷺ التأخر في توزيع الغنائم
- ٢- أقبل وفد هوازن مسلما وهم أربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن سرد وفيهم أبو يرقان عم الرسول ﷺ من الرضاعة فأسلموا وبايعوا
- ٣- قالوا: يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات وهن مخازي الأقوم
- ٤- قال الرسول ﷺ: (إن معي من ترون وإن أحب الحديث إلي أصدقه فأبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقال: (إذا صليت الغداة أي صلاة الظهر فقوموا وقولوا "إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المؤمنين ونستشفع بالمؤمنين إلى رسول الله أن يرد إلينا سينا")
- ٥- فقالوا- فقال الرسول ﷺ (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وأسأل لكم الناس)
- ٦- فقال المهاجرون والأنصار: (ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ)
- ٧- وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا- وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ فقال العباس "وهنتموني"
- ٨- أظهر الرسول ﷺ رغبة عن هذا المال الذي غنم في حنين والذي بلغ ما لم يبلغه فيء من قبل فأظهر رغبته عنه وجعله وسيلة تتألف به قلوب الذين كانوا إلى أسابيع قليلة مشركين ليروا في الدين الجديد سعادة الدنيا والآخرة
- ٩- وإذا كان الرسول ﷺ قد عاناه هذا المال في قسمته حتى لقد كاد المسلمون يتهمونه وإذا كان هو قد أغضب الأنصار بما أعطى المؤلف قلوبهم فإنه قد أظهر من العدل ومن بعد النظر ومن حسن السياسة ما مكنه من أن يعود بهذه الألوف من العرب وكلهم راضية نفسه مطمئن قلبه مستعد لأن يهب حياته في سبيل الله

الائتلاف بعد الخلاف

- ١- خاطب الرسول ﷺ المسلمين مهاجرين وأنصار وأخرين بعد أن جاءوا هوازن يطلبون إليه رد سبيهم وأنهم أسلموا قال: (إن هؤلاء القوم قد جاءوا مسلمين وقد كنت إستأنيت سبيهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا فمن كان عنده منهن شيء

فطابت نفسه بأن يرده قبيل ذلك ومن أحب أن يستمسك بحقه فليرد عليهم وله بكل فريضة ست فرائض من أول ما يفيء الله عليه)

٢- فقال الناس: قد طيبنا لرسول الله ﷺ فقال: إنا لا نعرف من رضي منكم ممن لم يرضى فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمرم

٣- فردوا عليهم نساءهم وأبنائهم لم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن فإنه أباي أن يرد عجوزا صارت في يديه منهم ثم ردها بعد ذلك وكسا الرسول ﷺ السبي قبضية قبضية^(١)

أخلاقيات الحرب حتى حصار الطائف

أولاً: حظر الإعتداء على الحياة والسلامة البدنية للأسرى ويجب معاملة الأسرى معاملة إنسانيته المادة (٣) والمادة (١٣) من اتفاقية جنيف الثالث

- (١) بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً
- (٢) عندما وصل إلى القوم دعاهم للإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا
- (٣) جعل خالد يقتلهم ويأسرهم ودفع إلي كل رجل ممن كان معه أسيراً
- (٤) أمر خالد يوماً أن يقتل كل رجل أسيره وأبى البعض من رجاله تنفيذ ذلك
- (٥) عندما علم الرسول ﷺ بما فعل خالد مخالفاً لتعليمات القائد العام فرفع يديه وقال (اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد) مرتين^(٢) لقد أستنكر الرسول ﷺ ما فعله خالد بن الوليد وقد وقع خالد في ثلاث أخطاء جسيمة نهى عنها الرسول ﷺ
- (أ) لم يطع ما أمر به الرسول بدعوة القوم للإسلام وحظر القتال
- (ب) رغم الأوامر (بحظر الإعتداء على حياة الأسرى) فقد ارتكب خالد جرماً لا يمكن التسامح فيه حتى أن الرسول ﷺ أتجه إلى الله ليبراً بنفسه عن ما ارتكبه خالد من جريمة
- (ج) عدوان خالد غير مبرر ومذموم لأن القوم لم يرفعوا في وجهه سلاحاً بل وقعوا في خطأ لفظي فقالوا صبأنا بدلاً من أسلمنا

ثانياً: عدم التنازل عن حقوق الأسرى وحظر الإقتصاص (المادة ٦) من إتفاقية جنيف الأولى - المادة (٧) من إتفاقية جنيف الثالثة

- (١) في سرعة بعث الرسول ﷺ علياً فأودى لهم قتلاً وما ذهب منهم من خسارة
- (٢) عاد الرسول ﷺ يؤنب خالد على ما إقترفه في حق أسرى بني جذيمة حتى أن الرسول ﷺ زجر خالد عن فعلته بعد أن وقع خلاف بين خالد وعبد الرحمن بن عوف فقال الرسول ﷺ معنفاً خالد في هذا الشأن بما ارتكبه من مخالفات جسيمة (مهلاً يا خالد - دع عنك أصحابي - فوالله لو كان أحد ذهباً - ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته^(٣))

ثالثاً: إحترام أشخاص الأسرى:- المادة ١٤ من إتفاقية جنيف الثالثة

(١) البخاري مع الفتح ٥ / ٢٠١.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٤٥٠ - ٢ / ٦٢٢.

(٣) ابن هشام ٢ / ٣٨٩-٤٣٧ وصحيح مسلم ١ / ٤٣٧-٤٣٩.

(١) كانت في السبي الشيماء بنت الحارث السعدية أخت رسول الله ﷺ من الرضاة فلما جئ بها إلي الرسول ﷺ عرفت له نفسها فعرفها بعلامة فأكرمها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها إن أحببت أبقاها وإن أحببت رجعتها إلى قومها فأختارت الرجوع ألي قومها

رابعاً: الثبات في الميدان stand one's ground on the battle field

- (١) إنحدر المسلمون في وادي من أودية تهامة وإنهم لذلك منحطون إلى الوادي إذا شدت عليهم القبائل المعادية وأصلوهم وإبلا من النبال
- (٢) إختلط أمر المسلمين- رغم كثرتهم- وفروا يبعون النجاة
- (٣) ثبت محمد ﷺ مكانه وأحاط به جماعه من المهاجرين والأنصار وجعل ينادى في الناس إذ يمرون به منهزمين: (أين أيها الناس! أين!)
- (٤) نادى العباس في الناس الفارين وسمع هؤلاء وأولئك بثبات محمد وسكينة في نفر قليل من المهاجرين و الأنصار كثناته يوم أحد في وجه هذا العدو الزاحف
- (٥) نتيجة لثبات الرسول ﷺ والنفر القليل معه وندائه المستمر يستحث رجاله على الإستبسال في القتال -فإنقلب الميزان إلى جانب المسلمين وفرت هوازن وتقبف منهزمين

خامساً: "خطر أعمال التدمير:- المادة (٥٣) من اتفاقية جنيف الرابعة

- ١- إستنفذ الرسول ﷺ جميع الوسائل العسكرية بإقتحام حصون الطائف وباءت بالفشل
- ٢- أمر محمد ﷺ فبدأ المسلمون يهددون في تنفيذ قتل وحرق أشجار الكروم حتى أيقن الثقفيون أن محمداً جاد في وعيده
- ٣- إستمهل محمد ﷺ رجاله في تدمير الكروم وبعث الثقفيون إليه بأن يدعه لله وللرحم
- ٤- قبل محمد ﷺ وترك الكروم لله وللرحم رغم ما تسمح به الظروف القتالية وتكفل حق المسلمين في اللجوء إلى هذا العمل

سادساً: إعادة الممتلكات:- المادة ٩٧ من اتفاقية جنيف الرابعة

- ١- ردت نساء هوازن وأبنائها إليها بعد أن أعلنت إسلامها
- ٢- وأنهم بالجعرانة إذا جاء وفد من هوازن وقد أسلموا وهم يرتجون أن يرد عليهم أموالهم ونسائهم وأبنائهم- فردها إليهم

سابعاً: العفو عن المسيء:- pardoning of the offender

- ١- لما علم الرسول ﷺ أن مالك بن عوف النصري قائد قوات الأعداء طلب من وفد هوازن أن يبلغوه (إنه إن أتاه مسلماً رد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل)
- ٢- وأسرع قائد العدو حين علم بوعد الرسول ﷺ أن أسرح فرسه في سر من ثقيف وأن نجا بها حتى لحق بمحمد ﷺ فأخذ أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل

ثامناً: العفة:- chastity

- ١- أظهر الرسول ﷺ رغبة عن هذا المال الذي غنم في حنين والذي بلغ ما لم يبلغه فيء من قبل
- ٢- أظهر رغبته عنه وجعله وسيلة تتآلف بها قلوب جنود المسلمين

تاسعاً: تطبيق الفضيلة على النفس being virtuous towards one self

- ١- إذا كان محمد ﷺ قد عناه أمر هذا المال الذي غنم في حنين في قسمته حتى لقد كاد جنوده يتهمونه
 - ٢- وأنه إذا كان الرسول ﷺ قد أغضب الأنصار بما أعطى المؤلفلة قلوبهم فإنه ﷺ ضرب المثل في تطبيق العدل وبعد النظر والحزم- حتى بكى بعض جنود الأنصار وقالوا (رضينا برسول الله قسماً وحظاً)
- عاشراً: الحرص على سلوك المسلمين الجيد في الحرب:

keenness for human good conduct by Muslim in war

عند قسمة الغنائم بعد واقعة حنين

- (أ) أعطى عباس بن مرداس عدداً من الإبل لم يرضه
 - (ب) عاتب عباس الرسول ﷺ على أنه فضل عليه عينة والأقرع وغيرهما
 - (ج) قال الرسول ﷺ اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه فأعطوه حتى رضي وكان ذلك قطع لسانه (بمعنى حتى يرضى)
- حادي عشر: أفعال القائد تتطابق مع أقواله:

The acts of a leader to conform with his words

- ١- تزامت على الرسول ﷺ الأعراب يطلبون المال (في قسمة الغنائم بعد حنين) حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداً
- ٢- بعدما شاع في الناس أن محمد ﷺ يعطي عطاء ما يخاف الفقر
- ٣- قال الرسول ﷺ (أيها الناس ردوا علي رداً في فوالذي نفسي بيده لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً)

ثاني عشرة: الشعور بالموودة والأخوة الإنسانية : being conscious of the spirit of the brother hood of man

- ١- إستكر الأنصار عطاء محمد ﷺ للمؤلفة قلوبهم فتحدث بعضهم إلى بعض فيما صنع الرسول ﷺ ويقول بعضهم لبعض (لقي والله رسول الله قومه)
- ٢- وقف الرسول ﷺ في فئة من جيشه وهم الأنصار فقال (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتهم ولصدقتهم- أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأوينناك وعائلاً فأسينناك ٠٠٠٠٠٠٠٠) ثم يقول ﷺ (اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)
- ٣- قال النبي هذه العبارات بعد وقعة حنين وكله تأثر وكله فيض من الحب لهؤلاء الذين بايعوه ونصروه وإعزوه به وأعزوه وقالوا (رضينا برسول الله قسماً وحظاً)

ثالث عشرة: الصبر في الميدان patience on the battlefield

(يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (ال عمران ٢٠٠)

- (١) حاصر الرسول ﷺ حصون ثقيف مدة طويلة
 (٢) فروا بعض العبيد من ثقيف تلبية لوعده محمد ﷺ بعقوبتهم وعرف منهم القائد أن بالحصون من الذخيرة ما يكفي أمدا طويلا
 وقيل أن أهل الحصن قد اعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة

(٣) رأى الرسول ﷺ أن جيوشه تود الرجوع لإقتسام الفية الذي كسبوا وأنه إن أصر على الحصار فقد ينفذ صبرهم

الرابع عشرة: عدم القتال في الأشهر الحرم respect-ethies in fighting in the holy menthes

١- تأكد الرسول ﷺ أن أمد حصار حصون ثقيف سيطول كثيرا وإقتربت مواقيت الأشهر الحرم حيث لا قتال في هذه الأشهر فكف الحصار وإنصرفت جيوش المسلمين

الخامس عشرة: حظر الإعتداء على الحياة والسلامة البدنية للأسرى ويجب معاملة الأسرى معاملة إنسانيته المادة (٣) والمادة (١٣) من إتفاقية جنيف الثالث

- (١) بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا
 (٢) عندما وصل إلى القوم دعاهم للإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا (حدث خطأ في فهم الناس) وكان على خالد بن الوليد أن يتفهم عذرهم
 (٣) جعل خالد يقتلهم ودفع إلي كل رجل ممن كان معه أسيرا وقد سبق الإشارة إلى تفاصيل ما حدث وتأثر الرسول ﷺ وغضب من فعلة خالد بن الوليد
 (٤) أمر خالد يوما أن يقتل كل رجل أسيره وأبى البعض من رجاله تنفيذ ذلك
 (٥) عندما علم الرسول ﷺ بما فعل خالد مخالفاً لأوامره فرفع يديه وقال (اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد) مرتين (١) لقد أستكر الرسول ﷺ ما فعله خالد بن الوليد وقد وقع خالد غي ثلاث أخطاء جسيمة نهى عنها الرسول ﷺ
 (٦) لم يطع ما أمر به الرسول بدعوة القوم للإسلام ولا للقتال
 (٧) رغم الأوامر للقائد العام (بخطر الاعتداء على حياة الأسرى) فقد ارتكب خالد جرما لا يمكن التسامح فيه حتى أن الرسول ﷺ أتجه إلى الله ليبرأ بنفسه عن ما ارتكبه خالد من جريمة
 (٨) عدوان خالد غير مبرر ومذموم لأن القوم لم يرفعوا في وجهة سلاحا بل وقعوا في خطأ لفظي فقالوا صبأنا بدلا من أسلمنا

السادس عشرة: عدم التنازل عن حقوق الأسرى وحظر الإقتصاص (المادة ٦٤) من إتفاقية جنيف الأولى- المادة (٧) من إتفاقية جنيف الثالثة)

- (١) في سرعة بعثه الرسول ﷺ عليا فأودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم
 (٢) عاد الرسول ﷺ يؤنب خالد على ما إقترفه في حق أسرى بني جذيمة حتى أنه ﷺ زجر خالد عن فعلته بعد أن وقع جذب وشد بين خالد وعبد الرحمن بن عوف فقال الرسول ﷺ معنفا خالد في هذا الشأن بما ارتكبه من مخالفات جسيمة (مهلا يا خالد- دع عنك أصحابي- فوالله لو كان أحد ذهبيا- ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته^(١))

(١) صحيح البخاري /١-٤٥٠ /٢-٦٢٢.

السابع عشرة: احترام أشخاص الأسرى:- المادة ١٤ من اتفاقية جنيف الثالثة

كانت في السبي الشيماء بنت الحارث السعدية أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة فلما جئ بها إلي الرسول ﷺ عرفت له نفسها فعرفها بعلامة فأكرمها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها إن أحببت أبقاها وإن أحببت رجعتها إلى قومها فاخترت الرجوع إلى قومها

الثامن عشرة: الثبات في الميدان stand one's ground on the battle field

- (١) انحدر المسلمون في وادي من أودية تهامة وإنهم لذلك منحطون إلى الوادي إذا شددت عليهم القبائل المعادية وأصلوهم وإبلا من النبال
- (٢) اختلط أمر المسلمين- رغم كثرتهم- وفروا يبعثون النجاة
- (٣) ثبت محمد ﷺ مكانه وأحاط به جماعه من المهاجرين والأنصار وجعل ينادي في الناس إذ يمرون به منهزمين: (أين أيها الناس! أين!)
- (٤) نادى العباس في الناس الفارين وسمع هؤلاء وأولئك بثبات محمد وسكينته في نفر قليل من المهاجرين و الأنصار كثباته يوم أحد- في وجه هذا العدو الزاحف
- (٥) نتيجة لثبات الرسول ﷺ والنفر القليل معه وندائه المستمر يستحث رجاله على الاستبسال في القتال- فانقلب الميزان إلى جانب المسلمين وفرت هوازن وثقيف منهزمين

التاسع عشرة: حظر أعمال التدمير:- المادة (٥٣) من اتفاقية جنيف الرابعة

- ١- استنفذ الرسول ﷺ جميع الوسائل العسكرية باقتحام حصون الطائف وباءت بالفشل
- ٢- أمر محمد ﷺ فبدأ المسلمون يهددون في تنفيذ قتل وحرق أشجار الكروم حتى أيقن التقفيون أن محمدا جاد في وعيده
- ٣- استمهل محمد ﷺ رجاله في تدمير الكروم وبعث التقفيون إليه بأن يدعه الله وللرحم
- ٤- قبل محمد ﷺ وترك الكروم لله وللرحم رغم ما تسمح به الظروف القتالية وتكفل حق المسلمين في اللجوء إلى هذا العمل

العشرون: إعادة الممتلكات:- المادة ٩٧ من اتفاقية جنيف الرابعة

- ١- ردت نساء هوزان وأبنائها إليها بعد أن أعلنت إسلامها
- ٢- وأنهم بالجعرانة إذا جاء وفد من هوزان قد أسلموا وهم يرتجون أن يرد عليهم أموالهم ونسائهم وأبنائهم- فردها إليهم

الواحد والعشرون: العفو عن المسيء: - pardoning of the offender

- ١- لما علم الرسول ﷺ أن مالك بن عوف النصري قائد قوات الأعداء طلب من وفد هوزان أن يبلغوه (إنه إن أتاه مسلما رد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل)

(١) ابن هشام ٢/٣٨٩-٤٣٧ وصحيح مسلم ١/٤٣٧-٤٣٩.

٢- ولم يفي قائد العدو حين علم بوعد الرسول ﷺ أن أسرح فرسه في سر من تقيف وأن نجا بها حتى لحق بمحمد ﷺ فأخذ أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل

الثاني والعشرون: العفة: - chastity

١- أظهر الرسول ﷺ رغبة عن هذا المال الذي غنم في حنين والذي بلغ ما لم يبلغه فيء من قبل

٢- أظهر رغبته عنه وجعله وسيلة تتألف بها قلوب جنود المسلمين

الثالث والعشرون: تطبيق الفضيلة على النفس being virtuous towards one self

١- إذا كان محمد ﷺ قد عناه أمر هذا المال الذي غنم في حنين في قسمته حتى لقد كاد جنوده يتهمونه

٢- وأنه إذا كان الرسول ﷺ قد أغضب الأنصار بما أعطى المؤلفة قلوبهم فإنه ﷺ ضرب المثل في تطبيق العدل وبعد النظر والحزم- حتى بكى بعد جنوده الأنصار وقالوا (رضينا برسول الله قسما وحظا)

الرابع والعشرون: الحرص على سلوك المسلمين الجيد في الحرب: keenness for human good conduct by

Muslim in war

عند قسمة الغنائم بعد واقعة حنين

(أ) أعطى عباس بن مرداس عددا من الإبل لم يرضه

(ب) عاتب عباس الرسول ﷺ على أنه فضل عليه عينة والأقرع وغيرهما

(ج) قال الرسول ﷺ اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه فأعطوه حتى رضي وكان ذلك قطع لسانه

الخامس والعشرون: أفعال القائد تتطابق أقواله: The Acts of a leader to conform with his words

١- تزامت على الرسول ﷺ الأعراب يطلبون المال (في قسمة الغنائم بعد حنين) حتى اضطرروه إلى شجرة فانترعت رداؤه

٢- بعدما شاع في الناس أن محمد ﷺ يعطي عطاء ما يخاف الفقر

٣- قال الرسول ﷺ (أيها الناس ردوا علي ردائي فولذي نفسي بيده لو كان عندي عدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا)

السادس والعشرون: الشعور بالموودة والأخوة الإنسانية: being conscious of the spirit of the brother

hood of man

١- استنكر الأنصار عطاء محمد ﷺ للمؤلفة قلوبهم فتحدث بعضهم إلى بعض فيما صنع الرسول ﷺ ويقول بعضهم لبعض (لقي والله رسول الله قومه)

٢- وقف الرسول ﷺ في فئة من جيشه وهم الأنصار فقال (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم- أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك وعائلا فأسيناك ٠٠٠٠٠٠٠٠) ثم يقول ﷺ (اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)

٣- قال النبي هذه العبارات بعد وقعة حنين وكله تأثر وكله فيض من الحب ٢ بكى الأنصار وقالوا (رضينا برسول الله قسما وحظا)

السابع والعشرون: الصبر في الميدان **patience on the battlefield**

(يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران ٢٠٠)

- (١) حاصر الرسول ﷺ حصون ثقيف مدة طويلة
- (٢) فر بعض العبيد من ثقيف تلبية لوعده محمد ﷺ بعثتهم وعرف منهم القائد أن بالحصون من الذخيرة ما يكفي أمدا طويلا وقيل أن أهل الحصن قد اعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة
- (٣) رأى الرسول ﷺ أن جيوشه تود الرجوع لإقتسام الفياء الذي كسبوا وأنه إن أصر على الحصار فقد ينفد صبرهم

الثامن والعشرون: عدم القتال في الأشهر الحرم **respect-ethics in fighting in the holy monthes**

- ١- تأكد الرسول ﷺ أن أمد حصار حصون ثقيف سيطول كثيرا واقتربت الأشهر الحرم حيث لا قتال
- ٢- فك الرسول ﷺ الحصار عن حصون ثقيف بعد أن وجد أن فترة الحصار ستطول الأشهر الحرم إعظاما لها
- ٣- فلقد نهى الله في كتابه عن القتال في الأشهر الحرم وجاء (إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) "التوبة ٣٦"

التاسع والعشرون:

أ- وضع الأشخاص المحميين ومعاملاتهم (المادة ٢٧ من اتفاقية جنيف الرابعة)

ب- الحكم بالإعدام (مادة ٧٥) من اتفاقية جنيف الرابعة (ولنضرب المثل بهذه الحالة)

- ١- كتب بحير بن زهير إلى أخيه كعب بعد منصرف النبي من الطائف يخبره أن محمدا قتل رجلا بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه وأن من بقى من هؤلاء الشعراء قد هربوا في كل وجه وينصح إليه أن يسير إلى النبي بالمدينة- فإنه لا يقتل أحداً جاء تائبا (إنما ما قصة بحير لأخيه كعب مبالغا فيه) لم يقتل بمكة أحد بأمر محمد ﷺ خلا أربعة منهم شاعر أذى النبي هجأوه ومنهم إثنان أدوا زينب إبنته حين أرادت بإذن زوجها أن تهاجر من مكة لتلحق أباهما وتسبب الأذى في إجهاضها ورابع أذى النبي والمسلمين وأهانهم مع سفهاء مكة
- ٢- أيقن كعب أنه إن لم يذهب إلى محمد ﷺ ظل حياته طريدا مشردا لذلك أسرع إلى المدينة ونزل عند صديق له قديم فلما أصبحا غدا إلى المسجد واستأمن النبي ﷺ وأنشده قصيدة

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول متمم إثرها لم يعد مكبول

٣- عفا النبي ﷺ عنه وحسن من بعد ذلك إسلامه

التعليق

- ١- بعد فتح الرسول ﷺ مكة وانتصاره في حنين وحصاره الطائف لم يعد لأحد قبل على المسلمين في شبه الجزيرة العربية كلها
- ٢- لم يبق لسان أن ينطق بإذائه أو الطعن عليه
- ٣- ترك هذا النصر الذي لم يعرف له في تاريخ العرب وفي رواياتهم نظير أثره بالغا في نفوس العرب جميعا فكثير من المشركين دخلوا الإسلام طواعية وعدد منهم إنتابه الخوف والرهبنة وزايلته الجرأة أن يعادي المسلمين في العلن

٤- ترك ذلك أثرا في نفوس العظماء والسادة وفي نفوس الشعراء الذين ينطقون بلسان هؤلاء السادة مقابل ما يلقون من عطفهم وتأييدهم ولذلك كان يسيرا أن يأمر الرسول ﷺ بقتل الشاعر كعب الذي كان له رصيد مضموم في هجاء النبي وهجاء المسلمين وكان الحكم بالإعدام عليه حكما عادلا

الثلاثون: تنفيذ إجراءات التوفيق:- (المادة ١٢ من اتفاقية جنيف الرابعة)

- ١- ترك الرسول ﷺ عتاب ابن أسيد على أم القرى ومعاذ بن جبل ليفقه الناس في دينهم وليعلمهم القرآن وهزم هوزان في حنين وكان جيش المسلمين قادرا على مواصلة حصار الطائف حتى يستسلموا لولا قرب حلول الأشهر الحرم
- ٢- تجاوزت أثر هذه الانتصارات القبائل البدوية التي لم تكن تعدل بحريتها شيئا ولا كان يدور بخاطرها أن تتضمن تحت لواء غير لوائها الخاص أو تموت دون ذلك في حرب وطعان تقنى خلالها فناء تام
- ٣- قدم وفد من طيء وعلى رأسهم (سيدهم زيد الخيل) فلما انتهوا إلى الرسول ﷺ أحسن استقبالهم وتحدث إليه زيد فقال النبي ﷺ له: (ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيتته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل) فإنه لم يبلغ كل ما فيه- ودعاه (زيد الخير بديلا من زيد الخيل وأسلمت طيء وزيد على رأسها)
- ٤- كان عدي بن حاتم الطائي نصرانيا وكان من أشد العرب كراهية لمحمد فلما رأى أمره وأمر المسلمين في شبه الجزيرة تحمل في إبله بأهله وولده ولحق بأهل دينه من النصارى بالشام وإنما فر عدي حين أوفد النبي على بن أبي طالب ليهدم صنم طيء وهدم علي الصنم وإحتمل الغنائم والأسرى ومن بينهم 'إبنة حاتم أخت عدي التي حبست في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها
- ٥- مر بها النبي فقامت إليه وقالت: (يا رسول الله هلك الوالد وغاب الرافد فأمنن علي من الله عليك وأعرض عنها النبي حين علم أن رافدها عدي بن حاتم الفار من الله ورسوله)
- ٦- لكنها راجعته وذكر هو ما كان لأبيها في الجاهلية من كرم أعلى به ذكر العرب- فأمر بتسريحها وكساها كسوة حسنة وأعطاهم نفقتها وحملها مع أول ركب قاصدا إلى الشام
- ٧- فلما لقيت أباها وذكرت له ما أكرمها به محمد عاد إليه فألقى بنفسه إلى صفوف المسلمين

التعليق

(تقدم الدول الحامية مساعيها الحميدة من أجل تسوية الخلافات في جميع الحالات وما يستتبعها من نتائج الحروب)

الموقف العسكري في شبه الجزيرة العربية في السنة التاسعة من الهجرة

- ١- تضاعف أمر الشئون العامة في مكة بعد الفتح وإسلام أهلها
- ٢- فالبيت الحرام كان بيت العرب المقدس يحجون إليه منذ أجيال طويلة وشئون البيت ورفادته وسقاية الحجج وكل ما يتصل بالحج من مختلف الشعائر قد أصبح في حكم الدين الجديد
- ٣- فلا جرم إذ أن تزداد شئون المسلمين العامة لفتح مكة ويحتاج هذا الأمر بطبعه إلى مزيد من النفقات العامة ولذلك لم يكن بد من أن يدفع المسلمون زكاة العشر
- ٤- وكان على العرب الذين أصروا على جاهليتهم ما يفرض عليهم من خراج وهذا الأمر يجرهم ويدعوهم إلى التذمر والى أكثر من التذمر

- ٥- أوفد محمد ﷺ عاشرية بعد قليل من عودة مكة ليجمعوا له عشر إيراد القبائل التي دانت للإسلام من غير أن يتعرضوا لأصول أموالها
- ٦- وذهب كل واحد من هؤلاء وجهته فتلقتهم القبائل بالترحاب ودفعت لهم زكاة العشر طيبة بدفعها نفوسهم
- ٧- لم يتمتع من ذلك غير فرع من بني تميم و بني المصطلق- فبينما كان العاشر يقندي قبائل في جوار بني تميم زكاة العشر وهم يدفعونها من أموالهم وإبلهم- سارعت إليه بنو العنبر (فخذ من تميم) قبل أن يطالبها بزكاتها وطردته من أرضها
- ٨- لما بلغ محمد ﷺ الخبر بعث إليهم عيينة بن حصن على رأس خمسين فارسا هاجمهم في سر منهم ففروا وأصاب المسلمون الأسرى والسبايا ورجعوا إلى المدينة
- ٩- لما عرف بنو تميم ما أصاب أصحابهم من بني العنبر أرسلوا وفدا منهم إلى النبي ﷺ فلما رأوه ذكروا ما صنع عيينة بأهلهم كما ذكروا ما كان لمن أسلم منهم من جهاد إلى جانبه
- ١٠- قالوا إنا جنناك نفاخرك- وتبادلوا المفاخرة فلما إنتهت أسلم القوم فأعتق الرسول ﷺ الأسرى وردهم إلى قومهم
- ١١- فأما بنو المصطلق لما رأوا الصيرف فر هاربا خافوا عاقبة أمرهم وأوفدوا إلى النبي من ذكر له أن الخوف في غير محل له هو الذي أدى إلى ما وقع من سوء الفهم
- ١٢- لم تكن ناحية من نواحي شبه الجزيرة إلا بدأت تخشى سلطان محمد ولم تحاول طائفة أو قبيلة أن تقاوم هذا السلطان إلا بعث الرسول ﷺ إليها قوة تحملها على الإذعان لدفع الخراج والبقاء على دينها أو الإسلام ودفع الزكاة

الصورة مع بداية السنة التاسعة من الهجرة:-

- ١- رجع الرسول ﷺ إلى المدينة بعد فتح مكة- وقد إنتصر المسلمون
- ٢- أخذ يستقبل الوفود ويحث العمال (لتحصيل الزكاة) ويبعث الدعاة- حتى يعلموا ويثبتوا الذين أسلموا والذين لا زال في نفوسهم شيء
- ٣- وبقي في شبه الجزيرة العربية طوائف متفرقة أصرت على الإستكبار ورفضت الدخول في الدين الجديد والتسليم بالأمر الواقع

غرض البعوث إلى المناطق المختلفة

- ١- كان رجوع الرسول ﷺ إلى المدينة في أواخر أيام السنة الثامنة- وفي المحرم من السنة التاسعة من الهجرة شرع يرسل البعوث للقبائل المتفرقة
- ٢- لقد كان نجاح الدعوة الإسلامية حافزا للرسول ﷺ لإرسال هؤلاء العمال للدعوة للإسلام وللحصول على الزكاة من القبائل التي أسلمت
- ٣- لذلك لم يكن بد من أن يدفع المسلمون زكاة العشر وأن يدفع العرب الذي أصروا على جاهليتهم ما يفرض عليهم من خراج
- ٤- قد يدعوا ذلك إلى التذمر وإلى أكثر من التذمر لكن ما إتصل بالدين الجديد من نظام في شبه الجزيرة جديد لم يجعل من جمع العشر والخراج مخرجا

البعوث:-

- ١- أرسل عيينة بن حصن إلى بني تميم (فخذ منهم وهم بنو عنبر رفضوا الإنصياح والإذعان وعصوا)
- ٢- عباد بن بشير الأشهلي إلى سليم ومزينة
- ٣- رافح بن مكيث إلى جهينة
- ٤- يزيد بن الحصين إلى أسلم وغفار
- ٥- علي بن أبي طالب إلى نجران (لجمع الصدقة والجزية كليهما)
- ٦- العلاء بن الحضرمي إلى البحرين
- ٧- المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء (وخرج عليه الأسود العنسي وهو بها)
- ٨- الزبرقان بن بدر إلى بني سعد (إلى فخذ منهم)
- ٩- زياد بن لبيد إلى حضرموت
- ١٠- بشير بن سفيان إلى بني كعب

وبعث الرسول كثيرا غيرهم في أنحاء شبه الجزيرة العربية وليس المقام يسمح بالاستطراد في ذكرهم ولكن كان الغرض من إرسالهم:-

- أ- إما لفئة ضالهم فيدعوهم إلى الإسلام
- ب- وإما عمال لجباية الزكاة
- ج- وإما تحصيل الجزية ممن أصروا على دينهم ولم يدخلوا الإسلام

السرايا في السنة التاسعة للهجرة

رغم اتساع رقعة الإسلام في شبه الجزيرة العربية ورغم تزايد عدد المؤمنين إلا أنه بقيت فئات مناوئة ومعادية ولم ترجع عن طبعها في الجاهلية من إغارات وإخلال بالأمن والاستقرار فبعث الرسول ﷺ سرايا متعددة لفرض الأمن والحد من عدوان مثل هذه الفئات

١- سرية عيينة بن حصن القزاري

- الوقت:** في المحرم سنة ٩ هجرية خرج عيينة في خمسين فارسا إلى بني تميم ولم يكن في رجاله مهاجرين ولا أنصار
- الغرض:** قام بنو تميم بتأليب بعض القبائل على المسلمين وأغروا بعض القبائل الأخرى ومنعواهم من أداء الجزية
- القتال:** خرج عيينة في رجاله يسير الليل ويكمن النهار- وهاجم فئة بني تميم ففروا في الصحراء وساق الأسرى والسبايا حتى المدينة فأنزلوا في دار رملة بنت الحارس

التفاوض:

- ١- جاء عشرة من رؤساء بنو تميم إلى الرسول ﷺ وهو في المسجد
- ٢- جعلوا يكلمونه في شأن الأسرى والنساء والأبناء وأظهروا رغبتهم في المفاخرة والمباهاة وقدموا خطيبهم عطار بن حاجب فتكلم
- ٣- فأمر الرسول ﷺ ثابت بن قيس بن شماس- خطيب الإسلام فأجابهم ثم قدموا شاعرهم الزبير بن بدر- فأنشد مفاخرا فأجابه حسان بن ثابت على البديهة
- ٤- إعترف القوم على رأسهم زعيمهم الأقرع بن حابس- فقال (خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعرة أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا وأقوالهم أعلى من أقوالنا)
- ٥- أسلموا فأجازهم الرسول ﷺ فأحسن جوائزهم ورد عليهم نسائهم وأبنائهم

٢- سرية قطبة بن عامر إلى حي من خثعم

- الوقت:** في صفر سنة ٩ هجرية خرج قطبة في عشرين رجلا على عشرة أبعرة يعتقبونها
- الجهة:** بناحية تبالة بالقرب من تربة
- القتال:** حدث قتال شديد كثر فيه الجرحى من الفريقين وقتل قطبه مع من قتل وساق المسلمون النعم والنساء والشاء إلى المدينة

٣- سرية الضحاك بن سفيان الكلابي

- الوقت:** في ربيع الأول سنة ٩ هجرية بعثت هذه السرية إلى بني كلاب
- القتال:** دعوة القوم إلى الإسلام فأبوا وقتلوا- وهزمهم المسلمون وقتلوا منهم رجلا

٤- سرية علقمة بن مجذر المدلجي

- الوقت:** في ربيع الآخر سنة ٩ هجرية خرج علقمة في ثلاثمائة إلى سواحل جدة
- الغرض:** إجتمعت فئة من الحبشة إجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة
- القتال:** خاض علقمة البحر حتى إنتهى إلى جزيرة فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا^(١)

٥- سرية علي بن أبي طالب

- الوقت:** في ربيع الأول سنة ٩ هجرية بعث الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة إلى طيء. على مائة بعير وخمسين فرسا
- الغرض:** هدم صنم لطيء ومناجزة الفئة المشركة
- القتال:** شنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموا صنم طيء وغنموا سبايا ونعم وشاء وهرب عدي بن حاتم وأخذت أخته في السبي

(١) فتح الباري ٥٩/٨.

أخلاقيات إقناع الأعداء

- ١- إستعطفت أخت عدي بن حاتم الرسول ﷺ قائلة: يا رسول الله غاب الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة- ما بي من خدمة فمن علي يمن الله عليك
 - ٢- قال: (من وافدك؟) قالت (عدي بن حاتم) قال: (الذي فر من الله ورسوله؟) ثم مضى فلما كان الغد قالت مثل ذلك وقال لها مثل ما قال أمس
 - ٣- فلما كان بعد الغد قالت مثل ذلك فمن عليها- وسألته الحملان فأمر لها به
 - ٤- رجعت أخت عدي إلى أخيها بالشام فلما لقيته قالت عن رسول الله ﷺ لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها. إنته راغباً أو راهباً
 - ٥- جاء عدي بغير أمان إلى الرسول ﷺ فقال الرسول: (ما يفرك!! أيفرك أن تقول "لا إله إلا الله؟" فهل تعلم من إله سوى الله؟)
 - ٦- قال عدي (لا) ثم قال الرسول ﷺ: (إنما نقر أن يقال: الله أكبر- فهل تعلم شيئاً أكبر من الله) قال: (لا) فقال: (فإن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون) قال: فإني حنيف مسلم
- التعليق:- (مخاطبة العقل والفكر بغية الإقناع والإقناع خاصة للأعداء)

وقعة تبوك (جيش العسرة)

الأسباب:

- ١- كانت أكبر قوة عسكرية على وجه الأرض في ذلك الزمان هي قوة الرومان فإمبراطوريتهم هي القوة العظمى التي سادت بعد أن تغلبت على الفرس
- ٢- أرسل الرسول ﷺ الحارس بن عمير الأزدي- سفيرا يحمل كتاب محمد ﷺ إلى عظيم بصرى
- ٣- قتل رسول محمد ﷺ على يدي شرحبيل بن عمرو الغساني وهو عمل مذموم ومرفوض وتقع بسببه الحرب ويفنى الكثيرون- لأنه يمس كرامة الراسل وينقص من كرامته وقدره وكان العرب ينكرون ذلك أشد النكران
- ٤- بعث الرسول ﷺ سرية زيد بن حارثة التي إصطدمت بالرومان إصطداما عنيفا ووقع قتال ومناوشات حربية شديدة
- ٥- لم تتجح بعثة زيد بن حارثة في الأخذ بنأر رسول محمد ﷺ ونجح خالد بن الوليد في الإنسحاب إنسحابا تكتيكيا مرموقا ذكره العرب وصار أثره على جموع شبه الجزيرة العربية قاطبة
- ٦- رغم أن بعثة زيد بن حارثة لم تتجح في تحقيق هدفها إلا ان نتائجها عادت بالأثر الكبير والإيجابي لصالح المسلمين حتى حفز العديد من العرب للتكير في الإستقلال عن هيمنة الإمبراطورية الرومانية والإبتعاد عن قيصر إنحيازاً للمسلمين.

الخطر يقترب من الرومان:

- ١- لم ينس قيصر ما كان لمعركة مؤتة من آثار سلبية على الإمبراطورية الرومانية بصفة عامة وعلى العرب الخاضعين لسلطانها بصفة خاصة
- ٢- إستشعر القيصر وقواد جيشه ظهور خطر حقيقي يتقدم ويخطو إلى حدوده الجنوبية خطوة بعد خطوة ويزداد ثباتا وإستقرارا وقوة بمرور الأيام
- ٣- الخطر الإسلامي بدأ يهدد الثغور الشامية التي تجاور العرب

- ٤- إستقر في تفكير الزمرة الحاكمة في الامبراطورية الرومانية أنه بات من الضروري القضاء على قوة المسلمين قبل أن تتجسد في صورة خطر عظيم فيستغل ويستشري ويصير ذلك تهديد مباشر وضاعط على الرومان
- ٥- خاف القيصر وقواده من تصاعد قوة العرب المسلمين- وإستشعر في ذلك ما يثير القلاقل ويشعل الثورات في المناطق العربية المجاورة للإمبراطورية الرومانية ولذلك عمد القيصر إلى إعادة حساباته بالإنتباه إلى القوة الوليدة في الجنوب

استعداد الرومان للحرب:-

- ١- بات من العسير تجاهل إختلال أمر المصالح الرومانية والدولة الإسلامية تزداد يوماً بعد يوماً إستقراراً وقوة في ذلك تهديد ووعيد أن يسارع الرومان إلى حصر هذه القوة المتنامية
- ٢- لم يقض قيصر بعد معركة مؤتة سنة كاملة حتى أخذ يهيء الجيوش من الرومان والعرب التابعة لهم من آل غسان وغيرهم وبدأ يجهز جيوشه لمعركة فاصلة
- ٣- جاءت الأنباء إلى المدينة بإستعداد الرومان وتجهيز قيصر لجيوشه وإعدادها للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين- وترامت الأخبار عن كثرة الرومان وقوة عنادهم وتجهيزهم- مما لم يشهده المسلمون من قبل من البأس

القلق والخوف في المدينة:-

- ١- كثرت الأنباء الواردة إلى المدينة- عن جيوش الرومان وعددها وعدتها- وأنه بات في أي وقت- قد يحدث الإجتياح الروماني يهاجمون المدينة ويسحقون المسلمين فزاد القلق من أهل المدينة
- ٢- إشتد الخوف بالناس كل حين لا يسمعون صوتاً غير معتاد إلا ويظنونه زحف الجيوش الرومانية لتطبق على المدينة
- ٣- وبلغ الخوف مبلغه من الناس وللدلالة على حجم ما حاق بأهل المدينة من خوف وهلع ما حدث لعمر بن الخطاب وهو يروي ما حدث معه قال: (كان لي صاحب من الأنصار إذا رغبت أتاني بالخبر وإذا غاب كنت أتيه أنا بالخبر وكاننا يسكنان في عوالي المدينة يتناوبان إلى النبي ﷺ ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا- فقد امتلأت صدورنا منه فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب فقال: (إفتح إفتح- فقلت جاء الغساني؟ فقال بل أشد من ذلك إعتزل الرسول ﷺ أزواجه!!)
- ٤- وما رواه عمر بن الخطاب يدل على تأزم الموقف وخطورة القلق في المدينة وصعوبة ما كان يعانيه المسلمين- بالنسبة لحشود الرومان- وتوقع إستهدافهم
- ٥- ما بعث الهلع وزاد من خوف المسلمين في المدينة- ما طفق المنافقون يروجون الأخبار ويبالغون في حجم وقوة الجيوش الرومانية للنيل من المسلمين ودفعهم إلى إعتناق الإحباط

زيادة خطر المنافقين على المسلمين

- ١- طفق المنافقون يأملون في تحقق ما كانوا يخفونه في صدورهم وما كانوا يتربصون من الشر بالإسلام وأهله
- ٢- فرح المشركون بالأخبار التي وصلت إلى المدينة فيما تخص تجهيزات وقوة ونية جيوش الرومان للهجوم على المدينة وقرب تحقق آمالهم في هزيمة ماحقة للمسلمين
- ٣- إزدادت ثقة المنافقون في أنفسهم فأنشأوا وكرة للذس والتأمر في صورة مسجد وهو مسجد (الضرار) أسسوه كفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرضاء لمن حارب الله ورسوله

- ٤- عرض المنافقون على الرسول ﷺ أن يصلي في مسجدهم لتثبيت موقعه وموقع القائمين عليه
- ٥- عمد المنافقون إلى خداع المؤمنين فلا يفتنوا ما يؤتى به في هذا المسجد من الدس وترتيب المؤامرات ونشر الخداع والتضليل بين المسلمين ولا يتنبهون إلى عظيم خطره
- ٦- إفتضح أمر المنافقون وإنكشف مرماهم وظهر مقصدهم المعادي فهدم الرسول ﷺ المسجد بدل أن يصلي فيه

زيادة الأخطار وتوارد الأخبار عن استعدادات جيوش الرومان:

- ١- تلاحقت الأخبار التي ترد إلى المدينة أن هرقل جهز جيشاً مرموقاً قوامه أربعون ألف مقاتل وأعطى قيادته لعظيم من عظماء الروم
- ٢- ترددت الأنباء عن إنضمام قبائل لحم وجذام وغيرهما من قبائل البدو العرب وأن مقدمتهم بلغت البلقاء وتمثل بذلك خطراً داهماً ومستطيراً على المسلمين
- ٣- تفاقم الموقف وإزداد صعوبة على المسلمين لأن الوقت كان فصل القيظ الشديد وكان الناس في عسرة وجدب وشدة البلاء- وكانت الثمار قد طابت وحان وقت قطفها
- ٤- أحب الكثيرون من المسلمين دوام المقام في ثمارهم وظلالهم- وكرهوا الشخوص على الحال من الزمان الذي هم فيه
- ٥- كانت الطريق ناحية الشمال شديدة الوعورة والمسافة بعيدة- ومحفوفة بالمخاطر والصعوبات المعادية التي لا يؤتمن لها

تقدير الرسول ﷺ للموقف:

- ١- كان الرسول ﷺ ينظر إلى الأمور نظرة تدقيق وتمحيص ويرى أنه إذا ترك الرومان تجوس خلال المناطق التي كانت تحت سيطرة الإسلام ونفوذه وتزحف إلى المدينة فيقع أسوأ أثر على الدعوة الإسلامية وعلى سمعة المسلمين العسكرية
- ٢- ربما تعود الجاهلية من جديد- والتي كادت تندثر تحت الضربات القوية للمسلمين فتعود فتحيا من جديد وقد ينحسر الإسلام وتفقد الدعوة إزدياد إنتشارها
- ٣- ينظر النبي ﷺ فيرى المنافقين يتربصون الدوائر بالمسلمين ويتصلون بإمبراطور الرومان بواسطة بن عامر الفاسق وسيكونون بمثابة خنجر قاتل في ظهر المسلمين- ولن يتوانوا عن تدمير وتخريب مؤخرة جيوش المسلمين
- ٤- في حين أن جيوش الرومان القوية يزداد إستعدادها وعدتها من وقت لآخر وستقوم عاجلاً بمهاجمة المسلمين في حين أن ظهر المسلمين غير مؤمن وتحت عيون وتربص الخونة والمنافقين
- ٥- قدر الرسول ﷺ الموقف العسكري وتدبر الحالة مع أصحابه ووجد أنسب الوسائل للدفاع هو الهجوم- قبل أن يستفحل الخطر وخوفاً من أن تدور الدائرة على المسلمين فالخطر من ناحية الشمال قادم لا محالة ويشتد بمرور الأيام.
- ٦- لذلك قرر الرسول ﷺ المبادرة إلى مهاجمة الجيوش الرومانية كوسيلة ضرورية للدفاع ووقف التهديد والخطر على المسلمين- وحتى يمنعوا تقدم القوات الرومانية التي ترغب في الزحف وغزو المدينة ويحبطوا تجمع القبائل العربية المتحالفة مع الرومان وتسعى للقضاء على قوة المسلمين حفظاً لكيانها.

قرار إستعداد المسلمين لقتال الرومان:

- ١- عندما إتخذ الرسول ﷺ قراره أعلن في أصحابه أن يتجهزوا للقتال

- ٢- وبعث الرسول ﷺ إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة يستنفرهم
- ٣- وأعلنها بصراحة ﷺ بأنه يريد لقاء الرومان- فرغم خطورة الموقف وشدة العثرة وقسوة الحرارة ووعورة الطريق فالتهديد خطير ومتفاقم وقد يتعرض المسلمون لحجافل الغزاه من الرومان وتابعيهم.
- ٤- أمر الرسول ﷺ الناس بالتأهب للقتال وحثهم على الجهاد ونزلت جزء من سورة براءة تحض المسلمين على الجهاد وتدعوهم إلى القتال للدفاع عن كيانه.
- ٥- أخذ الرسول ﷺ يحصن الناس ويرغبهم في بذل الصدقات وإنفاق كرائم الأموال في سبيل الله ويرغبهم في تركية نفوسهم وأموالهم في سبيل إعلاء كلمة الحق.

المسلمون يتجهزون للقتال:

- ١- سمع المسلمون نداء الرسول ﷺ يدعو إلى قتال الروم فتسابقوا إلى إمتثاله وقاموا يتجهزون للقتال بسرعة بالغة
- ٢- وأخذت القبائل تهبط إلى المدينة من كل صوب وناحية ولم يرض أحد من المسلمين أن يتخلف إلا الذين في قلوبهم مرض
- ٣- بلغ حماس الناس مبلغا حتى كمان يجيء أهل الحاجة والفاقة يستحملون الرسول ﷺ ليخرجوا إلى قتال الروم فإذا قال لهم (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) (٩٢ التوبة)
- ٤- تسابق المسلمون في إنفاق الأموال وبذل الصدقات ولنضرب المثل بعثمان بن عفان (فقد جهز عيرا للشام مائتا بغير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية من الفضة- فتصدق بها- ثم تصدق بمائة بغير بأحلاسها وأقتابها قم جاء بألف دينار فنثرها في حجر الرسول ﷺ حتى بلغت صدقات عثمان بن عفان تسعمائة بغير ومائة فرس سوى النقود)
- ٥- جاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة وجاء أبو بكر بماله كله ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله وكانت أربعة آلاف درهم وكان أول من جاء بصدقته
- ٦- وجاء عمر بنصف ماله وجاء العباس بمال كثير وجاءوا بمال كل من طلحة وسعد بن عباد ومحمد بن مسلمة وبعثت النساء ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وقرط وخواتم

وقعة تبوك في رجب سنة ٩ هجرية

التحرك إلى تبوك:-

- ١- إجتمع لجيوش المسلمين ثلاثون ألف مقاتل ولم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع من قبل ولم تشهدده العرب في زمانها
- ٢- كانت في جيش المسلمين قلة شديدة بالنسبة إلى الزاد والراكب حتى وصل شدة الصعوبة أن كان ثمانية عشر رجلا يعتقدون بغيراً واحداً
- ٣- وزاد الحر والجوع من شدة القوم حتى فربما أكلوا أوراق الأشجار حتى تورمت شفاههم وإضطروا إلى ذبح بعض البعير- مع قلتها- ليشربوا ما في كرسه من الماء لندرة الماء وهم سائرون في طريقهم ولذلك سمي هذا الجيش بجيش (العسرة)

- ٤- في طريق الجيش مر بالحجر ديار ثمود الذين جابوا الصخر بالواد- أي وادي القرى فإستسقى الناس من بئرها- وفي الصحيحين عن بن عمر قال: (لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين) ثم قنع رأسه وأسرع بالسير حتى جاز الوادي^(١)
- ٥- ولما قرب الجيش من تبوك قال (إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من ماءها شيئا حتى أت)
- ٦- ولما بلغ تبوك- على إختلاف الروايات قال الرسول ﷺ (تهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقيم أحد منكم فمن كان له بغير فليشد عقاله) فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء^(٢)

الجيش الإسلامي ينزل بتبوك:-

- ١- نزل الجيش الإسلامي بتبوك وعسكر هناك استعداداً للقاء العدو
- ٢- وقف الرسول ﷺ في الجيش خطيباً- فأتى بجوامع الكلم وحذر وأندر وبشر وأبشر وكان من أثر ذلك إرتفاع الروح المعنوية للجنود وجبر ما كان فيهم من نقص وإختلال من حيث قلة الزاد والمؤنة
- ٣- وصول جيش المسلمين إلى تبوك- جاء على حين غرة بالنسبة للرومان وحلفائهم فقد أخذهم الخوف وأصابهم الذعر وتملكهم الهلع فلم يجترئوا على التقدم واللقاء
- ٤- أصاب الأعداء رهبة وخور في معنوياتهم أعجزتهم عن المواجهة فتفرقوا في البلاد داخل حدودهم
- ٥- حدث ما لم يكن يتوقعه المسلمون فلم يحدث بينهم قتال وبين العدو- بل هرب الجيش وتفرق عن المواجهة فكان لذلك أحسن الأثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية في داخل الجزيرة وأرجائها النائية
- ٦- حصل المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة ذات أبعاد وأثر خطير لعلمهم لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك صدام بين الجيشين
- ٧- جاء يحنة بن رؤيه صاحب أيلة فصالح الرسول ﷺ وأعطاه الجزية
- ٨- أتى أهل جرباء وأهل أذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً للسلام والأمن.
- ٩- وصالح الرسول أهل ميناء على ريع ثمارها وعاهدهم على السلامة والأمن.

بعض مكاسب الجيش الإسلامي من وقعة تبوك

- ١- كتب الرسول ﷺ كتاباً لصاحب أيلة وهذا ونذكر نصه فإنه يحمل بين سطوره أخلاقيات المودعة بعد العداء في أرقى صورها الإنسانية (بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد نبيه رسول الله ليحنة بن رؤية وأهل إيلة- سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعو ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر).
- ٢- بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل في أربعمئة وعشرين فارساً وقال له عن سيد أكيدر (إنك ستجده يصيد البقر) فأتاه خالد فلما كان في حصنه بمنظر العين- خرجت بقرة تحك بقرونها باب القصر- فخرج أكيدر لصيدها

(١) صحيح البخاري باب نزول النبي ﷺ (ص) الحجر ٢/ ٦٣٧

(٢) رواية مسلم عن معاذ بن جبل ٢/ ٢٤٦

فلقاه خالد في خيله وجاء به إلى الرسول ﷺ فحصن دمه وصالحه على الفي بغير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأقر بإعطاء الجزية.

- ٣- قاضى الرسول ﷺ أكيدر مع يحنة على قضية دومة وتبوك وأيلة وتيماء
- ٤- أيقنت القبائل الموالية للرومان بأن عهد سادتهم قد ولى وإنتهى وفات أوانه فانقلبت تعاهد المسلمين
- ٥- تمددت بذلك حدود الدولة الإسلامية حتى تلاقت وحدود الرومان مباشرة
- ٦- إنتهت موقعة تبوك بانتصار كاسح للمسلمين دون قتال ومن غير إراقة الدماء وعاد جيش المسلمين مكللا إلى المدينة- بالنصر المؤزر.

محاولة قتل الرسول (ﷺ) أثناء العودة من تبوك:-

- ١- قتل جيش المسلمين عائدا من تبوك بعد أن لم يجد كيدا
- ٢- عند وصول الجيش إلى عقبة حاول اثني عشر رجلا من المنافقين الفتك بالرسول ﷺ
- ٣- حينما كان الرسول ﷺ وكان معه عمار يمك بزمام ناقته وحذيفة بن اليمان يقودها
- ٤- فبينما الرسول ﷺ وصاحبه يسيران إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه وهم ملتثمون
- ٥- فبعث حذيفة فضرب وجوه رواحلم بمحجن كان معه فأرعبهم الله فأسرعوا في الفرار حتى لحقوا بالقوم- وأخبر رسول الله بأسمائهم وبما هموا به
- ٦- ولما لاحت للرسول ﷺ المدينة من بعيد قال: (هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه) وتسامع الناس بمقدمه فخرج النساء والصبيان والولائد يقابلن الجيش بحفاوة بالغة (١)
- ٧- كانت عودة الرسول ﷺ من تبوك ودخوله المدينة في رجب سنة ٩ هجرية وإستغرقت هذه الوقعة خمسين يوما أقام منها عشرين يوما في تبوك والبواقي قضاها في الطريق جيئة وذهابا
- ٨- كانت هذه الوقعة (تبوك) أخر موقعة يخرج فيها الرسول ﷺ

إيمان المسلمين: (Muslim Faith)

- ١- خرج إلى هذه الموقعة كل من كان مؤمنا صادقا حتى صار التخلف إمارة على نفاق وخداع بل ضعف وخور في شدة الإيمان.
- ٢- كان الرجل إذا تخلف عن الذهاب إلى تبوك وذكره للرسول ﷺ قال لهم (دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يكن غير ذلك فقد أراكم منه) وهذا إن دل فيدل على درجة الإيمان.
- ٣- لم يتخلف من الرجال إلا من حبسهم العذر أو الذين كذبوا الله ورسوله من المنافقين وهم الذين قعدوا بعد أن إستأذنوا للعودة كذبا أو قعدوا ولم يستأذنوا رأسا
- ٤- كان هناك ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين تخلفوا من غير مبرر- وهم الذين أبلاهم الله ثم تاب عليهم

(١) راجع بن القيم

٥- أمر الرسول ﷺ ألا يكلموا هؤلاء الثلاثة المتخلفين وجرت ضدهم مقاطعة شديدة وهم كعب بن مالك- وقذاذة بن الربيع- وهلال بن أمية

أثر واقعة تبوك:-

- ١- ازداد نفوذ المسلمين وقوي على أنحاء شبه الجزيرة العربية
- ٢- ظهرت قوة المسلمين متفوقة على ما عداها حتى تبين للناس أنه ليس لأي قوة أخرى أن تعيش في العرب سوى قوة الإسلام
- ٣- إفتقد المشركون والمنافقون شعاع أمل ومحض تمنى أن تزول قوة المسلمين من بلاد العرب فإستكانوا وإستسلموا للأمر الواقع
- ٤- عقد المشركون والمنافقون آمالهم بالرومان- فخذلهم الرومان وفروا بعيدا فلم يجد هؤلاء مناصا ولا محيدا أن يركنوا إلى المهادنة
- ٥- لذلك لم يبق للمنافقين أن يعاملهم المسلمون بالرفق واللين- وقد أمر الله بالتشديد عليهم حتى نهى عن قبول صدقاتهم وعن الصلاة عليهم والإستغفار لهم والقيام على قبرهم
- ٦- أمر الرسول ﷺ بهدم وكر المكر والخديعة ومركز تأمرهم على الغدر بالمسلمين بنوها باسم المسجد وأنزل فيهم آيات إفتضحوا بها إفتضاها كاملا
- ٧- تتابعت الوفود وتكاثرت بصورة كبيرة بلغ مبلغا عظيما لم يبلغه من قبل وذلك على أثر موقعة تبوك
- ٨- نزلت آيات كثيرة من سورة (براءة) حول موضوع موقعة تبوك وفضحت الآيات المنافقين وبينت فضل المجاهدين والمخلصين وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين

أحداث وقعت في السنة التاسعة من الهجرة:-

- ١- توفى النجاشي ملك الحبشة في رجب وصلى عليه الرسول ﷺ صلاة الغائب في المدينة
- ٢- مات عبد الله بن أبي بن سلول بعد مرجع الرسول ﷺ من تبوك فإستغفر له الرسول ﷺ وصلى عليه بعد أن حاول عمر منعه عن الصلاة- وقد نزل القرآن بعد ذلك بموافقة عمر
- ٣- بعد رجوع الرسول ﷺ من تبوك وقع اللعان بين عويمر العجلاني وامراته
- ٤- رجمت المرأة الغامدية التي جاءت فإعترفت على نفسها بالفاحشة رجمت بعدما فطمت إبنها
- ٥- توفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ في شعبان- فحزن عليها حزناً شديداً وقال لعثمان (لو كانت عندي ثالثة لزوجناكها).

أخلاقيات الحرب في السنة التاسعة من الهجرة

أولاً: الحرية التامة في ممارسة العقائد الدينية: (لا إكراه في الدين) المادة ٩٣ من اتفاقية جنيف الرابعة

- ١- كان الرسول ﷺ يأمر أمراء السرايا أن يبدأوا بدعوة الناس إلى الإسلام فإذا إستجابوا كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين
- ٢- جاء يحنة بن ربيعة صاحب أيلة وصالح الرسول ﷺ وأعطاه الجزية- وبقي على دين النصراني دون أن يكره على ترك دينه
- ٣- جاء الرسول أهل جرباء وأهل أذرح وأعطوه الجزية وبقوا على ملتهم دون أن يكرهوا على دينهم

- ٤- أتى خالد بن الوليد بأكيدر (دومة الجندل) إلى الرسول ﷺ فحقت دمه وأقر بإعطاء الجزية وترك له حرية العقيدة.
- ٥- بعث الرسول ﷺ السرايا إلى هدم الأصنام فبعث خالد بن الوليد لهدم (العزي) وعمرو بن العاص لهدم (سواع) وسعد بن زيد الأشهلي لهدم (مناة) وكلها وموز للشرك ودعا إلى الإسلام ذاهباً إلى مخاطبة عقول القوم وحوارهم بالعقل.
- ٦- بعد فتح مكة وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً جعل الرسول ﷺ يطعنها بالقوس ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) (الإسراء ٨١) ويقول: (جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد) (سبأ ٤٩) حتى تم تدمير جميع الأصنام ففضى على رموز الوثنية والكفر.
- ٧- كان على العرب الذين يدخلون في الإسلام دفع الزكاة وعلى من لا يقبل الدخول في الإسلام دفع الجزية وكان يتم ذلك بالتراضي ودون إكراه.
- ٨- بعد توزيع الغنائم بعد معركة حنين أقبل وفد هوازن وأعلن إسلامه أمام الرسول ﷺ وخاطب أصحابه من المسلمين قائلاً: (إن هؤلاء القوم قد جاءوا مسلمين وقد كنت إستأنيت سببهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً فمن كان عنده منهن شيء فكاذب نفسه بأن يرده قبيل ذلك ومن أحب أن يستمسك بحقه فليرد عليهم وله بكل فريضة ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا فردوا عليهم نسائهم وأبنائهم وكسا الرسول ﷺ السبي قبضية قبضية) (١)
- ٩- في حج أبي بكر في السنة التاسعة الهجرية بعث أبو بكر ﷺ رجالات ينادون في الناس: ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان كما في عهد الجالية وكان هذا النداء بمثابة إعلان نهاية الوثنية في جزيرة العرب وأنها لا تبدئ ولا تعيد بعد هذا العام (٢)
- ١٠- وفي مكاتبة الملوك والأمراء
- (أ) في الكتاب إلى المقوقس ملك مصر: مما جاء فيه (أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط)
- (ب) ومن الكتاب إلى كسرى ملك فارس وجاء فيه: (وأدعوك بدعاية الله- فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة- لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين- فأسلم تسلم فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك)
- (ج) ومن الكتاب إلى قيصر ملك الروم وجاء فيه (أسلم تسلم- أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين)
- (وهي كتابات حسيمة فيها حكمة بالغة- تدعو إلى إعتناق الإسلام فإن أبوا فعليهم إثم خطأ معتقدتهم إنها الموعظة الحسنة)

ثانياً: الحق للمعتقلين في تقديم الشكاوى والإلتماسات (المادة ١٠١ من اتفاقية جنيف الرابعة

- ١- كان صفوان بن أمية زعيماً كبيراً من زعماء قريش خاف على نفسه وفر فاستأمن له عمير بن وهب الجمحي الرسول ﷺ فأمنه وأعطاه عمامة التي دخل بها مكة فلحقة عمير وهو يريد أن يركب البحر من جدة إلى اليمن فرده فقال لرسول الله ﷺ اجعلني بالخيار شهرين قال: (أنت بالخيار أربعة أشهر)
- ٢- وكان فضالة رجلاً جريئاً جاء إلى رسول الله ﷺ وهو في الطواف ليقتله فأخبر الرسول ﷺ بما في نفسه فأمنه وأسلم

(١) قصة سبي هوازن البخاري مع الفتح ٥/ ٢٠١

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٢٠ - ٤٥١ - ٦٧١ - زاد المعاد ٣/ ٢٥ - ٢٦ بن هشام ٢/ ٥٤٣ - ٥٤٦

- ٣- أهدر رسول الله ﷺ يوماً دماء تسعة نفر من أكابر المجرمين وأمر بقتلهم- بعد فتح مكة- وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وإن الرواة والمحدثون لا يتفقون إلا على أربعة فحسب فأما ابن أبي سرح فجاء عثمان إلى الرسول ﷺ وشفع فيه فحقن دمه
- ٤- فر عكرمة بن أبي جهل لليمن فاستأمنت له إمرأته فأمنه الرسول ﷺ ورجع معها
- ٥- إستعظفت أخت عدي بن حاتم رسول الله ﷺ وسألته الحملان فأمر لها به ورجعت إلى أخيها عدي بالشام طيبة خاطر وتنتى على أخلاقيات الرسول ﷺ
- ٦- فر عدي بن حاتم الطائي ولما أخبرته أخته بما لقيته من حسن معاملة- وقالت لأخيها عن الرسول ﷺ (لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها إئتته راغباً أو راهباً) فجاءه عدي بغير أمان ولا كتاب وكان من المتشددين في النصرانية وتجادل معه الرسول ﷺ بالحسنى وخاطب فكره بالبرهان- وقال له (فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون) حتى أسلم وأكرم وفادته

ثالثاً: تغيير أغراض الحروب وأهدافها التي كانت تضطرم نار الحرب لأجلها في الجاهلية

- ١- كانت الحرب في الجاهلية عبارة عن النهب والسلب والقتل والإغارة- فصارت الحرب بعد الإسلام جهاداً في تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان وتحولت إلى حوار فكري ومخاطبة للعقل.
- (أ) فالجهاد معناه: بذل الجهد ومن هنا فهو ينقسم إلى قسمين
- أحدهما:- جهاد النفس ثانيهما:- الجهاد بمعنى الحرب المشروعة
- ب- من المعروف في الإسلام أن جهاد النفس يطلق عليه الجهاد الأكبر الذي ينصب على محاربة الإنسان لنوازعه الشريرة والتغلب على أهوائه ورغباته الآثمة.
- ج- والحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية هدفها رد العدوان وفي ذلك يقول الله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة ١٩٠)
- ٢- كل المعارك التي قادها الرسول ﷺ- كلها معارك دفاعية فيما عدا إثنين من هذه المعارك

الأولى: معركة فتح خيبر: وتعنى في المفهوم العسكري (الهجوم خير وسيلة للدفاع) وسبق أن أشرنا إلى زيادة بأس اليهود وتحالفهم مع كثير من قبائل البدو مما بات تشكل خطراً على المدينة لا يمكن السكون عليه وإلا حاق الخطر وإستقل.

الثاني: معركة حنين: وتتوافق مع نفس المفهوم العسكري (الهجوم خير وسيلة للدفاع).بالإضافة إلى الغضب الشديد من قتل رسول النبي ﷺ وهذه جريمة في عرف العرب قد تلتهم من تداعياتها الحروب.

رابعاً: عقوبة المعتقلين بعد هروبهم أو أثناء محاولتهم الهروب (المادة ١٢٠ من إتفاقية جنيف الرابعة)

- ١- هرب صفوان بن أمية وإستأمن له فأمنه الرسول ﷺ فقال (اجعلني بالخيار شهرين قال: (أنت بالخيار أربعة أشهر) وهذه أخلاقيات محمودة تجاه عدو.

٢- فر عكرمة بن أبي جهل لليمن فاستأمنت له امرأته فأمنه الرسول ﷺ ورجع معها وكان عكرمة من أشد القوم عداوة للرسول وللمسلمين إلا أن أخلاقيات الحرب تجاوزت سماحتها والإستجابة للسلام. (Positive response to peace efforts)

خامساً: الإفراج عن المعتقلين (المادة ١٣٢ من إتفاقية جنيف الرابعة)

بعد فتح مكة خطب الرسول أمام قريش التي ناصبته العداة فأذوه وأصحابه ومما قاله ﷺ (يا معشر قريش) ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال: (فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته (لا تسريب عليكم اليوم) إذهبوا فأنتم الطلقاء) وكان يمكن لجيش المسلمين أن يضع أهل مكة رهن الاعتقال والتعذيب ولكنه العفو والصفح لأعداء الأمس وأخلاقيات الحرب التي تسامت وروح السلام (The spirit of peace)

سادساً: أخلاقيات الحرب بشأن الموتى والمقابر المادة ١٧ من إتفاقية جنيف الأولى

- ١- فر المشركون من ساحة بدر في صورة غير منظمة وتركوا قتلاهم مبعثرين في ساحة المعركة دون أن يواروهم الثري (كما ورد وإتفق مع الكثير من الرواة واورده العديد من المحدثين) فمن أخلاقيات الحرب- الشعور بالمودة والأخوة الإنسانية. (Seing consclous of the spirit of brotherhood of man)
- ٢- وقف الرسول ﷺ على القتلى فقال (بئس العشيرة كنتم لنبيكم كذبتوموني وصدقني الناس وخذلتوموني ونصرني الناس وأخرجتوموني وأواني الناس) ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر (وتتنص الإتفاقية على دفن القتلى في مقابر فردية أو جماعية حسب الظروف المتوافرة) (وتميز المقابر بكيفية تمكن من الإستدلال عليها)
- ٣- قام الرسول ﷺ على شفة الرقي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم (يا فلان بن فلان أيسركم أنكم أتعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا- فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟) إنها أخلاقيات الحرب ورفض قول سوء (Rejection of indulgence in malicious talk)
- ٤- كانت مخاطبة الرسول ﷺ إلى موتى المشركين في بدر مخاطبة أخلاقية فلم يسب أحدا منهم ،ولم يلفظ أحدهم بألفاظ نابية إنتقامية بل أشرف على دفنهم بإحترام ورفض السخرية بهم (Rejection of ridiculing others)

سابعاً: الثبات في الميدان من الإيمان standing ones ground on the battle field وإن جاء نكرها أنفا إلا أن التطبيق الأخلاقي في مواقف مختلفة.

- ١- في عمية الصباح إستقبل المسلمين وادي حنين وشرعوا يندحرون فيه وهم في غفلة بوجود كمناء العدو في مضايق هذا الوادي
- ٢- فبينما هم ينحطون إذا قطر عليهم النبال وإذ بكتائب العدو قد شددت عليهم شدة رجل واحد
- ٣- إنتشر المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد وفرت عناصر جيش المسلمين مذعورين وولوا مدبرين في خوف وعمدت القلوب والنفوس إلى الخطأ والفرار يوم الزحف (Desertion from the ranks during an offensive action)
- ٤- من حديث بن عمر بإسناد حسن قال: لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولين وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل (١)
- ٥- حينئذ ظهرت شجاعة النبي ﷺ والإيمان الحق بالعقيدة لمن ثبتوا معه وعاد من هرب وتجادلوا مجالدة شديدة حتى أذن الله بالنصر إنها أخلاقيات الحرب وسلوك المسلمين في الحرب (Human conduct by Muslim in times of war)

(١) أحمد في مسنده ١/ ٤٥٣- ٤٥٤ وفتح البارى ٨/ ٢٩- ٣٠ ومسنند أبي يعلى ٣/ ٣٨٨- ٣٨٩

ثامناً: خطر الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية وبخاصة القتل في جميع أشكاله والتشويه (المادة ٣ من اتفاقية جنيف الأولى)

قال الرسول ﷺ عند فتح مكة (لا تجهزن على جريح ولا تتبعن مدبراً ولا تقتلن أسيراً) - فلقد شرع الرسول ﷺ للحروب قواعد شريفة ألزم التنفيذ بها على جنوده وعلى قواته ولم يسمح لهم الخروج عنها بحال وهذه أخلاقيات الحرب - حسن معاملة الأسرى (Good Human treatment of prisoners of war)

تاسعاً: منع الاعتداء على الكرامة الشخصية وتكريم المعنى الإنساني بمنع المعاملة المهينة والحاطة من الكرامة (المادة ٣ من اتفاقية جنيف الأولى)

١- لقد تغيرت أغراض الحرب بعد الإسلام واختلفت أهدافها فبينما كانت الحرب الإغارة والظلم والبغي والعدوان وأخذ الثأر والفوز بالوتر فيما يشبه القرصنة فصارت أخلاقيات الحرب منها السلوك الأخلاقي أساس الجزاء (Ethical conduct to be the basis of reward and punishment)

٢- إذ صارت الحرب جهاداً في تخلص الإنسان من نظام القهر والعدوان إلى نظام العدالة والنصف ومن الجديد في أخلاقيات الحرب المضافة معرفة قواعد الأدب والسلوك والعدل والإحسان (Knowledge of the rules of ethics and behavior and justice and good works)

٣- تم وضع قواعد أخلاقيات الحرب في أرقى مراتبها الإنسانية فانتقلت الحرب إلى غاية المعنى السامي من نظام يأكل فيه القوي الضعيف إلى نظام يصير فيه القوي ضعيفاً حتى يؤخذ منه فزادت في أخلاقيات الحرب تكافل المجتمع وحماية الضعفاء (The inter-dependence of the members of society and the protection of the weak).

٤- لقد جاء الإسلام بقواعد وأسس راقية لأخلاقيات الحرب فصارت جهاداً في سبيل المعتقد والحق - وكراهية الإسلام للقتال وإراقة الدماء يعد موقفاً مبدئياً فالإستثناء إذن هو القتال لرد العدوان (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) (البقرة: الآية ٢١٦).

عاشراً: أخلاقيات الحرب تنهى عن أي تمييز مجحف على الأشخاص المحميين والمعاهدين (المادة ١٣ من إتفاقية جنيف الرابعة)

١- شدد الرسول ﷺ في النهي عن قتل المعاهدين حتى قال : (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً)

٢- نهى الإسلام عن قتل الصبية وقتل النساء وضربهن ونهى عن النهب حتى قال الرسول ﷺ: (إن النهي ليست بأهل من الميتة)، فأخلاقيات الحرب في السيرة النبوية خلقت أسساً للرحمة التسامح والدعوة إلى العدل والسلام وصيانة حرية الإنسان وكرامته.

حادي عشرة: أخلاقيات الحرب ترفع المعنى الإنساني في معاملة النساء والأطفال (المادة ٢٤ من إتفاقية جنيف الرابعة)

١- حرمت أخلاقيات الحرب هتك حرمت النساء والقسوة بالضعفاء والولائد والصبيان، فحددت مبادئ وقيماً جديدة تعني نصر المظلومين (Defence of Un Justly Treated and oppressed people).

٢- كان الرسول ﷺ يحث على المعاملة الطيبة للضعفاء وتبسيط الأمور الحياتية لهم ومنع إيذائهم وكان يأمر بالتيسير عليهم في شئونهم المعيشية ويقول (يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا) (١)

الثاني عشرة: أخلاقيات الحرب تحض على الترغيب في السلم

١- إذا وجد المسلمون لدى عدوهم رغبة في السلم ووقف العدوان فالإسلام يأمرهم أن يردوا على ذلك بالإيجاب (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) (الأنفال ٦١)

٢- في وقعة خيبر لما أتم رسول الله ﷺ فتح ناحية النطاوة والنشوق تحول إلى أهل الكتيبة التي بها حصن بن أبي الحقيق من بني النضير وحصن الوطيح والصلالم وقد أورد الواقدي أن قلاع هذا الشطر من الحصون الثلاثة إنما أخذت بعد المفاوضة ويمكن أن تكون المفاوضة قد جرت لإستلام حصن القموص بعد إدارة القتال وأما الحصنان الأخران فقد سلما إلي المسلمين دونما قتال

٣- وصالح الرسول ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من مقاتله وترك النذرية لهم، فأخلاقيات الحرب جعلت الإعتداء علي فرد واحد من أفراد الإنسانية كأنه إعتداء علي البشرية كلها فكل فرد يمثل الإنسانية في شخصه.

الثالث عشرة: أخلاقيات الحرب تحث على احترام حرية الإنسان وكرامته وحقوقه الإنسانية وحظر الإكراه والتعذيب (المادة ٣١-٣٢ من إتفاقية جنيف الرابعة)

(١) رسمت أخلاقيات الحرب الخطوط الأساسية إلي الرحمة والتسامح وإلى العدل والسلام وأوجبت صيانة حرية الإنسان وكرامته فقد أرسل الله نبيه محمد ﷺ (رحمة للعالمين) (الأنبياء ١٠٧).

(٢) ومنح الإسلام الإنسان حرية الإختيار حتى في أمور الاعتقاد: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف ٢٩)، ولذا جاءت أخلاقيات الحرب متناسقة مع هذه القيم وهذا ما دعا المستشرقة الألمانية (زيجريد) في كتابها (الله مختلف تماماً) فنقول (لقد كان أتباع الديانات الأخرى- أي المسيحيون واليهود والصائبة والوثنيون- هم الذين ألحوا من تلقاء أنفسهم في اعتناق الإسلام) (٢).

(٣) وقد عفا الرسول ﷺ عن أهل مكة عند فتحها رغم كل الذي صنعوه معه ومع أصحابه من الظلم والإضطهاد وقال لهم: (إذهبوا فأنتم الطلقاء)

الرابع عشرة: أخلاقيات الحرب ترفض المساس بحرية الاعتقاد (لا إكراه في الدين)

(١) الاقتناع هو أساس الاعتقاد فالعقيدة الحقيقية هي التي تقوم على الإقناع واليقين، ولذلك نرى في أن الغرض الأساسي في إرسال السرايا هو دعوة القوم إلي الإسلام والتحاور معهم فكرياً في المعتقد قبل الإقتتال وهذا ما أمر به الرسول ﷺ.

(٢) كل فرد حر في أن يعتقد ما يشاء وأن يتبنى لنفسه من الأفكار ما يشاء فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك طالما أنه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه ولا يؤدي بها أحد من الناس، وعليه دفع الجزية، وهي عبارة عن ضريبة يدفعها أهل البلاد المفتوحة نظير قيام جيش المسلمين بحمايتهم وتأمينهم والدفاع عنهم.

(٣) أما إذا حاول صاحب المعتقد نشر هذه الأفكار التي تتناقض مع معتقدات الناس وتتعارض مع قيمهم فيكون بذلك قد اعتدى على الآخرين ومن يعتدي يتعرض للعقاب وتلك قواعد من أخلاقيات وآداب الحرب (Ethics in war)

(١) صحيح مسلم ٨٢/٢، ٨٣/١، والمعجم الصغير للطبراني ١٢٣/١ و١٨٧.

(٢) Sigrid Hunke: Hllah 1st ganz anders, Horizont Verlag 1990, P. 421).

(٤) بعد إنصراف الرسول ﷺ من الجعرانه سنة ٨ هجريه جاءه وفد من صداء وذلك أن رسول الله ﷺ هياً هذه بعثة من أربعائه مقاتل وبينما ذلك البعث معسكر بصدر قناة علم به زياد بن الحارث الصدائي- زعيم القوم- فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت وافدا على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فرد الجيش من صدر قناة وجاء الصدائي إلى قومه فرغبهم في القدوم على رسول الله ﷺ فقدم منهم فئة بايعوه ثم رجعوا إلى قومهم فدعوهم فقبلوا

الخامس عشرة: أخلاقيات الحرب تعزز معاملة غير المسلمين بالحسنى good treatment of peaceful non Muslims

- (١) كانت وفادة قبيلة دؤس في أوائل سنة سبع ورسول الله ﷺ بخير
- (٢) أسلم من زعماء هذه القبيلة الطفيل بن عمرو الدوسي ورسول الله ﷺ بمكة
- (٣) رجع الطفيل إلى قومه فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام ويبطئون عليه حتى يؤس منهم
- (٤) عاد إلى الرسول فطلب منه أن يدعو على دوس فقال ﷺ (اللهم إهد دوسا) ورفض ما طلبه منه الطفيل، وتلك من صفات أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية فقد رفض الرسول حتى بالذعاء علي الأعداء وشرع من الأخلاقيات سامية (حسن معاملة الأعداء في حالة السلم) (Good Abstaining from Disputes with the enemy in times of peace).
- (٤) كانت قبيلة دوس من القبائل المعادية للإسلام وسبق أن تحالفت مع قبائل أخرى لمحاربة الإسلام ورسول الله ﷺ وأصحابه إلا أن أخلاقيات الحرب ومن شيمها اللحم والأناة جاءت بأفضل ما يأتي به السيف -فوفد الطفيل في فئة كبيرة من قومه وأسلموا

السادس عشرة: أخلاقيات الحرب (سلوك المسلمين في الحرب) human conduct by Muslim in times of war

- وخير دليل على سلوك المسلمين في الحرب سلوكا طيبا كريما من ناحية آداب الحرب والإيمان بالعقيدة وحسن استقبال الموت في سبيل الله والأصرار على الحق willingness to make the supreme -ethics of war religious faith -taing what's right -sacrifice behalf Allah and his religion and persistence in main
- لم يعرف المسلمين سوى في الحرب فسارع يؤمن بأخلاقيات الحرب الأنسانية في الحرب قبل أن يعتنق الإسلام
- (١) (كان فروة قائد عربيا من قواد الرومان علي دين النصراري وكان عاملا لهم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حوله من أرض الشام وكان قائدا مرموقا سبق له الاشتراك في عدة معارك بين الرومان والفرس ويعرف ويتقهم أخلاقيات الحرب المفقودة والضائعة بين المقتتلين- حتى اشترك في معركة مؤته سنة ٨ هجريه -يحارب المسلمين مدافعا عن الروم أسلم فروة بن عمرو الجذامي بعد ما رأى من خلال أخلاقيات الحرب المفقودة -ولمس إيمان المقاتلين المسلمين وشجاعتهم وصدقهم في اللقاء وما يتحلون به من أخلاقيات إنسانية راقية وحسن إستقبال الموت في سبيل الله والجلاد الذي لا نظير له -وهو القائد صاحب الخبره في ميدان القتال (Willingness to make the supreme sacrifice I behalf Allah and his religion).
 - (٢) لما علم الرومان بإسلام فروة أخذوه فحبسوه ثم خيروه بين الردة والموت فاختر الموت على الردة وصلبوه بفلسطين على ماء يقال له: عفرأ -وضربوا عنقه^(١)

(١) زاد المعاد ٤٥/٣.

(٣) لا جدال أن معاملة النبي ﷺ الحسنة لأهل (أيلة) وإبقائهم علي دينهم - دفع بأهل أذرح ومقنا أيضاً إلي المصالحة وصالح أهل الجرباء ورغم أن أهل مقنا كانوا يهوداً^(١) إلا أنه عاملهم بمثل ما عامل به أهل (أيلة) وكانت المصالحة علي أساس دفع الجزية.

(أ) أهل (أيلة) ثلاثمائة دينار

(ب) أهل أذرح مائة دينار

(ج) أهل مقنا (علي ربع عروكهم وغزولهم وربع كراعهم وحقتهم وعلي ربع ثارهم)^(٢).

صور وعبر من أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية

(١) تكافل المجتمع وحماية الضعفاء (الحزم والشجاعة) the inter dependence of the members of society and the protection of the weak

في قمة زهو قريش بقوتها وبطشها وتعذيبها للمسلمين - وانقضاضها على الضعفاء تسوهم العذاب - في حرب غير معلنة وغير عادله - وعلى رأس قريش عمرو بن هشام (أبو جهل) الأكثر تشدداً وأغلظ القوم بأساً وعداءً لمحمد ﷺ فلا يجروُ حد من قريش أن يطلب منه إنصافاً وعدلاً - فملكته ثقافة الظلم والقهر يهابه الناس ويخشى ضره، وكانت قريش قد أعلنتها حرباً شعواء علي محمد ﷺ وأتباعه المستضعفين ولقريش اليد العليا في إنزال القهر والتعذيب وحتى القتل في هؤلاء الضعفاء.

(وفي أحد المجالس وقف غريب من الغرباء ذات يوم مستصرخاً مستغيثاً

يا معشر قريش! هل من رجل يعنني على أخذ حقي من عمرو بن هشام - فإني رجل غريب وابن سبيل وقد غلبني على

حقي؟

فأرشدوه إلي محمد ﷺ ساخرين في أنفسهم فذهب لأن محمداً ﷺ هو الطرف الأضعف وفئة هم الأشد هواناً في الصراع المحترم مع قريش التاجر الغريب إلي محمد ﷺ وقضي عليه أن أبا جهل إتباع منه إبلاً ولم يدفع له ثمنها وإعتقد الحاضرون أن محمداً ﷺ لن يقف بجانبه (بعد أن تخلي عنه خوفاً ورهبةً وجزعاً من مواجهة أبو جهل) ولكن محمداً ﷺ خيب فآلهم وقام مع الغريب المظلوم وهو لا يملك من السلطان أوهونه وسيواجه من؟ إنه زعيم من زعماء قريش وأشدهم بأساً ورهبةً، إنه يذهب مع سلطان الحق ليواجه أشد الناس عداوةً وبأساً عليه وعلي فئته، وذهب معه إلي عمرو بن هشام حتى وصلا إلي داره - فطرق محمد الباب متحدياً وطلب خروج أبو جهل إليه ليأخذ حق هذا المظلوم منه.

فخرج أبو جهل لاستقبال محمد ﷺ وعجب لهذا التحدي! وطرق الباب بهذه الصورة! فقال لهم محمد ﷺ بكل حزم وشجاعة: إعط هذا الرجل حقه فلم ينطق أبو جهل بكلمة واحدة - ثم دخل داره وأحضر ثمن الإبل وقدمه للبايع المظلوم ورجع الغريب وإعلن علي رؤوس الأشهاد للحاضرين حول الكعبة أن محمداً ﷺ أخذ له حقه من ظالم لا يستطيع أحد أن يجروُ عليه وهو أبو جهل .

التعليق

(١) البلازدي ص ٧٩ - ٨١.

(٢) العروك خشب يصطاد عليه.

- ١- كان محمد ﷺ يحسن معاملة الأسري ويعطف عليهم ويرأف بهم.
- ٢- كان عدي ابن حاتم الطائي النصراني يكره الرسول ﷺ كل الكره وهرب إلي الشام ليكون مع النصاري حتى لا يسلم.
- ٣- حدث أن علي بن أبي طالب أسر أخت عدي مع الأسري ومر بها النبي ﷺ فقامت إليه وقالت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الرافد فامنن علي من الله عليك.
- ٤- أعرض عنها النبي ﷺ حين علم أن ردها هو عدي ابن حاتم الذي هرب من الله ورسوله.
- ٥- لكنها أعادت قولها فتذكر المصطفى ما كان لأبيها حاتم في الجاهلية من الجود والكرم فأمر بتسريحها وكساها كسوة حسنة وأعطاهم نفقتها مع أول ركب مسافر إلي الشام.
- ٦- فلما قابلت أخوها هناك ذكرت له ما فعله محمد معها وما أكرمها به وكيف أحسن معاملتها.
- ٧- فرجع عدي إلي الرسول متأثراً بنبله وجميل عطفه وحسن رعايته لأخته وهي أسيرة- ثم أسلم في الحال وأنضم إلي صفوف الإسلام والمسلمين.
- ٨- ويطعمون الطعام علي حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً (الإنسان: الآية ٨).

(and They feed, for the love of Allah, The indigent, the orphan, and the captive)

وهذه أخلاقيات الحرب في معاملة الأسري، تلك التي كانت نبزاً وهدايا للعقلاء حتي في عصرنا الحديث ويطلق علي ذلك (Good Humane Treatment of prisoners of war).

(٥) حسن الإعاشة والتغذية للأسرى (المادة ٢٦) من إتفاقية جنيف الثالثة

- ١- قدم أساري وقعة بدر بعد بلوغ الرسول ﷺ المدينة بيوم.
- ٢- فقسم الأسري علي أصحابه وأوصي بهم خيراً.
- ٣- فكان الصحابة يأكلون التمر ويقدموهم لأسراهم الخبز عملاً بوصية رسول الله ﷺ ففي البادية الخبز هو الغذاء الأفضل.

(٦) الإيمان بالمعرفة كمصدر قوة Faith in knowledge as a-source of power

- ١- كان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون.
- ٢- فمن لم يكن عنده فداء من الأسري في بدر دفع الرسول ﷺ إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم القراءة والكتابة، وذلك من أخلاقيات الحرب المرموقة فقد رفعت قدر المعرفة ورفعت قدر من يملك هذه المعرفة فالأسير الذي يملك المعرفة فقد ملك الكثير ويطلق سراحه بعد أن يقج بعض هذه المعرفة ويعلمها للآخر وفي ذلك يقول الله في كتابه (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) (سورة العلق)..
- ٣- فإذا حذقوا فهو فداء في وقعة بدر .

(٧) لا تعذيب ولا إكراه للأسير (المادة ١٧ من إتفاقية جنيف الثالثة)

- ١- كان في الأسرى سهيل بن عمرو وكان خطيباً مصدقاً^(١).

(١) بليغا.

- ٢- فقال عمر: يا رسول الله أنزع ثنيتي سهيل بن عمر يدلع^(١) لسانه فلا يقوم خطيباً عليك في موطن أبداً.
- ٣- رفض الرسول ﷺ طلب عمر بن الخطاب- إحترازاً من المثلة وعن بطش الله يوم القيامة، والرفض القاطع لتعذيب وإكراه الأسري، وهذه من أخلاقيات الحرب السامية في السيرة النبوية.

(٨) معاملة الأسري بإنسانية (المادة ١٣ والمادة ١٧، والمادة ١٨ من إتفاقية جنيف الثالثة)

- ١- أمر الرسول ﷺ عند فتح مكة فقال: (لا تجهزن على جريح ولا تتبعن مدبراً ولا تقتلن أسيراً) ، وهذه النواهي من أرقى أخلاقيات الحرب التي يجب أن تتبع في العصر الحديث
- ٢- نهى الرسول ﷺ عن قتل الصبية وقتل النساء وضربهن ونهي عن النهب حتى قال: (أن النهي ليست بأحل من الميتة).

(٩) منع أعمال التدمير والتخريب (المادة ٥٣ من إتفاقية جنيف الرابعة)

- ١- نهى الرسول ﷺ عن أهلاك الحرث والنسل وقطع الأشجار إلا إذا اشتدت الحاجة ولا يبقى سواه سبيل.
- ٢- في حصار الطائف هدد الرسول بقطع أشجار الكروم وإستبطاً من أمرهم حتى بعث إليه الثقيفون فأبقي على الأشجار والبساتين ولم يأمر بتدميرها.

(١٠) منع قتل رسل الأعداء (المادة ٣ من إتفاقية جنيف الثالثة)

- ١- عن بن مسعود جاء ابن النوحه وابن أثال رسولا مسيلمة إلي النبي ﷺ فقال لهما: (أتشهدان أنني رسول الله؟) فقالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله فقال النبي ﷺ (أمنت بالله ورسوله- لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما)
- ٢- من الأسباب الرئيسية لوقعة مؤتة أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأسدي بكتابه إلي عظيم بصره فعرض له شر حبيل بن عمرو الغساني وكان عاملاً على اللقاء من أرض الشام من قبل قيصر فأوثقه وربطاً ثم قدم فضرب عنقه، وقتل الرسل من الأخلاقيات المذمومة حتي في العصور القديمة وحتى أن غضب الرسول ﷺ بلغ شأنًا حاداً حينما فقالا لرسولا مسيلمة (لو كنت قاتلاً رسولا لقتلتكما).
- ٣- كان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم - يساوي أو يزيد على إعلان حالة الحرب .

(١١) خطر الإكراه (المادة ٣١ من إتفاقية جنيف الرابعة)

- ١- سمع الرسول ﷺ حسان ابن ثابت يمدح مطعم بن عدى وكان مشركاً من أشرف مكة أشد أعداء الرسول ﷺ
- ٢- فالرسول ﷺ سمع شاعره وهو يرثي عدواً من أعدائه في مكة ولم ينكر على حسان هذا الرثاء
- ٣- لم يكره الرسول ﷺ حسان بن ثابت ولم يمنعه من رثاء مطعم بن عدى وهذا يدل على أن الرسول ﷺ كان واسع العقل بعيد النظر يقدر الوفاء والمرؤه حتى بين الأعداء، وتلك في أخلاقيات الحرب السامية والرائدة.
- ٤- كان الرسول ﷺ قد طلب إجارة بعض رؤساء مكة ليدخلها آمناً على حياته فإمتنعوا وقيل مطعم أن يدخلها في حمايته

(١٢) العدل والإحسان justice and good works

- ١- حدث أن الرسول ﷺ حينما كان يقسم بعض الغنائم يوم خيبر أن قال رجل يا رسول الله أعدل

(١) يخرج.

- ٢- فقال الرسول ﷺ (ويحك! فمن يعدل إذا لم أعدل! فقد خبت إذا وخسرت إن كنت لا أعدل)
- ٣- فقام عمر بن الخطاب وقال: (يا رسول الله ألا أضرب عنقه فإنه منافق؟)
- ٤- فقال الرسول ﷺ (معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي)، وفي هذه الأوقات لاصعبة يرفض أن يحتد علي أحد جنوده رغم تجاوزه حدود اللياقة بين الجندي وقائده، وتلك الأمثال نضربها كعلامات لراقي أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية.

(١٣) أخلاقيات الحرب تنهى عن إراقة دم الأنسان (خاصة الأولاد)

Reject spilling human blood (specially the boys)

- ١- علم الرسول ﷺ بعد إحدى المعارك القتالية أن صبية قتلوا بين الصفوف فحزن حزناً شديداً
- ٢- فقال بعضهم: ما يحزنك يا رسول الله وهم صبوية المشركين؟
- ٣- فغضب النبي ﷺ وقال ما معناه: إن هؤلاء خير منكم إنهم على الفطرة فإياكم وقتل الأولاد- إياكم وقتل الأولاد إنها أخلاقيات الحرب في أروع صورها.

(١٤) العفو والمغفرة (من أخلاقيات الحرب) forgiveness

- ١- قال وحشي (قاتل حمزة بن عبد المطلب) يوم أحد: خرجت حتى ملت إلى رسول الله ﷺ فلم يرعه (يفزعه) إلا بي قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق
- ٢- فلما رأي قال: أوحشي؟
- ٣- قلت نعم يا رسول الله
- ٤- قال أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟
- ٥- قال: فحدثته فلما فرغت من حديثي قال ويحك! غيب عني وجهك فلا أرينك
- ٦- قال: فكنت أتكذب رسول الله حيث كان لئلا يراني -حتى قبضة الله لقد بكى الرسول دمعاً فياضاً عندما شاهد حمزة- عمه- وناصره- ومن أبطال المسلمين الصناديد- بكى القائد ﷺ وذرف دمعاً غزيراً من شدة الألم، وكظمغيطه وغضبه عن القاتل لأنه إتبع عقيدة الحق، فكانت أخلاقيات الحرب الأسرة للبشر في كل زمان ومكان.

التعليق

كان يمكن للرسول ﷺ أن يأمر بقتل وحشي- ولكن عفا عنه وكل ما فعله أنه كان لا ينظر إلى وجهة لأنه طعن حمزة حتى أخرج أحشاءه

(١٥) عقيدة حب الله ورسوله وجهاد النفس revelation to love Of Allah and his messenger and striving
-in behalf of Allah and his religion

- ١- روى ابن اسحق أن أمراه من الأنصار قتل أخوها وأبوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك

فقالوا: ماذا فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: بحمد الله هو كما تحبين

قالت:أرونية حتى أنظره فلما رأته قالت :كل مصيبة بعدك صغيره

٢- لما أخرج المشركون من أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب (أنشدك الله يا زيد -أتحب أن محمدا الآن مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك)

فقال زيد :والله ما أحب أن محمدا مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني لجالس في أهلي

فقال أبو سفيان :ما رأيت أحد من الناس يحب أحد ا كحب أصحاب محمد محمدا، وتلك من أساسيات أخلاقيات الحرب، وتلك من الأسباب الداعمة لإحراز النصر في القتال.

(١٦) عقيدة المسلم في الميدان وضع الرجل المناسب في المكان المناسب (the revelation of Muslim(acceptance of the prophet's decisions to be a condition of the perfection of faith) in the battle field

- ١- قيل أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامه بن زيد -وهو في مرضه -فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر
- ٢- وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامه أمر غلاما حدثا على جله^(١) المهاجرين والأنصار
- ٣- فحمد الله أثنى عليه بما هو له أهل ثم قال (أيها الناس: أنفذوا بعث أسامه فلعمري لإن قلت في إمارته لقد قلت في إمارة ابنه من قبله وأنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقا بها
- ٤- وقد جعل الرسول ﷺ أسامه بن زيد بن حارثة أميرا على جيش المسلمين وهو شاب لا يتجاوز العشرين من عمره لكي يحل محل أبيه الذي استشهد في غزوة مؤتة ويبث في نفوس الشبان المسلمين القوة والحمية ويجعلهم موضع ثقة للقيام بالأمر الجسام التي تحتاج إلى همة وشجاعة وإقدام
- ٥- أراد الرسول ﷺ أن يقدم للمسلمين درسا في المساواة وترك المغاخرة بالأحساب والأنساب - فجعل زيد بن حارثة بعد أن حرر من الرق والعبودية رئيسا للجيش فاستشهد وجعل ابنه أسامه قائدا للجيش بدلا من أبيه
- ٦- أمر الرسول ﷺ أسامه بن زيد رئيسا لجيش المسلمين مع وجود عدد من كبار المهاجرين وعظماء الأنصار ليمنحهم درسا في وضع الرجل الصالح في المكان الذي يصلح له (the right man for the right job)
- ٧- ولو كان القائد شابا لكفايته الشخصية ومقدرته الممتازة من غير تفكير في حسب أو نسب أو جاه أو سن أو لون أو عصبية أو طائفية وتلك من ضروريات أخلاقيات الحرب المحمودة والتي أبرزها القائد محمد ﷺ ووضع نموذجها هدياً ورشداً لتابعيه وتابعي تابعيه إلي يوم يبعثون.

(١٧) الحماية العامة للسكان من بعض عواقب الحرب (الباب الثاني من إتفاقية جنيف الرابعة)

تدابير خاصة لصالح الأطفال ورعاية العائلات المشتتة المادة (٢٤) والمادة ٢٦ من إتفاقية جنيف الرابعة)

- ١- تزوج الرسول ﷺ سودة بنت زمعة بن الأسود من بني عامر بن لؤي- وهي أرملة عجوز لأنها كانت مسلمة وهاجرت مع زوجها السكران بن عمرو- وهو بن عمها- وكان قد هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ثم توفي بعد العودة من الحبشة وكان أهلها من المشركين المعادين للإسلام- فخافت أن تعود إليهم فيجبروها على ترك الإسلام أو التزوج بأحد الكفار ولم تجد من تلجأ إليه وتعيش في حمايته وهي مسلمة فتزوجها الرسول ﷺ لصيانة كرامتها والمحافظة عليها وشفقة بها وإعزازا للمعنى الإنساني بين المسلمين

(١) عظماء.

- ٢- تزوج الرسول ﷺ السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب- فقد توفى زوجها الخنيس بن حذافة السهمي مع شهاداء يوم بدر وتحدث عمر بعد أن مات زوج ابنته حفصة- مع أبي بكر في أن يتزوجها وصمت ولم يتكلم وكان صمته اعتذارا في رفق وتحدث عمر أيضا مع عثمان بن عفان في أن يتزوج حفصة فسكت ولم يفه بكلمة فتألم عمر في نفسه كل الألم وأنبأ الرسول ﷺ- فشاركه شعوره وألمه وأكرمه بقوله (يتزوج حفصة من هو خير لها من أبي بكر وعثمان) فتزوجها الرسول ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة خاصة أنها فقدت عائلها في الحرب بغرض له دلالة سامية في أخلاقيات الحرب وهو رعاية أسر وعائلات الشهداء.
- ٣- تزوج الرسول ﷺ بهند بنت أمية من بني مخزوم- كانت تزوجت ابن عم لها وهو عبد الله المخزومي وجرح في يوم أحد ثم إستشهد وترك أم سلمة وهي كهلة كبيرة السن فخطبها أبو بكر ليواسيها فاعتذرت بكبر سنها- ثم خطبها عمر ليخفف عنها مصيبتها في فقد زوجها- فاعتذرت أيضا بكبر سنها فواساها الرسول ﷺ وقال لها: (سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك وأن يخلفك خيرا منها) فقالت: ومن يكون خيرا من أبي سلمة وهو زوجها الذي أستشهد في أحد ولكي يخفف عنها الرسول فيما أصابها من فقد عائلها وخطبها وتزوجها رحمة بها - ورعاية لها بعد فقد عائلها في الحرب
- ٤- كانت جويرية بنت الحارث زوجا لرجل مشرك قتل في واقعة بني المصطلق- تلك المعركة التي سقط فيها عدد كبير من الأسرى في أيدي المسلمين رجالا ونساءا وكانت جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من الأسرى- فتزوجها الرسول ﷺ لصيانة كرامتها وحمايتها- وقد كان أبوها ذا منزلة كبيرة ورئيسا لقبيلة بني المصطلق وسيدا لعشيرته ولما جاء الأب وهو الحارث لكي يفترق ابنته- اعتنق الإسلام هو وابنان له- وأسلما- وبسبب هذه المصاهرة التي قصد بها الرسول ﷺ- حماية إبنة رئيس القبيلة لصيانة كرامتها الإنسانية فأطلق المسلمون جميع الأسرى من بني المصطلق
- ٥- تزوج الرسول ﷺ السيدة رمة بنت أبي سفيان- أم حبيبة- فقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها ثم إرتد زوجها عن الإسلام واعتنق المسيحية وتركها وهي غريبة في الحبشة وعادت إلى المدينة وحدها في السنة السابعة من الهجرة فقد هاجرت وهي مسلمة للمحافظة على دينها- وأنقذها الرسول ﷺ من وحدتها وغربتها حماية لها ورعاية، وحين علم بنوا أمية أن محمداً قد تزوج بنت كبيرهم أبي سفيان شعروا بشئ من الوهو فمحمد الآن سيد المدينة- تتبعه خمس عشرة قبيلة من أقوي أهل الجزيرة- وقال أبو سفيان (هذا الفحل لا يجدع أنفه).
- ٦- تزوج الرسول ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب - وكان أبوها سيداً لبني قريظة اليهود - فوجدتها الرسول أسيرة وبعيدة عن قومها بعد موت زوجها فخيرها الرسول ﷺ من إعادتها إلى أسرتها وذويها أو يتزوجها ويعتقها ففضلت أن تتزوج الرسول ﷺ وكانت قصيرة حتى أن الآخرين كانوا يعيرونها بقصر قامتها- وكان غرض الرسول ﷺ أن يخفف من شدة العداوة بين المسلمين واليهود حتى يسود السلام بين الفئتين المتنازعتين
- ٧- تزوج الرسول ﷺ زينب بنت خزيمة - فقد قتل زوجها وهو عبد الله بن جحش يوم أحد ولم يتقدم أحد لخطبتها ولم يقبل أحد رعايتها ويقوم على شئونها بعد إستشهاد زوجها فتزوجها الرسول ﷺ حماية لها ورعاية لعائلة الشهيد زوجها، إنه الإنصاف للمرأة وقت الحرب إنها أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية.

التعليق

- ١- في المعارك العسكرية قتل عدد من المسلمين وفقدت أسرهم بذلك الحماية والأمن والرعاية وباتت النساء الأرامل في حاجة ماسة لمن يحافظ عليهن ويقيهن مذلة وهوان الحاجة، وخاصة أن النساء في ذلك الزمن البعيد كانوا يتعرض للإهانة والإذلال وحتى الحاجة فحفظت لهم أخلاقيات الحرب كرامتهم

٢- أخذ الرسول ﷺ يحث أصحابه على الزواج بالأرامل بعد انتهاء عدتهن لتعويضهن عن فقدهن من أزواجهن ويسارعوا لكفالتهم وحمايتهم ورعايتهم من الحزن والحاجة وتلك العبر الرشيدة المحمودة من ومضات أخلاقيات الحرب في السيرة والنبوية خير شاهد علي الرقي الإنساني ورسوخ ثقافة المعني والقيمة الإنسانية كما زرع النبت الطيب في الأرض الطيبة.

٣- لجأ الرسول ﷺ إلى ذلك في المجتمع الإسلامي في أيامه الأولى وهو مجتمع يعتنق ثقافة ممانعة الفهم فشجع الصحابة على الزواج من أرامل الشهداء صيانة لهم وحفاظا على قدرهم ومنعا لتهميشهم في المجتمع وحرصا على جمع شتات الأسر التي فقد عائلها وضرب المثل بنفسه ﷺ وتزوج هند بنت أميه وكانت كهلة كبيرة السن

٤- إن الطريقة الحكيمة التي استنتها الرسول ﷺ ترتفع بالقيم الإنسانية مرتبه رفيعة وتعزز التكافل الإنساني وتطرح المعنى السامي والعبرة الرشيدة أمام جنود المسلمين فلا يعتريهم الوهن ولا يفتر حماسهم على جلال المعارك فقد زایلهم القلق على أسرهم وذلك من أخلاقيات الحرب التي تعزز العلاقات الإنسانية وتعمق المشاعر التكافلية.

٥- لقد أنصفت قيم ومبادئ أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية المرأة أثناء الحرب وجنبتها كثيراً من الأذى والظلم ومنعت إمتهان كرامتها وإذلالها.

٦- محمد ﷺ لا يستكره أحداً علي القتال:

(أ) كان إندفاع جيش الأحزاب في موجات هائلة تحاصر أسوار المدينة ألقى الرعب في قلب كثير من المسلمين وخشي المسلمون أن ينتهز بنو قريظة الفرصة فيحاصروهم.

(ب) إرتفعت أصوات بعض المسلمين ضاحجة فقالوا إن محمداً يعدنا أن نأخذ كنوز كسري وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن علي نفسه أن يذهب إلي الغائط!!، وقالوا إن بيوتنا عورة فليأذن لنا أن نخرج فنرجع إلي دورنا فإنها خارج المدينة.

(ج) أورك محمد ﷺ أن الخوف يسيطر علي بعض القلوب فأذن لمن يريد أن يعود إلي بيته فهنا أن يعود خير من أن يبقى في الصفوف ليشتيع الإنهزام.

(د) رأي القائد ﷺ الخبر في تخليض صفوفه من العناصر الكارهة الحائرة وصار مثلاً يحتذى في الحرب أن لا يستكره أحداً علي القتال فتلك فضيلة أخلاقية لصالح الجيش ومن عوامل نصره.

(٧) النوايا الطيبة لا يجب أن تقح الطريق إلي بيتك أمام اللصوص (أخلاقيات الحرب ترفض التراخي والرحمة المزروعة):

(أ) يلود أسير من أغنياء مكة بعثمان بن عفان ففياخذ له الأمان كرهاً من الرسول ﷺ.

(ب) يوصي محمد ﷺ أنيرحل أسير مكة بعد ثلاثة أيام وتمر الأيام الثلاثة وإذا الرجل مختبئ في بعض ضواحي المدينة يتجسس علي جيش المسلمين فيأمر الرسول ﷺ بقتله جزاء مكره وخداعه وتجسسه.

(ج) إن الشرير دائماً يتسول الحماية في ظل الفضيلة فلو لم يرق بعض الأنصار في معركة أحد لضراعة هند بنت عتبة، ولو لم يتروكها تتجو بحياتها وصاحباتها لما قتل حمزة!! أحد أعمدة جيش المسلمين، وسارعت هند وصاحباتها إلي أبي سفيان وعكرمة اللذين كانا يقران بقلب جيش قريش وجناحه تستصرخهما أن يعودا لتطويق جيش المسلمين.

(هـ) إن الرحمة المخدوعة كلفت المسلمين حياة حمزة والنصر في القتال أيضاً!!.

(٨) معاملة الأسري بإنسانية وخطر تدابير الإيذاء والإقتصاص إتفاقية جنيف الثالثة البند ١٣ والبند ١٤ والبند ١٥).

- (أ) بينما كان محمد ﷺ يسير في ميدان المعركة بعد معركة خيبر وجد فتاتين جميلتين تصرخان وتبكيان بلال يدفعها وسط جثث القتلى من اليهود ويريهما لقتالي وما صنع المسلمون.
- (ب) زجر محمد بلالاً وقال (أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال!! حين تمر بامرأتين علي قتلي رجالهما!!) والقي برده علي إحداهما.
- (ج) وكانت إحدى الفتاتين صفية بنت حي بن أخطب سيد بني قريظة التي أسلمت وتزوجها الرسول ﷺ.
- (٩) في معارك المصير تصبح الرحمة غفلة (أخلاقيات الحرب الحزم).
- (أ) بعد معركة أحد أقبل محمد ﷺ علي الناس يحدثهم عن المحنة التي سببت الهزيمة.
- (ب) أعلن محمد ﷺ أنه لن يمثل بقتلي حمزة إن ظفر بهم فما كان له ولا من أخلاقيات الحرب أن يمثل بقتلي.
- (ج) خرج إلي المسجد بعد هزيمة أحمد فوجد عبد الله بن أبي يقف في الناس خطيباً فاستغرب الأمر فماذا يقول هذا المنافق بعد أن خذله وإنسحب بثلاث الجيش!!.
- (د) أرسل محمد ﷺ وفداً إلي نبي سليم وكانوا من غلاة الأعداء ووفداً آخر إلي بني هذيل ولم تكذ وفود محمد توغل في الصحراء حتي وثب فرسان بنو سليم علي م معهم فقتلوهم إلا رجلين ووثب بنو هذيل علي من معهم فقتلوهم إلا واحداً وروع محمد من هذا أشد الترويع.
- (١٠) ليس الغدر من أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية
- (أ) ما كاد محمد ﷺ يشرع في تجهيز قواته لقتال بني المصطلق حتي فوجئ برجل يحاول إغتياله رجل يحترف القتل أرسله أبو سفيان.
- (ب) ومرة ثانية.. وثالثة يفاجأ محمد ﷺ بمن يحاول إغتياله!!.
- (ج) وأوفد بعض أصدقاء محمد ﷺ من يغتال أبا سفيان، ولكن محمداً ﷺ عرف هذا فأرسل إلي الرجل من يعيده قبل أن يقتل.
- (د) أخذ محمد ﷺ يعنف الرجل ويعنف الذين أرسلوه فما كان الإغتيال سبباً لمحمد وما كان الإغتيال من بين القيم التي جاء بها وما كان من أخلاقيات الحرب.
- (هـ) إنما الإغتيال هو أحد الشرور التي يلعنها ويطالب أصحابه أن يلعنوها.
- (و) فالزواحف السامة والحيوانات الدنيئة وحدها لا الإنسان هي التي تفاجئ خصمها من الظهر!!.
- إن أخلاقيات الحرب تنهي عن الغدر.

مسك الختام

أولاً: إقترب:

- (١) إن الإيمان هو أصل الفضائل الإجتماعية والأخلاقية والإنسانية جميعاً- فبدون هذا الإيمان يصبح الإنسان غالباً حيواناً تحكمه الشهوة ولا يرده الضمير خصوصاً إذا لقن بعض المبادئ الخالية من الإنسانية.
- (٢) وقد عقد الأستاذ (جولدز بهر) (Golds Beher) وهو أحد المستشرقين المنصفين فصلاً في نقط النزاع بين الإسلام والفضائل عند العرب في الجاهلية عنونه (بالدين والمروءة) وهو يتلخص في:
- (٣) أن الإسلام رسم للحياة مثلاً علي غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية- وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيراً ما يتناقضان، فالشجاعة الشخصية والشهامة التي لا حد لها والكرم إلي حد الإسراف والإخلاص التام للقبيلة والقسوة في الإنتقام، والأخذ باشلائر ممن إعتدي عليه أو علي قريب له أو إلي قبيلته بقول أو فعل- فهذه هي أصول الفضائل عند العرب الوثنيين في الجاهلية.
- (٤) أما في اشلاسلام فبالخضوع لله ولاإنقياد لأمره، و الصبر وإخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين- والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة هي المثل الأعلى للإنسان في الحياة.
- (٥) إن المؤمن يقيم إيمانه علي البصيرة أما الملحد فيقيم إيمانه علي العمي فالإيمان يقوم علي العقل وأن العقل يدعو إلي الإيمان وإذا كان الإنسان يعجز أحياناً عن مشاهدة الأدلة فقد يكون ذلك راجعاً إلي عدم قدرته علي أن يفتح عينيه فالإيمان الديني الذي لا يقوم علي العقل يؤدي إلي الأخلاق السيئة والسلوك الشائن.
- (٦) فالأحزان والأمراض والكوارث التاريخية تثبت لنا أن الأخلاق والحق والعدالة والرخة والحرية قد تفقد معانيها وتؤدي إلي حياة ذليلة خسيصة مالم تكن متصلة بإيمان وقد صدق عيسى (عليه السلام) عندما قال (كيف ينتفع الإنسان بهذه الدنيا إذا ملكها كلها وفقج روحه).
- (٧) والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة في الكون وليس أخلد علي الأرض من كتاب يتلي وليس أبقلي عليها ولا أنفع للناس فيها من كتاب فيه دواء لقلوب المرضى والبائسين وسكن لنفوس الحيارى والمحرومين وأمل ورجاء للبشر أجمعين والقرآن هو المرجعية والملاذ للمؤمنين في ميدان الأخلاق والدين أو (العالم كما ينبغي أن يكون).

ثانياً: نبضات من أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية:

تعديل في أساليب القيادة في الميدان:

- (١) إذا نظرنا إلي المعارك للنبي ﷺ وبعوثه وسراياه وحتى إذا نظر أولئك الخبراء في علوم وفنون القتال وفي أوضاع الحروب وآثارها وخلفياتها- لا يختلف إثنان في الإستنتاج والإستدلال علي ما يلي:
- (أ) كان الرسول ﷺ أكبر قائد عسكري وأرشدتهم وأعمقهم فراسة وتيقظاً وينطبق عليه صاحب العبقية الفذة في هذا الوصف.
- (ب) لم يخص ﷺ معركة من المعارك إلا في الظرف ومن الجهة التي يقتضيها الحزم والشجاعة والتدبير، ولذلك لم يفشل في أي معركة من المعارك التي خاضها لغطة في الحكمة أو خطة إدارة دفة القتال.
- (ج) ولم يقع ما وقع (أحد) (وحنين) إلا من بعض الضعف في أفراد الجيش كما في (حنين) أو من جهة معصيتهم وأوامره وتركهم التقيد والإلتزام والطاعة كما حدث في (أحد).
- (د) فعند هزيمة المسلمين في هاتين المعركتين ثبت الرسول ﷺ مجابها للعدو وإستطاع بحكمته أن يجيب الأعداء في أهدافهم كما فعل في أحد- أو يغير مجري الحرب حتي بدل الهزيمة إنتصاراً كما في حنين- مع أن مثل هذا التطور الخطير ومثل هذه الهزيمة الساحقة تتركان علي أعصاب أفضل وأقدر القاده أسوأ الأثر ولا يبقى لهم بعد ذلك إلا هم النجاة بأنفسهم، وهذا الرصد من ناحية القيادة العسكرية المحضة والخالصة.

- (٢) تعديل سلوك المسلمين في الحرب: من ناحية النتائج الأخرى لهذه المعارك القتالية وخاصة ما كان منها يندرج تحت سياق البحث في أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية فإننا نرصد بعضاً في الآتي:
- (أ) نجح الرسول ﷺ في فرض الأمن وبسط السلام وإطفاء نار الفتنة وكسر شوكة الأعداء في صراع الإسلام واللوثنية والجائهم إلي المصالحة وتخليه السبيل لنشر الدعوة.
- (ب) كانت كل المعارك القتالية معارك دفاعية إلا في معركة (خيبر) و (حنين) (ومؤتة) فتلك المعارك ينطبق عليها القياس العسكري السائد في العصر الحديث (الهجوم خير وسيلة للدفاع).
- (ج) نقل عرب الجاهلية نقله نوعية في الأخلاق والحياة الإجتماعية وتغيرت سبل عرب الجاهلية بعد أن وصلهم المستشرق (أو ليري) وابن خلدون فيقول أو ليري في خلاصة رأيه (أن العربي ضيق الخيال جامداً لعواطف شديد الشعور بكرامته وحرية تائر علي كل سلطة كريم مخلص لتقاليد قبيلته).
- ورأي ابن خلدون (أن العربي متوحش نهاب سلاب إذا أخضع مملكة أسرع إليها الخراب يصعب إنقياده لرئيس لا يجيد صناعة ولا يحس علماً ولا عنده إستعداد للإجادة فيهما سليم الطباع مستعد للخير شجاع)، وإتفق الرأيان علي وصف العرب بالمادية وثورتهم علي كل سلطة وهذا الوصف يصح أن يعمم في عرب الجاهلية؟
- (د) وخلاصة ما إتفق عليه من صفات العربي في الجاهلية:
- (العربي عصبي المزاج- سريع الغضب- يهيج للشئ التافه ثم لا يقف في هياجه عند حد وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته أو إنتهكت حرمة قبيلته- وإذا إهتاج أسرع إلي السيف وإحتكم إليه- حتي أفنتهم الحروب وحتي صارت الحرب نظامهم المألوف وحياتهم اليومية المعتادة)، وتعارف قديماً علي إيجاز حالة العربي في الجاهلية (يده علي كل إنسان ويد كل إنسان عليه)، ولا يملك العربي علي رأي الجاحظ الأميزتين (طلاقة اللسان- وحضور البديهة).
- (هـ) جاء الإيمان وجاء محمد ﷺ علي العرب وحالتهم كما ذكرنا جاء إليهم كفارق بين الغث والسمين وبين القيم والرخيص وبين ما هو كالفناء وبين ما يبقى ويتحذر في القلوب، فتغيرت الأخلاق وتبدلت أحوال العرب- وإستقامت النفوس وبدلت أحوال العباد إلي الأفضل والأطهر.
- (٣) تغيير أعراض الحرب:
- عقيدة الإيمان وأخلاقيات الرسول غيرت حالة القوم من (الحالة كما هي قائمة) إلي (الحالة كما ينبغي أن تكون).
- (أ) إستطاع الرسول ﷺ بفضل هذه المعارك القتالية أن يوفر السكني والأرض والحرف والمشاكل للمسلمين حتي تفضل من كثير من مشاكل اللاجئين الذين لم يكن لهم مال ولا دار وهياً السلاح والكراع، والعدة والنفقات، دون ما يترتب علي ذلك أدني درجة من الظلم أو الطغيان والعدوان علي عباد الله.
- (ب) تغيرت أعراض القتال والحروب فبينما كانت الحرب في (الجاهلية) عبارة عن النهب والسلب والقتل والقرصنة، والإغارة، والظلم، و البغي، والعدوان، وأخذ الثأر، والفوز بالوتر وكبت الضعيف، وتخريب العمران، وتدمير البنين، وهتك حرمان النساء، والقسوة بالضعاف والولائد والصبيان، وإهلاك الحرث والنسل، والعبث والفساد في الأرض.
- تبدلت كل هذه الأخلاق والمعائب فصارت الحروب في السيرة النبوية جهاداً في تحقيق أهداف نبيلة، وأغراض سامية، وغايات محمودة، يعتز بها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان.
- (ج) صارت الحرب في السيرة النبوية جهاداً في تخلص الإنسان من نظام القهر والعدوان، إلي نظام العدالة والإنصاف، وتغيرت من نظام يأكل فيه القوي الضعيف، إلي نظام يصير فيه القوي ضعيفاً حتي يؤخذ منه، وصارت جهاداً في تطهير الأرض من الغدر والخيانة والإثم، وتبدلت إلي بسط الأمن والسلام والرأفة والرحمة، ومراعاة الحقوق والمروءة.
- (٤) تبديل وتعديل التشريعات في الحروب:
- (أ) شرعت العقيدة الإسلامية والرسول ﷺ قواعد جديدة شريفة ألزم التقيد بها علي جنوده وقوادهم ولم يسمح لهم الخروج عنها بحال ط.

- (ب) فكان إذا جاء ليل لم يعز عليهم حتي يصبح ونهي أشد النهي عن التحريق في النار ونهي عن قتل الصبي وقتل النساء وضربهن ونهي عن النهب، ونهي عن إهلاك الحرث والنسل، وقطع الأشجار إلا إذا إشتدت الحادة إليها ولا يبقي سواه سبيل.
- (ج) قال الرسول ﷺ عند فتح مكة (لا يجهرن علي جريح ولا تتبعن مدبراً ولا تقتلن أسيراً)، وشدد في النهي عن قتل المعاهدين وقتل السفير.
- (٥) تغيير قواعد الحروب من أدران الجاهلية حتي صارت جهازاً مقدساً.
- (أ) سجل الرسول ﷺ أول دستور للمدينة بعد الهجرة وجاء في هذا الدستور أن اليهود أمة مع المسلمين فاعترف لهم بحقهم في البقاء علي دينهم.
- (ب) حدد الإسلام المنهج الذي يتحتم علي المسلمين إتباعه في الدعوة إلي الإسلام ونشره في كل مكان وجاء هذا المنهج في القرآن الكريم مشتملاً علي الدعوة إلي الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسني.
- (ج) ترك الرسول ﷺ الناس أحراراً بعد عرض الدعوة عليهم ليقبلوها أو يردوها وبعد فتح مكة ترك الرسول ﷺ أهلها قائلاً لهم (إذهبوا فأنتم الطلقاء) فلم يكرههم علي الإسلام بعد الإنتصار الحاسم عليهم^(١).
- (د) الجزية كانت عبارة عن ضريبة يدفعها أهل البلاد المفتوحة نظير قيام الدولة الإسلام بحمايتهم والدفاع عنهم وكان يحدث أنه إذا دخل منهم أحد في خدمة الجيش الإسلامي فإن الجزية تسقط عنمه (يضرب السير توماس أرنولد في هذا الصدد مثلاً قبيلة (الجرامة)، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية وسالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عوناً لهم شريطة ألا تفرض عليها الجزية^(٢)).
- (هـ) الحرب (المشروعة) في الإسلام - يعني الحرب (الدفاعية) هدفها رد العدوان ويحذر القرآن من مجاوزة القتال دفاعاً عن النفس، (فمن إعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما إعتدي عليكم) (سورة البقرة: الآية ١٩٤).
- (و) هناك تطابق تام بين الإسلام والسلام فكلمة الإسلام مشتقة من الأصل ذاته الذي إشتق منه لفظ السلام، وقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم بأنه (السلام).
- (ل) أخلاقيات الحرب في سيرة الرسول ﷺ كانت خالية من العنف والتشدد أو التعصب والتطرف أو القهر والإرهاب وترويع الأمنين أو الإعتداء علي حياتهم وممتلكاتهم وهذه الإنسانية التي حرصت عليها أخلاقيات الحرب تتمثل في إحترام كل فرد بشري للآخر، إحترام حريته وكرامته وحقوقه الإنسانية كما كان يدعو إلي التعايش اشلسلي ومعاملة غير المسلمين بالعدل والإنصاف.
- (٦) إرساء قواعد أخلاقية جديدة في الحروب:
- (أ) وكانما أخلاقيات الحرب (في السيرة النبوية) قد بلغت مرحلة الرشد بعد طفولة مزرية دامت ما يزيد عن عشرين ألف سنة قبل ظهور الإسلام وقامت قواعد أخلاقيات الحرب علي ركيزتين هما (١) العقائد (٢) الأفعال، وكلاهما مكمل للآخر وليس من بديل عن التصاق بعضهما البعض متلازمين وسميت فيما بعد بأداب الحرب (ETHICS IN WAR)
- (ب) أضافت القواعد الجديدة في أخلاقيات الحرب ضوابط ضد الانقلاب والتمدد في الإتجاه الخطأ وفي فترات قريبة لاحقة تحولت مرحلة الرشد إلي مرحلة الشباب والحكمة فإزدهرت ثقافة المعني الإنساني، إلا أن ما إكتمل أمر إلا بدأ في النقصان!!
- (ج) وبعد الإرتقاء البشري اللافت والقيم والقواعد الجديدة في فترة السيرة النبوية وفي فترة قصيرة بعدها بدأ الإنهاك يدب في أوصال مفهوم المعني والقيمة الإنسانية وبدأ برودة الموت تتال منها، وليس ضرباً من المبالغة أن البشرية أصابتها

(١) محمد الغزالي (مائة سؤال عن الإسلام)، ج ١، ص ١١٨.

(٢) سير توماس أرنولد (Sir Thomas. W. Arnold)، الدعوة إلي الإسلام.

- فترات صعود وإرتقاء ثم تبعتها فترات هبوط وإضمحلال وإنحطاط وبالتالي البعد عن الأخلاقيات في العموم وعن أخلاقيات الحرب في الخصوص.
- (د) وأزمة التكيف البشري صارت مرضاً مستحقلاً رغم ما ابتكره العقل البشري من أدوية وعلاجات وصارت الرق العديدة لا تنفع في إصلاح الثقوب في ثوب أخلاقيات الحرب المهلهل، وأمر الطبيعة الحتم الذي لا هوادة فيه في زماننا هذا وفي كل أوان هو أن يتكيف أو يهلك.
- (هـ) أخيراً اجتمعت شعوب الكون وإتفقت فيما بينها علي قواعد لأخلاقيات الحرب وذلك في إتفاقيات جنيف الأربعة في (١٩٤٩) وتتبع هذه المواد من مبدأ إحترام الشخص الإنساني وإحترام كرامته ورغم حداثة هذه القواعد إلا أنها جاءت دون تلك القواعد الأخلاقية والقيم والمبادئ السامية التي وضعت وترسخت في أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ومنذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام، وتلك الحقبة يمكن التثبيت والتأكيد عليها بالمقارنة والإستدلال في سياق ما قدمناه آنفاً في البحث.
- (و) كانت الحرب في السيرة النبوية (حرب محدودة) وإمتنع ومنع قواده وجنوده عن ممارسة (الحرب الشاملة) فالحرب الشاملة تعني قتل الأنفس وإهلاك الزرع والضرع وتخريب العمران وتدمير المعاش.

"المصادر والمراجع"

- ١- فتح الباري للحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الطبعة السلفية- الروضة- مصر
- ٢- العقد الفريد لأبي عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي لجنة التأليف ١٣٦٣هـ
- ٣- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد- دار صادر بيروت
- ٤- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري المكتبة الرشيدية- دلهي- الهند
- ٥- شرح صحيح مسلم لأبي زكريا، محي الدين يحيى بن شرف النووي المكتبة الرشيدية
- ٦- صحيح البخاري لإمام أبي عبد الله- محمد بن إسماعيل البخاري
- ٧- تفسير الطبري (جامع البيان) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري دار الفكر- بيروت
- ٨- جمهرة انساب العرب لابن حزم- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي- بيروت
- ٩- دراسات في تاريخ العرب الجزء الأول- تاريخ العرب قبل الإسلام الدكتور عبد العزيز سالم مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية
- ١٠- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي دار الكتب العلمية- بيروت
- ١١- رحمة للعالمين للقاضي محمد سليمان سلمان المنصور في الدار السلفية
- ١٢- زاد المعاد لابن القيم- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر ابن أيوب- المطبعة المصرية ١٣٤٧هـ
- ١٣- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي
- ١٤- السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي طبعة بيروت
- ١٥- الدر المنثور لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار الكتب العلمية- بيروت
- ١٦- رحمة للعالمين للقاضي محمد سليمان سلمان المنصور فوزي الدار السلفية- بومباي- الهند
- ١٧- تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون دار الطباعة الخديوية- مصر
- ١٨- تفسير الطبري (جامع البيان) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري دار الفكر- بيروت
- ١٩- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي دار الكتب المصرية
- ٢٠- سفن أبي داود لأبي داود- سليمان بن الأشعث السجستاني الهند
- ٢١- فتح القدير لمحمد علي محمد الشوكاني- مصطفى البابي الحلبي- مصر
- ٢٢- اللسان لابن منظور- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن علي الأنصاري- دار المعارف- القاهرة.
- ٢٣- مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني دار الفكر العربي- دار المعارف- مصر
- ٢٤- مختصر سيرة الرسول (ص) للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي المكتبة السلفية- القاهرة
- ٢٥- مغازي الواقدي لمحمد بن عمر بن واقد- عالم الكتب- بيروت
- ٢٦- مشكاة المصابيح لولي الدين- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المكتبة الرحيمية- الهند
- ٢٧- نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري- دار المعارف- مصر
- ٢٨- نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب لابن العباس أحمد بن علي القلقشندي- مصر
- ٢٩- اليمن عبر التاريخ لأحمد حسين شرف الدين مطابع البادية- الرياض
- ٣٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن حسين بن علي السعودي دار المعرفة- بيروت
- ٣١- أسد الغابة لابن الأثير
- ٣٢- فتوح البلدان للبلازدي

"مصادر ومراجع أجنبية"

- ١- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر
مونتجمري وات (مستشرق إنجليزي)
ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
(الهيئة المصرية العامة للكتاب)
- Boer: History of philosophy in Islam -٢
- Dresser: history of Ancient and medieval philosophy -٣
- O'Leary: Arabia before Mohammed -٤
- Browne: A literary history of Persia -٥
- Sigrid Hunk: (الله مختلف تماماً) -٦
- ٧- إتفاقيات جنيف المؤرخة في ١٢ آب/ أغسطس ١٩٤٩
- ٨- البروتوكولان الإضافيان إلى إتفاقية جنيف المعقودة في ١٢
آب/ أغسطس ١٩٤٩
- Universal: Declaration of Human Rights -٩
وقد إعتمد بموجب قرار الجمعية العامة في ١٠ كانون الأول/
ديسمبر ١٩٤٨
- Wikipedia: the free encyclopedia just war theory and -١٠
Reap-war situations